

فهرس

كلمة المحرر

عبدالرحمن شكرى

أعلام الشعر

اسماعيل صبرى

ذكريات مجيدة

الفردوسى الشاعر الفارسى

النقد الأدبى

أبولو والشعراء

(ردّ وتعليق)

الجمعيات والحفلات

نسكرىم زكى مبارك

المنبر العام

البشبيشى الشاعر

الشعر الفرنسى الحديث

ذكرى بلاكوود

رسائل النقد

عبدالرحمن شكرى

(تعليق)

شعر التصوير

أبولو ودفى

صفحة

٩٨

١٠٠

» بقلم احمد محرم

٢٠٩

» عيسى اسكندر المعلوف

٢١٢

» سيد قطب

٢١٥

» المحرر

٢١٨

» المحرر

٢٢١

» بقلم محمد عبد الففور

٢٢٢

» عبد الفتاح فرحات

٢٢٢

» احمد محمد مظهر

٢٢٣

» رمزى مفتاح

٢٢٥

» على محمد البعراوى

٢٢٥

» المحرر

٢٢٦

» نظم احمد زكى أبو شادى

شعر الحب

الزورق الحالم
ملك

الشعر الفلسفي

الذروة

السعادة

الشعر الوصفي

قيثارة الدمع

حجرتي الأولى

تحت صورتى

الوهم

ليتنى

عهد الطفولة

الكبر

وحى الطبيعة

يانيل !

أنشودة الصباح

صدى النور

نور القمر

على ضفاف الغدير

الشعر الوصفي

الشيخ النائم فى المشرب

عالم الشعر

مقتطفات من جيتا نجالى

٢٢٨ نظم مختار الوكيل

٢٣٢ » صالح بن على الحامد العلوى

٢٣٣ » احمد زكى أبوشادى

٢٣٤ » الياس قنصل

٢٣٥ » محمود حسن اسماعيل

٢٣٥ » محمد عبد الحكم الجراحى

٢٣٧ » صالح بن على الحامد العلوى

٢٣٨ » أحمد فتحى

٢٣٩ » محمود السيد السنان

٢٤٠ » » » »

٢٤٠ » عبد الباقي ابراهيم

٢٤١ نظم الأنسة حكمت شبارة

٢٤١ » السيد بنى الحيدر ابادى

٢٤٣ » العوضى الوكيل

٢٤٣ » أحمد مخيمر

٢٤٥ » محمد عبد الغنى بنحيت

٢٤٦ » محمد عبد الحكم الجراحى

٢٤٨ تعريب حسن محمد محمود

| | |
|-----|-------------------------|
| ٢٥١ | روح الفقيه وروح الشاعر |
| ٢٥٢ | غرور الشباب |
| ٢٥٢ | رؤاى الشعر الحديث |
| ٢٥٣ | أدب شكرى |
| ٢٥٤ | الشباب والأدب |
| ٢٥٤ | شعر الصيرفى |
| ٢٥٥ | عند وزير المعارف |
| ٢٥٦ | كيد « الأدباء » |
| ٢٥٧ | شعراء أبولو |
| ٢٥٩ | إنصاف الشباب |
| ٢٦٠ | الدكتور ناجى |
| ٢٦١ | ضجة مفتعلة |
| ٢٦٥ | عبث |
| ٢٦٦ | أينما المفرّج بالشباب ؟ |
| ٢٦٧ | أدب أم قلة أدب ؟ |
| ٢٦٨ | إلى أصدقاء أبولو |
| | <u>نقحات التاريخ</u> |

| | | |
|-----|--------------------------|---------------------|
| ٢٦٨ | بقلم عيسى اسكندر المعلوف | ذكرى المتنبي |
| | بقلم المحرر | <u>خواطر وسوانح</u> |

| | |
|-----|---------------------|
| ٢٧٣ | تربية الذوق |
| ٢٧٣ | ذكرى الفردوسى |
| ٢٧٤ | الطلبة والجماعات |
| ٢٧٥ | فى الشعر الجديد |
| ٢٧٦ | الشعر والسياسة |
| | <u>نمار المطابع</u> |

| | | |
|-----|-----------------------|-------------|
| ٢٧٧ | بقلم حسن كامل الصيرفى | سرّ الفصاحة |
|-----|-----------------------|-------------|

فهرس

صفحة

كلمة المحرر

| | |
|-----------|---------------------------|
| ٢٨٢ | حافظ وشوق |
| ٢٨٢ | أبولو وجهودها |
| ٢٨٥ | الطلاقة اللفظية |
| ٣٤٦ و ٢٨٦ | الفلسفة والصوفية في الشعر |
| ٤٣٦ | أبو القاسم الشابي |

أعلام الشعر

| | | |
|-----|------------------------------|----------|
| ٢٨٩ | بقلم محمد عبد الفتاح ابراهيم | أبو نواس |
|-----|------------------------------|----------|

وحى الطبيعة

| | | |
|-----|--------------------------|-------------------|
| ٣٠٧ | نظم أحمد زكي أبو شادي | يوم في سنترس |
| ٣٠٩ | مصطفى عبد اللطيف السحرني | دنيا الخيال |
| ٣٠٩ | عبد العظيم بدوي | شاعر الريف الباكي |
| ٣١١ | أحمد محمد ابراهيم نادر | القمر في الصباح |
| ٣١٢ | محمد رشاد راغب | أناشيد السواقي |

الشعر الوجداني

| | | |
|-----|----------------------------|---------|
| ٣١٣ | الآنسة جميلة محمد العلابلي | السجينة |
| ٣١٤ | محمود السيد المصري | ولدي |

شعر الوطنية والاجتماع

| | | |
|-----|-----------------------|-------------|
| ٣١٥ | محمد عبد الحليم عفيفي | مصرع الفتاة |
| ٣١٨ | الصاوي على شعلان | الشكوى |

الشعر الفلسفي

| | | |
|-----|--------------------|-----------------|
| ٣١٩ | محمد سعيد السحراوي | بين اللانهايتين |
|-----|--------------------|-----------------|

عالم الشعر

| | | |
|-----|-----------------------|------------|
| ٣٣٥ | ترجمة أحمد مخيمر | أغنية |
| ٣٣٦ | محمد عبدالحكم الجراحي | طيف |
| ٣٣٧ | الصاوى على شعلان | عشرة الورد |
| ٣٣٨ | » » » » | الشباب |

شعر الحب

| | | |
|-----|------------------|---------------|
| ٣٣٨ | نظم مختار الوكيل | الملاك النائم |
| | | خواطر وسوانح |

القوة والضعف في الشعر الحديث

| | |
|-----|----------------------|
| ٣٤٠ | بقلم بشرى السيد أمين |
|-----|----------------------|

المنبر العام

| | | |
|-----|-------------------|------------------|
| ٣٤٧ | » أحمد محمد مظهر | الدرامات الشعرية |
| ٣٤٧ | » عامر محمد بحيرى | معايير الاتقان |
| ٣٥٠ | » المحرر | (تعليق) |
| ٣٥٠ | » مأمون الشناوى | شعر الشباب |

النقد الأدبى

| | | |
|-----|-------------|---------------------------|
| ٣٥٢ | » نظمى خليل | وراء الفهم (نقد وتحليل) |
|-----|-------------|---------------------------|

الشعر الوصفى

| | | |
|-----|-----------------------|---------------------|
| ٣٦١ | نظم أحمد زكى أبو شادى | فى مولد السيدة زينب |
| ٣٦٣ | » إيليا أبو ماضى | موكب التراب |
| ٣٦٤ | » حبيب عوض الفيومى | أخلاقهم |

ذكريات مجيدة

| | | |
|-----|--------------------|-----------------|
| ٣٦٧ | بقلم حسين البشبيشى | الشاعر البشبيشى |
|-----|--------------------|-----------------|

شعر الرثاء

رثاء الشابي

نمار المطابع

٣٧٠ نظم احمد زكي أبوشادي

٣٧٢ بقلم مصطفى عبداللطيف السحرتي

٣٧٧ محمد عبدالغفور

٣٧٩ حسن كامل الصيرفي

٣٨٠ » » » »

٣٨٢ » الأتسة زينب الروبي

ديوان عتيق

نشرة الاتحاد الدولي الفنى

غول الشعراء

هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام

الحديقة

نقد وتعليقات

٣٨٤ » المحرر

٣٨٥ » »

٣٩٨ » »

٤٠٠ حسن كامل الصيرفي

٤٠٧ محمود الخولي

٤٠٩ » المحرر

في الشعر الجديد

نقد الشفق الباكي

ذكرى شوقي

نقد الألمان الضائعة

رسائل النقد

الشعر ودار العلوم

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٤٥١٢ / ١٩٩٧

I.S.B.N 977-01-5531-4



المجلد
الثالث

العدد
الرابع

أبولو

جَنَّةُ فَنِّهِ الْهَيْمَةُ الشَّعْرَانِي

لسان حال جمعية أبولو

تصدر مرة في كل شهر
وستتها عشرة اشهر

ديسمبر سنة ١٩٣٤

ساحب الامتياز { أحمد زكي أبوشادي
ورئيس التحرير

الادارة { بشارع الملك المعز رقم ٩
بضاحية المطرية بمصر

71196 } التليفون
٤٠٤٥٦ و

مطبعة التعاون





في الميدان

ربما ختمنا بهذا العدد الممتاز المجلد الثالث من هذه المجلة كما نختتم بمختام هذه السنة جميع جهودنا العامة الى غير عودة . وقد أشار محرر زميلتنا (الامام) في عددها المؤرخ أول ديسمبر الى تصميمنا على ذلك فيما كتبه عن ندوة الثقافة والحكومة الحاضرة ، إذ أشار الى ما عانيناه من متاعب وتضحيات كثيرة لا يقاس بجانبها ما لقيناه من بعض التعضيد والتشجيع من شتى الحكومات ازاء أعمالنا العالمية والفنية والأدبية ، فان المعاكسات المتنوعة والاساءات الجمة التي أصابتنا من الحكوميين وغيرهم فاقت كل حدود الاحتمال ، ومع ذلك صمدنا لها واكتفينا بالشكوى الى دولة رئيس الحكومة الأسبق وصبرنا الى اليوم الذي تعود فيه شمس الحرية الضادقة الى الظهور مرتقيين أن نُنصفَ فيه الانصاف الواجب .

وقد عاد هذا اليوم وبرأنا ذمتنا بالكتابة في شأن ذلك الى الرئيس الجليل صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا ومقابلته مقابلةً طويلةً ومقابلة غير واحد من وزراء الدولة وكبرائها ، وبذلك مهّدتنا لختم حياتنا العامة في هذا المجال بعد سنوات عديدة في الخدمة الصحفية ما بين علمية وفنية وأدبية ، محتملين وحدنا الخسائر الكبيرة والديون الكثيرة مؤدّين جميع تعهداتنا في غير أسفٍ على أيّ تضحية بل في أسفٍ فقط على عدم استطاعتنا المادية على الاستمرار اذا لم نفل الانصاف الذي زجوه . وقد رأى القراء كيف أننا في أشدّ الأوقات حرجاً وبالرغم من قيودنا الرسمية لم يفتنا الدفاع عن كرامة الزعماء والانتصار للديمقراطية والاشادة بمجهود رئيس الوفد ، ومع ذلك لقينا من بين كبار أدياننا وأذنانهم من لم يتعفف عن عكس الآية ومحاوله تجريح وطنيتنا باختلاقاته وأوهامه ، وكان الأولى به أن يضرب المثل بشجاعتنا الأدبية ووقائنا وأن لا يسترسل للأهواء والضغائن فلا يخلط بين الأدب والسياسة ولا يحتمى في الافتراء والدسيسة .

ورأى القراء الذين اطلعوا على مجلة (الدجاج) كيف حارب بعض كبار الموظفين (من ذوى العلاقات المعروفة التي ضجّت منها البلاد وخلعت نيرها أخيراً) جهودنا الفذة لخدمة الدجاجة المصرية ، بحكم أهوائهم الشخصية ، كما يعرف قراء (مملكة النحل) كيف حُوربت أعمالنا في النحالة محاربة غنيمة بالرغم من صادق خدمتنا وآرائنا التي نوّهت بها اللجنة المالية لمجلس النواب الى حدّ تقريع وزارة الزراعة ، ومع ذلك لا تزال الفوضى ضاربة أطنابها ولا يستحي المعاكسون والمسيئون البناء من الاستمرار على هذه الحالة النحجلة .

ورأى القراء كيف أن مجلة (الامام) على ما لها من المزايا الأدبية وخدمة الأدب الشعبي كانت بين المجلات المضطهدة التي لم تظفر باعلانات قضائية ولا بأى مؤازرة . ورأى القراء كيف أن مجلة (أبولو) بقيت سنتين كاملتين لا نجد ذرة من تشجيع وزارة المعارف ، وقد أُدخل في روع معالي وزيرها السابق أن الوزارة تعضدها ! ولما ذكر لمعاليه أن الحقيقة عكس ذلك ، وأن من العيب أن تعضدها الهيئات الأجنبية وحكومة العراق وتضنّ بذلك الحكومة المصرية حاول معاليه تصحيح هذه الحالة ، وبالرغم من هذه المحاولة كانت مؤازرة الوزارة لهذه المجلة محدودة جداً كأنها في حكم العدم ولم تتعدّ المؤازرة قيمتها المعنوية تقريباً ! ومع نصوع هذه الحقيقة لم يتورّع الأنانيون والدسّاسون عن تشويهاها والطعن في تصرفاتنا وكرامتنا بدل المناداة بانصافنا إن كانوا مخلصين حقاً للأدب ، وقد شملت حملتهم علينا مجلة صحف فأظهروا براعة في حبّ الهدم بقدر ما أظهروا من عجز في التعاون الأدبي والبناء . ولم يخجل نفرٌ منهم من تكريم من توجّه في وفده إلى صدق باشا تقرّباً الى دولته على حساب الوفد وقد تغنّوا حينئذ طويلاً بشتيمة الوفد ومداهنة صدق باشا الى أبعد حدود المداهنة !

ورأى انقراء بالاجمال كيف أن مشروع (ندوة الثقافة) ومجلاتها يسدّ فراغاً كبيراً في الثقافة المصرية بمصر ، وكيف نال تعضيد اخواننا العرب في سورية ولبنان وفلسطين والعراق وتونس وبقية العالم العربي ، وكيف اجتذب الكثيرين من أعلام الأدب والعلم ومن الاختصاصيين في الصناعات الزراعية ، ومع ذلك حرّم المؤازرة المالية الواجبة ولم ينل إلاّ جزءاً مما يستحق لا يكتفي لشقى الالتزامات ، وليس رجال العلم والأدب عامة بأهل اليسار الذين يستطيعون التكفّل بها وحسبهم تبرّعهم بجهودهم الفكرية في كرم وحماسة .

وقد كان من السهل علينا احتمال كل هذا في عهدٍ احتملت الأمة ما احتملت فيه من أضرار ومساوئ ، وإن كان طبيعياً أن لا ننتظر المعاكسة في أي وقتٍ ما دامت أعمالنا بعيدة عن المياسة وما دام الجميع يدعون أنهم مناصرونا وقد كان في مقدمة من ادعى ذلك نفس صدقٍ باشا مُباهياً بغيرته على النهضة الاقتصادية بل والثقافية عامة ! ولكن ليس من السهل علينا احتمال ذلك في هذا العهد الجديد بعد أن أصبحت لمصر حكومة شعبية بالمعنى الصحيح ، وبعد أن عرضنا على زعيم الأمة الذي تستند الحكومة إلى تعضيدِه قسوة ظروفنا وخرج مركزنا ، فاذا انتهت شكوانا إلى غير جدوى أو إلى غير مناصرة كافية كما كانت شكوانا إلى زعيم الحكومة الأسبق بغير جدوى فلن يلومنا منصفٌ على هذا الاعتزال الذي قد نضطر إليه اضطراراً .

نعم ، إزاء هذه الحالة لم يكن لنا مفرٌّ من القرار الذي انتهينا إليه ، وأكبر عزاء لنا أن الجهود التي بذلناها في هذه السنين الطويلة — سواء في إنجلترا أو في مصر — بعيدة الأثر الاصلاحى . وإذا كنا قد نضطر إلى اعتزال الحياة العامة من جراء الظروف القاسية الاليمية التي لا قبَلَ لنا بما تخلقه من استحالة مادية ، فليس في نيتنا التخلي عن أي شيء من أعمالنا المستقلة سواء أكانت أدبية أم علمية أم فنية ما دامت فيها بقيةٌ من طافية ، تاركين عند الله والوطن كل تضحياتنا وآلامنا .

الدكتور طه حسين

يسرنا أن نعلم أن الدكتور طه حسين على وشك العودة إلى كلية الآداب ، فهو جديرٌ بهذا الانصاف يعد أن جنت السياسة جنائتها عليه وعلى غيره من أفاضل الرجال . وقد نشأت من جراء ذلك خصومة بين الدكتور طه ومعالي حلمى عيسى باشا وزير المعارف السابق ، والواقع أن المسألة أبعد من أن تتعلق بحلمى عيسى باشا شخصياً وإنما هي تنصب على النظام البائد بمخذافيه وبما انطوى عليه من سيئات . ولا يحتاج إلى الاشتغال بالسياسة لنقرر هذه الحقيقة الفنية عن التعريف فحسبنا ما نما في ظل ذلك النظام من تنابد وأحقاد بين رجالات الوطن حتى انتهت الحياة الحزبية إلى فتنه شعواء وصارت كرامات الزعماء تداس في غير حساب ، وبتنا نلطف لظهور دكتاتور مصلح منقذ يرد الأمور إلى نصابها . وقد كان هذا في شخص صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا الذي يستند حكمه أساسياً إلى قوة الوفد ممثل الأمة المصرية ،

كما يستند الى حسن التفاهم الصادق مع جلالة الملك الرئيس الأعلى للدولة والذي تتمثل فيه الآن صفة المستبد العادل ، الى أن يعود الحكم الدستوري الكامل على يدى الوفد المصرى الأمين .

فى هذه الظروف التى نودّع فيها تجارب الماضى الأليمة التى خدعت غير واحد من كبراء المصريين وأذكيائهم فانغمسوا طوعاً أو كرهاً فى الصراع الحزبى البغيض ، فى مثل هذه الظروف لا نزاح لانصاف أى رجل مغبون أكثر من ارتياحنا لانصاف الدكتور طه حسين الذى أعلننا تكرر أعجبنا وتقديرنا له فى جميع الظروف التى تقلب فيها . وكيف لا نزاح لذلك ونحن نرى الى جانب انصافه الشخصى انصافاً للادب الذى يمثل به بعد أن رأينا تورطه فى السياسة التى لم يُخلق لها يُسمى إليه أبلغ الاساءات ، ويخلق له أشنع العداوات ، ويجعله يتهاون فى كتاباته وأحكامه ويمهد لارضاخ الأدب للاعتبارات السياسية شريراً إرضاخ ؟

إن من أكبر وأعجب جنائيات العهد الماضى جنائياته على الأدب من أنصار ذلك العهد ومن خصومه على السواء ! وقد لقينا نحن العنت الكثير من كلا الفريقين ، ورأينا كيف يستطيع أى صعلوك يتمسح فى السياسة وأى كاتب سياسى مأجور أن يُسمى الى كرامة الأدياء المنصرفين الى الأدب ويكيل لهم التهم المختلفة جزافاً دون أن يخشى حساباً من أحد ، مادام زملاؤه السياسيون ينصرونه بالحق وبالباطل ويجاملونه بأى ثمن ولو جنوا على كرامات الأدياء الزهين ! فإزاء هذه الحالة نفتبط لعودة الدكتور طه الى حظيرة الجامعة التى هى أولى به ، ونعدّ ذلك نصراً مزدوجاً له وللأدب والأدياء .

الشعر والثقافة العالمية

قرأنا كلمة حديثة للأديب الفاضل محمد عبد القادر حمزة فى صحيفة (البلاغ) المصرية يتهم فيها شعراء الشباب بالتقليد الأعمى للأدب الغربى ويقول : « وقد لاحظتُ هذا التقليد الأعمى مرات كثيرة فيما قرأته من المؤلفات والدواوين الأخيرة ، وأذكر أننى سجلتُ هذه الملاحظة أثناء تعرّضى بالحديث لبعض الشعراء الذين أخرجوا دواوينهم منذ عدة شهور ، فقد رأيتُ فى هذه الدواوين قصائد كثيرة كان النقل فيها واضحاً كلّ الوضوح رغم أن هؤلاء الشعراء حاولوا أن يضعوا فوق الروح الغربية التى نقلوا عنها سترأ من البيئة المصرية لتطبخ قصائدهم

بالصبغة المصرية وليكون شعرهم ثمرة جهودهم الشخصية لا ثمرة جهود شخصيات أخرى . ولعلّ أوضح خطأ شاهدهته وشاهده غبرى من النقد هو ضعف الأسلوب واللغة التى ينظم بها هؤلاء الشعراء ، فهم فقراء فى ألفاظهم وأساليبهم يكثرون من الخطأ اللغوى فى مواضع عديدة ويفسدون المعنى القوى بما يسوقونه من ألفاظ عامية لا يجدون غيرها فى أذهانهم للتعبير عما يجول فى خواطرهم من معانٍ أو أفكار ، وبذلك تفقد القصيدة قوتها وسحرها وبحسّ القارئ للمؤلف العطف أو الرثاء بدل الإعجاب والثناء . وهؤلاء الشعراء مسبقون إلى تمصير قصائدهم بما كان يصنع بعض المتصلين بالمرح المصرى عند ما يعجزون عن تأليف مسرحيات ناجحة تمثل الحياة المصرية تمثيلاً صحيحاً متفقاً مع الواقع فتراهم يعمدون إلى ترجمة المسرحيات الغربية ولكنهم لا ينسبون لها من ألفوها بل يسندونها لأنفسهم وإلى البيئة المصرية ما داموا قد استطاعوا تبديل أسمائها بأسماء مصرية وتغيير مشاهداتها أو حوادثها . فكل من الفريقين يفعل شيئاً مصرياً ليس فيه إلا فضل النقل والتخصير . ولا شك أن قيام دولة الشعراء على هذا الأساس الخطأ إنما يضلّ بها السبيل ويجعل الشعر غير أهلٍ للتعبير عن حياة أمة كالأمة المصرية . وكيف تريد من شعر كهذا أن يلتقى العناية والاحتفال فى مصر والشرق العربى وهو فى صميمه يعبر عن مجتمع آخر غريب عن مصر ؟ بل كيف نبغى من هذا الشعر نهضة أدبية وهو يحمل فى طياته الدليل القويّ على فقر ناظميه فى اللغة والأسلوب والابتكار والخيال ؟

ورأينا أن هذا الحكم على شعر الشباب غير عادلٍ لأنه نتيجة اطلاع محدود ، وأن المقارنة بين دواوين الشعر الحديثة والمسرحيات الجديدة لا محلّ لها من الاعتبار . فالواقع هو أن الشعر الحديث يتأثر بالثقافة العربية من ناحية وبالثقافة العالمية من ناحية أخرى ، فألوانه هى من ظلال هذا التفاعل ، وهى بناءٌ على ذلك ألوانٌ طبيعية لا تصنع فيها مطلقاً ، بل لها جمالها وانطباقها على الحياة العصرية التى يعيشها أولئك الشعراء ، وهى مزيج من الروح الغربى (وهو الغالب) ومن الروح الشرقى ، فليس تعبيرهم الصادق عنها هو التصنع وإنما التصنع يكون بالتجرد عن عصريتهم هذه . كذلك كان الحال فى عهد أبى تمام والمتنبى فقد كان شعرهم معبراً عن الروح العربية وعن الحكمة الاغريقية التى ظفر عصرهما بها والتى لم يكن لهما أن يتجاوزاها .

وان اتهم شعراء الشباب باستعارة الشعر الغربى وبفقر اللغة والأسلوب والابتكار

والخيال مما لا يقوم عليه أي دليل . وحسبنا أن نشير على سبيل المثال الى ما كتبه عن ديوان (الأبحان الضائعة) للصيرفي كل من الأدباء محمد كامل حسين في (الوادي) ومظاهر الطناحي في (البلاغ) وسيد قطب في (الأهرام) ، فإن جميع مؤاخذتهم مما لم يصعب تفنيدُه علينا أو على صاحب الديوان ، فلم نقيم لها أية قائمة . وفي اعتقادنا أن الأدب الفاضل محمد عبدالقادر حمزة لا يمكنه أن يعزز دعاواه هذه بالشواهد فإن الحقائق جميعها في غير جانبهِ ، وفي دعاواه هذه تَمَسُّفٌ كبيرٌ . ولو أخذنا بها لوجب تطبيقها على النثر العصري أسوة بتطبيقها على النظم ، وهذا ما لا يقول به أي منصف .

وليس عدم إقبال الجمهور على الشعر الجديد دليلاً على قلة حيوية هذا الشعر أو على افتعالهِ ، وإنما هو دليلٌ على أن الجمهور في درجة ثقافته هو دون الجيل الجديد من الشعراء ومن الفنانين عامة ومع ذلك فالمستقبل لهذا الجيل الجديد ، وعليه أن يعمل في صبرهِ وتؤدة للنهوض الفني بالجمهور دون أن يضحى بفنهِ في مجارة التار العام .

الذكريات المشجية

تردح الذكريات المشجية أمامنا : فن أسفٍ عميق لفقدان مصر بل العروبة شيخها العلامة الجليل احمد زكي باشا (وحفاته بالشعر العربي لم تكن بالهيئة) ، ومن حسرة على خسارتنا الفادحة فقد شاعري الشباب محمد أبي الفتح الشبيشي المصري وأبي القاسم الشاذي التونسي ، ومن ألم لما نراه من التهاون في حق النابغين والاعلام من الادباء كالكاظمي ومحرم ولسيم وما يجره هذا التهاون من تثبيط عزائمهم أو القضاء على آثارهم .

وسبقت العراق الامم العربية الى الحفاة بشاعرها العبقري أبي الطيب المتنبي لمناسبة الذكرى الألفية لوفاته (وموعدها في العام الآتي) فكتب صديقنا المازني في « البلاغ » ينعي على أدباء العراق تهاونهم في حق شاعرهم الكبير عبد المحسن الكاظمي ومصر حفواتهم على الأعلام السابقين في كل قطر عربي وفي مصر بوجه خاص ، وإلا فكيف يسوغ عقلاً أن ندوى الاندية بتمجيد شاعر مثل احمد محرم وكيف يبجله المسلمون ومع ذلك لا تتحرك مشيخة الأزهر ولا وزارة الأوقاف لمعاونة هذا الشاعر الاسلامي الفذ على التوفر على تأليف إياذنا الاسلامية ؟

احتفل الفرسُ بذكرى صاحب الشاهنامة واحتفل الجرمان بذكرى شيلر ، ولم يكونوا متزهين عن بحس أعلامهم حقهم أثناء حياتهم ، ولكن أصحاب المواهب لا يُبخسون حقهم الآن عادة في الامم الغربية الا اذا طاشت عوامل السياسة والنعرات الدينية وتلك أحداث وقتية . وأما في مصر فاهون شأن العلم والأدب متى كانا خالصين لوجه العلم والأدب الى أن تسمح الظروف بارغام المجتمع على تقديرهما ، وقلما تكون الظروف مواتية وقلما يعيش أصحابهما في غير العقبات والآلام ، وعلى هذا نقيس مبلغ نهضتنا الحقيقية .

شعر الشباب

نشرنا في هذا العدد كما نشرنا من قبل ملاحظات نقدية على شعر الشباب لغير واحد من الأدباء وقد أخذ على بعضهم تشابه المناحي والتأثر المتبادل ، ولا نرى هذا أمراً معيباً ما دام معترفاً به فان لتشابه النزعة والثقافة بعض الأثر في ذلك . وانما العيب في النكران والجحود وفي التنافس المزمري الذي لا يتفق والروح الفنية المهدبة . مثال ذلك أن يأتي أحدهم ، وقد يكون شاعراً مجيداً بالنسبة لسنة ومستحقاً للتشجيع ، فيفتقر بسماحة المشجعين ويُنجن جنونه ، فاذا به يُلقى الحجارة بمنة ويسره على مَنْ هم خير منه بل وعلى مَنْ يعدون في منزلة أساتذته ، واذا بنا نقرأ الاعلانات الجوفاء عن الروح الجديدة في الأسلوب الرصين ، والشاعرية الناضجة والموسيقية الرائعة والصورة المشرفة لشعر الشباب الممتاز ، الجامعة بين جدّة الانحاء الفنى وكال الأداء اللغوى ، الى آخر هذا التهريج ، حتى إذا اطلعنا على بعض هذه النماذج « المشرفة » لم نجد لها الا إغارة وقحة على دواوين الشعراء النابهين وانتهاءً بالجملة لمعانيهم وتراكيهم ، ولو كان مثله في عصر صاحب (المثل السائر) لأغناه كل الفنى في الاستشهاد بشعره على صروب السرقات الشعرية ... ونحن نبرأ الى الفن من التعبير بأحد دع عنك هذا الشباب ، فنحن نبغض هذا الجحود والتبجح ، ولا نحترم الشاعر الذى يظن من العظمة النفسية أن يحمد فضل غيره وأن يجازيه بالاهانة وإن اعتمد على المفرضين من الكتاب الذى يسمون السرقة ابتكاراً وابداعاً اولولا السياسة لما كان لأمثال هؤلاء الكتاب المفرضين أى صوت في النقد الأدبي ، وكم للسياسة من جنائيات على الأدب .



نصر ابن الفارض

١ - وُلد أبو حفص عمر بن الفارض بالقاهرة في الرابع من ذى القعدة سنة ٥٧٦ وتوفي بها في اليوم الثاني من جمادى الأولى سنة ٦٣٢ ، وهو في الأصل من أسرة حموية ، ولهذا الأصل أهمية في طبع ذلك الشاعر ، فأهل الشام في الأدب القديم تغلب عليهم رقة الطبع ، ولهم شغف بصور الجمل ، وزعتهم الغزلية فيها لين يندر مثله في مصر والعراق . وهذا الذي نقول به استوحيناه مما قرأنا لشعراء الشام في المعاني الحسية والوجدانية ، وقد سبقنا الى هذا الحكم أبو بكر الخوارزمي إذ قال منذ عشرة قرون :

« ما فتق قلبي ، وشخذ فهمي ، وصقل ذهني ، وأرهف حدّ لساني ، وبلغ بي هذا المبلغ ، الا تلك الطرائف الشامية ، واللطائف الحلبية ، التي علقّت بحفطي ، وامتزجت بأجزاء نفسي (١) » .

والحق أن ابن الفارض شخصية فريدة بين شعراء مصر ، وقد اشتركت في تكوينه ثلاث بقاع : الشام وفيها أصله ، والحجاز واليه حنينه ، ومصر وفيها مقامه ، فهو شاعر مصر والشام والحجاز ، وله في هذه الأقطار الثلاثة محبوبون يروونه مترجماً لأدق ما يضررون من نوازع القلب والوجدان .

٢ - وابن الفارض مدين بخلود شعره الى نزعتيه الصوفية ، ولو لا التصوف لانطمس ذكره منذ زمان ، لأن له في فنونه الشعرية أساتذة لا يُشَقّ لهم غبار ، فله في الخريات منازع خطير هو أبو نواس ، وله في الحنين الى الحجاز إمام لا نظير

له ولا مثيل هو الشريف الرضى^(١)، وله في الصبابة سيّد هو العباس بن الأحنف، وما يكاد شعر ابن الفارض يخرج عن الصبابة والحنين والخرجات .

فالمعاني الرمزية عند ابن الفارض هي السر في اقبال الناس على شعره ؛ ولولا ذلك لانصرفوا عنه ورأوه أخفّ من أن ينصب له ميزان .

وفي رأبي أن العناية بشعر ابن الفارض كانت فائحة جديدة في وزن المعاني ، بعد أن ظل الناس أزماناً طويلاً يحرصون قبل كل شيء على وزن الألفاظ ، وهو من وجهة الديباجة وقوة السبك شاعر ضعيف ، ولكنه من حيث المعاني فحل من الفحول لأنه استطاع الجمع بين الحقيقة والخيال ، والحقيقة عند هذا الشاعر هي الصورة الروحية ، أما الخيال فهو الصورة الحسية التي رمز بها الى المعنويات .

ويمتاز ابن الفارض بقوة الروح . وحسبنا أن نذكر أنه ألهم في منامه هذين البيتين :

وحياة أشواقك إليك وحرمة الصبر الجميل -

ما استحسنت عيني سواك ولا صبوت إلى خليل -

وهذان البيتان لا خطر لهما عند من يحفلون بحزالة الألفاظ . ولكنها على جانب عظيم من القوة عند من يؤثرون المعاني ، وهل في الحب أجلّ وأشرف من توحيد المحبوب ؟ إن الشاعر يقسم بأشواقه وبحرمة الصبر الجميل - وهو قسم لو تعلمون عظيم - يقسم أن عينه ما استحسنت سوى محبوبه ، وأن قلبه ما صبا الى محبوب سواه . وقوة المعنى والروح ظاهرة في هذين البيتين ظهوراً قوياً .

والنفس قد تلهج في عالم الأحلام بمحاض شتى فليس من الكثير أن يلهج ابن الفارض في نومه بالمعاني الشعرية ، ولكن الكثير أن يتفق لعقله الباطن أن لا يتحدث بغير توحيد المحبوب ، وتلك شارة الصدق ، والصدق هو الدعامة الأولى لقوة الروح .

٣ - شغل ابن الفارض بالشعر نحو أربعين سنة ، وذلك أمدً طويلاً ، فلا ينتظر مع هذا أن يصبغ شعره بصبغة واحدة ، وإنما توجب طبيعة الأشياء أن يكون لشعر

(١) صح عندي أن ابن الفارض استوحى الشريف الرضى في قصائده الحجازيات .

الصبا لون ، ولشعر الكهولة لون ، وقد كان الأمر كذلك ، فلا ابن الفارض قصائد تمثل الشباب ، وله قصائد لا تصدر عن غير الكهول .

والوحي واحد في شعر ذينك المهددين ، وهو الحب ، وان كان يختلف بعض الاختلاف : فالحب في العهد الأول كان حبا حسيّا ، ومن العسير أن نقول بغير ذلك فقد كان ابن الفارض في صباه مضرب الأمثال في نضارة الجسم واشراق الجبين ، وكان لا بدّ لمثله في جماله وشبابه من صبوات . وكان لا بدّ أن توحى اليه تلك الصبوات بأشعار فيها ثورة وفيها حنين ... وإني لا أعترف بأن من العسير أن نجد لذلك نماذج صريحة ، ولكن ما حاجتنا الى تلك النماذج ، وجهرة شعره تؤيد هذا الرأي ؟ اننا لو غضضنا النظر عن التائية الكبرى وما نحأ نحوها من شعره لرأينا الروح السائد في الديوان يمثل شعر الشباب ، ولو ألقيت جملة قصائده في ديوان آخر لما تنبه أحد الى تمثل الشوق الى الذات الآتية ، فان هذا الملحظ لم يخلقه الا التفكير في شخصية ابن الفارض ، وقد شاع في المشرقين انها شخصية روحية .

والحب الحسى عند ابن الفارض كان أساس الحب الروحي ، وقد هدتنا التجارب الى أن المحبين في العوالم الروحية كانوا في بدايتهم محبين في الأودية الحسية ، والهيام بالجمال الآتسي لا يقع إلا بعد الهيام بالجمال الحسى ، ولو شئت لضربت المثل بقصة ابراهيم حين رأى القمر فقال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، والمحبون في الأودية الحسية لا يتجهون الى العوالم الروحية إلا بعد أن تدلهم الدنيا على أن الجمال الانساني كالظل يتحول ويزول ، وأشعار ابن الفارض في جملتها تمثل معاني حمية ، هي في بعض الأحوال رمز للمعاني الروحية . وهذا الرمز تقرضه سيرة ابن الفارض وقد ذاق الكأسين فعرف الحب الحسى والحب الروحي ، ويكاد يكون من اليقين عندنا أن حبه الأول هو السر في قوة حبه الثاني ، لأننا نعرف الله أول ما نعرف عن طريق المحسوسات ، وكل جمال في عالم الحس هو تذكير بالجمال الممكنون في عالم الروح . والمحسوسات نفسها لا توحى الشعر الا حين تستعد النفس لفهم ما فيها من الدلالات الوجدانية ، أساس الحب هو التفاهم ، فالتأمل من المرم قد يوحى الاعجاب ولكنه لا يوحى العشق إلا إن تمثلنا ما يرمز إليه من الروح . والصورة الجميلة الحية قد تمرّ بلا حب ولا وجد حين تحرم التفاهم مع الشعراء . ألا تذكر ما يسمونه لغة العيون ؟ ان بعض العيون تتكلم بلا صوت فتوحى ما توحى من الهدى والضلال .

وابن الفارض على هذا مدينٌ الى الصور الجميلة التي ألهمت حواسه وهو يغدو وروح في ميادين القاهرة ، وأكاد أرى بعيني أشباحاً تختال في قصائده الصوفية ، وهو نفسه استغلَّ الأساليب والصيغ التي اصطنعها شعراء الحب الحسى من أمثال ابن الأحنف وابن زيدون .

أليس من العجب أن تعجز جماهير الصوفية في طوال الأزمان عن خلق لغة للحب الالهي تستقل عن لغة الحب الحسى كل الاستقلال ؟ ولم كان ذلك ؟ لأن الحب الالهي يغزو القلوب بعد أن تكون انطبعت على لغة العوام أصحاب الصبوات الحسية . فيمضى الشاعر الى العالم الروحي ومعه من عالم المادة أدوات وأخيلة هي عظة في تصوير عالمه الجديد ، ومثلهم في ذلك مثل ابن الجهم حين غلبت عليه أخيلة البادية وهو يخاطب الخليفة في بغداد .

ومهما يكن من شيء فإن ابن الفارض شاعر عاشق توزعت عواطفه بين عالم المادة وعالم الروح وهو في أكثر شعره يعبر عن نفس صافية استطاعت السيطرة على طوائف من الناس زماناً غير قليل .

٤ - وشعر ابن الفارض يتراوح بين الفطرة والتكلف ، ومن المحتمل أن يكون ما صنع ابن بنته بشعره هو سبب ذلك التكلف ، فقد سمعت أستاذنا المهدي رحمه الله يقول في محاضراته بالجامعة المصرية إن ذلك السبب كان يضيف أحياناً الى بعض القصائد . غير أنه يجب أن نفرق بين التكلف والضعف ، لأن التكلف كان يغلب على أكثر الشعراء في عصر ابن الفارض ، فما وسم من شعره بذلك الطابع لا يمكن أن يشك فيه كله ، وإنما يتطرق الشك الى ما ظهر عليه الضعف كالذي وقع في الهمزية التي مطلعها :

أرج النسيم سرى من الزوراء سحراً فأحيا ميت الأحياء
ففيها كثير من التكلف ، ولكنها لا تخلو من قوة ، ولننظر هذه الأبيات :

ياساكني البطحاء ! هل من عودة أحياء بها ياساكني البطحاء ؟
إن ينقض صبري فليس بمنقض وجدى القديم بكم ولا بترحائي
ولئن جفا الوسمي ما حل تربكم فداعمي تربني على الأنواء
واحسرتي اضاع الزمان ولم أفز منكم أهبل مودتي بقاءه

ومنى يؤمّل راحةً من عمره يومان يوم قلى ويوم تناء ١٢
وحياتكم يا أهل مكة وهى لى قسم لقد كلفت بكم أحشائى
حييكم فى الناس أضحى مذهبي وهواكم دينى وعقد ولائى
يالأمى فى حب من من أجله قد جدّ بى وجدى وعزّ عزائى
هلاّ نهاك نهاك عن لوم امرئ لم يلف غير منعّم بشقاء
لو ندر فيم عدلتنى لعذرتنى خفّض عليك وخلّنى وبلائى ١
وهذا من الشعر المقبول ، ولكن هذه القصيدة ختمت بأبيات أرجح أنها من
وضع ذلك السبط الذى أراد أن يزيد ثروة جده فأساء ، ولنقرأ هذه الأبيات :

وها على ذاك الزمان وما حوى طيب المكان بغفلة الرقباء
أيام أرتع فى مبادين المنى جذلاً وأرقل فى ذيول حباء
ما أعجب الأيام توجب للفتى منحاً وتمنحه بسلب عطاء
يا هلّ لماضى عيشنا من عودة يوماً وأصبح بعده بيقاء ؟
هيئات اخاب السعى وانفصمت عرى حبل المنى والمحلّ عقد رجائى
وكفى غراماً أن أبيت متباً شوقى أمامى والقضاء ورأى

والديباجة واحدة ، أو متقاربة ، ولكن النفس يختلف اختلافاً شديداً يدركه
الدوق ، وأخشى أن يكون تدخل ذلك السبط هو العلة فى أكثر ما وقع فى ديوان
ابن الفارض من الاسفاف .

٥ - قلت ان التكلف كان كثيراً فى الشعر لعهد ابن الفارض . وكذلك نجد
مفتوناً بفنون البديع من تورية وجناس وطباق ، وإن لم يسرف فى الشغف بتلك
الفنون وقد اتفق له مرة أن يجمع فى التكلف ، وذلك فى قصيدته الذالية ، فان
قافية الذال صعبة جداً ، ولا يقبل عليها الشعراء الا متكلفين . والذى يراجع القوافى
العربية يرى الشعراء لا يتخذون الذال قافية الا فى الأبيات والمقطوعات ، ويراهم
لا يفتنون قصائدهم بالذال الا فى النادر القليل ، أما ابن الفارض فقد بدا له أن
يفرب ، وأن يدل معاصريه على امتلاكه لخاصية تلك القافية الشّمس ، فقال :

صدّى حى ظمئى لمّاك لماذا وهواك قلى صار منه جذاذا

إن كان في تلى رضاك صباةً ولك البقاء وجدتُ فيه لذاذا
 كبدي سلبتَ صحيحةً فامنن على رمى بها ممنونة أفلاذا
 يا دامياً يرمى بسهم لحاظه عن قوس حاجبه الحشا إنفاذا
 أنى هجرت لهجر واشى بي كمن في لومه لؤمٌ حكاه فهاذا (١)
 وعلى فيك من اعتدى في حجره فقد اغتدى في حجره ملاذا
 غير السلو تجده عندي لأنى عن حوى حسن الورى استحوذا
 ياما أميلحه رشاً فيه حلاً تبديله حالى الحلى بذاذا
 أضحى باحسان وحسن معطياً لنفائس ولا نفس أخذا

وما يحب أن ننقل القصيدة كاملة ، ويكفى أن نشير الى أنها تجاوزت الخمسين بيتاً
 فهي قصيدة طويلة، وطولها يشهد بما وقع فيها من التكلف . والشاعر حين يتخير قافية
 وعرة كقافية الذال يشغل عن المعانى ، ويتجه فكره الى البحث عن الالفاظ ،
 ونحن نعرف كيف نجنى مثل هذه المحاولة على الشاعر ، وتصرف روحه عن الأجواء
 الشعرية ، ونحوه الى صفوف «الفعلة» بعد أن كان من الفنانين .

٦ - ومن الانجهاات الفنية التى غلبت على ابن الفارض ميله الى «التصغير»
 وقد غلب عليه هذا الميل غلبة قوية ، بحيث نجد آثاره في جميع القصائد ، فأهل
 الحى وأهل الود هم غالباً «أهبل الحى وأهبل الود» :

يا أهبل الود أنى تنكرو فى كهلاً بعد عرفانى ففى
 وفى هذا البيت وحده تصغيران .

والظبي عنده ظبى :

هل سمعتم أو رأيتم أسداً صاده لحظ مهلق أو ظبى
 والهوى عنده هوى :

وضع الآسى بصدري كفه قال : ما لى حيلة فى ذا الهوى
 واللى عنده لى :

(١) فى هذا البيت ركازة ظاهرة ، وكذلك البيت الذى يليه .

آه ! واشوقى لضاحى وجهها وظما قلبي لذبابك السمى
وفى هذا البيت تصغيران .
والأرى ادى :

وأدى من ربحه الراح انتشت وله من ولّ يعنو الأرى
وفى هذه القافية وحدها تصغيرات كثيرة ، وكذلك الحال فى أكثر القصائد ،
ربما كان ابن الفارض أكثر من اهتموا بالتصغير بين شعراء اللغة العربية وعند درس
تصغيراته تراها مالت أحيانا الى التكلف أو الجناية على المعنى ، كالذى وقع فى تصغيره
الموى والأرى . ولا يقف كلفه بالتصغير عند الأسماء ، بل يتعداه الى الأكنار من
تصغير فعل التعجب كقوله :

ياما أميلح كل مايرضى به ورضابه ياما أحيلاه بنى
وكما يكثر عنده التصغير تكثر عبارة (لعمرك) وهى عبارة جاهلية فتن بها عمر
بن أبى ربيعة فتنة شديدة وأنس بها ابن الفارض .

٧ - وما شارك فيه ابن الفارض معاصريه الغرام بالألغاز ، والغز ليس من
الشعر فى شيء ، إنما هو نظم يراد به اختبار الذكاء ، ولذلك نرى الغز بعيداً عن فن
ابن الفارض الذى يعتمد على الروح

والألغاز من الوجهة النظامية فيها الثقيل والمقبول . وقد راجعناها فلم نرض فيها
عن شيء ، ويكنى هذا الشاهد فى الإلغاز بحلب :

مابلة فى الشام قلب اسمها تصحيفه أخرى بأرض المعجم
وثلثة إن زال من قلبه وجدته طيرا شجى النغم
وثلثة نصف وربع له وربعه ثلثاه حين القسم
ويمكن الرجوع فى ديوانه الى الصفحات ١١١ - ١١٥ ففيها ما يكفى لتصوير
هذا الجانب من فنونه النظامية .

٨ - وشارك معاصريه أيضاً فى الاشارات النحوية ، وإن لم يسرف فى ذلك ،
وحسبنا هذا الشاهد :

نصباً ا كسبى الشوق كما تُكسبُ الأفعال نصباً لام كن

وجانس في هذا البيت بين النَّصَب والنَّصَب فلم يصل بما تكلف إلا لمعنى هزيل .
٩ - وابن الفارض كأكثر الشعراء لا يمين اسم الحبيب ، وإنما يدور حول
طائفة من الأسماء ، فهو حيناً عند سعاد كأن يقول :

ما شِئْتُ البشام إلا وأهدى نفوادي نحيةً من سعاد
وحينا عند رُقَى - مرخم رقية - كقوله في الياثية :

خاطِبَ الخطبِ دَعِ الدعوى فَا بالرُقَى زُقَى الى وصل رُقَى
وقد جرى اسم ليلي في شعره مرات كثيرة ، ولكن أرق الأسماء عنده اسم
« نعم » وهو يدور حوله بخزان :

إذا أنعمتُ مُنعمٌ عليَّ بنظرة فلا أسعدت سعدى ولا أوجلت مُجلٌ

ومن لم يُجد في حب مُنعم بنفسه ولو جاد بالدنيا اليه انتهى البخلُ

وقد ضرب بها المثل حين قال في وصف الراح :

ويطرب مَنْ لم يدرها عند ذكرها كمشاق مُنعمٍ كلما ذكرت مُنعمٌ

ويتفق له أن يجمع أسماء مختلفة في بيت واحد ، كما جمع بين « نعم وسعدى وجل » في
البيت الذي مرَّ آنفاً ، وكقوله في الجمع بين ريا وعتبة سلمى .

مُعَب لم تُعَبِّبِ وسلمى أسلمت وحى أهل الحمى رؤية رعى

ومثل هذا البيت يدل على أن الأسماء ليست عنده إلا إشارات مبهمة لما يرمز
اليه في عالم الروح .

١٠ - ولقب ابن الفارض عند الصوفية لقباً طريفاً ، وهو «سلطان العاشقين»
وقد شهد لنفسه بهذه السلطنة الوجدانية في مواضع كثيرة ، فجعل نفسه إمام
العشاق ، ومحبوبه إمام الملاح ، حين قال :

كل مَنْ في حِماكِ بهواك لكن أنا وحدي بكل مَنْ في حِماكا

مُفقت أهل الجمال حُسناً وحسنى فبهم فاقةٌ الى معناكا

يحشر العاشقون تحت لوائى وجميع الملاح تحت لواكا

وهو معنى جيد انتهبه أحد الزجالين في العصر الحاضر فقال :

أنا في العشاق أميرٌ وأنت في الحلوين ملك

وجعل نفسه قدوةً في الحب للأولين والآخرين حين قال :

قل للذين تقدموا قبلي ومن بعدى ومن أضحي لأشجاني يرى

عنى خذوا وبى اقتدوا ولّى اسمعوا وتحدثوا بصباقي بين الورى

وجعل المحبين جنده حين قال :

نسخت بحبي آيةَ العشق من قبل فأهل الهوى جندى وحكى على الكل

وكل فتى يهوى فاني إمامه واني برىء من فتى سامع العذل

وهو في هذا المعنى بصورة مختلفة مسبوق بالشاعر الذى ألهمه فن الحجازيات ،

وهو الشريف الرضى حين قال :

وإني لمجلوبٌ لى الشوق كلما تنفس شاكٍ أو تألم ذو وجد

تعرضُ رسل الشوق والركب هاجد فتوقظنى من بين نواهم وحدى

١١ - ولابن الفارض معانٍ كلف بها كلفاً شديداً ، ودار حولها طويلاً ،

وأظهر ما اهتم به وصف النحول ، وقد عرض له بصور كثيرة ، فيها المتكلف والمقبول ،

فتارةً يحدثنا أنه ضنى حتى خفى عن العواد فيقول :

خفيت ضنى حتى لقد ضلّ عائدى وكيف ترى العواد من لا له ظل

وما عثرت عينٌ على أثرى ولم تدع لى رسماً فى الهوى إلا عين النجل

وتارةً يحدثنا بأنه كاد يخفى عن نفسه فيقول :

أخفيت حيكمو فأخفاني أسمى حتى لعمري كدت عنى أخفى

وحينئذ يترقب فيذكر أن جسمه ضنى حتى كاد يشف عما يضر من أمرار الهوى

وأنه مازال يفتنى بالنحول حتى خفى عن برء الاسقام وبرد الأوام ، فيقول :

يشف عن الأمرار جسمى من الضنى فيغدو بها معنى نحولٌ عظامى

صريح هوى جاريت من لطفى الهوا سحيراً فأنفاس النسيم لمامى

صحيحٌ عليلٌ فاطلبونى من الصبا ففيها كما شاء النحول مثقامى

خفيت ضنى حتى خفيت عن الضنى وعن برء أسقامى وبرد أوامى

ولم يُبق منى الحبُّ غيرَ كآبةٍ وحزنٍ وتبريحٍ وفرطٍ سقامٍ
ولم أدر من يدري مكانى سوى الهوى وكتمان أسرارى ورعى ذمامى
لينج خلى من هوى بنفسه سليماً ويا نفس اذهبي بسلام !

والكلامُ عن الضنى والنحول كثير جدّاً فى قصائد الشعراء ، ولكن إمعان ابن
الفارض فى هذا المعنى جعله من خواصّه الشعرية ، وافتنانه فيه افتنانٌ طريفٌ يظهر
طرافته لمن يتأمل كيف قصر الهوى على تعرف جسمه النحيل ... وليتذكر القارئ
أن أكثر الشعر فى النحول ليس الا مظهرآ من مظاهر الذكاء ، وحظ العاطفة فيه
قليل ، فالحسين بن مطير يجعل جسمه أضعف من أن يهتزّ له عود الثام فيقول :

فلو أن ما أبقيت منى معلقٌ يعود ثمام ما تأوّد عودها
والمثنى يزعم أن جسمه لم يبق من آثاره غير الصوت ، فيقول :

كفى بجسمه نحولاً أنى دجل لولا مخاطبى إياك لم ترنى !
وقد بلغ أحد المولدين غاية الطرف حين قال :

عادنى ممرضى فلم ير منى فوق فرش السقام شيئاً يراه
قال لى : أين أنت ؟ قلت : التمسى ! فبكى حين لم تجدنى يده !

أما ابن الفارض فيجمع بين العاطفة والذكاء حين يتكلم عن النحول ، ومن
التجنى أن نقول إن قطمته الأخيرة ليست إلا براعة فنية فى تلوين الخيال .

١٢ - وابن الفارض يشارك جمهور الشعراء فى الحديث عن طيف الخيال .
ولكن صوره الشعرية فى هذا الباب تمتاز بألوان من القلق الروحانى ، لأنه يستصغر
زيارة الطيف - وكان البحترى والمثنى يريانها من مُتّع الوصال ، ولننظر هذه الأبيات
التي يصف فيها الخيال بالارجاج :

يا مانى طيب المنام وماحى ترب السقام به ووجدى المتلف
عطفاً على رمى وما أبقيت لى من جسمى المضى وقلّى المدنف
فالوجدُ باقى والوصالُ مماطلى والصبرُ قانٍ واللقاءُ مسوّفى

لم أخل من حسدٍ عليك فلا تُضِغْ سهرى بتشيع الخيال المرجف^(١)
 وأسأل نجوم الليل هل زار الكرى جفنى، وكيف يزور من لم يعرف ؟
 فهو يرى الطيف لا يروى الغليل ، وقد ذهب الى أبعد غايات الشره الروحاني
 إذ قال :

وإذا اكتفى غيرى بطيف خيالي فأنا الذى بوصاله لا أكتفى ا
 ونراه فى مكان آخر لا ينتظر طيف الحبيب فى النوم ، وإنما يتصيدوه وهو يقظان
 ولننظر هذه الأبيات :

لك قربٌ منى ببعديك عنى وحُنوٌ وجدته فى جفاكا
 علمُ الشوق مقلتي سهر الليل فصارت من غير نوم تراكا
 حبذا ليلةٌ بها صدتُ إسرا لك وكان السهادُ لى أشراكا
 بات بدرُ التمام طيفَ محيا لك لطفى بيقظتى إذ حكاكا
 فتراءيت فى سواك لعين بك قرئت وما رأيت سواكا
 وهذا الطيف أظرف الأطياف ، والشاعر يحدثنا بأنه يرى فى البعد قرباً ، وفى
 الجفاء حنواً ، لأن محبوبه يبعد ويجفو عن عمد ، وتعمدُ الهجر صورةً من صور
 الوصال ، ثم يحدثنا بأنه يتخذ السهاد شركاً يتصيد به طيف المحبوب ، ثم ينظر الى
 البدر فيرى فيه خيال محياه . ثم يهتف بهذا البيت :

فتراءيت فى سواك لعين بك قرئت وما رأيت سواكا
 ومن طريف ما تلفت اليه تعلقه بطيف الملام ، حين يعزُّ عليه طيف
 المنام ، إذ يقول :

أدرُ ذكر من أهوى ولو بعلام فانَّ أحاديثَ الحبيب مداى
 ليشهد سمى من أحب وإن نأى بطيف ملام لا بطيف منام

(١) فى نسخة الديوان « تشيع » والذى أحفظه « تشيع » وهو عندى النسب
 وناسخ الديوان فسر التشيع بالترجيع .

فلى ذكرها يحلو على كل صبيغة وإن مزجوه عذلى بمخصام.
 كأن عذولى بالوصال مبشرى وإن كنت لم أطمع برد سلام.
 فهو يتذوق اللوم ويتشاه لأنه يصله بصورة المحبوب ، وهو فى هذا مسبوق
 بقول دعبيل :

أحد الملامة فى هواك لذينة حباً لذكرك فليحنى اللوم ا
 وهذا سبق لا يغض من فضل ابن الفارض لأنه تناول المعنى بروح مغمود
 بصدق الاحساس ، ودليل ذلك أنه يعود الى هذا المعنى من حين الى حين ؛ كأن
 يقول فى مخاطبة العذول :

أحسنتم لى من حيث لاتدرى وإن كنت المسيء فأنت أعدل جائر
 يدنى الحبيب وإن تناءت دارة طيف الملام لطرف سمعى الساهر
 فكان عذلك عيس من أحبيته قدمت على وكان سمعى ناظرى ا
 وهو فى هذه الآيات يجعل السمع نظراً يرى به طيف الملام . والتكلف فى
 الصورة تكلف مقبول ، ومن التكلف ما يقبل ، لأنه يمثل لنا أخص النواحي
 الوجدانية فى ابن الفارض ، وهو شغفه باستحضار صورة المحبوب . ألسنا نراه يشطر
 وجوده شطرين يحسد أحدهما الآخر ، ويجعل بصره يتمنى لو عاد سمعاً لينعم
 بأخبار الحبيب ، إذ يقول :

بعضى يغار عليك من بعضى ويحسد باطنى - إذ أنت فيه - ظاهرى (١)
 ويود طرفى إن ذكرت بمجلسى لو عاد سمعاً مصغياً لمسامرى ا
 ١٣ - واستحضار صورة المحبوب من أسرار العبقريّة فى شعر ابن الفارض ،
 فهو فى أكثر شعره لا يشغلنا بنفسه كما يشغلنا بذلك الحبيب ، وانه ليرى روحه
 أصغر من أن تقدّم هدية لمبشره بقدم أهل هواه :

وحياتكم ، وحياتكم ، قسماً ، وفى عمرى بغير حياتكم لم أحلف
 لو أن روحى فى يدى ووهبتها لمبشرى بقدمكم لم أنصف ا

وكل شيء في الوجود يمثل لروحه صورة الحبيب : فهو يراه في ملامة العذال ،
وفي لمع البرق ، وفي نغمة العود والنأي ، وفي مسارح الظباء ، وفي برد الصباح
والأصيل ، وفي مساقط الأنداء ، على بساط الأزهار ، وفي أذيال النسيم ، ويره في
نثر الكأس وريق المدام ، ولا قيمة للقرية ولا معنى للانزعاج مادام في صحبة المحبوب :

| | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| تراه إن غاب عني كل جارحة | في كل معنى لطيف رائق بهج |
| في نغمة العود والنأي الرخيم إذا | تألفنا بين الحان من المزج |
| وفي مسارح غزلان الخائل في | برد الأصائل والاصباح في البسج |
| وفي مساقط أنداء الغمام على | بساط نور من الأزهار منتسج |
| وفي مساحب أذيال النسيم إذا | أهدى إلى سحيراً أطيب الأرج |
| وفي التناهي نثر الكأس مرتشفاً | ريق المدامة في مستنزه فرج |
| لم أدر ما غربة الأوطان وهو معي | وخطري أين كنا غير متزعج |

وقد يقال ان استحضار صورة المحبوب واضح في كل قصائد النسيب ، وهذا
صحيح ، ولكنه في شعر ابن الفارض أوضح ، والصبابة في تشبيهه تبلغ غاية القوة
في كثير من الأحيان ، ولا نغالي اذا قلنا ان هذه الالتفاتة الوجدانية مما تفرده
ابن الفارض ، أليس هو الذي يقول في قوة عاتية :

وقلتُ لرشدي والتنسك والتقي تخلّوا وما بيني وبين الهوى خلّوا
وفرغتُ قلبي عن وجودي مخلصاً لعلّي في شغلي بها معها أخلوا

أرايتم كيف يسمي الشاعر لتفريغ قلبه عن وجوده الذاتي ، ويقصر خطراته
النفسية على الشغل بالمحبة عساه يظفر من ذلك بخلة روحية ؟

وانظروا كيف يبهركم وجه تلك المحبوبة وهو يمثل لكم لآلآه بهذه الأبيات :

| | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| جري حبها مجرى دمي في مفاصلي | فأصبح لي عن كل شغل بها شغل |
| فنافس ببذل النفس فيها أبا الهوى | فان قبلتها منك يا حبذا البذل |
| فمن لم يجِد في حب نعيم بنفسه | ولو جاد بالدنيا اليه انتهى البخل |
| ولولا مراعاة الصبابة غيره | ولو كثروا أهل الصبابة أو قلوا |

لقلت لعشاق الملاحة أقبلوا
وان ذكرت يوماً فخرّوا لذكراها
وفي حبها بعث السعادة بالشقا
ومن أجلها أسمى لمن بيننا سعى
فارتاح للواشين بيني وبينها
وأصبو إلى العذال حبّاً لذكراها
فإن حدثوا عنها فكل مسامح
تخالفت الأقوال فينا تبايناً
فشنع قومٌ بالوصال ولم تصل
فما صدق التشنيع عنها لشقوتي
وكيف أرجى وصل من لو تصورت
وإن وعدت لم يلحق الفعل قولها
عديني بوصلٍ وامطلي بنجازه
وحرمة عهدٍ بيننا عنه لم أحل
لأنت على غيظ النوى ورضى الهوى

البها على رأبي وعن غيرها ولثوا
سجوداً وإن لاحت إلى وجهها صلّوا
ضلالاً وعقلي عن هداي به عقل
وأعدو ولا أغدو لمن دأبه العذل
لتعلم ما ألتى وما عندها جهل
كانهم ما بيننا في الهوى رسل
وكلّ إن حدثهم السنّ تنلو
برجم ظنون بيننا ما لها أصل
وأرجف بالسوان قومٌ ولم أسل
وقد كذبت غي الأراجيف والنقل
حماها المنى وهما لضافت بها السبيل
وإن أوعدت فالقول يسبقه الفعل
فعدى إذا صح الهوى حسن المطل
وعقد بآيدٍ بيننا ماله حل
لدىّ وقلبي ساعة منك ما يخلو

وهذه القطعة لا تحتاج إلى تعليق ، وقد نقلناها على طولها لأهميتها في تأييد ما نقول به من غرام هذا الشاعر باستحضار صورة المحبوب ، وهي في أنفسنا حياة كل الحياة . ولا يرى فيها فتوراً أو ركاسة إلا من يقصّر وجدانه عن ادراك ما فيها من معاني الشوق والحنان .

ولننظر لوعة الوجد في ختام هذا القصيد ، وهي تمثل ذلك المعنى أصدق تمثيل :
تُرى مقلتي ، يوماً ، ترى من أحبهم
وما برحوا معني أراهم معي فإن
فهم نصب عيني ظاهراً حيثما مروا
لهم أبدأ مني حنوً وإن جفوا

ويعتبنى دهرى ويجتمع الشمل
نأوا صورة في الذهن قام لهم شكل
وهم في فؤادي باطناً أينما حلوا
ولي أبدأ ميل اليهم وإن ملوا

١٤ - والصبابة الصادقة تواجه من يقرأه وإن الفارض في مواضع كثيرة ،
برغم ما يقع فيه أحياناً من التعمل والاسفاف ، وأكثر الناس يعرفون القائية التي
يستهلها بهذا الابتهاال :

قلبي بحمدننى بأنك متلقى روحى فداك عرفت أم لم تعرف !
لم أقض حقَّ هوائك إن كنت الذى لم أقض فيه أمى ومثلى من ينى
ما لى سوى روحى وبأذل نفسه فى حبٍّ من بهواه ليس بمسرف
فلئن رضيت بها فقد أسعفتنى يا خيبة المسعى اذا لم تسعف !
ومن هذا الباب قصيدته الميمية التى يشرح فيها كيف طاب له الافتضاح ، ولدَّ
له الاطراح ، وكيف رضى بالدلة بعد العزة ، وحلَّ له التهنك وخلع العذار وارتكاب
الآثام بعد النسك والتقوى ، الى أن يقول :

أصلّى فأشدو حين أنلو بذكرها وأطرب فى المحراب وهى إمامى
وبالحج ان أحرمتُ لبيتُ باسمها وعنها أرى الامساك فطر صيامى
أروح بقلب بالصبابة هائم وأغدو بطرفٍ بالكآبة هام
وفى كل عضوٍ فىَّ كلُّ صباية اليها وشوقٌ جاذبٌ بزمامى
ولو بمطت جسمى رأت كل جوهر به كل قلب فيه كل غرام
ولما تلاقينا عشاءً وضمنا سواء سبيلُ دارها وخيامى
وملنا كذا شيئاً عن الحى حيث لا رقيبٌ ولا واش زور كلام
فرشتُ لها خدى وطاءً على الثرى فقالت لك البشرى بلثم لثامى
فما سمحت نفسى بذلك غيرةً على صونها منى لعزٍّ مرامى
وبتنا كما شاء اقتراحى على المنى أرى الملك ملكى والزمان غلامى

وهذا المنظر بعينه مرَّ بقصيدة للشريف الرضى . وكلا الشاعرين يتحدث عن
العفاف . أما الشريف فيذكر أنه قضى الليل مع محبوبته فى عناقه عفيف :

بتنا ضجيعين فى ثوبى هوى وثنى يلفنا الشوق من فرع الى قدم
وبنينا عفةً بايعتها بيدي على الوفاء بها والرعى للذمم

أما ابن الفارض فقد اقترح أن يبيتا على المنى ، وتلك أقصى غاية العفاف .

١٥ - ومن أم قصائد ابن الفارض قصيدة « شربنا على ذكر الحبيب » وهي قصيدة رمزية بلا جدال . وانخر فيها خر الحقيقة التي شغقت الصوفية وملأت قلوبهم بألحان الوجد والحنين .

ومن أجل هذا نرى مبالغاته مقبولة كل القبول حين يصفها بالقدرة على كل شيء :

وإن خطرت يوماً على خاطري امرئ أقامت به الأفراح وارمحل المهم

ولو نظر الندمان ختم إنائها لأسكرهم من دونها ذلك الختم

ولو فضحوا منها ترى قبر ميت لعادت إليه الروح وانتعش الجسم

ولو طرحوا في فيء حائط كرمها عليلًا وقد أشقى لفارقه العقم

ولو قرَّبوا من حانها مُقعداً مشى وتنطق من ذكر مذاقتها البُكم

ولو عبت في الشرق أنفاس طيبها وفي القرب مزكوم لعاد له الشم

ولو خضبت من كأسها كف لأمس لما ضل في ليل وفي يده النجم

ولو جليت سرّاً على أكمه غداً بصيراً ومن راووقها تسمع الصم

ولو أن ركباً يعموا ثرب أرضها وفي الركب ملسوع لما ضره السم

ولو رسم الراقي حروف اسمها على جبين مصاب جُنْ أبراه الرسم

وفوق لواء الجيش لو رُقم اسمها لأسكر من تحت اللوا ذلك الرسم

وهذه الخمرة العالية هي خمر الحقيقة ، وهي الذات الإلهية التي تقول

لشيء كن فيكون :

يقولون لي صفها فأنت بوصفها خير ، أجل أعندي بأوصافها علم

صفاء ولا ماء ، ولطف ولا هواً ونور ولا نار ، وروح ولا جسم

تقدم كل الكائنات حديثها قديماً ولا شكل هناك ولا رسم

وهل في عالم المعاني أدق وأبرع من هذا الالتفات الطريف إذ يقول هذا

الشاعر النشوان :

وقالوا شربت الانم اكلا ، وانما شربت التي في تركها عندي الانم ا

هنيئاً لأهل الدير كم سكروا بها وما شربوا منها ولكنهم هموا
وهذا البيت يعين أنها خمر الحقيقة ، ولو أراد خمر أبي نواس لما صح له أن ينسك
شرب الرهبان من تلك الراح ، وكيف والرهبان كانوا سادة الشارين ، والى دياراتهم
كان يحج عشاق الرحيق ؟

والشاعر يحدثنا بأن الرهبان هموا بشرب تلك الخمر ، خمر الحقيقة ، وهذا حق :
فقد كان الصوفية يرون الرهبان أئمة التنسك لو صح لهم دين ، وقد وردت كلمة
« راهب » في مقام التعظيم في قول الرشيد « كان أبو العباس عيسى بن علي راهبنا
وعالمنا أهل البيت (١) » .

وابن الفارض يمضى فيقول :

وعندى منها نشوة قبل نشأتى معى أبداً تبقى وإن بلى العظم
وهذه النشوة التى سبقت الوجود ليست كتلك النشوة التى وقعت فى قول
أحد المتحذلقين :

أسكر بالأمس إن عزمت على الشر ب غداً ... إن ذا من العجب !
وانما هى نشوة من يؤمن بخلود الروح ويعتقد أن لها نشوات قدسية قبل
الخلق وبعد الموت :

فلا عيش فى الدنيا لمن عاش صاحياً ومن لم يمت سكرأ بها فانه الحزم
على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها نصيب ولا سهم
١٦ - ولا يسع من يهتم بدرس ابن الفارض أن يغفل التائية الكبرى ، وهى فى
نحو ستائة بيت ، وقد نظمها تحت وحى التصوف ، وهى قصيدة يغلب عليها التكلف
وفيهامع ذلك مواقف مضمخة بعبير الروح ، كأن يقول :

وما ظفرت بالود روحاً مراحةً ولا بالولا نفس صفا العيش ودت

وأين الصفا هيهات من عيش عاشق وجنة عدن بالكاره حفت

وكان يقول فى خطاب الحقيقة السرمدية :

عن مذهبي فى الحب مالى مذهب ولو خطرت لى فى سواك ارادة
وإن ملت يوماً عنه فارقت ملنى على خاطرى سهواً قضيت بردتى
فلم تك الا فيك ، لا عنك رغبتى لك الحكم فى أمرى فما شئت فاصنعى

١٧ - والمتأمل في شعر ابن الفارض من الوجهة الفنية يراه متأثر ببعض التأثير باللغة المصرية ، فهو يجمع الفعل حين يكون الفاعل جمعاً ، وذلك معروف عن المصريين في لغة التخاطب ، وإن كان لا يفعل ذلك إلا حين تقهره ضرورة شعرية .

١٨ - وبمناسبة مصر نذكر أنها لا تمر في شعره إلا قليلاً ، فقد كان هواه كله في الحجاز ، وأظهر موضع مرّ فيه اسم مصر هو قوله في التشوق إلى أهل نجد :

يا أهل ودي هل راجي وصلكم طمعٌ فينعم بالله استرواحا
مذ غبتم عن ناظري لي أنة ملأت نواحي أرض مصر نواحا
واذا ذكرتكم أميل كأني من طيب ذكركم سقيت الراحا
واذا دُعيتُ إلى تناسي عهدكم ألفت أحشائي بذاك شحاحا

١٧ - ومؤرخو الأدب العربي لا يرون ابن الفارض من الفحول ، وفي ظني أن سيفكر فيه ناس بعد قراءة هذا البحث . على أن ابن الفارض لا ينتظر أن بحبه المؤرخون فقد حيّ على السنة الجماهير حياة قوية ، ولا أزال أذكر كيف كان يحتشد الناس في بيت الصواف بحمي سيدنا الحسين ليسمعوا الشيخ حسن الحويجي ، وهو يتغنى بهذه الأبيات :

ما بين معتزك الأحداق والمهج أنا القليل بلا إثم ولا حرج
ودعت قبل الهوى روعي لما نظرت عيناي من حسن ذاك المنظر البهيج
لله أجفان عين فيك ساهرة شوقاً إليك وقلب بالغرام شج
عذب بما شئت غير البعد عنك نجد أوفى محب بما يرضيك متهيج
وخذ بقية ما أبتيت من رمق لآخر في الحب إن أبقى على المهج

وقصيدة « تة دلالة » فأت أهل لذاكا « يسمعها الجمهور في « اسطوانة » للشيخ على محمود ولا تزال قصائد ابن الفارض متعة السامعين في سهرات الصوفية .

وقد اهتم رجال من المؤلفين المشهورين بدرس ديوانه وشرحه ، وفي ذلك الحياة كل الحياة . كل شيء حي في ابن الفارض حتى قبره ، وقد زرته مرة فرأيت مزدهجاً بأفواج المبتهلين ؟



أبو القاسم الشابي

نظرة في شعره عامة

يتساءل الناقد الانكليزي الكبير ماثيو أرنولد في دراسته عن كيتس « هل كان كيتس شيئاً آخر غير كونه شاعراً ؟ » ولو جاز لنا أن نستعير منه هذا السؤال لقلنا « هل كان أبو القاسم الشابي شيئاً آخر غير كونه شاعراً ؟ » — ذلك أن أبا القاسم كان فناناً بكل ما تحوى هذه الكلمة من معنى .

فالشاعر المطبوع هو ذلك الذي يستطيع في لباقة وسهولة أن يصور لك خلجات النفس الإنسانية والطبائع البشرية المتباينة ويصقلها لك في أداء وافر وتركيب سليم وهكذا كان أبو القاسم يعتمد الى تصوير تلك الاحاسيس ويجمع ما تبعثر منها ثم يخلع على ذلك روحه وطبيعته الشاعرية الفناة ، ويتعمق في تفسير هذه الاحاسيس الجياشة في نفسه الكبيرة تفسيراً يجعلنا نقف معجبين بهذه العبقرية الفذة الناضجة الممثلة في شاب لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره . وإذا كان لنا من عزاء فهو أنه توفي في سنّ قبض عندها شاعر من أ كبر شعراء إنكلترا الرومانتيكيين المبرزين في القرن التاسع عشر هو جون كيتس ، وكأنّ القدر أبي إلا أن يمثل هذه المأساة ثانية في القرن العشرين فجاء الشابي من أنبغ شعراء العربية ومن كان ينتظر منهم أن يعيدوا للشعر العربي شبابه القوى ، وابتلاه بما ابتلى به كيتس من قبل فراح ضحية داء أفضّ مضجعه ، وعجل بركابه إلى وادي الموت في وقت تتطلع فيه الأعين إلى مستقبل معسول الآمال ، حافل بشتى ضروب التجديد والحياة على يدي أبي القاسم الشابي .

فلا عجب حينذاك إذا احسّ مطالعوه بالهوة السحيقة التي خلفها موت أبي القاسم

وليس بين أيدينا للأسف مجموعة كاملة من شعره الناضج ، بل كل ما لدينا هو هذه النتف القليلة التي كان ينشرها في أبولو ^(١) ، ومهما يكن من ضآلتها فهي تدل على أنها إنجاب شاعر مطبوع ، وفنان قد قارب نهاية العبقرية ، وأديب يحق للعربية أن تفخر بأن اضاف إليها ثروة من المعاني على جانب كبير من القوة والتأمل ، ولو أتيج لهذا الشاب أن يجمد مستشرقاً يدرس أدبه لطلع على العالم الغربي بثروة لاشك أنه سيهلل لها إعجاباً وإكباراً ، وستصبح عبقريته وشاعريته موضع الاجلال والعظمة ، ذلك لأن أبو القاسم لم يكن من أولئك الشعراء الذين يسرون على نهج من تقدمهم ، بل كان من أئمة فريق يتطلع على الدوام الى الامام ، وينظر الى محيط أعمق مما ينظر فيه شبان اليوم ويصور بريشته السحرية صور عالم لا تحده النظرة الواحدة ، ولا يستقصى ما فيه التأمل السطحي ، بل هو عالم جياش يثقي من ضروب الاحساس ، فتشعر وأنت تقرأ شعره أنك أمام فيلسوف يجلو صور الحياة المتباينة ، ويسمو عن هذا العالم المادي الى عالم عبقرى الخيال ، تدوى فيه أناشيد الوجود ، وتغنى فيه ملائكة الحب .

كان أبو القاسم شاعراً ، وشاعراً عبقرياً مطبوعاً ، ولكن قبل أن ننال شاعريته بالتحليل نقف وقفة ساذجة صغيرة ونقول : من هو الشاعر ؟ وما فائدته للعالم ؟ ماذا يكون حاله لو خلا منه ؟

هذه الأسئلة وأمثالها تدور في خلد الكثيرين ، ويذهبون في الاجابة عنها مذهب شتى متشعبة النواحي ، بيد أنا نقدم بين يدي القارىء كلمة صغيرة عن ماهية الشاعر . أول من يطالعنا من الأهم التي خلد الشعر آثارها الأغريق القدماء فترأى يسمونه « الخالق » ذلك لأنه يعتمد الى خياله وتفكيره وإحساسه وتذكره ويؤلف بين أشئتها ، ويجعلها كلها تتحد في إبداع صورة جديدة التكوين لم يسبقه اليها أحد ، فهم ينظرون الى الشاعر نظرة فيها شيء من التقديس والتأليه ، وليس بعد هذه المرتبة منزلة لطامع يتطلع الى درجات سامية من الجلال . ولو أنك بحثت في شعر أبي القاسم لوجدته يبدع من خياله الفذ صوراً فتانة لم يسبقه اليها أحد وحسبك أن

(١) تفضل علينا صديقنا الشاعر التونسي صديق طاهر سعدى بكتاب يسمى (الأدب التونسي في القرن الرابع عشر) وفيه مجموعة لا بأس بها من شعر أبي القاسم وجعنا إليها فله خالص الشكر .

تطالع له قصيدته المسماة «صلوات في هيكल الحب» أو «في ظل وادي الموت» لترى
أية عبقرية وأى إيجاز في المعاني وابتكار في الأخيلة، والا فن هذا الذي استطاع
قبل أبي القاسم أن يأتي بهذه المعاني النادرة كقوله :

أنت ... ما أنت ؟ أنت رسم جيل عبقرى من فن هذا الوجود
فيك ما فيه من غموض وسحر وجمال مقدس معبود
أنت روح الربيع تختال في الدنيا فتهتز رائعات الورد
وتهب الحياة سكرى من العطر ويدوى الوجود بالتفريد
ولو شئنا الاستدلال على ذلك لعرضنا شعره جميعاً أمام أعين القراء .

لقد رأيت فيما سبق نظرة الاغريق نحو الشاعر وتعريفهم إياه ، والا لن نمض بك
الى الأمة اللاتينية ، فتراها تطلق عليه كلمة Wates ومعناها (النبي) وبذلك وضعت
الشاعر في مرتبة النبوة ، ذلك لأن كلا من الشاعر والنبي مكلف بتأدية رسالة
جديدة لم يأت بها أحد قبله .

هذا هو الشاعر كما يراه الاغريق إلهاً والرومان نبياً ، وكلا النظرتين فيها تنظيم
لشأنه ، ورفعته من قدره ، واجلال له ولرسالته التي كلف بتأديتها ، ولعلك ترى
تفيسون بصور الشاعر صورة مستمدة من صميم نفسه ووجدانه فيقول : ولد الشاعر
في محيط ذهبي ، تتلأأ فوقه النجوم المذهبة ، وقد ركبت نفسه على حقد الحقد ،
والازراء بالمكر وعشق الحب ^(١) وانما استدلت بهذه القصيدة بمناسبة ما قصه على
الزميل الكريم الشاعر التونسى صديق طاهر سعدى من أن أبا القاسم كان ناضح
السريرة ، لا يكنّ لاحد ما حقدأ ، فلا عجب اذا بكته تونس والحزائر ، ولا غرو اذا
قام الشعراء والادباء بتأيينه .

(١) راجع هذه القصيدة كاملة في ديوان تفيسون تحت عنوان The Poet

حيث يقول :

The Poet in a golden clime was born,

With golden Stars above;

Dowr'd with the hate of hate, the scorn of scorn,

The love of love.

كثيراً ما يتجرّد الشاعر عن مادية الحياة ، وينساب بنظرة وخياله الى عوالم يصورها له الفكر ، فيرى بعقله الباطن ما تعجز العين المجردة عن رؤيته ، ولعلنا اذا أردنا محجة الحق وجادة الصواب قلنا إن الشاعر المبدع الخالق لا بد له من إحساس قوى يدفعه ، ثم يعمد هذا الشعور الجارف الى تكوين الافكار التي تتكوّن منها القصيدة ولقد تحسّ بذلك قوياً وتلمس أثر هذا وصحته في شعر أبي القاسم ، غزلاً كان أم وجدانياً ، ومن مظاهر شاعريته القوية تلك الموهبة التي عرف كيف يستغلها فكانت بعض كلماته المفردة تخلق في مخيلة القارئ عالماً آخر ، وترسم صوراً قوية واضحة كما في قوله :

أنتُ نَحِينُ في فؤادِي ما قد مات في أُمسَي السعيدِ الفقيدِ

بمد أن عانتُ كآبةً أَسَا مِ فؤادِي وأُجِئتُ تغريدِي

ثم هو يشعر بذلك شعوراً لا يستطيع أن ينكره أو يتجاهله ، وكيف ينكره أو يتجاهله وهو يحسّ به كأنه الموج الصاخب النائر يلهو بالسفينة وسط الخضم المزبد وقد ينكره وقد يتجاهله ولكن شاعريته وأحاسيسه يكشفان المتر فيقول :

في فؤادِي الغريب تخلق أكوَانٌ من السحر ذاتِ حَسَنِ فريدِ

وشمس وضاءٌ ونجوم تنثر النور في فضاءٍ مديدِ

وربيع كأنه حلم الشاعر في سكرة الشباب السعيدِ

وربابة لانعرف الخلك الداجي ولا ثورة الخريف العنيدِ

وطيور سحرية تتناغى بأنشيد حلوة التغريدِ

وقصوره كأنها الشفق المحضو بـ أو طلعة الصباح الوليدِ

كل هذا... يشيده سحر عينيكِ والهام حَسَنُ المعبودِ

فخرامٌ عليك أن تهدمي ما شاده الحسن في الفؤاد العميدِ

فالآله العظيم لا يرجم العبدَ اذا كان في جلال السجودِ

ولأبي القاسم قصيدة أسماها (ألحاني السكري) وربما أحسن القارئ في العنوان

نفسه شيئاً من قوة الابتكار ، وروعة التجديد في المعنى ، وتلك من الميزات التي طبع عليها أبو القاسم ، وإن هاتين الكلمتين فحسب لتصوّر أن لسامعها وادياً سحرياً تتغنى فيه ملائكة الحب ، وتدوى فيه أغاريد الشباب المعسول ومثل هذا ، غير أنا نترك العنوان ونمضى إلى جوهر القصيدة ولها فزى الشاعر فيها بصوّر المحبين كالطائر في الأفق الساجي . ولعلكم تتبينون الرمزية (symbolism) في قوله :

نحن مثل الربيع نمشى على أر ض من الزهر والرؤى والخيال
فوقها يرقص الغرام ويَلْهُو ويفنى في نشوة ودلال
وكما في قوله :

أيها الدهر ، أيها الزمن الجارى إلى غير وجهة وقرار (١)
أيها الكون ، أيها الفلك الدوّار بالفجر والدجى والنهار
أيها الموت أيها القدر الأعْمى قفوا حيث أنتم أو فسيروا
ودعونا هنا تغنى لنا الأحلام والحب والوجود الكبير
وإذا ما أبيتُم فاحملونا وهيب الغرام في شفتينا
وزهور الحياة تعبق بالعطر وبالسحر والعصا في يدينا
وإننا لنلح بين ثنايا هذه الأبيات السالفة روح الثورة والتمرد . ولكن أيتها ثورة وأى تمرد يزأر بهما ذلك الشاب الشيخ ؟ . . . إنها ثورة على كل ما في الوجود وتمرد الساخر بالحياة ، بل والعطف والحسرة على من فيها ، فما أشبهه في ذلك بسقراط ، فقد سخر هو الآخر من جهل القادة وإن كان رثى لهم في نفس الوقت ، وإننا لنحس بجانب هذا في تلك الأبيات بعاطفة وجدانية تبعته إلى أن يصيح هذه

(١) لعلنا نرى مظاهر الشبه الكبير بين شاعرنا الشاب في هذا البيت وما يليه وبين قول الشاعر الانكليزي الشاب بيرسى بيش شلى في قصيدته «الزمن» حيث يقول :

Unfathomed Sea, whose waves are years !

Ocean of time whose waters of deep woe

Are brackish with the salt of human tears ;

الصيحة الداوية في أذن الدهر ومسمع الحياة ، فسواء لدى الشاعر أن يقف الدهر أو يتابع سيره ، وسواء لديه الحياة والموت . ثم ها هو ذا يهزأ بالكون والموت وبكل ما على سطح البسيطة من قوى مادام هو بجانب حبيبته ، وهو يهتف بهؤلاء جميعاً أن اتركونا في وحدتنا تغنى لنا الأحلام والحب والوجود . ولكنه يرجع الى نفسه فيرى نفسه أضعف من أن يقف موقفاً سلبياً إزاء هذه القوى المتكالبة عليه . فيتقهقر ولكن في تأنٍ فيصرخ بها جميعاً إن أبوا أن يتركوها في وحدتهما القدسية فليحملوها ولهب الغرام في شفتيهما يؤجج فيها عاطفة الحب ويدكي مشعلها الخفاق في قلبيهما الفنين .

وهو في حبه يتفانى الى النهاية فيرى أن الغرام أسمى هبة يهبها الله للشاعر، وماذا يكون الامر لو نضب معين الحب وجفّ ورده ؟ فما الحياة الا أنفاس الحب وليست الا ألحاناً منغمومة موقعة على قيثارته السحرية . انّ هذا الحب هو الذي يصنفه شكسبير « بأنه وشيجة الخلود الأبدية ، لاننا منها العواصف الهوجاء ، وهو النجمة اللالاءة للمدلج السارى في غياهب الظلام ، وهو الذي يحمل النفس الى وادى الخلود ، حيث تظل على قيد الحياة الى الابد » .

ولسنا نعجب اذا رأينا يتفانى في حبه ، ويقدّس هذا الغرام الوليد ، ولسنا نلومه على أن يبكيه وقد ألقى في لحده مسجتي تطوف حوله الذكريات الحزينة ، وتنبعث أنغامه الحنون فاذا في الفؤاد ثورة قلّ أن تنطفئ ، وانما تخمد الى حين ، كأنها اللهب يتأجج تحت الرماد ، غير أنا نلوم الشاعر حين يقول لنا إنه يحتقر المجد وأوهام الحياة وإن كنّا نتسامح فنغفر له ذلك حين نرى فيه الاخلاص ممثلاً في قوله :

لستُ يا أُمِّى أبكيكَ لمجدٍ أو لجاءٍ

فانا أحتقر المجدَ وأوهام الحياة

أو لعمر بلغت منه الليالى منتهاه

وتلاشت في خضمّ الزمن الطاغى قواه

فانا ما زلت في فجر شبّاني أو ضحاه

في هذه الأبيات الخمسة يعرض علينا صورة نفسه وقد رغبت عن المجد والجاه وكل ما يشغل النفوس ، وليس يبكي عمره وهو مازال في فجر عقده الثالث ينعم

بالشباب الغضّ ، والامل الباسم ، ويأمل في الحياة آمالاً طروبة مشبوبة بقوة الحسن .
إذن فما الذى يبكيه ، وما الذى يؤلمه ، وهو ينعم بكل ما شاء ؟

الجواب عند أبي القاسم نفسه ، فهو يبكى ... ويبكى ... ولندعه يقص علينا ذلك :

إنما أبكيك للحبّ الذى كان بهاءً

يملاً الدنيا فأتى سرت في الدنيا أراه

فاذا ما لاح فجرُ كان في الفجر سناه

واذا ما غرّد طيرٌ كان في الشدو صداه

وإذا ما ضاع عطر كان في العطر شذاه

واذا ما رفّ زهر كان في الزهر صباه

فهو في الكونّ جمالٌ ملك الافق ضياه

عبرى السحر ممراح وديع في سماه

ينسج الاحلام في قلبي بأضواء الحياه

ويغنيني فألسى في مسرّات غناه

كلّ ما في الكون من حزنٍ وأفراح عداه

وقد يطلع علينا أبو القاسم في مسوح الفيلسوف الذى ينظر الى الحياة نظرة فيها
مضى من اللذة ونواح من الألم فيهتف من أعماق قلبه الفنى مستصرخاً هذه الجراح
الدائمة ، هاتفاً بها أن كفى عن نواحك وأنينك ، ولكن أتى لها أن تصيح الى
هذه الصرخات التى لا تلبث أن تتلاشى في خضم الحياة ! فهو يقول :

اسكنى يا جراح واسكنى يا شجون

مات عهد النواح وزمان الجنون

وأطلّ الصباح من وراء القرون

ثم يصف لنا ما حواه هذا القلب الخافق بمعانى الحب الهائف للجمال ، المتفنى
للشباب السعيد والآمال الباسمة وربيع الحياة قد زينت يد السحر الصنّاع فتجلى
لعين الشاعر في صورة قدسية الخيال ، مشبوبة العاطفة فيقول :

في فؤادي الرقيب مَعْبُدُ للجمال
شيدته الحياة بالرؤى والخيال
فتلوت الصلاة في خشوع الظلال
وحرقتُ البخورَ وأضأتُ الشموعَ

وكأنَّ أبا القاسم في هذه القصيدة قد أحسَّ بقرب منيته وأنَّ وكبه قد نهياً
لوادي الردي ، وأنَّ سفينة العمر وشك الاقلاع الى ساحل الممات ، حيث تنعم خالدة
في ملكوت صورته لما خيالها الشعري القوي ، فتراه يعلن للملأ أن حينه حان ،
وأن وقت أفول نجمه آن ، وكلما قرأت أبياته هذه أحسست عاطفة لا أدري بماذا
أصفها وكيف أصفها ، ولا أستطيع تصويرها ، هي مزيج من الألم الحاد لفقده ،
والاعجاب المطلق بشاعريته حين يقول :

من وراء الظلام وهدير المياة
قد دعاني الصباح وربيع الحياة
يا له من دعاء هز قلبي صدها
لم يعد لي بقاء فوق هذي البقاع

ويقول في نهايتها :

الوداع الوداع يا جبال الهموم
يا ضباب الأمي يا فجاج الجحيم
قد جرى زورقي في الخضم العظيم
ونشرتُ القلاع فالوداع الوداع

وهو يذكرني في هذا الموقف بشاعر مصري ودع الحياة وهو ما زال في شرح
الصبا ونضارة العمر وميعة الشباب ، وآثر أن يختصر الطريق وذلك هو احمد العاصي
فله قصيدة تناول نفس هذا الموضوع .

ولنرجع الى أبي القاسم فنقول إن ما تحت أيدينا من شعره الذي تناول فيه
هذا الضرب من الشعر قصيدتان إحداهما بعنوان « قلب الأم » والأخرى أمماها
« في ظل وادي الموت » . أما الأولى فهي في رثاء طفل صغير ، وأنه لمن الحق أن أقول

إني قرأت هذه القصيدة قبل نشرها فتخيلت هذا الطفل الوليد ورثت له ، وقرأتها مرة أخرى وثالثة فأحسست نفس الشعور الذي اصطخب في جوانحي عند قراءتها أول مرة ، وإذ عدت إليها بعد موت أبي القاسم أحسست فيها قوة وعاطفة جياشة متفجرة ، وشعرت بالآلم العميق يحز في نفسي ، وكأنما كان شاعرنا الشابي يرنى فيها نفسه ويكي مصرع الانسانية ، ويذكر كيف انقضى الصحاب وعادوا الى لهوهم ومجونهم ، وتلاشت ذكراه عند الجميع وأسدل النسيان عليه ستاراً كثيفاً فخلوه دبر آذانهم ، غير أن هناك بين هذه الجموع المشيعة كلها قلباً واحداً لم يستطع ولن يستطيع النسيان أن يجد اليه سبيلاً ، أندرون لمن هذا القلب ؟

انه قلبُ الأم ... نعم قلب الأم الذي لا يندمل جرحه .

يا له من بئس صرعه آلام الحياة ولم تنق عليه الأيام أو تذر ، بل انقضت عليه انتفاض النسر على فريسته ، وقد أنشب فيها مخالبه المعفرة بدماء السرور ، وأوغل منقاره في شغافه فزقه ، وألقى به مضرجاً في غياهب الزمن العتيّ فيصرخ أبو القاسم بهذا الميت ويقول إن قلب أمك هذا :

يصغى لنغمتك الجميلة ، في خرير الساقية

في أنة المزمار ، في لغو الطيور الشادية

في ضجة البحر المجلجل ، في هدير العاصفة

في لجة الغابات ، في صوت الرعود القاصفة

في آهة الشاكي وضوضاء الجموع الصاخبة

في شهمة الباكي يؤججها نواح النادبة

في فتنة الشفق الوديع ، وفي النجوم الباسمة

في رقة الفجر البديع ، وفي الليالي الحاملة

في رقص أمواج البحيرة تحت أضواء النجوم

في سحر أزهار الربيع وفي تماويل الغيوم

في مشهد الغاب المجرّد والورد الهاوية

في ظلمة الليل الحزين وفي الكهوف العارية

أعرفتَ هذا القلب في ظلماء هاتيك العهود
هو قلب أمك : أمك السكرى بأحزان الوجود

أرأيتم الى أى حدٍ يصف الشابي حزن هذا القلب المنفجوع ، وهو يرى صورة
فقيده في كل ما تقع عليه من صور الطبيعة التي لم يفته استغلالها كمظهر من مظاهر
الحزن وهي في ذاتها مبعث السرور والجمال ، ثم هو يذكرنا بأن هذا القلب سيقضى
حياته طريد الآلام والأهوال والذكري ، كلما عصفت به الذكريات تأججت نيران
الحزن واصطخبت أمواج الأسى ، وهو بين هذا وذاك كالسفينة تتلاعب بها الأعاصير
الهوجاء ؟ ... ونحن الشباب ربما لم نكن لنشعر بهذا الحزن ، غير انى أحسسته قوياً
وإن لم يكن لى ولد ، أحسست بالآلم يفري نفساً حين تذكرت أبا القاسم فخلته يبكي
شبابه اللدن وقد هصرته رياح الموت ، فغيب في قاع الثرى وهو مازال في بُرد
الشباب الفضى ، وإن الابداع كل الابداع في قوله يصف أمه الحزينة بأنها سكرى ؟
ولكن بماذا ؟ بأحزان الوجود !

بيد أنا نتساءل : أليس لهذا القلب الدامى من سلوى نفسه هذا ، أو هلا في
استطاعته أن يتناسى فقيده ؟ الجواب عند أبى القاسم في قوله :
لا ربة النسيان ترحم حزنه وترى بُكاه
كلاً ! ولا الأيام تبلى في أناملها أساه
إلا إذا ضفرت له الأقدار الكليل الجنون
وغدى شقياً ضاحكاً تلهو بمرآه السنون

وفي وصفه القلب بأنه « شقى ضاحك » صورة أبدع في رسمها فكانت هيكلًا
متجسداً ، فقد يستحيل اليأس قوة تجعل صاحبها هائلاً بالحياة ساخرًا بما فيها ،
فيضحك بملأ شديقه ولكن ضحك اليأس والجنون ، ويعربد غير عابىء بما في
الكون من قوانين ، ولا عجب ، فالطير يرقص مذبوحاً من الألم !

أما قصيدته في « ظل وادى الموت » التي أشرنا اليها سابقاً فنرى فلسفة الحياة
والموت وصورة للتفكير العميق : من أين جئنا ولماذا والى أين ؟ وهذه الشواغل
نفسها هي التي جالت بأدمغة المفكرين والفلاسفة منذ القدم ، غير أن أبى القاسم
يمثل لنا صورة الموت كالرياح تقتلع الأطواد الشاخخة والجبال الباذخة ، وتثير هياه

المحيط الهادئة حتى اذا تم لها ما تريد سكنت وهدأت ثورتها ... وعجيب لشاب في الخامسة والعشرين أن يتجه تفكيره هذه الناحية المظلمة ، ولكننا نفقر له ذلك اذا علمنا أنه راح ضحية داء الصدر الذي زلزل حياته واجتث شجرتها المورقة الظلال، ولنسمع اليه وهو يصف هذه المسائل الثلاث في لغة سلسلة جميلة حيث يقول :

نحن نمشي وحولنا هاته الأكوأ ن نمشي لكن لأية غاية ؟
نحن نشدو مع العصافير للشمس وهذا الربيع ينفتح فاية ؟
نحن نتلو رواية الكون للمو ت ولكن ما ذا ختام الرواية ؟
هكذا قلت للرياح فقالت : سل ضمير الوجود كيف البداية ؟

ثم يقول عن آماله المبعثرة في أبايد الحياة ، ويتساءل عن جده المنكود ، ويذكر أيامه وهو في صحوة الصبا لم تطحنه الأيام ولم تنل من جسده الأرزاء فيقول عن قبره :

هاته الظلام حولي كئيف وضباب الأسي منيخ عليا
وكؤوس الغرام أترعها الفجر ولكن تحطمت في يديا
والشباب الغريز ولى الى الما ضى وخلي النجيب في شفتيا
هاته يا فؤاد ا أنا غريبا ن نصوغ الحياة فنا شجيا
قد رتعنا مع الحياة طويلا وشدونا مع الشباب منينا
وعدونا مع الليالي حفاة في شعاب الزمان حتى دميئا
وأكلنا التراب حتى مللنا وشربنا الدموع حتى روينا
ثم ماذا ؟ هذا أنا صرت في الد نيا بعيدا عن هوها وغناها
في ظلام القناء أدفن أيا مي ولا أستطيع حتى بكاهي
وزهور الحياة تهوى بصمت محزن مضجر على قدميا
جف سحر الحياة يا قلبي البا كي ... فهيا تجرب الموت هيا

ولست أعلق على هذه القصيدة أكثر من أن أقول أن ما فيها من تفكير قل أن يتاح الا للنادر، وهي تطلعننا على ناحية من نواحي النفسية ليس المجال هنا لشرحها

وهو فيها أيضاً فيلسوف يكي حظ الانسان ، ومن القصائد النادرة التي تمثل لنا هذا النوع قصيدة تسمى « مشعلة النوتى أو الروح الذابلة » سننكلم عنها فى حينها نرى فيها الشبه الكبير بينها وبين قصيدة الشابى .

ولأبى القاسم الشابى ولع شديد بالطبيعة ، فهو يستغلها استغلالاً كلياً وجزئياً فى قصائده الرائعة ، وإن مطالع شعره ليرى صورة باسمه من بلاده كما صورها فى شعره الفنان ، ولا يفوته أن يستشهد بالطبيعة فى ثنايا كثير من أشعاره ، وقد يقف موقف الخشوع أمام مظاهر الطبيعة القوية ولكنها وقفة الجبار المنهزم الأسير ، وهو فى هذا الضرب يأتى لنا بعمان نادرة قد تستعصى على كثيرين ، وإن كنا نلمح فيها الرمزية واضحة . وإن أعجب فعجب لهذا الشاب الذى يقف أمام الليل ، وتداخله الحيرة والعجب والخشوع والاطمئنان ، ويشعر بالذلة والالم ، ويحيل بصره أمام هذا الجبار العنيد كأنه لغز القرون لا تعرف له سرّاً فيقول :

أيها الليلُ يا أبا البؤس والهو لـ ويا هيكـل الزمان الرحيب
فيك تجثو عرائس الأمل العذ ب تصلّى بصوتها المحبوب
فيثير النشيد ذكرى حياة حجبها غيوم دهر كئيب
أنت يا ليلُ ذرة صعدت للكو نـ من موطئ الجحيم الغضوب
فيك تنمو زنايق الحلم العذ ب وتذوى لدى هيب الخطوب
يهجع الكونُ فى طمأنينة العصفو ر طفلاً بصدرك الغريب^(١)

وقد يظهر لنا فى مسوح الفيلسوف الناسك الذى خبر الحياة عن قرب فوضح له المبهم منها على الآخرين ، وافترع سرّها ولمس ما فيها من أذى وألم ، ولا تفوته الحكمة الرائعة يستمدّها من صميم نفسه ووجدانه حين يقول :

لا يغرنك ابتسامُ بنى الأُر ض فخلف الشعاع لدع اليبـب
لا تحاول أن تنكر الشجو ، انى قد خبرت الحياة خبر اليبـب
كن كما شاءت السماء كئيباً أىّ شىء يسر نفس الأريب؟

(١) قارن بين هذه القصيدة وبين قصيدة الشاعر شلى « Night » .

أنفوسٌ تموتُ شاخصةً لا هَوَلٌ في ظلمةِ القنوطِ العصيبِ؟

وقد يثير شاعريته صرأى المساء وسكونه ، فإذا بروحه تملق في عالم غير هذا العالم الأرضي وترتفع عن مادية الحياة ، ويظل فكره هكذا منساباً في أودية الخيال تحمله على أجنحتها ملائكةُ الشعر الى مجاهل بعيدة عن عالمنا هذا ، فنراه يصوّر كل هذا بريشته السحرية أبداع تصوير ، وكأن هذا البيت المفرد الذي نسوقه أروع قصيدة تخلق في ذهن سامعها عالماً آخر إذ يقول :

ما سكونُ المساء الا أنينٌ ونشيدُ الصباح غيرُ نجيب

عجباً!... كيف يتأتى لشاب هكذا ما زال في فجر شبابه أن يرى هذه الصورة العابسة المتجهمة للحياة ؟ ترى ماذا يكون حاله لو مد الله في حياته الى سن الشيخوخة ؟ كل ما نظنه هو أنه لو عاش لغنى لنا على قينارته السحرية أبداع ألحانه يترنم بسحرها الوجود ، ويطمئن الى أنغامها الحزين ، ولا عجب فلهيب احتراق الشاعر هو شعلة الخلود ، غير أنه يصوّر لنا حزنه الأليم في بيتين :

يا لقلب تجرّع اللوعة المرّة من جدول الزمانِ الرهيب

ومضت في صميمه شلعةُ الحزنِ ففشتته من شعاعِ اللمب

ويقول في قصيدة أسماها « الملل الأليم » :

سئمتُ الليالي وأوجاعها وما شعشت من رحيقِ وصاب

فأين الأمانى وألحانها وأين الكؤوس وأين الشراب ؟

لقد سحقتها أكفُ الظلام وقد رشفتها شفاهُ السراب !

ولم ينس أن يبتّ شكواه من دائه العضال الذي استحكم فيه في كثير من قصائده وكيف لا يشكو وكيف لا يتألم وهو يرى المرض يصارعه ويسير به سريعاً الى ظلام الفناء ؟ فكان يتشبث بالحياة ويودّ لو يرتشف كأسه منها كما يرتشف غيره ممن هم في مثل عمره ، ونراه يشكو الى الشعر هذه اللمة التي أودت به وما يلاقيه في مجاهل الزمن من أشواك تقطع نياط قلبه وتخرق شغافه فتساب قطرات دمه الحار في نهر الحياة شعراً رائعاً عذباً سائغ المورديقول :

يا شعرُ : قلبي مثلما تدري شقٌّ مظلمٌ

فيه الجراحُ النجلُ يقطرُ من مغاورها الدمُ

جئت على شفتيه أرزاء الحياة العابسة
فهو التعيس به مرارات القلوب البائسة
أبدأ ينوح بحرقة بين الأمانى الهاوية
كالبلبل الغريد ما بين الزهور الداوية ١

ويخاطب قلبه أن تجلد فما نال لذات الحياة إلا الجسور، ويهدى من روعه
المضطرب ويطمئنه عليه يكف عن صراخه وعويله فيهتف به :

يا قلب ! لا تسخط على الأيام فالزهرُ البديع
يُصنى لضجّات العواصف قبل أنعام الربيع
يا قلب ! لا تقنع بشوك اليأس من بين الزهور
فوراء آلام الحياة عذوبة الأمل الجسور ١

وللشابي قصيدة نظمها وقد ذهب مستشفياً في بلدة تدعى (عين دراهم) خلدها
في شعره وهو يصور فيها نفسه بين شياهاه وخرافه وأمراب الطيور فوق الأفنان
تلقى الحان الهوى ويلقن بعضها بعضاً أناشيد الحياة السعيدة . في هذه البلدة
قضى الشاعر عهداً « شعرياً وديعاً خالصاً » للشعر والاحلام حيث الطبيعة العذراء
والغابات الملتفة الهائلة والجبال الشمّ المجللة بالسنديان فيقول :

قد أفاق العالمُ الحى ، وغنى للحياة

فأفقتى يا خرافى وهلمنى يا شياها

واتبعينى يا شياهى بين أمراب الطيور

واملائى الوادى نغاء ومراحاً وجبور

واسمعى همس السواقى وانثى عطر الزهور

وانظرى الوادى: يغشيه الضباب المستنير

واقطنى من كلاً الأرض ومرعاهها الجديد

واسمعى شبايتى تشدو بمعمول النشيد

نعم يصعد من قلبي كأنفاس الورود
ثم يسمو طائراً كالبلبل الشادي السعيد ١
فهو في هذه الأبيات السالفة يعرض عليها صورة مستحبة من صور الطبيعة
الفاتنة وقد أخذت الأرض زخرفها وازينت ، والفجر قد انبثق عموده وغشى الوادي
ذلك الضباب الرائع وما إخاله الا قصيدة مأموسة من صور الطبيعة وما افن فيه
أبو القاسم افتناناً يجعلنا نقف معجبين بهذه العبقرية الرائعة . وصف العشب بأنه :
أرضته الشمس بالضوء وغداه القمر ١١
وارتوى من قطرات الطل في وقت السحر
ولكن هذه النغمة الحزينة التي لمسناها واضحة وعرفنا السر فيها لا تلبث أن
تتخذ لها مكاناً في شعره حين يختم قصيدته قائلاً :

لن تملئ يا خرافي في حمى الغاب الظليل
فرمان الغاب طفل لاعب عذب جميل
وزمان الناس شيخ عابس الوجه ثقيل
يتمشى في ملال فوق هاتيك السهول
لك في الغابات مرعائ ومسعائ الجميل
ولئ الانشاد والعزف الى وقت الاصيل
فاذا طالت ظلال الكلا الفض الضئيل
فهلمى نرجع المسمى الى الحى النبيل ١

وبعد ، فهذه كلمة صغيرة أطمنا فيها اجمالاً بعبقريه ذلك الشاب الذي فقدته الشعر

(١) في هذين البيتين معنى رائع قل أن يتسنى الا للشاعر المفلق ، وقديماً أعجب
النقاد بقولي شيلي :

A Sensitive Plant in a garden grew
And the young winds fed it with silver dew
And it opened its fan-like leaves for the light
And closed them beneath the kisses of night.

ولا حاجة بنا للتعليق فالشبه قوى ، وفي هذا دليل على عبقرية فقيده تونس .

العربي وقد كان يؤمل منه أن يزيده زيادة عظيمة تتمثل فيها روعة المعنى وابداع التفكير مع فلسفة قوية وعدم الاكتفاء بالنظرة السطحية بل كان يتعمق فيما يراه ويحسه وان له في شعره تراكيب تخلق أمام القارئ صوراً فتانة تدهش المطالع .

واذا كان من الواجب أن نلم بحياة الشاعر حتى يكون التأريخ حقاً فمن الأسف أن ليس تحت أيدينا ما نستمد منه صورة حقيقية أو أقرب إلى الحقيقة بالنسبة الى أبي القاسم ، وقد طالعنا حديثاً في مجلة (الرسالة) مقالاً بعث به الأديب التونسي حسن سياله أشار فيها إلى أن أبا القاسم إنما كان يكثر من قراءة كتابات جبران خليل جبران النثرية ، وكذلك جاء في الكتاب الآنف الذكر (الأدب التونسي في القرن الرابع عشر) ففيه معلومات شائقة يمكن للقارئ أن يكون منها صورة ولو أنها صغيرة إلا أنها تطلع القارئ على جانب من حياة أبي القاسم .

وفي هذا الكتاب نفسه يقول مؤلفه إن أبا القاسم كانت له طريقتان في نظم الشعر: أما الأولى فحين يحاكي القدامى وينهج على مناهجهم ، فيأتي قصيده على رويّ واحد وقافية واحدة ، كما يأتي بالكلام العربي الفصح ، أما حين ينطلق من إसार التقليد فهو يشدو أغاني مستعذبة تحسّ فيها بصدى الروح الهائمة في جنان الخيال ، وفرايس الحسن والجمال ، ومما يطمئن نفس القارئ أن النوع الأول من شعر أبي القاسم قليل نادر ، وأكثره ما كان يطلق فيه نفسه على سجيته دون قيد فيغني للحب والجمال والحرية ، ويخلق في أودية عميقة كلها سحر وفتنة ، وروعة وعظمة .

ومهما يكن من أمر الشعر في العصر الحديث ، فلا شك انه بدأ يتخذ وجهة تخالف الوجهة السابقة التي درج عليها معظم الشعر العربي في كثير من عصوره الماضية ، كما بدأ يتحرر من القيود الصناعية واللفظية ، ولم يبال بصرخات الفزع وصيحات الاضطراب المحمومة التي أرسلها أصحابها أنصار التقليد ليقيدوا من حدة الشباب النائر وليسكبواه بأغلال أبي أن يظل مقيداً بها فنار عليها محطماً إيها ، ورأينا صوراً فتانة في الشعر العربي الجديد ، سواء في مصر أو سوريا أو العراق أو سنغافورة أو تونس ، وكان لأدباء المهجر الأمريكي في ذلك يد لا تمجد آثارها ، فهي نحن ذا نفس في أشعارهم روح الفن متجلية في كتاباتهم النثرية والشعرية على السواء ، وهاهي ذي آثار جبران وكتابات الريحاني وإيليا أبي ماضي وميخائيل نعيمة والياس قنصل

كلها تشهد بما عليه أولئك الأدباء والشعراء من نفس أبت إلا أن تثبت في الشعر العربي روح الفن قوية ، فانجبت آثارهم اتجاهات يخالف من عارضوهم بل هم ابتدأوا من حيث انتهى غيرهم فلا عجب اذا وجدنا في أبي القاسم هذه الروح الكريمة التي نحسها في شعره وذلك لتأثره بأدبهم .

أجل ... إن الشعر شعر في كل عصر ومصر ، وليس في الشعر ما يسيء إلى نهضته إلا ذلك التقليد الأعمى في المعاني ولو اقتصر الحال على الألفاظ لكان في ذلك جدوى وبعض نفع ولكن الامر تعدى ذلك إلى الاغارة على الأخيلة القديمة ونسجها في كلمات موزونة مقفاة ، ولا شك أن هذا يرجع بطبيعة الحال إلى ضعف ملكة الابتكار وضحولة التفكير الشخصي ، والزمن يتطور والانسان تابع للعصر الذي هو يعيش فيه ، فما دامت الحال هكذا وجب أن يشملها هو الآخر هذا التطور وأن يساهم فيه بنصيب ولو قليل ، حتى يتسنى له أن يساير الحركات الفكرية التي يتأثر بها الادب ، والتي تختلف باختلاف العصور والازمنة وطبيعة الشاعر ومؤهلاته العلمية والادبية بل والبيئة التي يحيا في ظلها لأنها تؤثر فيه تأثيراً ملموساً ، لا يمكن لأي شخص أن يتجاهله أو يتناساه .

كان أبو القاسم من ذلك الفريق الذي أبي أن يظل أسير ألفاظ وعبد تقليد ، فلم يعبأ بكل ما لاقاه من جحود فضله ، وثار على هذه المنظومات الرديئة ، وحاول أن يخلق في سماء الفكر العميق فكان له ما أراد ، وكانت له من ذلك ذخيرة أدبية ثمينة نلحس بعضها فيما تحت أيدينا من شعره القوي ، واذا كان الرجعيون يعدونه اثرأ فما ذلك إلا لأنه أطلق نفسه من القيود الغثة وأرسلها على سجيئتها .

قد يسبق الشاعر جيله ، فينكر عليه مواهبه ، ويحاول أن يحطم عواطفه ، ويرسل عليه الشتائم غير مدقق التفكير ، ولو أنه نظر إليه نظرة مجردة عن العواطف الشخصية لرأى تحت هذا الرماد ناراً تتأجج ، وجرأً يتقد ، وعواطف ملتبهة ، ونفساً شاعرة ، واحساساً قوياً ، وروحاً تسمو عن معالم هذا الوجود المادي ، وتعبّر الحياة إلى وادي الخيال ، فتري بين عقلها الباطن ما يستحيل على النظرة المجرّدة السطحية أن تلمسه أو تشاهده . وفي القرن الماضي أنكر البعض على شلي عبقريته ، وحارب فن كيتس ، بل رأينا بن جونسون يقف موقف العداء إزاء اشعار توماس جراي ، وما كتبه في كتابه عن (حياة جراي) انما هو صورة للحقد المتغلغل في النفس ، كما أنكر عليه قوة إبداعه في مرثيته التي كتبها في فنا

كنيسة بالريف^(١) مع أن النقاد أجمعوا على عدّها أروع مرثية في الأدب الانكليزي على الإطلاق . وهذا الموقف الذي وقفه جونسون من جراى يقفه اليوم أنصار التقليد وأعداء العبقرية من كلّ مجدّد فنّان مطبوع ما دام لا يحذره حذوهم ولا يسلك مسلكهم... فإذا رأينا اليوم من يقف موقف الاستنكار من شاعرية أولئك المجدّدين فليس ذلك بمستكثر ، وإنما هوّلاء سيفضح أعمالهم ذلك الجيل الجديد حينما يأخذ في التنقيب ، فيرى آية شاعرية نهبت ، وآية عبقرية حورت ، كما كشفت عن عبقرية شلى وابداع كيتس وعظمة بيرون .

ولعلّنا ضربنا لك المثل بهؤلاء الشعراء لأميرين : الأول أنهم من شعراء الشباب في القرن الماضي ، وما هي ذى آثارهم نقصح لنا عن عظمتهم ، والثاني أنه أنكر عليهم ما حاولوه من جهود لمسنا اليوم آثارها في الشعر الانكليزي .

وأبو القاسم الشابي فنان يصوّر لقارئه صوراً من حياة مسرحية الاصائل ، فشعره ميثولوجيا فنية مبتكرة تدل على ما ركبت عليه نفسه من روح تأبى القيود المادية وإنما تنطلق وتصور لنا أبداع الصور في أنغام موسيقية يطيبك رنينها العذب ، فهو يهوى الطبيعة ويشبب بها في سفره وهو عيشة للفن والشعر والآن فكيف استطاع أن يصوّر لنا اهتزاز جسم الفتاة في قوله :

كلّ شيء موقع فيك حتى لفطة الجيد واهتزاز النهود

أو قوله يصف قدّها وما فيه من الابداع يغنيننا عن تبيان روعته التي يلحسها القارئ في ذلك الوصف الجميل ، مع ابتكار في الخيال وجراءة في التجديد ومحافظة على اللغة :

وقوام يكاد ننطق بالألحان في كل وقفة وقعود

لقد طالعنا له قصيدة في (الرسالة) - عدد ٧١ - فإذا هو يثور على أولئك الذين رموه بالجهل وما كانوا واصفين سوى أنفسهم فرأينا ثورة الشباب ، وعواطفه الملهبة ، وخواطره نحو هؤلاء ، وكما تبيننا نفساً كأنها الجدول السلسال ينساب بين المروج فيميل الكلاء عليه ويقبله .

(١) راجع ترجمتنا إياها في صفحة ٧٠٣ من المجلد الثاني من (أبولو) وقد ترجمها شعراً الشاعر م. ع. الهمشري .

إن الشاعر المجدد المبتكر انما هو صدى وحى إلهى ، وقد لمست ذلك واضحا حينما عرضنا عليك ماهية الشاعر عند الاغريق والرومان ورأيت أنه خالق الجبال ، ومكلف تأدية رسالة جديدة ، والا كان صدى لمن سلفه فلا يلبث الزمن أن يطويه في ثناياه ، وتمضى آثاره وتلاشى ، ذلك لأنه في هذه الحال لا تكون له رسالة يطلع بها على الناس ويفقد شخصيته أو تضعف ذاتيته المعنوية .

تختلف الأذواق وتباين في إدراك روعة الشعر أو عدم روعته ، وقد تتفق في بعض الأحيان على الخط من قيمة أثر ويكون ذلك نتيجة لقاعدة درج عليها البعض ولم تكن صحيحة من جميع النواحي أو على الأصح مبهمة غير محدّدة، فمن ذلك مثلا أن علماء البديع يقررون أن تقارب الخارج اللفظية في الجملة الواحدة مما يضعف أثرها في السامعين ، ويغلّ من روعتها في نفوس القارئین ، ولو جارينا على هذا لقلنا معهم أيضا هذا القول إزاء قوله تعالى « ولا تزر وازرة وزر أخرى » فإذا حاربنا هؤلاء الشعراء بمثال هذه الأسلحة المنفولة لا فقدنا الأدب العربي ثروة كبيرة قد تفجر بها على أيديهم ، وما الشاعر إلا نفس يردّه الوجود ، فيغنى له لحن الخلود ، وينشد معه أغاني الحب ، وكثيرا ما يتناول شاعران أو أكثر موضوعا واحدا ، ويبدع أحدهما أكثر من الآخر ، ولا شك أن هذا راجع الى تأثير الحميد تأثرا قويا ، وملاسته الموضوع ، واستلهاه نفسه أيضا ، وتأثر عقله الباطن بهذا الأثر أو الحادث تأثرا جعله يبرع في حياكة هندامه ، وعمق نظره التي لا ترضى أن تأخذ الأشياء على علتها وانما تتعمق في البحث ، وتظهر خفاياه وتجلوها جلاء تاما . ولعلّ الكثيرين من قراء الشعر ينسون أنفسهم حين يطالعون شعر أبي القاسم ، فهو يلهمو بعواطفهم وخيالاتهم ، ويظهرون على صور جديدة يجلوها للعيون ، لاشبهة فيها ولا غموض ، وهو في تصوير آلامه من الحياة وآماله فيها يبدع إبداعا قل أن نجد له نظيرا ، ذلك لأنه شاب والشباب فتنة وبهجة وهو يريد أن يستأثر بكل ما في الوجود من جمال وحسن وفتنة وهو يحسّ في نفسه بشعور جياش ثائر صعب عليه أن يوقفه عند حد ، ولكنه يرى نفسه وقد كبّلتها الحياة بقيود المرض ، وشلت من آماله ، فيأبى أن يتطامن لصولتها ويحاول أن يقهرها بما في استطاعته من جهد ، ولكن أفي له ذلك وهي قد ألقت به صريحا محطم الاعصاب يرى الأفنان أمامه رطبة ولا يستطيع أن يهصر عودها اللدن ؟ ... فليس عجبا بعد ذلك اذا سمعنا أبا القاسم يشكو ويئن ، ويكثر من الشكوى والآنين وكيف لا يشكو الحياة ولا يئن منها وهي تصميه

بسماها الدامية ، وتحطم على صخره الحقيقة والمرض آماله الذهبية المجنحة ، وتبعثر هذه الرغبات فاذا هي ذرات تحملها الريح ، ويلقى بها في جميع الجهات ، ولكنها تلتقى وتتحد ولكن أين ؟ في شعره وألحانه التي كتب لها الخلود .

ثم ماذا نرى في الشاعر ؟ أتريده أن يكون بوقاً يردد ما يقوله رجل الشارع ، وهو المكلف برسالة سامية جليلة ، أم تريده أن يكون ظلاً ينظم ما يريده الغير ؟ كلا ولكن الشاعر حرّ فيما يكتب وينظم وليس لأحد أن يقيد بوقت أو مكان بل هو كالكروان أو البلبل أو العصفور خيماً راقته الطبيعة كان ، وأينما أنارت نفسه المرأى حنّ لها فغرّد ، ورسالة الشاعر تتألف من ثلاث : الحب والجمال والحرية ، وإن كان هازلت يقول : إنّ أبوى الشاعر الحب والجمال ، فما ذلك إلا لأن أحدهما أو كليهما لا يتحقق إلا بالحرية ، أو إن شئت فقل لا تكون الحرية الا حيث الحق والجمال وأين تجد الحق أو الحرية أو الجمال أو الحب ؟ وأين تمجدها جميعاً ؟

في الطبيعة والمرأة !

نعم ففي كليهما وحي ينبثق ويوحى الى الشاعر أغاني الخلود وزانيم الأبدية التي ترنّ في مسمع الدهر فيخشع لوقعها ويخرّ ساجداً لجلالها ، وهذه هي الطبيعة التي صورها الشاعر السوري عمر أبو ريشة في قصيدته في رثاء حافظ ابراهيم حين يقول :

وَلِدَ الشاعر العظيمُ ملاكاً أودع الوحي قبلةً فوقَ ثغره
وسعت أمّه الطبيعة كغدوّ وتلقى سرّاً الخلود بصدرة
ورمى الحبّ قلبه بنبالٍ فجرت حولها مَنابعُ شعره
فسرى شعره صدّى لهواه صادقاً تلمس الشباب بوقره
ومشى في الحياة يقرأ فيها أسطراً لم تكن تلوح لغيره

فالطبيعة مورد للشاعر لا ينضب معينه ، ومن هذا الذي ينكر أثرها الواضح في شعر وردسورث حتى إنّ النقاد سَمّوه « شاعر الطبيعة » بل وهذا أثرها في ابن حمديس وابن خفاجة وأبي الطيب المتنبي ، وكيف يتجاهل الشاعر الطبيعة وهي تلك الأم الرؤوم التي تحتضنه وتسرّ اليه معاني الخلد ، وترضعه لباب الهوى ، فالطبيعة بصورها الجذابة تلهم الشاعر وتكشف له أسرارها ، فيلج بابها فاذا عالم لا يفنى كتب الخلد لمن يعبره ، وبوساطتها يتسنى للشاعر أن يجلو خبايا النفس ويفصح

عن طبيعة الوجود ، ويظالم خفايا هذا العالم الذى يجرى ولا ندرى مبتداه من منتهاه ، ومجدد فى كنفها بواعث الشاعرية التى تجعلها تتدفق فى غير حد ، وتأبى أن تقف فى مكان خاص ، ويستطيع الشاعر الملهم حينذاك أن يصوغ ما رأى فى صورة مادية مأسوسة تظهر أثر الطبيعة .

وهنا تنشعب نظرة الشعراء اليها شعبتين ، والفارق بينهما جسيم وله خطورته ، فهما وإن كانا يبدآن من نقطة واحدة إلا أن كلا منهما ينساق فى تيار يخالف التيار الآخر كل المخالفة ، ذلك أن الفطرة الأولى التى تصوّر لك الطبيعة صورة فطرية فتذكر لك هذا الزرع الأخضر والكلأ الغصّ والأوراق الدابلة ، وتمطيك صورة « فوتوغرافية » غير منقوصة أو مبتورة للشهد الذى تراه ، أما النظرة الأخرى فهى نظرة جديرة بالتمعن والتفكير ، وجديرة بالبحث والتنقيب على بعض أسرارها ، ذلك أنها نظرة تأبى أن تقف عند النظر الخارجى بل تحاول أن تستشف ما وراء هذا ، وتتغلغل فى ثنايا ما ترى تغلغلاً يمكنها من أن تطلع على العالم بمشهد رائع مبتكر غير معروف ، ومن شعراء هذا الفريق الشاعر الانكليزى وردسورث فهو فى إحدى قصائده المسماة « الشاعر والطبيعة » .

يقول : « أيهذا الطلل الدارس ، لقد كنت أسكن قربك غابراً ، ومكنت قريباً منك أربعة أسابيع فى الصيف ، ويا طالما رأيت شبحك قد انعكس على أديم المياه الهادئة التى حاكت المرأة والسماء صاحية والنسيم رخاء ، والأيام بهجة فى صفحة الزمن . لقد كنت أبغى أن أكون رسامك لأصور ما شاهدته فيك من أنوارى الفضية . أيهذا الطلل لشدّ ما أبغى أن أقيمك وسط كون يباين كوننا هذا فى ظل خضمّ بسام . آه يا بومنت يا أخى وحبيبى ! ها أنذا أبكيك وأعنف البحر النائر والشطوط المحلولة والجارية التليدة وسط الأمواج الهدّارة تحت قبة السماء الصاخبة » .^(١)

فانت ترى من هذا أن الشاعر الانكليزى لم يقف عند وصف الصورة السطحية للبحر أو تصوير منظر السفينة وإنما يستوحى من كل هذا صورة جديدة التركيب ، ويتغلغل فى تبيان عواطفه ويحللها تحليلًا جميلاً يأخذ بزمام النفس ، ويتلاعب بالشعور

(١) كتب ورد سورث هذه القصيدة الرائعة وقد شاهد صورة القلعة التى أبا عنها ريشة صديقه الفنان Beaumont الذى ذكره فى سياق القصيدة .

والوجدان . وكذلك نرى هذا في شعر أبي القاسم ، وقصيدته «من أغاني الرعاة» تظهر لقارئها أى عبقرية تنطوى تحت هذا الجسد المتهدم ، وقد أظهرنا شديد الصلة بينه وبين شلى في هذه القصيدة وقصيدته عن «النبات الحساس» . وليرجع من شاء الى آثار أبي القاسم فكلها تفيض بهذا النوع من التحليل العميق الممزوج بالفلسفة وان كان الحزن في كثير من الاحيان طابع الشاعر فذلك لما هيأته له الطبيعة نفسها من آلام ، والتي ينسى في حضنها آلامه وجراحه ، ويستقبل الحياة مبتسماً هاشاً لها طروباً محبباً إياها في شعره القويّ الرصين ، وانه لمن الحق الذي لا مراء فيه أن الانسان ينسى متاعبه وآلامه النفسية حينما يفرغ الى الطبيعة فيجد فيها موئلاً يقيه آلام الحياة ، وينسيه متاعبها ويذهب عنه ما يحطم أعصابه المرهقة ، وهنا يجد الشاعر المجال أمامه متسعاً لأن يصوّر برشته ما يجيش في نفسه وما يحسّ به . وقد نفرد لذلك مقالاً خاصاً نقنول فيه شعراء الطبيعة ونقارن بينهم لنعرف الى أى مدى أمكنها أن تؤثر فيهم ، ولا شك أن لشاعرنا العبقرىّ أبي القاسم شعراً يتناول مظاهر الطبيعة ولكن للأسف ليس في استطاعتنا أن نبحت فيه لانه ليس لدينا ، وربما سهل ذلك على الناقد الادبي حينما يفرغ الى قلمه ليكتب عن شعره اذا ما وجد شعره كاملاً بين ثنايا ديوان يحمل اسمه وحينذاك يتسنى لنا أن تكون هذه الاحكام أقرب الى الحقيقة مما هي عليه الآن .

ومما امتاز به أبو القاسم وحدة القصيد ، ومطالع شعره يلمس ذلك فيرى أن القصيدة كلها متحدة الاجزاء فوية التركيب ثابتة الدوام ، فلا تحسّ في أبياتها نفوراً أو في معانيها تشتتاً ، وذلك أمر يتطلب في القصيدة .

وعلى أية حال فان العالم العربي لن يرى تلك الثغرة التي خلفها موت أبي القاسم ، ولن يلمس أثره واضحاً ، إلا حين يطلع على ديوان شعره كاملاً غير منقوص ، ونرجو أن يكون ذلك عن قريب ليرى أدعياء التقليد والقداىم أية روعة في التجديد ، وليحسّوا بتلك الشعلة الخفاقة في سماء الشعر والتي كتب لها الخلود والى روح أبي القاسم تحيات الاجلال ؟

حسن محمد محمود

فن السابى

« هيا يا رعاة ! هيا ! سيطلع القمر عما قليل وسيغمر نوره الكون وسننتدى إلى أدونيس » - قالت فينوس هذا بينما كانت تتسلى شعاب الجبال الصامتة فى جهد عظيم - « إنه ظلام حالك أينما الآلهة المحبوبة ، لقد دميت أقدامنا من الصخر ، وكلت أجسامنا من السير ، فلا نستطيع بعد الآن تقدماً » .

كان طريقهم وسط الجبال قد احتجب عنهم القمر ولغهم الظلام فأصبحوا يضطربون فى سيرهم كأنهم أشباح الليل أو شياطين الدجى ، قد هبت من نوحها ، تسرح فى عالمها المظلم الكريه .

« هيا يا رعاة هيا سيطلع علينا القمر عما قليل وسننتدى الى أدونيس ! » - قالت هذا فينوس وقد كادت تلفظ آخر أنفاسها من التعب ولكنها صبرت وجلدت وسارت فى طريقها والرعاة يتبعونها صامتين كالظلال .

كان الطريق مقفرًا حزينًا يبعث الرعب والهلوع وكان الظلام يزيد فى رهبة وهوله فكان كل شيء ملأماً لو حدثتهم وحزنهم ثم طلع عليهم القمر بلون شاحب كأنه الواجم الحزين الذى فقد حبيبته وأرسل عليهم أشعة حزينة باردة زادت أحزانهم عمقاً كان كل شيء ساكناً فكان الطبيعة القوية الصخابة قد ماتت فى هذه البقعة الرهيبة وكان هذا الوادى هو وادى ظلال الموت قد حرم حتى أرواح الأموات ترفرف فى سمائه .

استلقى الرعاة على الرمال وظلت فينوس تدير عينيها فيما وراء الجبال ، عليها تستكشف أدونيسها العزيز ، وظلوا هكذا مغمورين بأنوار القمر صامتين ، كأن رهبة الطبيعة قد استلت منهم الأرواح وتركتهم أجساماً لا تقوى على الحراك ، ثم ما لبثوا أن قاموا يقتلعون أرجلهم اقتلاعاً وفينوس تتقدمهم حتى وصلوا أخيراً إلى « مقبرة شاعر قد شيدت فى غير أوانها لم تبنيها أيد بشرية فى حنان أو إجلال ولكن بنتها رياح الخريف بما حملته من أعشاب تجمعت فوق عظامه النخرة هراً وسط البرية الموحشة . لقد عاش ومات وصدح فى وحدته ، لقد تاق الغرباء لأن

يسمعوا نبرات صوته العذبة لقد مضى قويا مجهولاً ، وكم تاق أناسٌ وتألّوا
غواماً لرؤية عينيه الفطريتين الساذجتين . ان ينابيع الفلسفة لم تبرح شفّيته الظامتين
لقد شعر وعرف كل أسرار الماضي والحاضر .

فلتبكوا يا رعاة فقد هبت العاصفة واقتلعت الشجرة وأسكت الموت شاعر كم الوحيد !

فلتبكى يا خراف من كان يجيب تناديك !

فلتبكى يا طيور من كان يفصح عن أغانيك !

ولتصمتي يا رياح ، ولتقف يا نسيم فقد مات من كان يردد صداك !

أيتها الطبيعة في الجبال والأودية ، في البحار والغابات ، في الليل والشفق ، في النجوم
والسكواكب ، فلتبك لسانك الذي ينطق بك وقلبك الذي كان يخفق بحبك لقد جف
يدبوع حياتي وكان قويا جارفاً .

أيّا بنات الوادي فلتبكين بلبلكن الذي كان يشجيك بأعذب الالحان وحببكن
الذي كان يسكركن بصوته الحنون »

أجاب صوت من وراء الجبال : « إن أدونيس لم يمّت ولكنه حي في السماء ، انه لم يمّت
ولكنه ترك عالمنا الشرير ورغب في عالم المجد الآسمى حيث ينشد هناك أناشيد
الخلود بجانب عرش الإله السامي وحيث قلبه لن يبرد وشعر رأسه لن يخطئه
المشيب » .



كل انسان له في هذا العالم رسالة يؤديها ورسالة الشاعر هي أهمي أنواع الرسالات
فهي رسالة العالم الاسمي للعالم الارضى وما الشاعر الا رسول أمين يحمل هذه الرسالة
فهو الشخص الوحيد الذي يتصل بالعالمين عالم السماء بروحه واحساسه وعالم الارض
بجسمه ومادته ، فما رسالة الشابي اذن ؟ ما الموضوع الذي اتخذته مادة لشعره أو بمعنى
آخر لماذا نسمي الشابي ؟ أنسميه شاعر الأودية والرعاة أم شاعر الازهار والورود أم
شاعر الحب والجمال أم شاعر الطبيعة والشباب ؟ اني لا إخال هذه الكلمات الامدلولات
لشيء واحد هو القلب ، فما الازهار والورود وما الطبيعة وأوديتها وما الحب
ولذائذه ؟ الا انعكاسات وأصداء ترن بين جوانب القلب الانساني فالعالم كله قلب
وقلب الانسان هو قلب هذا العالم . قلب هذا العالم الاكبر الذي فيه تجتمع ومحور

هذا الكون العظيم قلب الانسان هو عرش الاله الذي بناه لنفسه يتربعه كلما نزل من عالمه السامى الى عالم الناس .

ما رسالة الشابي إذن ؟ إنى أميل الى الاعتقاد بأن رسالة الشابي هي رسالة القلب الانساني الى عالمنا الانساني ، ولكنى أحس بشيء من القلق وعدم الاستقرار لهذا الاعتقاد فاني أكاد لا أظفر برسالة كاملة مفصلة لهذا الشاعر الشاب . أنا لا أنكر سحر روحه وعظم تأثيرها وموسيقى أشعاره وما فيها من قوة وحركة ، لا أنكر تلك القوة الكامنة والشاعرية الخصبه الدافقة في ذلك العقل العبقري الشاب ولكن الموت لم يحمله حتى يستكمل نضجه فهو ينظر الى الطبيعة في ظاهرها ولا يتعب كثيراً في التنفيذ الى قلبها ، ويلبس الطبيعة بحسه ومشاعره ولا يصل اليها بعقله وفكره ، هو شاعر يحس وليس فيلسوفاً يفكر ، لذلك نسمع أصداء الطبيعة ترن في شعره ونلمس آثارها تغمر ألفاظه ونعجب لتلك الجدة والعذوبة والموسيقى التي تفيض على شعره .

الشابي شاعر من طراز روسو وبيرون وشاتوبريان يرى الطبيعة مأوى ومسكناً لروحه ومشاعره التي تأذت وتآلمت . فاذا تغنى بالطبيعة فانما يتغنى بمظاهرها العامة : بجبالها وأوديتها وأشجارها وأزهارها ، وهو إذا قدّس الطبيعة فانما يقدس فيها هذا الجانب الذي كنى عنه روسو « بجمال المقفرة الخالية وسحرها » ، وهو اذا أوى الى أحضان الطبيعة انما يفعل هذا زهداً في دنيا الانسان وهروباً بمشاعره من أن تصطدم بحياة اليوم العادي :

ما لنا والكؤوس تطلب منها نشوة والغرام سحر وسكر
خلنا منك فالربيع لنا سا قد وهذا الفضاء كأس وخر
نحن نغدو بين المروج ونعدو ونغنى مع النسيم المغي
ونناجي روح الطبيعة في الكو ن ونصغي لكونها المتغنى

الشابي شاعر كبيرون يلجأ الى الطبيعة كراهية وبغضاً للانسان فكما أن بيرون يجرد في الجبال غداءاً لشعوره وفي رؤية المدن وسماح ضجيجها أذى لسمعه وبصره كذلك يشير الشابي الى ما في الطبيعة الصامتة من جمال وسحر إذ يقول :

لن تملّ يا خرافي في حى الغاب الظليل
فزمان الغاب طفل لالعاب عذب جميل

وزمان الناس شيخ عابس الوجه ثقيل
يتمشى في ملال فوق هاتيك السهول

فالشابي يضيق بالناس وهو إن ماشاهم كان كارهاً وإن خالطهم كان حذراً ينظر
اليهم نظرة ريب وشك، وهذا شعور يصاحب كل إنسان صديماً في أمانيه سواء كان
في حب أو حظ أو شهره، وغالباً ما يلزم هذا الشعور الشبان الذين يخرجون الى
الحياة مفعمين آمالاً فلا يكادون يخطون الخطوة الأولى حتى يصددهم الواقع فيرجعوا
ساخطين متبرمين والقوى منهم من صمد في الميدان :

في شعاب الزمان والموت أمشى تحت عبء الحياة جم القيود
وأماشي الورى ونقسي كالتبر وقلبي كالعالم المهدود
ظلمة ما لها ختام وهول شائع في سكوتها الممدود
وإذا ما استخفني عبث النسا من تبسمت في أمتى وجود
بسمه مرة كأنى أسئل من الشوك ذابلات الورد

هذا الشعور بالألم النفسى والضيق بالحياة والناس، وهذا المنظار الأسود الذى
يرى من خلاله الشابي الحياة هو بعينه الذى لازم يبرون طول حياته، ولا أستطيع
التكهن لو امتد بالشابي أجله : أ كان يستبدل بالمنظار الأسود منظاراً ابيض شفافاً
يريه العالم على حقيقته وبوقفه على ما فيه من جمال أم كان يحتفظ بمنظاره الأسود
أو يستبدله بأخر أشد سواداً . هذا أمر ليس إلى الحكم عليه من سبيل فقد فصل
الموت بيننا وبين الشابي وبين الشابي وبين الحياة خال بيننا وبين الانتظار، فعلياً الآن
إذن أن نبحت عن سبب هذه الكراهية وهذا الضيق الذى استولى على هذا الشاعر
الشاب حتى جعله يسخط على الحياة بمثل هذا السخط المرير . أكبر الظن أن هذه
الحدة في المزاج، وهذه الحدة في الشعر، وهذه الحدة في تلك الصيغة التى صب
فيها هذا الشعور، هذه الحدة التى غمرت هذا الشاعر طوال حياته القصيرة مرجعها
التكوين الفسيولوجى، فكلنا نعرف أن الرجل المريض الجسم غالباً ما يكون مريض
الاعصاب فيثور لأقل شيء ويحتد لأتفه الأمور، وقد يكون هذا المرض أو النقص
الطبيعى فى الشخص سبباً فى أن يجعله يضيق بالحياة بل ويكرهها. وهذا الشعور نفسه
هو الذى لازم يبرون وكاد يفقده عقله فى بعض الأوقات، فالمرض أو النقص الطبيعى

ثم الاحساس بهذا النقص أو الشعور والتفكير في ذلك المرض هما اللذان يتسلطان على الانسان وهما يستطيعان أن يخلقا من الهادئ الرزين إنساناً فائراً متمرداً . هذه الثورة وهذا التمرد قد يظهران في القول كما يظهران في العمل ، وقد يصل هذا الشعور بالشخص لاسيما اذا كان ضعيف الارادة الى الجنون . هذه الحالة النفسية نجدها ظاهرة في بيرون الذي كان نقص أحد قدميه ثم شعوره بهذا النقص مصدر كثير من الشقاء والألم له ، هذا الشعور بالنقص هو الذي جعله يصرخ حانقا : « اذا ابتسمت لشيء فهو لكي لا أبكي ، لقد سرت في طريق للحياة حالك قدر ، وسلخت من العمر ثلاثاً وثلاثين فماذا أبقت لي هذه السنون ؟ لا شيء غير ثلاث سنين » . هذه الأبيات هي جماع فلسفة رجل قد استنزف كل مسرات الحياة حتى وصل الى قرارة راسبها الشديد المرارة .

ولقد كان الشابي مصدوراً وكان يشعر بمصدرة دائماً يعمل فيه هذا المرض القتال فليس عربياً أن يضيق الشابي بالناس وليس غريباً أن يتبرم بالحياة بل ليس كثيراً على شاعر غزير الاحساس يشعر في قرارة نفسه بمصابه ويفكر فيه دائماً ، ليس كثيراً على شاعر وهب شاعرية خصبه كالشابي يرقب أقول بحمه شيئاً فشيئاً كلما تمكن منه الداء ، ألا يرى في الحياة إلا الجانب الأسود منها وأن يقول :

فاهي الناس إنما الناس خلق مفسد في الوجود غير رشيد
والسعيد السعيد من عاش كالليل غريباً في أهل هذا الوجود

قلت إن الشابي كبيرون . وهو مفتون بمظاهر الطبيعة الخلابة كالجبال والأودية والمراعي ولكنه لم يصل الى قلب الطبيعة العميق بل استقر على سطحها كالغريب الآيب من سفر طويل لا يكاد يجتاز عتبة داره حتى يلتقي بحمله وبنفسه . فالشابي قد تأذى كثيراً من الانسان وقد أصيب في أعز شيء لديه وهو قلبه موطن إحساسه وشعوره فهو لا يكاد يترك دنيا الانسان ويصل الى رحاب الطبيعة حتى يكون السفر قد أضناه فلا يكاد يخطو بعض خطوات في هذا العالم الجديد حتى يلتقي بحمله ليسترخ ، فهو لم يصل الى ما وصل اليه وردزورث في نظراته وشعوره للطبيعة : فوردزورث اذا أنصت الى الطبيعة فأنما ينصت الى صوت الانسانية، وهو اذا تغنى بالطبيعة فأنما يتغنى بالتزاوج الحقي بين عقل الانسان والكون . الطبيعة في نظر وردزورث ليست الجبال والأودية والمراعي كما هي في نظر بيرون والشابي ولكنها هي الروح الحقيقية الخالدة . وردزورث يرى ان الانسانية جزء من الطبيعة لا ينفصل : الانسان والطبيعة

شيء واحد وليس هناك انفصال ولا تمييز بين حياة الانسان وحياة الطبيعة . وردزورث يرى أن العالم والعقل الانساني طاقتان أوقوتاز لعالم واحد . هذان هما الجانبان الحقيقيان للضرورة الكمال الانساني ، هما امتزاج الروح المحدود بالتجربة الشخصية ، امتزاج أفكار الأبدية بأشياء اليوم العادي .

فالشابي شاعر الطبيعة الظاهرة ، شاعر مناظرها : انهارها جبالها أصدائها ، وليس شاعر أمرارها ، فهو يكلف بهذه المناظر ويحب ألا يتركها بل يودّ أن يصبح جزءاً منها ومن أجل ذلك جاء شعره مفصلاً عن هذه المناظر ، فهو اذا أفصح فكأن لطبيعة تفصح ، واذا أنشد فكأن العالم الطبيعي ينشد .

أحل ، لقد أفصح لنا الشابي عن أنغام الطبيعة المسموعة ، ولكن للطبيعة أنغاماً صامتة ، وهذا ما لم يصل اليه الشابي وربما كانت هذه الأنغام الصامتة أعذب وأكثر موسيقى من تلك الأسجاع المسموعة .

ومن الغريب أن يستقى هذا الشاعر من تلك النياييع التي استقى منها وردزورث فيأتي شعر هذا الشاعر التونسي قويّ الشبه بشعر هذا الشاعر الانجليزي الذي عاش قبله بأكثر من قرن .

فكلا الشاعرين قد تغنى بالطفولة الأولى وشاد بسعادتها الحلوة العذبة ، وكلاهما قد ندم على فراقه لها . كلاهما يعتقد أن مجد الآله العظيم قد توارى عن الأرض بذهاب الطفولة ، وأن هذا المجد وفور الآله المماوى يأخذ في الابتعاد عن الأرض شيئاً فشيئاً كلما أخذ الطفل في النمو . فبعد أن يكبر الطفل ويصبح رجلاً نجرفه الحياة الصاخبة في طريقها فينسى ماضيه الجميل وأيامه الأولى السعيدة ، فينما الشابي يقول :

قد كنت في زمن الطفولة والسذاجة والظهور
أحيا كما تحيا البلابل والجداول والزهور
لا تحفل الدنيا ، تدور بأهلها أولا تدور
واليوم أحيا مرهف الأعصاب مشبوب الشعور
متأجج الاحساس ، أحفل بالعظم وبالحقير
تمشى على قلبي الحياة وبزحف الكون الكبير
إذ يقول وردزورث :

« قد أتى على وقت كنت أرى فيه المرامي والحراج والجداول والأرض وسائر المرائي متشحة بالأنوار السماوية كأنها مجد وبعث لحلم ، وهي الآن غيرها بالألمس . دورى كيفها شئت ليلاً أو نهاراً . ان هذه الأشياء التي شاهدتها سوف لا أراها من جديد ، ما أحب الورد يغشيه القمر بنوره البهيج عند ما تصفو السماء من الغيوم ، وما أجدل المياه في الليالي المرسعة بالنجوم ! إن ضوء الشمس ميلاد عظيم ، ولكنى أدرك مع ذلك حينما ذهبت أن مجدآ قد توارى عن الأرض .

أيها الطفل الصغير العظيم في حمى - وليد السماء - الحرية التي ترفرف عليك ! لماذا تثير السنين بتلك الآلام المضنية لتجلب ذلك النير المحتم وتحارب سعادتك في غير تبصر ؟

إن روحك سرعان ما تندمج بالأرض ، وتسلط عليك العادة بأعبائها الثقيلة كالجليد ، العميقة كالحياة .

صلوات في هيكل الحب

تذكرنى هذه القصيدة « بانديميون » لجون كيتس حيث يقول كيتس في مستهلها « إن الشيء الجميل فرح دائم ، إن سحره في ازدياد ولن يتلاشى ، ولكنه يحتفظ لنا بخميلة هادئة نرتدى تحت ظلالها ويعد لنا نوماً مشبعاً بالأحلام الحلوة والآنفاس السليمة الهادئة » .

يرى الشابي في هذه القصيدة ما يراه كيتس في مستهل انديميون أن الحب مأوى آمن من قسوة هذا العالم ومن شروره :

عذبة أنت كالطفولة ، كالأحلام ، كاللحن ، كالصباح الجديد
كالسما الضحك ، كالليلة القمر ، كالورد ، كابتهام الوليد
أى شيء تراك ؟ هل أنت فينوس تهادت بين الورى من جديد
لتعيد الشباب والفرح المله سول للعالم التعيس العميد ؟
أم ملاك الفردوس جاء الى الأرض ض ليحي روح السلام العميد ؟
أنت ، ما أنت ؟ أنت رسم جميل عبقرى من فن هذا الوجود
فيك ما فيه من غموض وعمق وجمال مقدس معبود

كل شيء موقّع فيك حتى لفتة الجيد واهتزاز النهود
 أنت .. أنت الحياة في قدسها السامي وفي سحرها الشجيّ الفريد
 أنت دنيا من الاناشيد والاحلام والسحر والخيال المديد
 أنت فوق الخيال والشعر ؛ والفن وفوق النهى وفوق الحدود
 أنت قدمي ومعبدي وصباحي وربيعي ونشوتي وخلودي

فشمه تر جان لما يجول في ذلك الخاطر القوي الجبار من تصور دنيا جديدة ،
 دنيا بعيدة عن دنيانا ، دنيا أقرب الى دنيا الخيال منها الى دنيا الواقع . ولكنها على
 كل حال ليست دنيا العقل والمعنويات الدقيقة ولكنها مزاج من الحقيقة والخيال ،
 مزاج من الحس والفكر . فهو اذا تصور الحب لا يتصوره بين السحاب أو في أودية
 القمر ولكنه يتصوره في عالمنا . وليس عالمنا المملوء حقداً وبغضاً ، عالمنا المملوء شهوة
 وخبثاً ، ولكنه عالمنا النقي الذي خلص من كل الرذائل وتحرر من كل الشهوات ولم
 يبق فيه إلا الحب يسود ويتحكم .

فالشابي ليس مثالياً في حبه كشلي ، وليس حسياً كبيرون ، ولكنه شاعر قد وهب
 احساساً مرهفاً يحس بكل ما حوله وشغوراً دقيقاً جداً يأبى عليه المكث في هذا
 العالم فيلج عليه بالانفصال منه والتحليق في واد كله جمال وسحر . هذا الجمال ليس
 حسياً خالصاً وليس معنوياً صرفاً ولكنه - كما قلت - فيه من الحسية وفيه من المعنوية
 حظ كبير .

حقاً لقد قدم لنا الشابي صورة الشعرية في أسلوب شعر جميل حتى أصبح له
 أسلوب خاص مطبوع به نمتطيع أن نميزه على شعراء هذا العصر : هذا الأسلوب
 الشعري الخاص هو صورته وتشبيهاته الجميلة كقوله :

عذبة أنت كالطفولة ، كالاحلام كاللحن ، كالصباح الجديد

هل هذه مجرد كلمات وضعت بجانب بعضها ؟ وهل سحر هذا التعبير الشعري
 موجود في موسيقي الكلمات وحسن انساقها وملاءمتها أو توافقها لتحدث نغمة
 موسيقية بله توافقاً موسيقياً جميلاً ؟

إن جمال هذا التعبير بل خلوده ليس آتياً من الموسيقى الشعرية فحسب وليس آتياً من المعنى الشعري السامي ، هذا المعنى البريء كالطفولة ، العذب كالأحلام ، الموسيقى كاللحن الجديد ، كالصباح ، ولكنه آت من ارتباط اللفظ بالمعنى وامتزاج الصورتين الحسية والمعنوية : هذا الامتزاج القوي بل هذا التفاضل أو التلاشي أو الموافقة التامة — سمّه ما نشاء — بين اللفظ والمعنى .

هذا هو الجديد في شعر الشابي ، وهذا هو الذي يميزه على شعراء هذا العصر . فهو الشاعر الوحيد فيما أعتقد الذي استطاع أن يحول في طالين : عالم الحس أو الواقع الذي نشغله بأجسامنا ونملؤه بحواسنا وعالم الفكر والسمو الذي ندرکه أو نحاول إدراكه والدنو منه بأفكارنا وأشواقنا ، واستطاع أن يقدم لنا صورة كاملة لهذا الجمال المزيج في كلام قوي وأسلوب شعري دافق

يا ابنه النور ، إني أنا وحدي من رأى فيك روعة المعبود
فدعيني أعيش في ظلك العذب وفي قرب حسنك المشهود
عيشةً للجمال والفن والالهام والطهر والسنى والسجود ا

ليس الجمال في هذه التعابير الشعرية في موسيقى الكلمات أو حسن وقعها في الأذن أو سرعتها وحركتها وانسيابها أو ما فيها من حياة حية فحسب بل لما فيها من نماذج الحسّ وصوره ممتزجة بصور الذهن كقوله «يا ابنه النور» . إن هذا التعبير الشعري الذي لم يخطر بذهن شاعر عربي على ما أذكر لا يولد فينا عاطفة حسية فقط ولا عاطفة ذهنية فقط ولكنه يبعثنا على أن نفكر ونحسّ معاً أو نحسّ ونفكر معاً حتى ندرک هذه الصورة الجميلة حقاً البديعة حقاً التي يريد الشاعر أن يتصورها . وهذه الصورة البديعة الجميلة لا يمكن للحسّ وحده أو للفكر وحده أن يهتدي إليها بل لا بدّ من اقتران الحسّ والفكر معاً .

لا بد من عمل العاطفة والعقل معاً حتى نقف على هذه الصورة كاملة في بهاها
وجلالها وروعها .

وبعد ، فهذه خطرات سريعة ماودتني اليوم إذ ذكرتُ هذا الشاعر الشاب الذي
لم يفسح له الزمان في العمر فعمصف به عصفَ الريح العاتية بأوراق الخريف الساقطة ،
فطويت من الوجود صفحة حافلة بكل معاني الشعر والحب والجمال وسكت بلبل
صداح كان يشجي العالم بأغانيه العذبة وألحانه الشجيّة .

هذه خطرات طافت بفكري على ذكر هذا الشاعر الشاب الذي قضى ولم يكتمل
نضجه بعد ، أنشرها اليوم عليها تقوم بيمض الواجب نحو هذا الشاعر الغريب الذي
لم تره عيني ولم تسمعه أذني ولكن أحبه قلبي وكان نعيه شديداً على نفسي .

ولست أدعي أنني قتت بشيء نحو هذه العبقرية الشابة التي هوت من مماء مجدها
كما تهوى جيابرة الملوكة وأعظم الدول ، فاني لأشعر حقاً بمجزى المطلق أمام هذه
العظمة الخالدة ، وأعتقد في قرارة نفسي بحرية تلك العظمة واستقلالها وغناها عن
كل شرح وتمجيد ما

نظمي مبلبل

(بكالوريوس في الأدب الإنجليزي)



عبد الحليم على المصرى^(١)

نالت الشعراء الضباط ، نضج وهو بعد في فجر أيام الشباب يطلب العلم في المدرسة الحربية . نظم أول ما نظم في الفخر وأكثر من ذكر العلم والسيف ، على أن صاحبنا وإن لم يقل أن الخيل والليل والبيداء تعرفه ، ولم يذكر الصلة الوثيقة التي تربطه



عبد الحليم على المصرى

بالسيف والفرطاس فأخراً بسيفه وقلمه ، فإنه اعتر بأدبه ووثق من فروسيته في إسراف غير مملول ، وإلا فما بالك برجل لم يشهد الصراع إلا في الصور التي تلقن له في المدرسة ولا يستطيع أن يصول بسيفه إلا وسط الجدران الأربعة التي تحيط بفراشه ومع ذلك يقول من قصيدة غير طويلة :

(١) عن كتاب (شعراؤنا الضباط) الذي سيصدر في الشهر المقبل .

ألم تهزك أشعاري ولى قلم إذا جرى هزّ تيجان السلاطين
وصارم في الوغى لو هجته انبعث له المقادير بين الكاف والنون ١٢

ويزعم الكثيرون أن هذه القصيدة أول ما قال عبد الحليم من الشعر وإن كان قد ماد فاقطع بيتيه اللذين تمثلنا بهما هنا وأنشدهما في (نونيته) التي جاء في مطلعها :
(لا ترشدني وخلي الشوق يهديني لعل يدنيهمو ما كان يقصيني)

ولكني لا أعتقد بحال ما أن هذه بداية شاعر ، بل هي صرخة شاعر فعل قد أكثر من الصياح .

والواقع أنك تجد في شعر الطور الأول من حياة عبد الحليم نضوجاً وقوة لا تجدهما في شعر الكثيرين من أعلام القريض في عصره ، وتكاد لهذا الانحسار بتبدل كبير في شعره طوال أيام حياته ، إلا أنك ستجد أنه انصرف الى الأنين والشكوى والحنين الى مصر طوال حياته في السودان ، فلما جاء مصر وخلا الى نفسه ليقرض الشعر حراً طليقاً بدأ الطور الثاني من حياته الشعرية فأكثر من المدح . ولعل شاعرنا أرغم على هذا من أجل الدنيا ... ولكن كانت هناك نواح كثيرة كان من الضروري أن يساهم فيها بشاعريته الفذة ، على أن عبد الحليم قد بدأ في أواخر أيام حياته يكتب تاريخ الخلفاء - أولى حلقات التاريخ الاسلامي - وكان هذا أترأ جيلاً لو تم إلا انه مات قبل أن يتمه .

وشاعرنا هو عبد الحليم بن اسماعيل حسنى افندى . وُلد بناحية (فيشا) من أعمال (دمهور) في مايو عام ١٨٨٧^(١) ودخل المدرسة الحربية بعد أن أتم دراسته الابتدائية وهو يحبو الى سن الشباب ، وبرحها بعد عامين في يونيو عام ١٩٠٦ في التاسعة عشرة من سنى حياته ، وألحق بالأورطة السادسة عشرة المشاة في كسلا ، ولم تستمر حياته في السودان طويلاً ، وسأحدثك عنها عند ما تصل الى شعر الشكوى والحنين الى مصر . والواقع أن عبد الحليم بدأ طوره الأول بالشعر السيامي الذي كان يمتليء وطنية . وحديثه عن الوطنية والحرية ليس حديث صناعة بل من وحي روحه ، واهممه يتحدث الى الحرية من قصيدة طويلة جاء في مطلعها :

(١) الجزء الخاص بمولده ونسبه وما لم ينشر من شعره قد تفضل بكتابته حضرة شقيقه عباس حلمي المصري المهندس .

حلا لها البين فأنجابت عن المقل ولم تودع قبيل السير من رجل
فيقول .

عودى ! أطل علينا ! إننا نفر إن حلت عنا فانا عنك لم نخل
الدهر غيرنا حتى اذا بعدت بنا الديار غدت منا على دخل
ناوى اليها بنا مما بها ظلاً وكلنا طلل يأوى الى طلل
أصبحت في غير وادى النيل ناوية والشمس في الحوت غير الشمس في الحمل
ماذا جنينا ونحن الواهون كما قالوا وذو الوهن لا يجنى على البطل ؟
قايه يا مصر ! إن جاروا وإن عدلوا قد ينشأ البرء أحياناً من العلل

وسترى شاعرنا يكثر من الزجر كما أكثر حافظ منه ، وسنسمعه يخاطب المصريين
جملة . ولكن عبد الحليم لم يكن قاسياً ، ولن نجد السخرية اللاذعة التي عُرف بها
حافظ وحدثك عنها في قصائده عن مأساة دنشواى وسقت لك مثلاً منها في قوله
(أمة النيل أكرت أن تعادى — البيت) وقد نجد بعض العنف في حملته ولكنه
عنف ترضاه ولا تضيق به ، واسمعه يقول :

يا أمة أبصرت في الصبر مكرمة أيحمد الصبر مضروماً من الشعل ؟
أراك ندابة في كل حادثة والندب لم يجد صوب الحادث الجلل
وليس هذا إلا لأنه :

أتى زمانٌ نهوض وانقضى زمنٌ كان البكاء يُرى فيه من الحيل
وإذن ماذا يجب على المصريين أن يفعلوا ؟ وأية نصيحة يبعث بها الشاعر الى
مواطنيه ومصر أحوج ما تكون الى جهود أبنائها ؟ ويعرف عبد الحليم هذا كما يعرف
أن مصر بانت مطمع الدول ، لكل فيها مغنم ، وكل يريد أن ينال كسباً ،
فيقول :

فراقبوا الله يوماً في كنفاته إن الكنانة أضحت مطمع الدول

رأيت هنا عبد الحليم شاعراً من شعراء الحرية يبكي لأجلها ، ويتحدث عنها ،
ويهيب بالمصريين أن يعرفوا لوطنهم حقه عليهم وأن يعملوا على تقدمه ، ولكن

صاحبنا لم يوقف شعره على مصر بل سلك سبيل البارودي وحافظ في الحديث عن الشرق وعن «فروق» أقرب العواصم بعد القاهرة الى قلب الشاعر. وفي الاستانة كثرت المظالم وقيد الناس بالاغلال واقتيد الابرياء الى البوسفور يبعثون الى قاعه ، وضاق عبدالحليم بهذا كما ضاق به ولي الدين فحمل على عبدالحمد وعهده في قصائد طوال تجدها كلها في الجزء الأول من ديوانه ، وأدوع ما تلقاه له عن هذا العصر المظلم في حياة الشعب العثماني قصيدته « خلع عبدالحمد » والتي جاء في مطلعها :

ودّع وسلم فإن الدهر حالان والتأجّر من رأس سلطانٍ لسلطانٍ

وستجد فيها صفحة دامية من حياة الأهلين . وقرأ معي حديثه عن سيدة أحاط بها الجند في دارها وقد انتصف الليل يسألونها عن زوجها وكان الرجل قد فرّ من قبضة يدهم قبل أن يداهموه في داره . وستحسّ معي بليل مظلم وقد عصفت الريح بالأشجار وتساقط البرد يغطي أرض الطريق ونوافذ الدور ، وفي هذا الجو الأغبر وقفت المرأة المسكينة تصطك من البرد بين جند بتدثرون بأردية ممبكة ، وكلهم طامع وحاقد ، وقد حاءوا يحملون أمر التعذيب والاعدام للرجل فما وجدوه وهم يظنون أن المرأة قد أخفته في ناحية من البيت وهي تقسم وهم يصدّون ، وفي هذا يقول الشاعر :

الله في ربة الخدر التي جلدت والجند ما بين فتّاك وطعان^(١)

طاعت لها العين حتى صار مدمعها رياء لكل خميص البطن صديان

كم ساءلوا عن (المختار) فاعتصمت بالله في القول من إفك وبهتان

وكذبوها فقالت : قطعوا جسدي اني ضحية أقسامي وإيماني

كلامها صان في الدنيا لصاحبه عهداً ، فدرّهما لله زوجان

وتسير بك القصيدة حثيثا دون أن تجمد العنف الذي تراه واضحا في قصيدة ولي الدين عن العصر الحميدي . وستجد شاعرنا أبدا يتحدث الى عبد الحميد عن نعمائه ، ويذكره بأيامه الماضية قبل أن تنزل به النكبة وقبل أن تطوح بعرشه ثورة الشعب الذي ألهبت ظهور أفرادها بالسياط وشويت جلودهم بالنيران ، فانقلبت الى شعلة مضيئة تقود الجحافل وراءها ، وقد ضمت قصائده الى

(١) الله مفعول لفعل محذوف تقديره اتقوا الله .

مانظمه الشعراء في الحديث عن الثورة والدفاع عنها في كتيب صغير تعلقه صورة
مدحت أبي الدستور ، وأسوق لك هنا مثلاً منها في قوله مخاطباً عبد الحميد :

شاهدت حولك أسواراً تفيض دماً كأنما قد بناها بالدم الباني
مدججات إذا قيل القتال سعى مقرونة السير بنياناً لبنيان
تظلمها ساريات قطرها عجب من أنسر وشواهين وعقبان
لم تبسم الناس في (عموز) من جذل الا وقد عبسوا في شهر نيسان
وختمها أو كاد بقوله :

الملك للواحد القهار لا ملكٌ فينا ولا دولة تبغى على شان
وكما دافع عبد الحليم عن الاحرار العثمانيين ودعى الى معاونتهم ، حتّى الشرقيين
على معاونة أهل طرابلس في صراعهم مع الطليان ، وستراه يحدث (رشاداً) صاحب
الامر فيقول :

بالسيف بالرمح بالقرطاس بالقلم صونوا حمي الملك واحموا حوزة العلم
يا صاحب التاج هذى أمة بدأت تدنس الأرض فاعمل أرضها بدم
في الشرق جند اذا ناديت عن كذب عدا اليك على جنّ بلا لجم

وذكر الشاعر حياته في الجيش وعاد يحنّ الى حومة الوغى ومزاحمة الفرسان ،
وكان الشاعر قد ضاق بالحياة في مصر كما ضاق بالحياة في السودان فلم يصل الى بغيته
عند ما جاءها يحمل عده من النظم والقريض ، ولعل الشاعر كان يبغى الرحيل الى
طرابلس لأنه يقول من قصيدته :

فيما الاقامة في مصر وتلك ربي يضيق فيهن صدرُ الرحب بالرحم
سيني جوادى . مجادى . عدتى . زردى قلى تيبانى . أنانى . سطوتى همى
لا حبذا رقدة بالنيل ناعمة وحبذا وقفة بالجيش من أمم
لا خير في العيش يطويها الفتى ألكا كم فرج الموت عن نفس من الألم
أستودع الله أهلى في كنانته مستقصياً عنهم مستوصياً بهم

ولم تقف جهود الشاعر عند هذا الحد فعاد يثير حمية أهل الشرق وبحر ضهم على
الجهاد . وقرأ معي قصيدته « تطوَّع يا فتى الهيجا تطوَّع » والتي جاء في مطلعها :

سلام الله يا دار السلام ليخمد فيك ملتهب الضرام
فسيف الله في كفِّ الامام وحند نبيه ملء الأكام
وفيه يقول :

تطوَّع يا فتى الهيجا تطوَّع لآنت بمنبر الهيجا مصقع
فصفها إن سلت وقل وأسمع (فان القول ما قالت حدامـ)
ومهلّا (أمة الطليان) مهلا أزداد بفيك حلم الترك جهلا
ستمسح أرضكم جبلا وسهلا ويخفق سعيكم بين الانامـ
سلوا (اليونان) هل بلغت مرادا وهل ردت كتابها جوادا
وهل لم تفرس الترك الوهادا قنّا لهمو وتظفر بالمرامـ ؟
سلوا (الدب) الذي أفعى وكرا أنشب فيهم نابا وظفرا (١)
وإلاّ كانت (الأتراك) جرا تسيل عليه من مجرى الغمامـ ؟

واصطدم الجيشان ، وانتصر الترك والعرب وحملت الأنباء الى العالم الاسلامي
خبر هذا النصر فنظم عبد الحليم قصيدته الثالثة لذكرى هذا النصر وفيها يقول :
السيف يصنع ما لا تصنع الكتب لا الحرب قول ولا صدق الظبي كذب
تخرّص القوم في الهيجا وارتعدت فرائص هدا من أركانها اللجب
ومنتهى القول إن الحرب قائمة الترك نار لها أعداؤهم حطب
يا (أنور) ادع (نيازي) يصطحبك بها فالحرّ للحرّ في الهيجا يصطحب

والسياسة كما حدثتك هي أكثر ما نَحده في ديوان شاعرنا النابغة ، واسمعه في

قصيدته (المساجين) ^(١) يتوجع لحال اثنين طاح بهما الاحتلال الى السجن فيقول:

قالوا سجننا كما والنار قد خمدت تالله قد أوقدوا ما أخمدوا بكما
لو يستطيعون أن يأنوا بمعجزة فليجعلوا الأفق تراباً والتراب مما
في كل يوم سجين لو نثن له قال (العميد) أثاروا فتنة عما
هم ينقمون علينا كل آونة فهل على الشعب من بأس اذا تقما؟
خذوا هنيئاً بلاد الله أهلة الا الكنانة والبيتين والحرما
فيا قطيني ظلام السجن لا جزءاً لا يعرف البدر حتى يقطن الظلما

وتابع عبد الحليم شعره السيامي في حويلاته وتجد الكثير منها في الجزء الأول من ديوانه ، وقد أوقف عبد الحليم هذه الحويلات على الحديث عن مصر والشرق الأدنى ، وتستطيع أن تقول أن كلا منها كانت تاريخ العام وسجل الحوادث التي مرّت طوال أيامه ، والغريب أن عبد الحليم لم يجمع هاته الحويلات في كتاب واحد مع أنه داوم على انشادها في حفل استقبال السنة الهجرية منذ عودته من السودان. وحويلات عبد الحليم أقدم المذكرات السياسية في التاريخ المصري الحديث ، وأسوق لك هنا واحدة منها نظمت في حوادث عام ١٣٢٧ ، وثق اننى لم أتحيرها لك بل جاءت في ديوانه بعد قصيدته (المساجين) ، وفي قصيدته هذه يتحدث عبد الحليم عن الدولة العلية : كريت - المرحوم أدهم باشا - العجم - الحالة في مصر - صبح الأمير - الهجرة ، والقصيدة طويلة أبياتها سبعة وستون بيتاً ، واسمعه يخاطب شباب مصر فيها فيقول :

يا فتية النيل جدّوا السير تغتمنوا تلك العلى فهمي تدعو كل مغتم
ولا يمت عزمكم من عثرة عرضت فصحة الرأي تمحو عثرة القدم

(١) تجد هذه القصيدة في الجزء الأول من الديوان ص ١٠٨ ولكن الشاعر ساقها دون أن يذكر تاريخ قرضها ، ولعلنا لو تابعنا تنسيق ديوانه على حساب الأعوام لكان تاريخ نظمها قبيل عام ١٣٢٨ للهجرة ، ولقد حاولنا أن نلم بطرف من الحادث فلم نستطع وعسى أن نجد من أصدقاء الشاعر من يستطيع أن يوجهنا الى الصواب في الحديث عن أسباب قرضها .

لأنتم اليوم في نصف السبيل فلا تردكم عادات الحادث العمم
المجد بالباب والمذلاج يمنعه خطموه اذا استعصى فينحطم
ويدخل المجد خطاراً بموكبه يصفح الناس في أثواب مبتسم

وأغلب ما حدثتك به من قصيد شاعرنا حتى اللحظة نظمه في الطور الثاني من
أطوار حياته ، ولكن لعلك تتوق الى أن أعود بك القهقري الى شعر الطور الأول
وهو بعد في فجر أيام الشباب . ستجد عنفاً وقوة في شعر الفخر ، وستجد طراوة
ورقة في شعر الغزل ، وستقع على كثير من وطنياته المليئة باخلاصه لوطنه
وجهاده من أجله ، ولكنك ستجد في شعر هذا الأمد شيئاً كنت تظن شاعرنا
براء منه وسترى أن الشاعر قد أكثر في هذه الأيام من الشكوى والأنين والحين
الى مصر ، ومصر ليست هذا البساط الاخضر من الأراضي الذي يقف عند حلقها ،
بل هي وادي النيل كله من منبعه الى مصبه .

وشاعرنا يعتقد هذا ويؤمن به ولكنه مع هذا ضاق بالسودان والحياة فيه ،
ضاق به وهو لم يره بعد ولم يعرفه . وقف يودع اخوانه الطلبة عند ترقيته من
المدرسة الحربية وقد شارفت أيامه في القاهرة نهايتها فقال :

سألتني متى يكون الرحيلُ إن دمعى على الرحيل دليلُ
ربّ حالٍ تكون خير جواب وسؤالٍ جوابه التعليلُ
هزّني البين للوداع فأجري تدموعاً كأنهنّ (النيلُ)
لمت دمعى ولا منى فيه غيرى فأنا فيه عاذلٌ معذولُ
أبدلت سعدى الليالى بنحس والليالى من طبعها التبديلُ
وهدتني الى سبيل جديد وجميع الثرى لمنلى سبيلُ

ولم يقف شاعرنا عند هذا الحديث ، إذ كان قد برح به الحزن كما يبدو لى لأنه
تابع شكواه وهو يقول :

يا حمام السودان تهتف باسمي أنا مهما هتفت باسمي ملولُ
ولعل الشاعر قد أدرك إصرافه في الشكوى فأراد أن يجد لنفسه بعض العذر
فيها فقال :

رُبَّ صَبٍّ يَرْنُو إِلَى غَرَامٍ وَفَوَادِي بَغِيرِهِ مَشْغُولُ
إِن صَدْرِي أَدْرِي بِسَرَى فَمَلِهِ كُلُّ صَدْرٍ عَنْ سِرِّهِ مَسْئُولُ

ولكن عبدالحليم كان يعرف أنه سائر الى السودان رضى أو رفض ، وإذن ماذا تهديه الشكوى وماذا يكسبه الأنين ؟ ولهذا عاد فى ختام قصيدته فتنامى شكواه وبدأ يتساءل عما اذا كان سيعود ثانية الى مصر ، مصر بالمعنى الذى يقصده الشاعر : القرية التى ولد فيها والبلد الذى تثقف فيه ، فقال :

أَيُّهَا النَّاعِمُونَ بِالْأَمْرِ بِمِصْرٍ أَتَرَى يَرْتَجِي إِلَيْهَا قُفُولُ
فَهِيَ أَجْسَادُنَا وَمَا نَحْنُ إِلَّا خَلْسَةٌ مِنْ تَرَابِهَا أَوْ فُضُولُ

وسار صاحبنا الى السودان وفيه عاود الشكوى والأنين ، وبدأ قصائده فى الحنين والتشوق الى مصر . وقف عند خور الجاش^(١) يتحدث الى فتاة ، هى تهديه الطريق ولكنه لا يريد فأن ما فى قلبه من شوق الى مصر يكفى لهديه سواء السبيل ، بل لعل هذا الشوق يدنيه فيقول :

لَا تُرْشِدْنِي وَخَلِي الشُّوقُ يَهْدِينِي لَعَلَّ يَدَيْهِمْوَمَا كَانَ يَقْصِينِي
وَسَائِلِي الْخَيْلُ عَنِّي وَهِيَ شَارِدَةٌ فِي مَهْجَةِ النِّقَمِ أَدْوِيهَا وَتُظْمِينِي

وترى الشاعر هنا قد خرج من حديث الشوق والحنين الى الحديث عن خيل شاردة وسط غبار متطاير بالرغم من أنها تظميه ، ثم يسرف فى ذكر هاته الخيل فيقول : يصلن حولى فيسبقن الصهيل ولا يردن بالقوم ماءً غير مضمون .

ثم يعود ثانية الى فتاته التى تهديه الطريق الى الماء . ولكنه يريد ماء النيل ، النيل الذى يقول عنه عند ما جاء القاهرة :

يَا نِيلَ لَيْتَ أَجَاجَ الْمَلْحِ فَيْكَ جَرَى فَحَلُو مَائِكَ جَرَّ الْمَرِّ وَالْأَلْمَا !

ولكنه يقول عنه عند خور الجاش :

لَا تَسْقِي الْمَاءَ إِذْ يَجْرَى وَبِى ظَمَأٌ عَلَى يَدَيْكَ فَلَيْسَ الْمَاءُ يَرُونِي
لِي فِي رُبِّى النَّيْلُ رُبَّمَا كَدَتْ أَعْبُدُهُ فِي شَرَعَةِ الْحَبِّ لَوْلَا شَرَعَةُ الدِّينِ

(١) خور الجاش مجرى ماء عند كسلا .

ولكن النيل الذى يحن اليه الشاعر لا يحياه ، ويعمر به ساكننا لأن النيل فى مصر هو النيل عند منبعه حيث يضيق الشاعر بالحياة ، ويدرك الشاعر هذا الصمت الذى يقابله به النيل فيقول :

أبيت لىلى أحييه ومن عجب أنى أحيى حبيباً لا يحينى
والواقع أنه يحق لك أن تحزن فما كان يجدر بشاعرنا أن يكون ملولاً من العمل
فى بقعة من الأرض هى وطنه ولا بآئه فى ترتبها دماء وأجساد ، ولكن خذ هذه
الناحية من حياة شاعرنا على أنها فترة النزعات ، وباعتبار خواطره شعراً ،
وانقده من ناحية القياس واللغة ، ثم اتركه عند ما يصل بك الحديث الى نقد
معانيه وأخيلته .

وشعر الأئنين والشكوى كثير جمع بعضه فى الديوان ، ويذكر أصدقاؤه الكثير
منه . وستعجب عند ما تعرف أن شاعرنا قد ترك خدمة الجيش عام ١٩٠٨ ليرجع
الى مصر وكأنه قد قضى فى السودان عامين اثنين ، نظم خلالها من شعر الشكوى
ما تحاله لكثرة قد قيل فى عشرات الأعوام .

ومخلو ديوان الشاعر من حديث تدرك منه سبب هذا الملل وعلّة هذا الضيق
الذى غمر حياته عندما حاز رحيله الى السودان ، ثم فاض عند ما أدرك أنه لا سبيل
الى الفكّك من هذا الرحيل العاجل . ولكن الواقع أن شاعرنا كان يتمنى - وهو
بعد فى غمرة الشباب - أن يكون ضابطاً فى الحرس الخديوى ، وكانت عدته لهذا
شاعريته الفذة ، وتذكر هذا من كثرة مديحه للخديوى السابق وسترى التفنن فى
المديح من النماذج التى سأسوقها لك ، ومما تجده بالاضافة اليها فى ديوانه ، ولكن
حال دون هذا قرب شوقى من القصر وصاحب القصر ، وفشل عبد الحليم كما فشل
حافظ . من أجل هذا ضاق الرجل بحياته بعد أن فقد أمله وفشل فى أمنيته . وتذكر
أيضاً أن هذا هو السبب الأول لألمه وشكواه عند ما تعود الى الديوان فتجد أن
الرجل لم ينصرف عن السودان جملة ، ولم ينسه بعد أن تركه بل أكثر من الحديث
عنه ، واسمعه يقول فى الاحتفال برأس السنة الهجرية (سنة ١٣٢٧) :

مالى أرى السودان طعمة آكل ؟ هل أطعمتهم مصر فى السودان ؟
أنسوا أسود النيل يوم تضرجوا بدم العدى حين التقى الجيشان
متوائين كأنهم فئة القطا وعداتهم حب امرئ وسنان

منسابقين الى الحصون كأنها أوكارهم شيدت على الأفنان
متقاسمين العاديات كأنهم في الحرب مشتركان مختصمان^(١)

وانتهى عبد الحليم من السودان والحياة فيه . جاء الى مصر التي قضى عامين ينشوق اليها ولكنه لم ينس الشكوى ولم ينس التبرم بالحياة ، ضاق بها في مصر كما ضاق في السودان ويحدثنا عن هذا من ألم بطرف من حال الشاعر في حياته فيقول : « وعاد عبد الحليم من السودان فعمل في الأوقاف ، ولم تستمر حياته في القاهرة طويلاً ففي عام ١٩١٣ نشرت له الأهرام قصيدته (بالأعين اقتلن لا بالمشرفيات) فحملت عليه المؤيد على زعم أن ما فيها قصد به الشاعر الطعن في أمير البلاد فحوكم وقضت دائرة مجدى باشا بحبسه شهراً ثلاثة ، الا أنه برىء في دائرة المرحوم عزيز باشا كحيل ، وكان يدافع عنه الهلباوى بك ، ولكنه وإن نجا من أغلال القضاء لم ينج من سلطان الادارة فنقل الى قنا^(٢) » ولحقه فيها غنت الحكومة . ولعله في هذه الفترة قال قصيدته في مديح شفيق باشا والتي جاء في مطلعها « سمي رسول الله منى تحية » ولم يجده هذا نفعاً فاستقال حتى ولى الأمر السلطان حسين كامل فدحه ، وانصل بعده بجلالة الملك فؤاد الأول .

وكما لم ينس عبد الحليم الشكوى لم ينس سيفه الذي لم يغمده مرغماً بل ابتاعه بيراغ ظن أن سينال منه غاية ما يأمل من حياة مكفولة الرزق ، ولكن الحظ الذي لم يواته في حياة الجندي لم يجئه من يراعه الذي شهره ، وستجد أنه ذكر سيفه عند الحديث عن قلمه وسترى مبلغ ثقته بأدبه فيقول :

أغمدت سيفي لا كرهاً ولا فرقا وابتعت يبراع غير معمود

صلب الشبابة على القرطاس ليئنا يدمى على ضعفه صم الجلاميد

إن شاء هدم أبراج النجوم وإن أراد نظم ما استودع في جيد

اليك أصرفه والطير تتبعه بالنوح طوراً وطوراً بالأغاريد

والشاعر هنا يمدح ولى الأمر في عيد الفطر عام ١٣٢٧ للهجرة . ولكن لمن

(١) العاديات : من صفات الخيل وحلت هنا محل الأسم

(٢) من رسالة للصدیق عباس حلمى المصرى شقيق النقييد

النوح ولمن التغريد ؟ هنا ينصرف الشاعر الى نفسه بالنوح وشتان ما بين
النوح والتغريد :

نوحٌ علىٌ وتغريد اليك ويا شتان ما بين بكاء وغريد !

ولكن أين يمكن أن يأمن كثير البكاء صروف الدهر ، وأين يمكن أن
تواتيه السعادة ؟ أجل في ظل الملك . وماذا في الحياة بعد هذا الظل الوارف يستظل
به الناس لينعموا برغد العيش ؟ ولكن :

ما أرغد العيش في ظل الملوك إذا خلت مراعيه من عدل وتنفيد !

والشاعر كما حدثتك كان يتوق الى العيش في ظل صاحب العرش ، ولذا ما كان
يريد أجراً على مديحه غير تلك الأمانة التي ملكته عليه نفسه حتى أمرضه الجهد :

وقفٌ عليك مديحي لا أروم به أجراً ولكن منى في نفس معمود

والواقع أن عبد الحليم قضى أغلب أيامه إثر عودته من السودان بمدح ، ولم يذكر
شيئاً عن تكسبه بالشعر وإن كان أكثر من مديح الخديوى السابق وتعقبه بالتهنئة
لمتباين الحوادث من رحيل أو عودة ، أو عيد أو حفل خيرى . والواقع انه من
الصعب أن تتقبل هذا كله على حساب أن شعراء هذا العصر قد انصرفوا الى المديح
فسلك عبد الحليم سبيلهم ، على أن فترة المديح تحدد الطور الثانى من أيام حياته ، فقد
قضى الطور الأول فى السودان يشكو ويحن الى مصر ، ويقرض شعراً فى الحماسة
والفخر ، وجاء مصر فبدأ الطور الثانى وانصرف فيه الى المديح ، وجاء الرثاء على هامش
شعر الطور الأول كما جاء الوصف على هامش الثانى .

قلت لك إن أغلب ما نظم عبد الحليم إثر عودته الى مصر مدح به عباس ،
ولكنى مع هذا أفضل قصيدته التى مدحه بها وهو على أبواب الرحيل الى السودان
والتي يقول فيها :

لك اللواء ان فوق الانس والجنان فاخذل عداتك من قاص ومن دان

رب الاسود التى يوم الكريهة لا رون اخوانهم فيها باخوان

إذا أطلت سيوف الجيش رايية أذكرتنا مازناً فى يوم سفوان

ملككت جنة مصر وهى مقفرة وكان رضوان فيها غير رضوان

فكنت فيها (أبا بكر) باندلس وكنت في ملكك الفتح (بن خاقان)
 يظلمها النصر ما دامت أريكتها يظل أعطافها (عباسها الثاني)
 لبثت في أمة السكسون تقرضها عدلاً بعدلٍ وعدواناً بعدوان
 وكنت كالدهر لو أغفت لوحظه له على الناس قلب غير وسنان
 ولم يبرأ شعر صاحبنا من الاسراف ، ولكنك لاتضيق به بل سترضاه وستجد
 أنه غاية المدح في شعر العصر الأخير . وستجد شاعراً أراد أن يمدح رجلاً فماذا
 يقول فيه ، وأي حديث يصفه به إن لم يقل إنه لا يختلف في فضله اثنان ؟

لو كنت في قوم نوح قبل دعوته لم تفرق الأرض من فيها بطوفان
 الدين مختلف فيه ومؤتلف وأنت لم تختلف في فضلك اثنان
 وبقي يمدح صاحب القصر ولكنه أدرك بسرعة أنه يجب أن يصل الى بغيته عن
 طريق شاعر القصر ، فهو أقرب رجال القصر صلة بصاحبه ، وشوق شاعر وبلاغته
 هي عدته ، ولهذا ستجده يضمه الى من فاخر الشعوب قبله بالبلاغة :

ذلت آية البلاغة فاغدت تمشى بطرسك مشية المتذل
 فاذا نخرت بها فان محمداً قد كان يفخر بالكتاب المنزل
 قد جاء بالمنثور آخر مرسل وأتيت بالمنظوم أول مرسل

ثم يقارض الشاعر أمير الشعراء النناء فيقول :

قربنى حتى اذا استوزرتنى اكبرت منزلتى بصدر المحفل
 ولكن ماذا بعد هذا التقريب والاكبار :

ولبثت تجرى في سماعي صافياً من ماء شعرك كالرحيق السلسل
 فتغض طرفك تارة عن عثرتى وتقيها طوراً بغير تدل
 فاذا تبנית امرأً فانا الذي يرعى الأبوة في الزمان الحوّل

وتسير بك صفحات الديوان حيناً حتى تصل الى جزئه الثاني ، ولعلك تفكر
 فيما فعله شوقي للشاعر ... لاشيء ، إذ يعود شاعرنا فيتحدث الى شوقي إثر عودته
 من الاستانة عام ١٩١١ فيقول :

لقد أخلصت يا (شوقي) ودادى اليك وأنت توسعنى نفورا
فتق يديّ واذكرنى بخير إذا ما جئت مولانا (الأمير)
واستند شاعرنا الى هذا الضرب من القصيد فى قضاء كل ما يعنى له من أمر
الحياة والعيش ، حتى طوحت به المقادير الى قنا كما قدمت لك وكان وزير الأوقاف
أو مديرها أحمد شفيق باشا فقال من قصيدة طويلة :

سمى رسول الله منى نحية بأمثالها هذا الجلالُ خليقُ
وختمها أو كاد بقوله :

من الغبن أن تغضى وطرفك مبصر وتقسو على منى وأنت شفيقُ
وفى هذا بلا جدل نموذج رائع لمهارته فى التلاعب بالألفاظ .

والرثاء أقرب شعر عبدالحليم صلة بالسياسة والسياسيين ، وتحسّ بهذا عند
ما يقابلك رثاء الزعيم الشاب فى بداية الجزء الخاص بالرثاء فى ديوانه . ويقصّ عليك
شاعرنا حديثاً طويلاً عن هذا الرثاء ، فلقد قضى مصطفى كامل والشاعر مريض
لا يقوى بصر البرء على رؤية جسمه فلما مرّ العام وأعاد الشعراء والكتاب رثاءه كان
صاحبنا مقتول الخاطر مغلول القلم واليد ، ولم يكد يترك فراشه ورأى أن يقضى
واجبه حتى واثاه الخيال بهذا الشطر وهو فى سنة من النوم « أقبرك أم قبر النبي
أم البيت » وأغنى دوز أن يجيش بخاطره الشطر الثانى ، فرأى فى نومه الفقيد العظيم
يسأله « ألم تتذكرنى إلا اليوم » فأيقظته الدهشة وبدأ يكتب رثاءه فقال :

أهلاً بطيفك فى نومي يعاتبنى إن العتاب يقوى حرمة الرحم
تالله ما قصدت كفى ولا قللى يوم الرثاء ولا أكبرت من شمم
لكن قضيت وشعرى فى طفولته واليوم تبدو عليه مسحة الهرم
فلم تكن ذلة تمحو إصابته إصابة الرأى تمحو زلة القدم
والقصيدة طويلة جاء فى مطلعها :

سمح المحاجر هطالاً عن الديم مهما كرمت فلم محمد على الكرم

ولكن لماذا لا يحمد الزعيم على هذا الكرم لأنه :

مَنْ قام بالفرضِ إن لم يُجْزَ صالحةً فحسبُهُ أنه ينجو من النقم
أقمت صرحاً أطال النشء قتمه حتى تقاصر عنها أطول القمم
فن تقياً في ظل (اللواء) فلا يخاف صرف الردى أو شدة الأزم
وخرج عبدالحليم من الحديث عن الزعيم الشاب إلى الحديث عن دعوته ،
وسترى هنا خروج الشاعر من الرثاء إلى المدح فيقول :

وقت بالأمر في عهد اذا بعثت في أهله الرسل لم يؤمن فتى بهم
كأنما الدعوة الأولى التي اتبعت كانت طعاماً وكان الشعب كالنهم
وعاد عبدالحليم ثانية إلى حديث السياسة ، والسياسة هي أول ما يجب أن يصحب
رثاء المجاهد الأول ، ومن الواجب أن يتحدث الشاعر عن دعوته تذكرة للشباب :
كانوا يسومون مرعى أنت ضيفمه فأبصروا أن مرعى الأسد لم يسم
ظنوك بالنيل ذا وهن فما انطلقت بك العناية حتى صحت في الأجم
خرجت لينا فلم تترك بها ضبعاً إن الضعاف شداد في عداتهم
غضوا العيون (بنى التاميز) إن على أرض الكنانة قصرأ خافق العلم
وبالكثيب ضريحاً نستمد بما يوحى إلينا حيال الحادث العمم
لم يدعه زائر إلا ويسمع من صفائح القبر صوتاً رن كالنغم
وختمها أو كاد بقوله :

قل للحجيج اذا أموا الحجاز قفوا بمصر إن بها باباً إلى الحرم
لا يكل الحج إلا أن يطوف به ويقرأ الآي فيه كل مستلم
وهذا لعمر كفاية المدح وأدوع ما قيل في رثاء المجاهد الأول صاحب
الصيحة الأولى للاستقلال .

على أنك في دراسة شعر عبد الحليم ستبحث لأول وهلة عما يتصل وثيقاً بعمله ،
وستجد في البحث عن نماذج كتلك التي سقتها لك عند الحديث عن البارودي
ولكنك لن تجد شيئاً منها ، فلم يصف شاعرنا المعارك ولم يتحدث عن السيف
والرمح إلا على هامش الفخر ، ولم يذكر السيف والقلم إلا عند صيحته في حرب
طرابلس والتي سلك في مطلعها سبيل المتنبي .

وأوقف وصفه على الحديث عن مصر : نحدث عن آثارها القديمة ونغنى بمشاهدها
الحديثة . واسمعه يصف قصر أنس الوجود ويتحدث عن مصر يوم أن كان
القصر يزدهر بأصحابه فيقول :

الدهر ملّ وآى الدهر كامنّة في وجهك الطلق لا يبدو بها ملل
قرأت فيهن سر العالمين فبا شتان ما بين من قالوا ومن عملوا
كانوا اذا أبصروا شمس الضحى سجدوا لها وإن أبصروا شمس الهدى عدلوا
هنالك التاج كانت كلما سطعت بدورة طأطأت هاماتها الدول
وكنت كالشمس برجاً حول قبه تسعى الكواكب لارث ولا مهل
وكانت الغيد في نمالك رافلة على مناكبها من سندس حلل
لمحت (هوريس) تحت السيف فانتثرت دراهم الشيب في عطفك والعلل
فن يجاريك فيما شدت يا (أنس) ؟ المرء مرتحل والذكر مقبل

ووصف الشاعر الشام وتحدث عن حفل أقيم لتكريم رجل عامل ووصف رحلة
في سفينة تمخر النيل يوم شم النسيم ، ولكنك لن تجد في كل هذا روحاً جديدة
للشاعر . ستجد الروح القديمة الحزينة التي يشغلها حديث السياسة ، وأسوق لك
مثلاً من هذا الضرب من القصيد « شم النسيم على سطح النيل » ، وستجد أنك
مرغم على قياسها باعتبار الضرب الذي ساقها فيه صاحب الديوان :

دع ذكرَ زمزم والحطيم وادع المدامة والنديم
فالعمـر يوم للسرو ر وألف يوم للهموم
ولربما جاء الزما ن بغير ما يرجو الحكيم
أنا لا أنوح على الدنيا ر ولا على الانس المقيم

وستقف هنا لتسائل نفسك : لماذا لا ينتخب الشاعر لوطن مغلوب على أمره ؟
ولعل الشاعر قد أدرك هذا لأنه يجيبك من توه :

إن الديار ومن بها في ذمة الله الكريم
(مصر) لمن يشتدّ سا عده من الزمن القديم
وينصرف الشاعر عن حديث النواح الى الوصف أو على وجه أصح ليبدأه فيقول :

فدع النواح وهاتها صفراء بيضاء الأديم
راح وريحان ورو ض زانه عود وريم
نطق الجاد بكفه والميت أنطقه اليتيم ^(١)
وجرت على أوتاره أطرافه جرى النسيم

وتجد في قصيد عبد الحليم نوعاً من الشعر القصصى ، وتلقى هذا في أول الجزء
الثاني من ديوانه في قصيدته « عبدة المقامر » و « بين القبور ميت يتكلم »
كما تلقى خواطره ونزعانه في الصفحات ١٣٤ — ١٤٤ من الجزء الثاني من الديوان
وأغلبها مقتطع من رسائله الى أصدقائه ولكنك لن تجد فيها جديداً يباين ما حدثتك
عنه من الضروب التي نظم فيها. ولكن ثقتك أنك ستقف بازاء قصيدته « يا عمر » وستعاود
تلاوتها مرة إثر الأخرى ، ستجد روح الشاعر النزاعة الى الخير ، واسمعه يقول :

يا عمر أخشى أن تطو ل وأن يكون العيش مرّاً
فأنح لعيني أن ترا جع في الشبية منك سفراً
حتى أرى ما خط في صفحاته خيراً وشرّاً
فاذا وجدت الخير أر جع من أخيه بنيت قصراً
واذا وجدت الشر أر جع من أخيه حفرت قبراً
ما أحسن الدنيا اذا صدقت لنا خبراً وخبراً

وأسلوب عبد الحليم سهل ، وعباراته سلسة ولا تحس بتكلف في شعره بل ساقه

على طبعه وسليقته . وقد خلا شعره من الغرابة والتعقيد ، ويدل على المكانة التي كان سيصل إليها لولا وفاته المبكرة عام ١٩٢٢ في الخامسة والثلاثين من سني حياته . وكان عبد الحليم ينظم القصيد في غير عناء ، ولكن مع هذا لم يرو على البديهة سوى بيتين اثنين عند ما راح مع جماعة من أصدقائه يزورون الدكتور يوسف طلعت باشا فقبل لهم إنه مريض فأنشدلتوه :

قد مرضنا ولم نجد من دواء غير انا نزورُ ذاك الحكيم
وشددنا الحالَ نرجو شفاء فوجدنا ذاك الشفاء سقما

ويحفظ أصدقاؤه كثيراً من شعره الذي لم ينشر ، ويجمع الصديق الفاضل عباس حلمي المصري الكثير من هذا القصيد لينشر في جزء رابع يصدره من الديوان ، وأسوق لك منه هنا قصيدته « هارون الرشيد وسجّاته » :

الشرقُ كان لنا ملكاً بأجمعه ونحن كنا بروض منه معطارـ
دانت لامرئنا الدنيا وساكنها وهاب سطوتنا ضرغامها الضاري
وطوّح الفتح بالنصر المبين لنا فالشمس محصورة منه بأسوارـ
نمسي ونصبح فيه وهي مشرقة كأنها شعلة في الشكِّ للساري
وقولة قالها هرون حين رأى سحابة عرضت حبلى بمدرارـ
أطوى السماء وجدّى السيرَ راحلة فانما أنت في أرضي وأمصارى
أنى نزلت من الغبراء ناحية أنى خراجك محمولا الى داري
فهكذا نحن كنا أهل مملكة ليست نحمدُ بأسماع وأبصارـ
إذا تلمستها لم تلق باقية إلا أحاديث في أفواه سحارـ
فلا تقل نحن كنا أهل مملكة قل تلك مملكتي أو تلك آثارى
فاليوم صرنا كأن الشرق ليس لنا داراً ولسنا به أصحاب آثارـ
فما لنا غرباء في مواطننا ونحن منها بجناتٍ وأنهار؟

ومن حيّوا عبد الحليم تحيةً حارةً عند صدور ديوانه من شعرائنا الأحياء

الدكتور أحمد زكي أبو شادي ، وهذه النحبةُ مثبتة في ديوان أبي شادي الأول
(أنداء الفجر) ، قال :

يا ناشِرَ السَّحَرِ في يومٍ بَكَيْتُ به
ما كان ضَرَكُ لو أمهلتنا زمناً
مِنَ البَيانِ شِفَاءَ النفسِ سَالِيَةً
يَهْفُو الجَمالُ لِشِعْرِ قُلْتِ أعْذَبَهُ
ورُبَّ قلبٍ - لمعنى رُوحِهِ فِتْنٌ
أَحْنُو عليه وأنلوه كأنَّ به
فا عَبتُ قليلاً في بدايته
وأقدِرُ الناسَ يُبْكِيهِمْ ويُفَرِّحِهِمْ
وفي هذه الأبيات يشير أبو شادي الى ما اتباه حينئذ من أزمة عاطفية لا تزال
آثارها متمشية في شعره الحديث .

وطبع من ديوان الشاعر جزؤه الاول والثاني ونشرا في عامي ١٩١٠ و ١٩١١
وكتب مقدمة الجزء الأول الكاتب الشهير محمد صادق عنبر ثم نشر الشاعر الجزء
الثالث عام ١٩١٨ . وقد تريد أن ترقب هذا الاثر النفيس يوماً ما ، وتجدده في
دار الكتب الملكية برقم ٥٩١٣ آداب ولعلك تقضى في مطالعته ساعة ثقت انك
لن تأسف عليها ؟

عبد الفتاح ابراهيم



المتنبى وشعره

ما اسم المتنبى بالشئ الهين يذكر دون اكتراث ، ولا صيته بالقصير المدى
لا يقام له وزن أو اهتمام ، بل هو حاصفة هوجاء عصفت في ميدان الآداب العربية ،
فأثرت فيها وتغلغلت حتى أدق خلایاها ، وسيطرت على كثير من مبانيها وحواشيبها .
تذكره فكأنك تذكر جباراً من جبابرة الوجود ، وتتلطف باسمه فكأنك تتلفظ
بآية من آية الخلود . وهو حقاً كذلك ، فلقد جمع في نفسه ما لم يجمعه عدو في
أنفسهم جميعاً ، وما كان ابن السقاء - إن صح زعم الزاعمين - إلا فلتة فلتت في غفلة
من الطبيعة . فأعوام ألف هجرية مردن واسمه يدوى بين المتأدين والشعراء كأروع
ما يكون ، وكأن رمح الاسدي قد غزّه وصرعه في الأمس البارح ، يدوى بأشد من
سبقه أو تلاه من قرضة الشعر وقوالة القصيد ، وقد شغل من جهد ، واستنزف من
قوى ، واستغرق قوله من نقد وتمحيص ما يضمن بشئ منه على جمع كثير .
نقول المتنبى ، فیداخلك منه رهجة ، لا لما يتصل باسمه من تموجات النبوة ،
ولا لما ينبعث من طياته من نفحات ما وراء الطبيعة ، وإنما لما يأخذ - ما يتركه
شعره من أثر - من مكامن ذاتك ، وما يثيره فيك بطبيعته ، حتى ما كان يكذب
حقيقته ، ويداجي أحواله ، ويخفي عجزه . يتباهى بالوجود وهو شحيح ، ويدعى
المقدرة وهو الطموح حقاً ، لكنه منها على قلة وندرة ، ويشعرك بالقوة فتخاله
قائداً هصوراً صؤولاً يشد في ركابه العسكر المحر . فالنظر اليه يمدح على بن محمد
بن سيار التميمي ، فيصول ويجول في الاعتداد بقوته ، ويتوعد ويهيمن :

أقلُّ فعالي ، بله أ كثره ، مجدُّ وذا الجدُّ فيه نلت أم لم أنل جدُّ
سأطلب حتى بالقنا ومشايخه كأنهم من طول ما التئموا مردُّ
نقال إذا لاقوا ، خفاف إذا دعوا كثير إذا اشتدوا ، قليل إذا عدوا
وطعن ، كأن الطعن لا طعن عنده وضرب ، كأن النار من حره بردا
إذا شئت حفت بي على كل ساجح رجالاً (١) كأن الموت في فها شهد

فأنت تراه لا يتجنى إلا على وقائع الكلام ، ومعارك الألفاظ ، وإنها لمحمدية فيه
على كل حال ففي نفسه الكبيرة هذه المنى ، وقد كان يسعى نحوها ، وكان يتوق إليها

وكان يرجوها بكل ما في نفسه من قوة، فإن لم ينلها وأخفق، فما هو بالملوم. ألم يعبر أبو القاسم الطبرسي في وصفه المتنبي عما كان فيه من طموح :

كان في نفسه الكبيرة في جيشه. ومن كبرياه في سلطان^(١)

ولكي نعطيك مثالا نقول إنه جرت العادة بين الشعراء أن يعدّوا ذواتهم أدنى من ممدوحهم، أما هو فكان يرى ذاته وإياهم سواسية إن لم يجدّهم أقل منه بكثير كما عبر في ظروف شتى غير أن الإيام لم تواته، فبست لهم وخذلته عن كيده وحقد. لذا كان ينشد شعره قاعداً لا قائماً بين أيديهم مؤثماً بعادة الشعراء حتى أنه عندما أنشد سيف الدولة إحدى قصائده المشهورة في مدحه قال أحد الحاضرين ليسكيدته أمام الأمير: «لو أنشدتها قائماً لأسمع، فإن أكثر الناس لا يسمعون» فقال المتنبي: «أما سمعت أولها: لكل امرئ من دهره ما تعوداً!»، وهي حادثة من حوادث كبريائه العديدة. وقد روى عنه أيضاً: أنه كان يقف لدى كافور وفي رجليه خفان، وفي وسطه سيف ومنطقة، ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسبوف والمناطق، وهذا منتهى الطغيان والعجرفة خاصة من شاعر، لدى سلطان كبير. ولم ينل ما ناله المتنبي أحد من الشعراء حتى الأخطل الذي كان كثير الادلال على عبد الملك، حتى أنه مرة طلب منه خيراً، فأجابه عبد الملك: «أوعدتني أسقى الخمر؟ لا أم لك! لولا حرمتك بنا لقلعت بك وفعلت» رغم حبه الكثير له كما أنه لما أنشده قصيدته التي أولها: «خف القطين فراحوا منك أو بكروا...» فكان عبد الملك يتناول لكل بيت منها، ثم قال: «ويحك يا أخطل! أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب؟» ثم أمر بمولى يسير بين يديه ينادي: «هذا شاعر أمير المؤمنين! هذا أشعر العرب!». ومع كل هذه الخطوة لم يكن الأخطل قادراً على فعل شيء مما كان يفعله المتنبي مع ملوك طغاة، وكيف كان يدل بذاته عليهم وشتان بين تسامح بني أمية وطغيان بني حمدان والأخشيديين! وأنه لتدهشك فيه هذه القوى الاعتيادية، وأنه لتبهرك منه هذه الصفات المتينة، ففي شعره ميزة ولكلامه وطأة، قلما يمتاز بها شاعر، أو قلما تصدر من سواه عن شعور صادق، وإن صدرت ففي قصائده، لا كما هي في المتنبي في كافة أقواله: في الرثاء والمدح

(١) يروي أبو منصور الثعالبي في (التيبة) هذا البيت عن صاحبه هكذا:

كان من نفسه الكبيرة في جيشه، ومن كبرياه ذي سلطان (أبرو)

والهجاء والحكم على السواء . ونحن طبعاً لا نعلم ماهية صدقه في قوله ، وحقيقة مدى صفاته الشاغخة في طلب المعالي وحب السلطان والجاه . ففي زمانه لم يكن هناك من يلم بعلم النفس كما نفهمه في هذا العصر حتى يترك لنا درساً وافياً أو نبذة ما ، ونحن في هذه الأيام نتحدث عن أناس عاشوا منذ مئات أو آلاف من السنين وليس لدينا الأدلة الوافية عن صفاتهم غير أحاديث وأخبار يعلم الله مدى مطابقتها للواقع ، فنحن نتكهن عن أحوال أولئك الناس ونكتيفها بحسب أفكارنا وقد نزيد ، وقد نقل ، لأننا لا نعلم الظروف . ونحن نعلم أقوالهم ونحللها حسب آرائنا الخاصة دون أن نعلم أحوالها وهذه الأحوال هي نور يفيض علينا ، وينصب كالهب فوق شخصية المرء الذي نبحت فيه ، فيبرزها لنا واضحة جليلة ، ويألفها من أحوال نادرة ! ولست أعلم كيف نحلل لأنفسنا ، حين نقرأ كلمة أو بيتاً ، أو جملة لأحد من الناس وهي مبهمة أو معقدة تحتل تأويل عدة ، فيتسنى لنا بعد ذلك الجزم بقصد معين لصاحبها في قولها ، نتوهمه من ذاتنا ، والله يعلم كم نشط عن الحقيقة ، وكما نتبعد عما عناء ! وقد يكون ذلك الشخص قالها عفواً ، ولم يخطر له ببال قط ما خطر لنا من مقاله ، لكننا نريد ذلك ، ونأبى الترجيح ، ونصر على التوكيد وأسفاه ! ثم نحن نقول إنه فعل ما فعل ، أو قال ما قال ، لأن صفاته كانت كذا وكذا ؛ ولا برهان لدينا إلا أحاديث قليلة تكاد تكون مبهمة لا تؤدي غاية معلومة ، لكثرة متناقضات أحوالها . فالمرء العربي كان همه الأول أن يجمع أكثر ما يستطيع جمعه من شتات الأخبار ثم يضمها سوياً لا يهمه تنافرها أو تلاؤمها ولو كان معاصرها ، وعلى قارئها أن يستخلص ما يشاء ، فلا يسعنا الحال هذه إلا أن نحكم على الأعمال ذاتها كما نستخلص حقائقها نحن ، لكن دون أن نؤكد حكمنا .

لكن يشفع في المتنبي لدينا حادثة ، وحادثة واحدة ، ان صدقت دللتنا على ما رأيناه من صفاته في أعماله الباقية وفي أقواله ، وعلى ما يتحدث به الناس عن طموحه وبسالته ، وتجنبه ركوب مراكب العار والشنار ، ويحقق فيه قول الطبرسي . وهذه الحادثة هي تلك التي انتهت بموته : فكلمة العبد له عند ما أراد الفرار : « لا يتحدث الناس عنك بالفرار وأنت القائل :

اخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني
والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقلمُ »

وردّه عليه : « قتلتنى قتلك الله » ، فكرّمه على الأعداء ، وموته تلك الميته الفظيعة ، يصدق عليه شجاعته ، وابتعاده عما يحمل عليه تحدث الناس بالسوء وازدراؤهم به وتهكمهم عليه . ويجب علينا أن نقرّ أن الرجل كان قد ناهز الحسين وأرّبي ، وربما أصيب بالوهن ، وأحسّ ذلك فى نفسه فأراد الفرار ، فلو كان قد أتم نيته لما كان عتب عليه أو ملام ، ولكننا لا نود أن نتلصّ له المعاذير ، من باب التسكين والرحم بالغيب ، سيما وأن هذه الحادثة لا نعلم الثقة التى رواها ، ومن سمع كلام العبد وحكاه للناس ما دام الحديث تمّ فى معركة ، وقتل المتنبي وأصحابه كلهم مع العبد ذاته ؟ لكن لدينا رواية هى أكثر ثقة ، وأدعم أساساً ، بل هى الوحيدة التى تجلّو الغوامض فى قتله عن ثبت ويقين ، وهى تدلنا كيف أوردته كبرياؤه حتفه ، كأن راوى الحادثة السالفة قد أخذ عنها شيئاً من روحها . فقد روى أبو نصر محمد الجبلى ، كما جاء (فى الصبح المنبى) ، ما عرف عن مقتله ، وكان المتنبي صديقاً له ، ولسنا نريد أن نسرد هنا كلامه كله ، وإنما نقنع بهذه السطور نقطفها من روايته ، وكيف أراد أن يحول المتنبي عن عزمه بالسفر لثلاثي يقع فريسة لفانك الأسدى ، فلم يتحول :

قال أبو نصر : فتلقينته وأنزلته فى دارى وسألته عن أخباره وعمن لقي فى تلك السفرة فعرفنى من ذلك ما سررت به له ، وأقبل يصف ابن العميد وفضله وكرمه وعلمه ، وكرم عضد الدولة ورغبته فى الأدب وميله الى الاداء ، فلما أمسينا قلت : « يا أبا الطيب علام أنت تجمع ؟ » قال : « على أن اتخذ الليل مركباً فإن السير فيه أخف على » ، قلت : « هذا هو الصواب » رجا أن يخفيه الليل ولا يصبح إلا وقد قطع بلدأ بعيداً ، وقلت له : « الراى أن يكون معك من رجال هذه البلدة الذين يعرفون هذه المواضع الخيفة جماعة يمشون بين يديك الى بغداد » فقطب وجهه وقال : « فما تريد بذلك ؟ » قلت : « أريد أن تستأنس بهم فى الطريق » قال : « أنا والجزار فى عاتقى فإبى حاجة الى مؤنس غيره » قلت : « الامر كما تقول ولكن الراى الذى أشرت به عليك » فقال : « تلويحك ينبىء عن تعريض ، وتعريضك ينبىء عن تصريح فعرفنى جليلة الامر » قلت : « ان هذا الجاهل فأنك الاسدى كان عندى منذ ثلاثة أيام ، وهو غير راضٍ عنك لأنك هجوت ابن اخته ضبة ، وقد تكلم بما يوجب الاحترار والتيقظ ، ومعه أيضاً جماعة نحو العشرين من بنى عمه ويقولون مثل قوله » فقال غلامه : « الصواب يا مولاي ما أشار به أبو نصر خذ معك عشرين رجلاً يسبرون

بين يديك الى بغداد ، فان ذلك أحوط ا « فاعتاظ أبو الطيب من غلامه غيظاً شديداً وشمته شتماً قبيحاً ، وقال : « والله لا أرضى أن يتحدث الناس بأني سرت في خفارة أحد غير سيني » .

قال أبو نصر : فقلت : « يا هذا أنا أوجه قوماً من قبلى في حاجة لى يسرون بمسيرك وهم في خفارتك » فقال : « والله لا فعلت شيئاً من هذا » ثم قال : « يا أبا نصر أبنجو الطير تخوفنى ومن عبيد العصا تخاف على ؟ والله لو أن مخصرنى هذه ملقاة على شاطئ الفرات ، وبنو أسد معطشون لحس وقد نظروا الماء كبطون الحيات ، ما جسر لهم خوف ولا ظلف أن يرده . معاذ الله أن أشغل فكرى بهم لحظة عين ا » فقلت له : قل : إن شاء الله « فقال : « هى كلمة مقولة لا تدفع مقضياً ، ولا نستجلب آتياً » ثم ركب فكان آخر العهد به ولما صحح عندى خبر قتله وجهت من دفته ودفن ابنه وغلمانه ، وذهبت دماؤهم هدرأ ا .

ألمست ترى في هذه الرواية وهى من صديق جليس للمتنبي كيف أنافته جنت عليه ، وكبرياهه أزهقت روحه ؟ وألمست تلمس فيها لمس اليد ما تجلى في شعره من ضروب العجب والزهو والخيلاء ؟

إن أكن معجباً فعجبٌ عجيب لا يرى فوق نفسه من مزيد ا
لو لم يك متكبراً محباً للعظمة ، مغرماً بالصيت ، وكانت كبرياؤه تأخذ عليه كل فج وصوب ، لما ادعى النبوة ودعى الناس الى الإيمان به ، ولما ذهب الى كافور يتمسح به أملاً أن ينال منه ولاية على مقاطعة في مصر ، ليتسنى له من بعدها - (ولنعد الى التخمين والحدس إن لم يكن منهما مفر هنا نظراً للمظاهر) - الايقاع بكافور ، ف شعر به الاسود فطاله ، ولما تغافل عن نصيحة صاحبه الجبلى ونفر من مصاحبتة لاحد في تلك الفيا فى الموحشة . فالتوافق الذى يبدو هنا وفى أكثر الاحيان بين قوله وفعله من حيث الامتانة فى حب المجد والعظمة والجاه والسلطان - لا من حيث الجود وكثرة الجنود والبنود وهو ليس منها على شئ صحيح - هو ما حقق لدينا قول الناس فيه ، وانها لهما لا يتناظر فيها أحد .

ونحن نود هنا أن نتحدث عن متناقضاته ثم عن صفاته ، ونتطرق بعد ذلك الى ما يستقر في شعره من الفوائد الخلقية التى يمتاز بها عن سواه .

لعل أبرز ما فى صفات المتنبي : الادعاء ، والادعاء الكاذب شرمقنى وأذل مرشد .

غير اننا نرشد شاعرنا عنه ولا نراه يدعى عن عجز ووهن في نفسه مثل غيره ، وهذه وقائعه وأفعاله تنبئنا بشهادات كثيرة لا نعرف قرب أغلبها أو بعده عن الحقيقة ، لكن الكثيرين يؤكدون صحتها ، فان كانت كذلك ونزلنا عند رأيهم وجدنا ادعاء وخوفه من تخرصات الناس الذي حمله على ركوب المركب الخشن وتعرضه للاذى كما قال لغلامه : « والله لا أرضى أن يتحدث الناس بأني مرت في خفارة أحد غير سيني » ومهما يكن من تخوفه من حديث الناس فلا ينبغي انه كان في قرارة نفسه شيء كثير من الشجاعة وهو القائل :

ما أبعد العيب والنقصان عن شرفي أنا الثريا ، وذان الشيب والهرم !
أتراك تريد ممن يصف ذاته بالثرى أن ينحط الى الثرى الى دركات السوق فيقنع بالكفاف من العيش أو يفر من القتال وهو الذي يدعى أنه يأبى أن يعد بين من يعيش بينهم من الناس أهل زمانه ولو كانوا سادة وملوكا ، وانه كالتبر لا يضيره أديم الارض الذي يحيط به :

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام !
أرانب غير انهم ملوك مفتحة عيونهم نيام !
ولكن الذي يدهشك فيه بعد كل هذا الادعاء - وكلم له من جولات فيه ا - وما كلفه هذا الادعاء في مواطن عدة من بدء ادعائه النبوة حتى حقه ، كما أسلف القول ، أن نشهده يرضى بالتزلف الى كثير من الأمراء ، وينشد مدائحهم ، وأنت تعجب كيف يترفع عن الدنيا ، وكيف يعود فيلحف في طلب المال من باب مدح الملوك والعطاء ، فتراه يتدنى حتى الى ذل السؤال ، ولو كان السؤال مسبوكاً في صيغة الفخر ، حتى لو راعينا ظروف زمانه ولجوء كافة الشعراء الى المديح واطراء الكبار ، لا نقدر أن نغفل قوله لسيف الدولة :

- أجزني اذا أنشدت شعراً ، فأتما
بشعري أناك المادحون مرددا !
ودع كل صوت غير صوتي ، فإني
أنا الطائر المحكي ، والآخر الصدى
تركت الشرى خلفي لمن قلّ ماله
وأنعلت أفراسي بنمائك عسجدا
وقيدت نفسي في ذراك محبة
ومن وجد الاحمان قيدا تقيدا
إذا سأل الانسان أيامه الغنى
وكنت على بعد جعلناك موعدا

ومهما يكن من تغنيه بفضلله ، ومضاء شاعريته ، ونهكمه على سائر الشعراء الذين يمدحون سيف الدولة ، أترانا لا ندرك في أبياته هاته لهجة الإخفاف في الطلب وان المال هو الغاية والمنى والطلب ، وانه لولا المال لما ترك السرى خلفه لمن لا مال له ؟ انه سقوط وانحطاط على كل حال من المرتبة التي لا يود هو الانحدار عنها ، والتي لا يرضاها له أحد من محبيه . ولكننا إن عذرناه مع سيف الدولة لكثرة نعماء هذا عليه ، وعيشة الأعوام الطوال معه ، أفرانا نعدده أيضاً مع كافور الاخشيدي ؟ ان هذا التهاك على استدرار جود كافور ، وتحمل المشاق في طلبه من دمشق حتى ديار مصر ، لا إخاله يرفع من قدر أبي الطيب ، ومهما حاول المداينة في أبياته التالية ، ان المنّة ليست من خصائص كافور ، فالقصد فيها واضح وضوح النهار وبأسلوب كثير اللجوج ، شديد الضراعة ، بل فيها شيء من الرياء :

إذا الجود ، لم يرزق خلاصاً من الأذى فلا الحمد مكسوباً ، ولا المال باقياً
وللنفس أخلاقٌ تدلُّ على الفتي أكان سخاءً ما أتى أم تساخياً
أقل اشتياقاً أبها القلب اربما رأيتك تصنى الودّ من ليس صافياً
خُلقت أوفاً لو رجعت الى الصبي لفارقت شبي موجع القلب باكياً
ولكنّ بالفسطاط بجرّاً أزرته حياتي ، ونصحي ، والهوى ، والقوافيا
وأغرب من هذا كله انه ، وهو الذي مدح سيف الدولة وانقطع اليه دهرآ ، ومدحه مدحاً عظيماً ما الى مثله من سبيل ، يعود حيال كافور فيعرض به خفية ، بينما لا يترك في مدح مولى بنى عباس الأسود زيادة لمستزيد ، حتى نخال السجود له أضحى واجباً :

قواصد كافور ، توارك غيره ومن قصد البحر ، استقلّ السواقيا
فجاءت بنا انسان عين زمانه وخلصت بياضاً ، خلفها ، وماقيا ١

ولا يكاد كافور يماطله ، ويسوّف في وعوده ، حتى نبصر المتنبي ينقلب عليه بأشدّ مما انقلب على سيف الدولة أو سواه ، ويفدو لا يرى كلمات تؤدى حق التأدية جميع مدمات العبد ، ولشدة غيظه وعظم اندفاعه فيه ينكفئ على مصر وأهلها ، كأنهم هم الذين أغضبوه فيصبّ عليهم جامات غضبه أيضاً ، وهذا دليل استرساله في عواطفه الى أبعد منتهى :

انى نزلتُ بكذابين ضيفهم
 جودُ الرجال من الأيدي، وجودُهُم
 عن القرى وعن الترحال محدودُ
 من اللسان ، فلا كانوا ولا الجودُ
 ما يقبض الموتُ نفساً من نفوسهم
 إلا وفي يده من ننتها عودُ
 أكلنا اغتال عبدُ سوء سيده
 أو خانه ، فله في مصر تمهيدُ ؟
 صار الخصى إمام الآبقين بها
 فالحرُّ مستعبدٌ ، والعبدُ معبودُ
 نامت نواطيرُ مصر عن ثعالبها
 فقد بَشِمْنَ ، وما تفى الضناقيدُ
 الى آخر تلك القصيدة التى هى نسيح وحدها فى القدح والمهجاء .

وانه ليدعشك فى هذه القصيدة أنه بدأها بالفخر ، ولست أدري أين هذا
 الفخر الذى يجوب له الانسان القفار ، ويتجشم لأجله وحشة القياى وجفاوة الصحارى
 ليرد امرأاً مثل كافور ، يعلم عنه ما يعلم ، ثم ينسكى عليه اذا لم يجزه كما يريد ؟
 لولا العلى ، لم تجبُ لى ما أجوب بها وجناء جرف ، ولا جرداء قيودُ
 هذا التناقض ، لا بين القول والعمل فقط ، بل بين فعل وفعل آخر ، غريب
 وغريب للغاية . وانها معضلة مهمة فى أخلاق المتنبي ، قد تدلنا على غرابة أطواره
 أو تجعلنا نظن أنه يتأثر ببعض عوامل فيتدبرها ويتقياها ، لكن من منا يعلم اليوم
 حقيقة ظروفه وملابساتها الاضطرارية ؟ لكنه إن كان يعتقد ما يقوله فى شعره ،
 وما يؤيده فى أعماله فى ظروف شتى ، فلماذا يكذب ذاته بذاته وبالأعمال الناطقة
 أيضاً ؟ أكان يعرف مبلغ هاته التناقضات ، وكما هى تجلب عليه من حديث الناس
 وهو ما كان يتوقاه ؟ أكان يحس بها يا ترى ويعلم حقيقتها ؟

لا أراى إلا قائلاً ومتسائلاً ، ما عناء بول بورجيه فى مقدمة روايته (شيطان
 الظهيرة) عند ما قال : « ان الذى يكذب ، ويدرى كذبه يمكنه أن يمقت علته
 ويصلح من شأنه ، ولكن ماذا فيمن يكذب ولا يدري عيبه ؟ » فهل عنى المتنبي
 فى مجازفته الأخيرة فى القتال اصلاً لا خطأه السالفة ، واثباتاً لعقيدته السامية
 وحداً لتقولات الناس ؟

أترأه أيضاً كان يجمع فى ذاته صفات الشخصيات المزدوجة ، ولا أعنى أبداً أنه
 كان مرأياً ، بل مسيراً بطييعتين جاحتين متبايفتين ، أى : أكان يودّ — لو تم
 له — العيش حياة محترمة زينة لا يدرنها اللجوء الى هذا أو ذاك ، كما كان قصده

الأولى الذى دفعه لادعاء النبوة ، فلما أخفق فيها دفعه ذات حب السيادة والعظمة والمال من حيث لا يدري الى مدح الملوك والأمراء والوزراء والعظماء محاولاً ألا يفقد شحمه وأباه ، أو يرضى التظاهر بالضعف أمامهم فى هذا المديح والطلب ولا يقبل منهم أدنى انتقاص لقيمتهم ؟ أسئلة قد تبقى فى فؤاد القدر الى الابد !

انه يلوح لنا أيضاً كأن المتنبي من الناس المتناهين فى عواطفهم يندفعون بها حتى النهاية القصوى ، يحبون كل الحب أو يكرهون كل الكره . فعند ما تراه يمدح أحداً يرفعه الى الطباق السبع ، وإن هجم خفس به الأرض الى هاوية الجحيم . هكذا كان عند ممدح سيف الدولة (ثلث شعره) وكافوراً وأبا شجاع فاتكاً وأبا العشائر وبدر بن عمار وابن العميد ، لم يترك كلمة فى المديح إلا قالها فيهم . وهاك شيئاً من بعض أمثلة من أشعاره ، تدل على تناهيه فى عواطفه ، واندفاعه معها فهذا سيف الدولة رجل تفرق لمرآه الملوك ، هو البحر يكنّ فى جوفه الدرر والآلى ، وهو عين أعياد العالم !

| | |
|-----------------------------------|-----------------------------------|
| هو البحر غصّ فيه ، اذا كان ساكناً | على الدرّ ، واحذره اذا كان مزبداً |
| فانى رأيت البحر يعثر بالفتى | وهذا الذى يأتى الفتى متعمداً |
| تظل ملوك الأرض خاشعاً له | تفارقه هلكى وتلقاه سجّداً |
| وتحى له المال الصوارم والقنا | ويقتل ما تحى التبسم والجدا |
| هنيئاً لك العيد الذى أنت عيده | وعيد لمن سمى وضحى وعيداً |
| ولا زالت الأعياد لبست بعده | تسلم مخروفاً وتعطى مجدداً |
| فذا اليوم فى الأيام مثلك فى الورى | كما كنت فيهم أوحداً كان أوحداً |

واذا أردت كافوراً رأيته قد جمع فيه كافة المفخر ، واذا العبد أشرف وأعز من قبائل عدنان ويعرب واليه تفتى المحاسن فى الورى ، واذا من تن أبطيه يخرج المسك ، واذا الغيث الهطل من بعض فضله ومنه أو أقل :

أبا كل طيب لا أبا المسك وحده وكل سحاب لا أخص الغواصيا

قالوا : « هجرت اليه الغيث » قلت لهم : « الى غيوث يديه والشآبيب »

وبغينك عما ينسب الناس أنه اليك تناهى المكرمات وتنسبُ
 وأى قبيل يستحقك قدره معدُّ بن عدنان فذاك ويعرب^(١)
 أما اذا انقلبت الى بدر بن عمار فاعجب له يؤلمه ويفضل كلامه على الفرقان
 وللتوراة والانجيل :

لو كان علمك بالآله مقسماً في الناس ما بعث الآله رسولا
 لو كان لفظك فيهم ما أنزل الـ فرقان ، والتوراة ، والانجيل
 هكذا هو مديحه ينطلق من عنانه حتى المنتهى ، حتى المستحيل ، وكذلك هو في
 هجائه فاذا هو عندما انقلب على كافور لا يترك له رجاء في محبة أو معزة في مكربة
 فقد أودع هجاءه له كل كلمة لازعة من قدح وذم وجدها في قاموس فكره ، وقد أوردنا
 بعضها قبلاً . وأعجب له حين مات أبرشجاع كيف رثاه قادحاً في كافور فاذا « بأبي
 المسك » ينقلب جيفة نتنة واذا الصادق الجواد الذي لا يعرف غير الجود عن
 سخاء وكرم يصير أكذب كاذب ، جوده بالقول لا باليد :

قبحاً لوجهك يا زمانُ فانه وجهٌ له من كل قبح برقعُ
 أيموت مثل أبي شجاع فأتك ويميش حاسدُهُ الخصى الاوكمُ
 أيدي مقطعةٌ حوالى رأسه وفقاً يصيح بها : ألا من يصفعُ !
 أبقيت أكذب كاذبٍ أبقيته وأخذت أصدق من يقول ويسمعُ
 وتركت أنتن ريحة مذمومة وسلبت أطيب ريحة تتضوُّعُ
 واذا انصرف الى هجاء ابن كيغلف كال له من ذات السكيل ، وهل تراك تريد أقصى
 من هذا ؟ :

يقلى مفارقة الاكف قذالهُ حتى يكاد على يدٍ يتعمَّمُ

(١) ما أغرب المتنبي هنا فقد رفع كافور الاسود فوق العرب بينما لم يمنح هذا
 الفخر لسيف الدولة وهو من ربيعة حين مدحه بقوله :
 تشرف عدنان به ، لا ربيعة وتفتخر الدنيا به ، لا العواصم

وجفونه ما تستقرُّ كأنها مطروقةٌ ، أوفتَ فيها حصرمُ
 وإذا أشار محدثاً فكأنه قد رثَ يقهقه أو عجوزٌ تلطمُ
 وتراه أصغر ما تراه ناطقاً ويكون أكذب ما يكون ويقسمُ

أو أنظر إليه في هذه الآيات ، كيف يصف صاحبه :

كذا خلقتَ ومن ذا الذى يخالف ربّة ؟
 إن أوحشتك المعالي فإنها دارُ غربه
 أو آنتك المخازي فإنها لك نسبة ١

في المدح والقدح على السواء كان سباقاً الى التقاط كل كلمة نادرة قصوى تؤدى
 أشد معنى . فالوسط لا يتطرقه ، بل لا يعرفه ، ولالفاظه قوة ومضاء وعزيمة كأنها
 أشخاص حيّة تتحدث وتنطق فهمي أناس صُبَّت في صور ألفاظ ، ورجال كوَّنت في
 هيئة كلمات . فالناس من ملوك وكرام وامراء وعظام وعبيد ولثام وجبناء وبهائم
 تكاد تراهم في شعره رأى العيان ، والصفات من بسالة وكرم ونبل وشرف ونذالة
 وانحطاط ودناءة وخباثة تكاد تلمسها في ألفاظه لمس اليد ، وانه لمصور ماهر فدّس ، بل هو
 عبقريٌّ ليس له ثاب ، كما قال عنه الطبسى بحق :

ما رأى الناس ثابى المتنبى
 أى ثابى يرى لبكر الزمان
 هو في شعره نبى ، ولكن
 ظهرت معجزاته في المعاني

كان فيه أيضاً أنانية وجشع ويخل كما يروى عنه الرواة ، مع انك لانتم على تى
 منها في شعره إلا قليلا ، وإن علمت أنه يحب المال حباً عظيماً من لجه في السؤال
 لكنك لا ترى فيه ثناء على البخل وهو القائل :

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقرٍ ، فالذى فعل الفقر

وأنت لا تدري أصادقون هؤلاء الرواة ام كاذبون في تدارهم بحوادث بخله ، خاصة
 ماجاء في حديث أبى بكر الخوارزمى عن قطعة النقود التى تخلت خلل الحصير من المال
 الذى صب بين يديه عليها من صلات سيف الدولة ، فأكب عليها بأجمعه يعالجها
 وينقرها حتى أنقذها وقد أدمى أصبعه ، ولما عوتب فى الأمر قال : « انها محضّر

أما جشعه فيستدل عليه من لحاقه بكل من بسطت راحته وجادت يده ، ورجاؤه فيهم أن يكون شاعرهم الأوحده ، وهو شيء من حب الذات عظيم . وكما انقطع عن سيف الدولة عند ما كان يراه يمالئ شاعراً آخر عليه مما حمله على القول :

أنى كل يوم تحت ضنبى شويعر^١ ضعيف يقاوينى ، قصير يطاول ؟
ثم قوله الصريح لسيف الدولة :

أزل حسد الحساد عنى بكتبهم فأت الذى صيرتهم لى حسداً

أدلينا هنا ببعض نواذر من حيث تناقض بعض أقواله مع بعض أعماله ، ثم تناقض بعض أعماله مع بعض أفعاله الأخرى ، وانها لتمس سمعته بعض المس ، وتؤثر في قوة شخصيته وغنفوانها البادى بين سائر الشعراء ، فقيمة الكلام تقاس بصاحبه ، أو بالأحرى أن ملام الشخص يزداد أو ينقص فى أعماله وأقواله ، بحسب قيمة نفسه فى عينه أو فى عين الناس ، وما يلام لاجله امرؤ لا يؤبه له فى آخر ، وهو ما يجعل وزر المتنبي كبيراً فى تناقضاته . ومع أن أعظم عيب فى المتنبي هو ادعاؤه المفرط ، والذى لا نجد له عذراً فيه ، لكنه فى رأينا لا يضير على الأرجح القارئ المتكسب ولا يؤذيه فى شخصيته ، بل لعله يفيد الضعفاء إن علموا كيف يستغلونه عن فطنة ودراية .

ومع كل ما ارتكبه المتنبي من متناقضات فهو من جهة الاخلاق فى شعره على أعلى ذروة بين شعراء العرب القدماء ، فلم يكن للمجون والهزل اليه من سبيل فشعره شعر الجد ، شعر القوة ، شعر العظمة ، لاشعر الضعف والتخنث . وهذا ما أبعد عن صفاته الخلقية ما يشين المرء من الانغماس فى الملاذ ، بل بالأحرى أن نزاهته وعفته وكبرياه هى التى طهرت شعره من كل عوامل الفساد ، فليس فيه ما يوحى بالحطه والابتذال ، حتى فى سؤاله يحاول الترفع ، كما أسلفنا القول ، وانه ليوثر فى صفاته الشخصية من جهة ادعائه وكبرائه لا من جهة مستوى الأخلاق المادية . فإذا جئنا نستوضح المتنبي على وضوح نور الآداب - والشاعر بسلامة ايمانه وصحيح نصحه ، لا برنين ألفاظه وانسجام كلامه وجزالة قصائده . فما الانسان إلا بما يوحىه الى الغير من خير أو شر - وبينما يجب أن نراعى ما كان يستلزم عصره ، وما هو مستوى الآداب فى ذلك الحين ، فلعل عصر ذوقه وحضارته ، ولكل زمن آفته .

يجب أيضاً أن نحصيه على نور الاخلاق كما تفهمها بعقل الزانة والحكمة ، لا كما يريدونها الذين يندفعون وراء المصرية الهوجاء

إني شخصياً لا يهمني من المرء إلا ما في أخلاقه ، ومن النظرة الاولى التي أوقعها عليه أريد استشفاف ماهية آدابه وكنه ثقافته ، ولا أزال به حتى أدرك غايته فاما صداقة وإما بماد . كذلك أنا مع الكتبة والشعراء خاصة وعلى منابهم يحملون مهمة شاقة خطيرة ، وقد يكون أثرهم على ضعفاء الارادة ليس له رتق . ولعله مما يزيد قيمة شعر المتنبي خلوه على الأغلب من كل عنصر يفسد التربية ، ويؤثر على النشأة لولا تلك الحدة في هجائه التي تدفعه الى الزلق أحياناً الى مواطن نضنّ به الى أن يصل اليها .

إذا فحسنا قصائد المتنبي فقلما نرى فيها ما يحملنا على الظن بفساد الأديان ، أو الشك بوجود الله (وخافة الله هي أهم شيء نهتم له ، وقد قيل : « رأس الحكمة خافة الله » ومن الواجب أن نبحث في هذا العصر عن كل شيء يسمو بنا عن المادية القبيحة التي نتردى في أقذر أوحالها وأن نزرع في النفوس هذا الشيء الروحاني) فاعتقاده فيما وراء الحياة يكاد يكون مجهولاً لدينا ، لكننا لا نظنه كان كافراً لكثرة ما ورد في شعره من ذكر اسم الله الكريم ، رغم اعتقاد البعض أنه كان من الشاكين بدليل وجود مثل هذه الآيات التالية :

تحالف الناس حتى لا انفاق لهم . إلا على شجب ، والخلف في الشجب
فقليل : تخلص نفس المرء سائلة . وقيل : تشرك جسم المرء في العطب

« • »

تدخل أيدينا بأرواحها على زمان هنّ من كسبه
فهذه الارواح من جوّه وهذه الأجسام من تربه

ليست هذه الآيات دليلاً حسيّاً ، أو دليلاً يقيناً ، ونحن لا نودّ أن نبني حكماً على الحدس والتخمين من وراء كلمات قد تكون أوصلت على عواهنها في ساعة تأثر لأننا لا نظنّ أن المتنبي كان يهتم في نفسه سرّاً لا يود اظهاره للناس خوف أذا هم له ، فإكان من هؤلاء الذين يأخذون بالتقية ومداراة الناس ، وهو من كان يستشعر القوة في أعماله كلها أو أكثرها ، وما كان يأبه أن يعلن آراءه صراحة فيمن يكرههم من الناس . والذي ادعى النبوة ، لا يهاب التصريح باعتقاده فيما وراء الحياة

لو أراد وشاء . ولا نظن أحدا يبحث في المتنبي وأعماله إلا ويرى فيه هذه الصراحة
فلو كان له رأى معلوم لصرح به ، غير أن أكبر الظن أنه ما كان يميل الى مثل
هذه المباحثات خوف ما تثيره في النفوس من أمور قد تؤدي بالقليلى المعرفة الى
الاحقاد ، فضلا على انه يبدو لنا انها لم تكن تهمه بعد التجربة القاسية التي جربها
وربما هذا ما عناء بقوله :

وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا وَمَهْجَتِهِ أَقَامَهُ الْفِكْرُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالْتَعَبِ

وفي أشعاره ما ينبىء عن ايمانه بالله ، وربما كان يعنى قوله حقا ، فقد أشار فيها
بالالتجاء اليه تعالى ، لأن فيه العضد ، وفيه العون ، وأكثر ما يظهر ذلك في المراتي
كما هنا :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِشَخْصٍ مَضَى كَانَ نِدَاءُ مَنْتَهَى ذَنْبِهِ

« . »

صَلَاةُ اللَّهِ خَالِقِنَا حَنُوطٌ عَلَى الْوَجْهِ الْمَكْفَنِ بِالْجَمَالِ

« . »

جزاك ربك بالأحزان مغفرةً ! خزن كل أخى حزن أخو الفضب

لو دأبنا بينه وبين المعرى - وكان هذا من أشد المعجيين به - لوجدنا فرقا
شاسعا ليس له الشام : فالمعرى يقول بصرح العبارة أن لادين ولا إله وما كل معتقد
إلا إفك وبهتان ، وحسبنا منه هذه الآيات :

دينٌ وكفرٌ وأنباء تقصُّ ، وقرآ نٌ ينصُّ ، وتوراةٌ وانجيلٌ
في كلِّ جيلٍ أباطيلٌ ملفقةٌ فهل تفرِّدَ يوماً بالهدى جيلٌ ؟

« . »

أُفَيْقُوا ! أُفَيْقُوا ! يَا غَوَاةَ فَاغَا دِيَانَاتِكُمْ مَكْرٌ مِنَ الْقَدَمَاءِ

أرادوا بها جمع الخطام فادركوا وبادوا فماتت سنة الثؤماء !

وكم له غير ذلك من تعريض بالانبياء والرسل وأديانهم ، مما لانود الاسترسال
فيه ، ومهما بدا منه في آيات من ايمان ، فنحن نعلم انه كان يأخذ بالتقية وينصح بها
فربما اضطرته في بعض الظروف أن يقول ما قال ، فضلا على أنه لم يكن كالتنبي شاعرا
عاطفيا ، بل كان شاعرا مفكرا فيلسوفا ، وهنا وجه اللوم عظيم . أما المتنبي فكان أعف

لفظاً وأكثر تأديباً ، عن أن يحمل ما في نفسه الى نفوس الغير ، والذي نستخلص منه دون أن نعلق على أقواله فيما وراء الحياة كبير أهمية - للظروف والمناسبات الاضطرابية التي يكون قد قالها فيها أو أنها صدرت عفواً كما أوضحنا قبلاً - أنه أبعد عن أن يؤثر في عقيدة قارئه ، فربما أيضاً لم يكن مؤمناً في ذاته ، لكن ليس في أقواله ما يشتم منه رائحة الشك في ضغط وتأثير ، وربما كان المعري مؤمناً في ذاته ، لكن القليل من نبرته يحمل على اليقين ، بينما الكثير ينفث الشك المبين . فأى الشاعرين أفضل ، لامن جهته ، بل من جهة القراء ؟

وما دمنا قد وازنا بين المعري والمتنبي فيما وراء الحياة ، فلنر أيضاً بماذا يفضل فيه شاعرنا اليوم شاعر المعرة في جهات آخر : فالمعري شاعر متشائم ، شاعر يأس ماول من الحياة ، التي لم تمنحه إلا أتعس ما في جرابها ، ولم يكن في نفسه رغم فلسفته ما يحمله على السمو فوقها ، بل كان يروح تحتها ، فيئن ويتألم ويتبرم ويكشف عن مصائبه وقلما كان ينتصر ويتجالد ، وفي كثير من أبيانه تشعر به كأنه يتنفس : أ ف ا ف ا ف ا ف ا وهذا يعود الى أصل نشأته ، فقد ولد بائساً ، وفوجيء في صغره بالعمى وكان يستشعر بالمذلة من كل من يحيط به ففرست في نفسه ، وصارت جزءاً منه . والإنسان يسوغ نحو بيئته ، وإن ثار عليها بقي أثرها فيه مهما حاول التسكر لها ، والمعري في ثورته على التقاليد المحيطة بها إنما يشور لأن التقاليد الحديثة التي فيه والقديمة في العالم هي التي حرضته على تقاليد بيئته التي أخرجته منها ، أو جعلته بأعمالها يشعر أنه ليس عضواً فيها .

أما صاحبنا المتنبي فلم ينله من الهوان بعض ما ناله ذاك ، وإن يكن قد دخل المجن وأصابه بعض عذابه فإنه قد يعدّ هذا استشهاداً في سبيل عقيدته ، أو على الأقل اضطهاداً له للحيولة بينه وبين غايته الشائخة مهما كانت دوافعها الحقيقية . وهو لم يشعر أبداً بنفور بيئته منه أو باحتقارها له ، فهو شاعر القوة لا يطأطئ رأسه بل يحارب بكل قواه ويمجد لذّة في الجلال ، وهو الذي يتمنى « ضرب اعناق الملوك وأن ترى له الهبوات السود » .

فبينما نرى اليأس متجلياً في أشعار المعري يتمنى الموت وهو في ثلاثة سجون كما وصف ذاته :

أراني في الثلاثة من سجونى فلا تسأل عن الخبر النبئ
لفقدى ناظرى ، ولزوم بيتى ، وكون النفس في الجسم الخبيث

حتى نراه يقول بيأس وحرقة طالباً الموت لكل مولود :

فليت وليداً مات ساعة وضعه ولم يرتضع من أمه النفساء !
بل انه طلب أن يكتب على قبره كلمة كلها قنوط وشكوى من الحياة :
هذا جناؤه أبى على م وما جنيتُ على أحد
أما المتنبي فنراه غير ذلك ، وهالك بعض أبياته :

عرفتُ الليالي قبل ما صنعت بنا فلما دهنتى لم تزدنى بها علما
« . »

كذا أنا يا دنيا اذا شئتِ فاذهبي ويا تقس زیدی فی کراہا قدما !
« . »
تريدين لقيان المعالي رخيصة ولا بدّ دون الشهد من إير النحل
« . »

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود !
فرؤوس الرماح أذهبُ للغيب ظ وأشفي لغلّ صدرِ الحفودِ
فاطلب العز في لظى ، ودع الدل م ولو كان في جنان الخلود ! (١)

ولسنا نريد أن نسترجع في سرد الشواهد من كلا الشاعرين وهي كثر ، ونقتنع
بالقول أن أهمي المعرفة يحمل في يمينه كأس التشاؤم بفلسفته العميقة الغامضة ،
وهو قد لا يفيد إلا كل قوى الشكيمة ، متين العقيدة ، صلب الإرادة ، لا تخدعه
الالفاظ الواهجة . بينما المتنبي ، وهو شاعر القوة ، خير صديق للضعفاء لأنه يمنحهم
القوة على مجادلة الأيام ، ومقارعة الخطوب ، كما أنه لا يتعرض للعقائد . ففي المتنبي
إذن تفضيل وسمو على المعرى .

(١) هذا البيت كأنه مأخوذ من قول عنتره :

لا تسقني كأس الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أطيب منزل

وكنا كتبنا منذ ست سنوات في مجلة (الكلية) بحثاً عن عنتره وذكرنا أننا قد
نقابل بينه وبين المتنبي لما بينهما من تشابه في بعض المواطن ولم نتمكن حتى اليوم ،
لكن لعل الفرص تواترنا عن قريب .

من خواص شعر شاعرنا هذا ، صيغة الحزم البادية في شعره ، فهو لا يتدنّى حتى في غزله — وهو قلّة — إلى ما وصل اليه كافة شعراء الغزل . أما المجون الذي يرفع لواء زعامته أبو نواس وبشار بن برد وأبو دلامة فهذا ما يستنكفه أبو الطيب ويأبى الانحدار اليه . وهو الذي يكره الحُرّ ، ويسمو بنفسه عن كافة الناس أن يفعل ما تفعله الناس ، وإنّ هذا الترفع من متانة خلقه :

فَوَادٍ مَا تَسْلِيهِ الْمُدَامُ وَصَمْرٌ مِثْلُ مَا تَهْبُ اللَّثَامُ

وللسرّ منى موضعٌ لا يناله نديمٌ ولا يفضى اليه شرابٌ

وما العشق إلا غرّةٌ وطاعةٌ يعرض قلبٌ نفسه فيصابُ

وغيرُ فَوَادٍ للغواني رميّةٌ وغيرُ بناتٍ للزجاج ركابُ

وفي شعره صفات الكرم والجود ، وقد روينا عن نجله شيئاً ، لكننا لا نراه في قصائده ينصح به ، وهو تناقض آخر بين العمل والقول ، لكنه تناقض ممدوح ، وليس يضيرنا هذا ، فإن فائدة قارئه فيما يلح به بين السطور من الحُصْنِ على المكرمات وإن الجود محمّدة ، ما دام لا يخرج عن الحدود ، كقول القائل :

ما بين تبذيره وبحلّ رتبةٍ وكلا هذين إن زاد قتلٌ

ولولا شدة قدح أبي الطيب في الناس ، وتخيّر الكلمات النقال في ذمهم ، ولولا الحقد العظيم الذي ينفثه تنقلاً هائلاً في هجائه اللاذع لما كان في شعره نقصٌ يذم عليه من جهة الأخلاق ، فشرُّ مقتنى أن ينشأ الإنسان على الغلّ والحقد ، وقد لا يكون المتنبي ممن يضمرون الشر لأحد ، ويحفظون الضغينة في قلوبهم ، لكن وحي شعره في نفس قارئه لا يدل على غير هذا ، فيا حبذا لو كان خلا من هذا الوحي النميم ، ويا حبذا !

ولسنا نريد أن ننسب إلى المتنبي ما ليس فيه بمناسبة هذه الذكرى الالتمية لوفاته ونظريه منساقين مع التيار ، بل نود أن نقول ما نعتقد فيه حقاً ، دون أدنى افتئات ودون أدنى تمويه للحقائق ، حين نقول ، إننا لا نراه إلا غرّة الفرد في جبين الشعر العربي القديم ، ليس فقط بحزالة شعره ، ومتانة تعبيره ، وإنما أيضاً بما يوحيه — باستثناء لاذع هجائه — من مكارم الأخلاق ومحامد الصفات .

مهيب سليم كبير

بركات — السودان :



الألحان الضائعة

للشاعر حسن كامل الصيرفي

قبل أن أتحدث عن شاعرية الصيرفي أرى من الملائم أن أرسم صورة لنفسية هذا الشاعر ومزاجه ، لأننا إذا فهمنا الصيرفي الرجل فهمنا شاعريته تمام الفهم .

وعلى قدر معرفتي الحديثة بالصيرفي يمكنني أن أقول في غير ما خطأ إنه شاب تغلب عليه الكآبة ، ويطغى عليه المزاج السوداوى ، وهذا الطبع كوّن حياته وكوّن شعره باللون القاتم . ولقد تضافرت الظروف السيئة عليه فزادت كآبته إذ أصابته في أول حياته نكبة عاطفية قاسية ، وتلتها نكبة ثانية لا تقل عنها قسوة ، وهاتان الحادثتان كانتا سبباً لقتام نفسه وإدجان خواطره ، وقد تجلّى هذا المزاج في ديوانه (الألحان الضائعة) في أغلب القطع ، ففي قطعة « ربيع كالخريف » يقول في أمسى عميق :

هو لربيع ... ولكن أين بهجته وأين ما كنت ألقى في معانيه
هو الربيع ، ولكن لا أحس به ولست أشعر شيئاً من معانيه

ويخيم الأمسى والحزن في قطعة باكية له جاء فيها :

ما أظن الحزين يطربه الشدو ونار الأحزان فيه تضرّم
هاك فيثارة الحياة عليها أنثر الدمع والأسى والتألم

وأغلب الديوان يضم مثل هذه القطع المحزونة نذكر منها قصائده « كآبتي » (ص ٥٢) وبأذابل الزهر (٧٨) ودعيني (ص ٢٨) . وليست أحزان الصيرفي من

النوع الجافى وإنما هي من النوع السامى الذى يأتى بالمعجزات الفنية والذى يحفزنا الى التفكير الناضج ويعرفنا اللذة الحقيقة . يقول الأديب الفرنسى الكبير اسكندر ديماس « الدموع ضرورة للعبقرية » ، ويقول الفيلسوف الفرنسى ليبنتز ان الحزن السامى يجعلنا نقدر اللذة ، ويجاريه فى هذا القول الفردى موسىه فى « ليالى أكتوبر » .

وها نحن نرى شاعرنا الصيرى يستشف هذا المعنى ببصيرته النفاذة دون رجوع الى أحد إذ يقول فى قصيدته البديعة « دموعى » :

دموعى .. كنت آمالا تمُدُّ القلب بالبشر

وكانت هذه الآما لى كالأنعام فى الفجر

تبددُ وحشة الداجى فيصحو ساجعُ الطير

وأنه فوق ذلك يرى فى الحزن والالْم معنى جديداً عجيباً : يرى الالْم أخلد فى النفس من المسرة وأبقى من ذكريات البهجة إذ يقول فى بيت له :

إنَّ جُرح الآلام أخلدُ فى الذ فس وأبقى من ذكريات الصفاء

ولقد صهرتُ الآلام روح الصير فى فأنضجتها وطهرتها ، وأطافت بها صوفية سمحة حفزته الى تأملاته الساحرة الحنون وجعلته يرسل ألحاناً لا يفهمها إلا كل من يتجاوب مع مثله وكل من يهتز قلبه لتنفس النهر وغناء البلبل وهمس النسيم . إستمع اليه يشرح فنه فيقول :

أنشدتهم من أغاني السماء أناشيدُ تُعزف للخالدين

فضاع الصدى فى فضاء الحياة وذاب النشيدُ وهم يصخبون

وفى الحق ان مثل أناشيد الصير فى تضعيع فى هذا العالم المادى الكثيف وبين نقوس صلدة جامدة هواء . وقد عبّر عن ذلك فى كثير من الديوان فقال فى قطعة « الضحية » :

أنشدتُ كلَّ أناشيدى فما بقيت ألحانها وتولى موتها الصخبُ

وأفصح عن ذلك فى قطعه البديعة « الواحة المنسية » إذ قال :

في ذمة الفن الحانٌ تضيع وفي أصدائها قطعٌ من قلب فتاة
تجرع الألم الداوي خوالة الى ترانيم عشاقه والحان
وترنم بهذا المعنى أيضاً في وحدته إذ قال :

أرسل في الأمسى لحنى فلا يسمعى جارى

ولقد تدخل مزاجه في شعره ، كما ألهمت روحه المتصوفة شاعريته ، وخلعت عليها الصفاء والتأمل ، وفوق ذلك فقد امتزجت بنفسه محبة الفن ، ولهذا نراه ينظر الى الوجود بشعور الفنان ، ويسبح في الدنيا هائماً على وجهه كالرفور السامح في ذهول ، ويحمل قيثارته يعني ألحانه الهادئة المشجية الناعمة الرقيقة المؤثرة ، يحملها اذا تيقظ الفجر أو تنفس الهواء أو غنت الحائم ، ويطلق عليها عازفاً وصدى صوتها سامح كما يقول في الفضاء المجدود ، فاذا ما جنَّ الليل ، واذا ما رقدت أنجمله الساهرة أغمض الشاعر أجفانه ، وجمع أحلامه ، وأنشد قصيدته « حياتي » وهي من أعذب قصائده وأزخرها بالشاعرية الحنون ، وأبلغها في التعبير عن نفسه إذ يقول فيها :

اذا الفجر حرَّرت منى الجفون وأيقظ فيَّ القوى الخائرة
وهب نسيم الصباح العليل يوزع أنفاسه العاطرة
ورنت على راقصات الفصون سواجع كالآتس الشاعرة
صحوت أناجي خيالا جيلاً وفي ناظري رؤى ساحرة
فأخذ قيثارتي في هدوء أوقع الحاني العابرة

وإنا لنجد الصير في تدق شاعريته غاية الدقة ، تتخطف كل مرأى من المرأى الصغيرة ، وتثور في إحساس عجيب لمشاهد لا يتأثر بها الا ذوو القلوب المرهفة الحس ، فلقد تأثر في عودته من عمله عند ما رأى بلبلاً مصاباً برش وملقى في التراب ، فستف على الفور بأول بيت في قصيدته « موت البلبل » قال

ما أتعسَ الفن في حياته وأتعسَ الفن في مماته ١

وبعد أن وصف أغاني البلبل في هدأة الليل وصف ما حتم عليه من الموت بيد الانسان الغادر ، قال :

وبينما البلبل المغنّي يعيد لحناً على هوانه
دوى بجوف الدجى دويٌّ فرُوّع الكون في صلاته
وهلّل الصائد انتصاراً وردد الليل قهقهاته

ومجده أيضاً يألم لرؤية الناس يهصرون الفصون في غير مبالاة وتقطفون الزهر ،
وللفصن والزهر شعور وحياة فيقول :

يهصرون العصون غير مبالين أصمّوا الآذان دون نواحك
يقطفون الأزهار كي ينبذوها بعد حين والزهر ريش جناحك

وإذا تصفحنا ديوان (الألحان الضائعة) وجدناه يفيض بالشعر الاتقاعى الهادئ
الحزين ، وبالشعر الرمزي ، وبشعر الطبيعة ، وليس فيه من شعر الحب العاطفي الا
النادر ، نذكر منه قصيدة « المنديل » وقصيدة « عقب السجارة » وقصيدة
« تحت ضوء القمر » ففي الأولى ناجى حبيبةً أهدت اليه منديلاً وفي هذه القصيدة
زاد الصيرفي تفعية على الوزن الشعري لم تؤثر على موسيقى البيت وإن أطالته وقد
جاء فيها :

أيها المنديل : قد أدركت معنى فيك لم أدركه قبّل

أيها المنديل قل لي ما الذي تدري خيوطك

أنا أدري مرّ إهدائك لي !

وقصيدته « عقب السجارة » التي ناجى فيها حبيبته هي من قصائده الفريدة
ويمكن للقارئ مراجعتها (ص ٤٥ بالديوان) لأن الاقتباس منها عسير لقوة
وحدتها . ومن أعذب وأحلى قصائده العاطفية قصيدته « تحت ضوء القمر » التي
هتف فيها بقوله

ما ألدّ الذكريات لو تكونين معي !

وشعر الصيرفي في الطبيعة ليس بالقليل ، وقد أتى ببعض القصائد في ديوان
(الألحان الضائعة) وانفرد من بين الشعراء المحدثين على ما نعلم بوصف « زهرة
البناسية » Pensee التي جاء فيها :

يا زهرة الذكرى ١ وفيك اسمها ما أجل الذكرى لدى من يصون
 كما أنه وصف السحابة في قطعة له اسمها « السحابة المغترّة » (ص ٤٣) من
 الديوان وهي مثال فريد للشعر الرمزي ، وأنى لألح من خلال أبياتها أنه يقصد
 بهذه السحابة المغترّة بعض الحكام الذي ساموا مصر الحسف في العهد الأخير :
 مَرَّتْ بطودٍ شامخٍ يرتني الى عنان الجوِّ في مُبعدهِ
 تقدّمت منه وفي صدمةٍ سريعةٍ بادت على صلدهِ
 هوت من الجو رذاذاً على جوانب الطَّوْدِ الى مُجدهِ
 ويظهر لي أنه أتى بوصف أصيل للون الزهر وعطره في قطعة « النجمات الساحرة »
 إذ شبه عطر الزهر المتصاعد بأصداء أنغامه الحزينة ، قال :

نعم ! أنت مثلي أيها الزهر مرغم وما هذه الألوان غير شياتِ
 وما العطر الا أَنَّةٌ وتَوَجُّعٌ كأصداء أنغامي ورَجَّع شكائي

وصفوة القول إنَّ الصيرفيَّ شاعر مجدد هادئ الجوهر صافي النفس رقيق
 الشعاعية عذب الموسيقى ، يتنفس ديوانه الأسمى والألم والحنان ، ويدعو
 قارئه الى محبة صاحبه والانجذاب اليه ، ولا يحسبُ القارئ أن هذا الديوان هو كل
 شعره أو هو مقياس نفسيته ومزاجه ، فله ديوان ثانٍ هو « قطرات الندى » يضم
 قصائده مشرقة متفائلة ، كما أن له ديواناً آخر « الشروق » ابتدأ تأليفه في عهد زواجه
 وهذا الديوان يتخلله الاشرار والابتسام والتفاؤل ، وإن كانت تجرّف الكآبة في
 طائفة من قصائده فذلك راجع الى طبعه أولاً والى اخراج القصيدة نفسها كما لو
 كانت صوفية أو تفكيرية مثلاً .

وأخيراً فاني أعتقد أنني لا أعدو الحقيقة اذا دعوت القارئ لأن يلتبس طمأنينة
 نفسه ، وسلام روحه في ظل هذا الديوان الولف الحنون .

مصطفى عبر اللطيف السمرني



الموافق

هذه المجموعة الشعرية من نظم شكر الله الجر أحد شعراء سوريا الذين هاجروا الى أمريكا وله مجلة قيمة اسمها (الاندلس الجديدة) تصدر باللغة العربية في هذه الربوع النائية ، وتدفع عن مجد العرب ، وتخدم النهضة الشرقية الجديدة خدمة مباركة .

ولا يسفني إلا الاغتياب بهذه الظاهرة الطيبة التي إن دلّت على شيء فأنما تدل على أن الأدب العربي ينهض نهوضاً مضطرباً ويلحق الآداب العالمية في نشاط ودأب . ولقد كنت ولا زلت أقرب نهضة الأدب العربي خارج الديار المصرية في اهتمام عظيم ، وكان اهتمامي أعظم بما تجوده به قرائح اخواننا المهاجرين من وراء البحار ، فطربت وهلت من قبل بالمرحوم فوزي المعلوف صاحب (على بساط الریح) كما استبشرت بأبي ماضي صاحب (الجداول) وبشعر فرحات والقروى والياس فنصل .

ويعلب على شعر هؤلاء الاخوان المهاجرين النزعة العاطفية الخالصة ، اللهم إلا إيليا أبو ماضي الذي يكبد ذهنه ويرهف فكره في أكثر قصائده ، ولقد سبق أن سجلت في العام الماضي بهذه المجلة وأنا في معرض نقدي لديوان إلیاس أبي شبكة الأول (القيانة) هذه الحقيقة ، ولا بدّ أن لجو لبنان الرائق ولطبيعته الحسنة دخلاً في هذا الخيال المتحفز النشط ، ومن قرأ شيئاً من آثار جبران خليل جبران يستطيع أن يلمس هذه القوة الخترة الجبارة التي يسيطر عليها ويتصرف بها الخيال والوهم . ولن يكون الخيال جباراً عظيم السلطان ما لم تسنده من عالم الحقيقة مفاتن ومباهج طبيعية ، وهذا هو الحال مع اخواننا شعراء الشام . ولا مشاحة في أن السفر والاغتراب من شأنهما أن يثيرا العواطف ، ويحركا القلوب في الصدور ، فإذا كان الانسان شاعراً ، وشاعراً رقيق العواطف ، فهو لا شك مدهشك بإبداعه ومجوح خياله ، وهذا ما كان من أمر هؤلاء الاخوان الأفاضل تقريباً .

ولقد كنت أحسب أول الأمر أن الرقة العاطفية التي تنظم دواوينهم إنما تسندها موسيقى اللفظ وجرسه الرخيم بيد انني عرفت أخيراً وبعد اختبار طويل

شعرهم ان هذه الرقة العاطفة التي تصدر عن القلب المفطور على الخيال الرائع المنسجم هي التي تسند موسيقى اللفظ والرين عندهم وتظهرها في ثوب كريم .

أما رقة القلب عند هؤلاء الشعراء فلا تستغل في شعر الغزل ، كما كان مستظراً لصلوة ما بين القلب والحب ، وإنما تستخدم في الأغلب في الوصف والوطنية . وأحسب انهم قد أنصفوا غاية الانصاف بشغل أنفسهم بشعر الوطنية والاجتماع والوصف وما يمت إليها بسبب .

بيد أن صاحب (الروافد) يقول في مقدمته أو توطئته إن شعر الوطنية - وديوانا مليء به - ليس مما يخلد في عالم الأدب ، ونحن نوافقه على هذا الزعم الى حدٍّ ، ذلك لأن شعر الوطنية وإن كان يتحدث عن أمان قومية خاصة ، ويهتم بمشاجرات «محلية» دنيوية إلا انه قد يكسب الخلود والبقاء إذا وفق الشاعر العبقري الى الارتقاء بالوطنية الى معارج سامية ، بعيدة عن الاحقاد والضغائن البشرية ، وهناك يمكن أن يقول في الوطنية السامية الرفيعة الشعر العبقري الخالد . واني لألمس في (الرافد) كما لمست في (الأعاصير) للقروى من قبل الروح المحلية في الشعر الوطني وهي التي جعلت شكر الله يدلي برأيه في شعر الوطنية كافة في توطئة (روافده) .

ويبدو لي أن بدء الشاعر في نظمه كأن بدءاً تقليدياً محضاً ، تلمس فيه الروح القديمة واضحة بينة في «الارز المتوج» ولكن هذا لا يضير الشاعر على الإطلاق فلا بد من أن يبدأ الشادي مقلداً مهما كان عبقرياً موهوباً ، وأنت تراه في قصيدته «على خرائب ببيلس» شاعراً قوياً متمرداً مفتخراً بمجدوده ، اسمعه يقول مخاطباً بلاده :

أيّ شعب كشعبك الجبار - خالدٌ في جلائل الآثار -
تقصر الريح عن مدى ما تخطى - من بلادٍ وشقٍّ من تيار -
ضارباً في جوانب الأرض زهوا - عائناً بالخطوب والأخطار -
ناشراً في بحارها منشآت - هازئات بالموج والأعصار -
راكباً للخلود والمجد عزماء - واقتداراً يفتّ في الأقدار -
ثم اسمعه يتحدث عن فينيقيا ، الشام القديمة ، وعن حاصر أهلها الآلم :
أمة شرّد الزمان بنينا - فذراهم على متون البحار -

مدك الله في الشواطئ سفرا جاء في الشرق أقدم الأسفار
ضم تاريخ امية ، وشعوب وغروش مطموسة وديار
حدث الناس أيها الشط عن حكموا في أعنة الأقدار
خبر الكون عن عظام شعب كان ملء الاسماع والأبصار
قد طواه الردى وان عجباً طيه بعد بسطة وانتشار

وأنا معجب بمعظم أبيات هذه القصيدة ، ولقد أذكر الساعة أن خليل مطران شاعر العربية قد نظم قصيدة بارعة خالدة في « تذكر قلعة بعلبك » نوهت بها في كتابي (رواد الشعر الحديث في مصر) ويبدو لي أن الشاعر الفاضل بحاكى شاعر العربية في هذه القصيدة ، ولكنه عرف كيف ينفرد بعواطفه وأفكاره على كل حال .

ويكاد يجرى أغلب شعر (الروافد) على هذا النحو الذى تحدث عنه الشاعر في « توطئته » وخشى عليه من سرعة الفناء ، فهو يتحدث عن « غربته » وعن « تحية الشمال » و « على ضفاف بردى » وعلى « أطلال الشرق » الى غير ذلك من شعر الوطنية المثتبه ، وأنا زعيم ببقاء شعره الوطنى في مجموعات المقبله التى يسمو فيها عن « الوطنية المحلية » ويتحدث عن معنى الوطنى العالى تحدث الشاعر المحيط بكل شئ .

ويعجبني الى حد بعيد الشعر الوجدانى فى الروافد ، وخاصة قصيدة « على متون الأمواج » وان فيها لوصفاً للبحر والسفر على المراكب لا يتسنى لسوى من طس هوله فى مرحلة واسعة كتلك الى بين الهافر والبرازيل ، اسمعه يتحدث عن البحر :

ويا له معصوف فى الرياح يقفه كالرعد فى شدته
كأن اودبه الالعبات صلال تنضطر فى فجوته
ويا له من أملس ناعم بحاك الحرير على وجنته
نخال المراكب فى عرضه سطورا من الشعر فى صفحته
تجعه النسم الماريا ت ويصقله الريح فى هبته

فهذا حديث صادق ، وكفى أن يكون الشاعر صادقاً فى وصفه ، فما تغنى ألف عبقرية أمام هذا الصدق فى التعبير .

وللشاعر إخوانيات لا بأس بها ، فهو كبير القلب ، يحبي صديقه القروي في «علم القريض» تحية رقيقة ، ويشكر اخوانه المحققين به في « قيثارة الخلود » ، الى غير ذلك . ويبدو لي ان رثاءه من أجود الرثاء في الشعر العربي الحديث ففي رثاء الملك الحسين يبدع كل الابداع وخاصة في قوله :

يا حسنه في « المسجد الأجدث بجيد القدس
 قصى « ضريحاً زاناً خدّه لا ينفك حجته وعقده
 يندى به أفق النبوة نافحاً في الشرق ندّه
 سكبوا النفوس على ترأه وتلموا بالثمن حدّه
 وهو في رثاء فوزي المعلوف يقول
 لو دري « الوادي » بكى صفصافه
 وتمنى النعش من عيدانه كم لفوزي سجمة في ظله
 ترقص الورقاء في أغصانه مارحاً في الظل من أدواحه
 سارحاً والسرب من غزلانه حابئاً بالرطب من عنقوده
 لاعباً بالغصن من رمانه حيث يجري النهر في مخضلة
 ريّة الأعشاب من قيعانه منشداً والسحر في قيثاره
 وارتعاش الوحي في أجفانه وفي رثاء سعد يقول :

ما زعيم الأهرام في الأمس إلا عدة كان للغد المجهول
 كان من عثرة الزمان لمصر خير واقٍ ، وجابر ، ومقبل
 أطلقتها من الاسار يدها فهي طلتي الاغلال أسرى الجبل
 حسب زغلول لو حواه زمان فيه فرعون لم يرع بقتيل
 رجل حارب المظالم فرداً بجنان كالطود ثبت بقتيل
 برهيف من البيان وعزم نافذ في الصعاب غير كليل
 وفي رثاء جبران يقول :
 أين من نمشك المجمل بالمجد عروش الملوك والأمراء ؟

خالدة أنت في الصميم من الاجيال فوق النواذب العظماء

فوق مهد الربيع تحت ظلال الآرز بين الكواكب الزهراء
نصب للجمال يرمقه البدر بعين الحنوء والارواء
نصب للنبوغ يبقى على الدهر مزار الفلاسف الحكماء
كعبة للهدى تفيض مع الأجيال نوراً على بنى الفبراء
وفي رثاء صديقه الشاعر وديع عقل يقول :

نم فتى الشعر ، فاشعري سوى أدمع المنفجوع يزجيه سجاما
جرة في القلب ما صعدتها رجعت تنشد في الجفن مقاما
ما على البلبل إن ألقى على مسمع الفجر أغانيه وناما ١
وفي رثاء نسيه داود بركات يقول :

قل للرفاق قضى النديم فلن تشع ولن تُدار
لله ليلات قضيناها على الوادى قصار
والطير مثل العانس الشر نار ليس له قرار
والنهر يفرش حولنا زبدآ كمنتثر النضار
والشمس عند مدارج الأفق البعيد بها اصفرار
والبدر ممسوح الجبين على محياه اصفرار
وكأننا من حول داود تلامذة صفار

وأكاد أقول إن هذا الشاعر مجيد في الرثاء أكثر من اجاته في أى ضرب من
ضروب الشعر الأخرى ، ولعل ذلك يرجع الى رقة القلب التى حدثتك عنها أول
هذا الكلام .

وهو غير راض عن هذه المجموعة ، كما قدمت نقلاً عن توطئته ، ولكننى أكاد
أرضى عنها كبا كورة طيبة ، واجب أن أرى الابداع فيما يليها من شعره في (الغائم)
إنشاء الله ما

مختار الوكيل

في معنى الانتحال

يقول بعض الناس : لقد سرق هذا الشاعر ذلك المعنى ، ويقول آخرون : لقد انتحل ، ويقول غيرهم بل هو مجرد « توارد خواطر » ... ويقول غير هؤلاء جميعاً بل ان هذا المعنى مشترك ! ويندر أن يكون لفرق من هذه الشعب المتباينة فيما يدلى به من الرأي ميزان يحتكم اليه ، أو مبرر يستند عليه !

وإذ قرأت بين ما تنشره الصحف لرط من المتأدين وأشباههم في الأيام الأخيرة ما يشعر بأن أكثرهم لا يطبق التمييز بين السرقة والانتحال واشتراك المعاني وتوارد الخواطر ، عولت على كتابة هذا الفصل ليكون بياناً ينتظم كل هاتيك الأنواع الأربعة وأمثلة من بعضها مستعينا على تحريره بما بين يدي من أسفار الأدب ، وما تعى الذاكرة المكدودة من شعر القدامى والمحدثين .

السرقة - عندي - هي السطو على المعنى المبتكر دون تعيير محسوس في الصيغة التي أبدعه عليها مبدعُه ، مثال ذلك قول أبي نواس :

فتمشيت في مفاصلهم كتمشّي البرء في المقم !

فقد سرقه من قول مسلم بن الوليد :

نجرى محبتها في نفس وامقها جري السلامة في أعضاء منتكس -
ومثال آخر ، قول ابن زيدون :

يا من تزيت السبا دة حين البس ثوبها

جاءتك جامدة المدام فخذ عليها ذوبها !

فقد سرقه من قول « الخليل » الشاعر :

الراح تفاح جري ذائباً كذلك التفاح راح جُد

فاشرب على جامد ذوبه ولا تدع لذة يوم لعد !

ومثال ثالث قول العقاد في قصيدته كأس الوضوء :

تطهرت بك لما أن طهرت بها عند المصلى وزادت حسن إيماء !

فقد سرق معناه من قول المتنبي :

الطيبُ أنت - إذا أصابك - طيبُهُ والماءُ أنت - إذا اغتسلت - الفاسلُ
 وإذا شاء المناخون عن شعر العقاد زيادة الايضاح وسفور البينة على هذه
 السرقة المأموسة ، فليسمعوا : فالتنبي يزعم لمدوحه أنه إن يتطيبُ ، فهو الذي
 يتطيبُ الطيب الذي يتطيب به ، وأنه إن يغتسل ، فهو الذي يغسل الماء الذي يغتسل
 به ، وجاء العقاد فزعم لمدوحه هو ، أو ذلك الذي بتعشقه ، أنه إن يتطهر بكأس
 الوضوء فهو الذي يطهرها ، وهى التى تطهر به ، وذلك معنى المتنبي بعينه !

أما الانتحال ، فهو - فيما أرى - الاغارة على المعنى المبكر ، مع الافتنان
 فى صياغته والتصرف فى أدائه بحيث يبرز فى غير الصورة التى أبرزه فيها صاحبه
 الأول ومبدعه .

ومثال ذلك قول الغزى الشاعر :

الحسن والقبح قد نحويهما صفةً شان البياضُ وزان الشيبَ والشبنا
 طبا الخارف أقلامٌ مكسرةٌ رؤوسهنّ وأفلامُ السعيد طبا

فان أول من أبدع هذا المعنى هو أبو العلاء حيث يقول :

لا تطلبنّ بآلةٍ لك رتبةً قلم البليغ بغير حظٍ مغزُ
 سكن السماكان السماء كلاهما هذا له رمحٌ ، وهذا أعزُ

ومثال آخر ، قول شوقي من قصيدته عن قصر أنس الوجود :

كعدارى أخفين فى الماء بضاً ساجحات به وأبدن بضاً

فقد نظر فى معناه الى قول قيس بن الخطيم :

تبدّت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجبٌ منها وضنت بحاجبِ

ومن أمثلة الانتحال البارع قول ابن حمديس الاندلسى :

غشيت حجرها دموعى حمرا وهى من لوعة الهوى تتحدّرُ

فانزوت بالشهيق خوفاً وظنّنتُ حب رمان صدرها قد تنثرُ

قلت عند اختبارها بيديها ثمرآ صانهنّ جيبٌ مزرّرُ

لم يكن ما ظننت حقاً ولكن صبغة الوجد صبغ دمعى أحمرُ

فقد نظر في معناه الى معنى قول المنازى الشاعر يصف وادياً :

يصدّ الشمس أنى واجهتنا فيحجبها ، ويأذن للنسيم

بروع حصاه حاليّة العذارى فلتمس جانب العقد النظيم

على أنه يجب التنبيه هنا الى ضرر الخلط بين السرقة والانتحال ، فالسارق محترق ساقط يسخر من عقول الناس ويهزأ بمعلوماتهم وعصولهم في الأدب ، فضلاً عن أنه لمن يسقط على العروض الأدبية ليحاول ادعاء ملكيتها ، أما المنتحل فكثيراً ما يسقط على المعنى الذى أبدعه غيره فلا يزال به حتى يبرزه في صورة من الأداء أخاذة تبعث على الإعجاب ، وهذا عند أصحاب الصناعة البيانية فضل غير محمود . وقد يتعدى الانتحال المعانى الى شواهد الصناعة البيانية نفسها .

حدث أبو يعقوب الخزيمى الشاعر أن بشاراً بن برد الشاعر الزعيم قال : لم أزل منذ سمعت قول امرئ القيس فى تشبيهه شيئين بشيئين فى بيت واحد حيث يقول :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالى

أعمل نفسى فى تشبيه شيئين بشيئين فى بيت حتى قلت :

كأن مشار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهوى كواكبه !

ويشترط فى احصاء السرقات الأدبية والانتحالات أن يكون المعنى بارزاً مفضلاً كأن يكون قوام بيت بارز هو بيت القصيد أو نحو ذلك ، أما إن كان معنى تافهاً ليس بذى خطر ، فالأولى إدراجه بين المعانى المشتركة ، وهى تلك التى أخلقتها كثرة تناول الشعراء واستعمالهم ، فلم يعد لشاعر فيها فضل دون الآخر بغير الافتنان فى الصياغة والتجويد فى السبك وحسن الأداء ، وهى كثيرة ليس تمت من حاجة الى إيراد أمثلة منها فى هذه المقالة .

أما ما يقولون به من حديث « توارد الخواطر » فلست أرى سبيلاً الى تحديده . نظمت منذ سنين أربعة قصيدة ميمية طويلة على أثر زيارتى لآثار الفراغة بالأقصر ، ثم أنشدتها نقرأ من أصفى أى فلما بلغت الى قولى :

فرعون جبار الحروب وربّها وأخا القصور وباني الأهرام

كنت القوى على الزمان وصرفه ما لى أراك اليوم فى استسلام ؟ !

أقبل على واحد من الحاضرين يقسم جهد إيمانه أن صدر البيت الأول بأكمله هو صدر بيت لواحد من شعرائنا المحدثين ، ولما كان يعهد في أنني لا أسرق ولا أنتحل ، قال إن هذا من قبيل « توارد الخواطر » !

ولست اعلم من هذا كله أكثر من أنني لم أقرأ لهذا الشاعر الذي التقيت وإياه في شطرة بيت كاملة ، شطرة واحدة من شعره ، فليس من المعقول أن أسرقه أو أنتحل شعره أو اخذ عنه .

على أنه ليس يستقيم عندي إلا أن ما يتحدث به بعض المتعللة من المتأدبين والمتلكنة من النقاد عن « توارد الخواطر » ليس إلا مفسدة لضابط النقد ، ومهرباً للسارقين والمتنحليين من الشعراء .

أحمد فني

(المهندس)



تصحيح التصحيف

الوارد بديوان مهباز الديلمي

طبع دار الكتب المصرية

التصحيف الوارد بالجزم الأول من ديوان مهباز الديلمي

جاء بالسطر الأخير من صحيفة ٥ قوله :

أما ترون كيف نام وعى عني الكرى فلم ينم ظبي الحى ؟

وصحته : فلم تم ، لأن مرجع الضمير الى العين .

وجاء بالسطر الأول من صحيفة ١١ قوله :

بودى وهل يغنى عن المرء وده وأشباعه فيما يحاول حزيه ؟

وصحة البيت :

بودى وهل يغنى عن المرء وده وأشباعه فيما يحاول (حربة)

لأن أشباعه لو كانوا حزبه لما كان هناك مكان للتأسف .

وجاء بالسطر الرابع من صحيفة ٤٢ قوله :
وبعضُ مودات الرجال عقارب لها تحت ظلماء العقوق ديبُ
وصحته : الغيوب بدل العقوق لأن الظلماء أدنى شَبهاً بها .

وجاء بالسطر السادس من الصحيفة ٥٥ قوله :
وما زلت ترمى صفحتي بين عاصدٍ ومنحرفٍ حتى رميت بصائبٍ
وصحته : عاصد ، وهو الذي يرمى بالسهم فتذهب يميناً ويساراً .

وجاء بالسطر التاسع من الصحيفة المذكورة قوله :
ولا مسبغاً فضفاضة أبتنى بها شبا طاعنٍ من حادثائك ضاربٍ
وصحته : أُنْتِنِي بدل أبتنى .

وجاء بالسطر الحادي عشر من الصحيفة ١٦٧ قوله :
تلوّن رأسي صبغتين فبت وذو نَبْةٍ أو لاحقٍ مناوتٍ
وصحته : وذو نَبْةٍ أى الى الموت .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ١٧٧ قوله :
ولدتهم الأرض التي قد أجمعت في الأكرين فأكيست وتنجّبت
وصحته : قد أجمعت بدل أجمعت ، والمحكمة ضد المنجية .

وجاء بالسطر الحادي عشر من الصحيفة ١٩١ قوله :
تَتَيَّمُ بالعمر الجذاع وخانهم فالى أرجو ودّه حين أنزحُ
وصحته :

تتيم بالعمر الجذاعُ وخانهم فالى أرجو ودّه حين (أقْرُحُ)
والجذاع هو الشاب الصغير ، والقارح هو المكتمل السن ، والمعنى واضح .
وجاء بالسطر السابع عشر من الصحيفة ١٩١ المذكورة قوله :

ترى الحقَّ مطروفاً وتعشى لواحظُ يراقصها هذا السراب الملوّحُ
وصحته : مطروفاً بالقاف بدل الفاء والمعنى واضح
وجاء بالسطر الأخير من الصحيفة ١٩١ المذكورة أيضاً قوله :

وسبعةً بطنٍ جلٍّ ما هو محرزُ ومطرَحٍ جنبٍ جهدٍ ما يتفسّحُ

وصحته : وشبعة بطن جُلَّ ما هو محرز الخ . والمعنى واضح .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ٢٠٢ قوله :

نظرةٌ عادت فعادت حسرة قتل الرامى بها من جرحا

وصحته : نظرة عارت فعادت حسرة الخ . ، والعائر هو السهم لا يعرف راميه .

وجاء بالسطر الرابع عشر من الصحيفة ٢٠٤ قوله :

وجرى يقتصُّ من آياته أثر المجد طريقاً وضحا

وصحته : وجرى يقتصُّ من آبائه ، والمعنى ظاهر .

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٢٠٦ قوله :

ملهمة لها ظهر مصونٌ وبطنٌ تحت راكبها مُتاحٌ

وصحته : مباح ، وهو ضد المصون .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ٢٠٧ قوله :

كأن الدهر قامرنى عليها معالجة فخانتنى القِداحُ

وصحته :

كأن الدهر قامرنى عليها (معالجة) فخانتنى القِداح

والسياق يقتضيه .

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة ٢١١ قوله .

إذا السجايَا فترت عدن نشاوى مرّحا

وصحته : مرّحى بصيغة الجمع .

وجاء بالسطر السادس عشر من الصحيفة ٢١١ المذكورة قوله :

لم تدعُوا رِبَابَةَ للمجد تحوى قدحا

ولا معنى له ، وصحته :

لم تدعُوا رِبَابَةَ للمجد تحوى قدحا^(١)

(١) الرِبابَة : خِيط أو خُرقة تجعل فيها السهام .

والقِدَح هو السهم العارى (الذى لا ريش عليه) وكانوا يستعملونه فى الميسر والمعنى يتضح فيما يلى .

وجاء بالسطر الذى يليه بعد البيت المذكور قوله :

إِلَّا لَكُمْ فَوْزٌ بِهَا مَنَحًا بِهَا وَسَنَحًا

قال فى الشرح (الفوزة : سرة الجبل ومثله ، وهو هنا مجاز) وهو خطأ وصحته :

إِلَّا لَكُمْ فَوْزَتِهَا مَنَحًا بِهَا وَسَنَحًا

والفوزة : إصابة القِدَح المذكور فى البيت السابق . قال ابن الرومى يمدح بنى نوبخت ويصف علمهم بالنجوم :

أُرَيْتُمْ بِهَا الْمَنْصُورَ فَوْزَةً قَدْ حِجَ وَقَدْ ظَنَّهَا إِحْدَى الدَّوَاهِي الصَّيَالِمِ

وجاء فى السطر الرابع عشر من الصحيفة ٢٤٧ قوله :

تَخَذُ فِي الصَّخْرِ مَلَا طِمَ عَلَيْهَا تَخَذُ

والوزن هنا لا يستقيم إنما الصحيح قوله :

تَخَذُ فِي الصَّخْرِ مَلَا طِمَ عَلَيْهَا تَخَذُ

والملاطيم : جمع ملطام وهو الذى تعود الملاطمة ويريد به خف الناقة .

وجاء بالسطر السابع عشر من الصحيفة ٢٥٠ قوله :

مُعَدِلَتْ حَوَيْتُهُ عَلَى ابْنِ مَفَازَةٍ مُسْتَقَرِّ أُمَمٍ الطَّرِيقِ الْأَبْعَدِ

قال فى الشرح : (الجوىة : الأرض غير الموافقة) وصحته :

مُعَدِلَتْ حَوَيْتُهُ عَلَى ابْنِ مَفَازَةٍ مُسْتَقَرِّ أُمَمٍ الطَّرِيقِ الْأَبْعَدِ

والحوية : حشية توضع حول سنام البعير ، ويريد بابن المفازة البعير ، أما الجوىة وهى الأرض غير الموافقة فلا يصح سبها الى الانسان .

وجاء بـسطر الحادى عشر من الصحيفة ٢٥١ قوله :

وَبَكَكَ يَوْمَكَ إِذْ جَرَتْ أَخْبَارُهُ تَرْحًا وَسُمِّيَ بِالْعَبُوسِ الْأَنْكَدِ

وصحته :

وَبَكَكَ يَوْمَكَ إِذْ جَرَتْ أَخْبَارُهُ (تَرْحًا) وَسُمِّيَ بِالْعَبُوسِ الْأَنْكَدِ

يريد بالترح الأخبار وهى جمع بارح ضد السائح . والبارح للشر والسائح للخير .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٣٢١ قوله :

بمسين متى مهي الجواء تخلت
عنهن غيطان النقا المتقاوِر
وصحتها : غيطانٌ بالضم .

وجاء بالسطر الثاني عشر منها قوله :

ولقد سريتَ بليله وبصبحه
فخاً وفي هب البياض الواقد
وصحتها : سريتُ بالضم .

وجاء بالسطر السادس عشر منها قوله :

أعيا على ركب الصِّبا أن يظفروا
بمغالق من غرزها ومعاقد
وصحتها : الصِّبا .

وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ٣٢٢ قوله :

ومضى على غُلَوَائِهِ منسماً لم ترتفق مسعاه بمعاصد
وصحته : ومضى على غلوائه مُنَسَمّاً أى مستقبلاً على السم .

وجاء في السطر الذي يليه قوله :

طيان لم يقض البوازِلَ قبله
جذعٌ ولم يطل القيام بقاعدٍ
وصحته :

طيان لم (يُنْضِر) البوازِلَ قبله
جذعٌ ولم يُطَلِّ القيام (لقاعدٍ)
لم ينضِر البوازِلَ بالضاد أى لم يهزها والنضو المهزول .

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة ٣٢٣ قوله :

ضنّت بجوهرها وما في حرزها من منفسات ذخائر وفوائد
وصحته : من منفسات ذخائر وفوائد .

وجاء بالسطر السابع من الصحيفة ٣٤٦ قوله :

لا تخذعَنَّك بالسراب فلم تدع
ظناً يرجم فيه وجهُ السافر
وصحته : (فلم يدع) لأن الضمير عائد الى الوجه .

وجاء بالسطر الخامس عشر من الصحيفة ٣٩٩ قوله :

بالفوطتين جبالها ويبطن وجرة دارها

وصحته : بالفوطتين خيالها ويبطن وجرة دارها

وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ٤٠١ قوله :

مما أعان عليه « طيبة بابل » أنهارها

وصحته : مما أعان عليه طيبة بابل أنهارها

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٤٠٣ قوله :

فَجَاكَ آفاقُ المعالي منهُم وبجَارُها

قال في شرح هذا البيت (في الأصل فجال) والحقيقة أنها في الأصل (فَجَاكَ) والصورة الفوتوغرافية التي بأول الجزء تثبت ذلك .

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٤٠٨ قوله :

جشمتها الأشواق في ساعة شقة ما تخبط السحاب شهرها

وصحته : النجائب بدل السحاب ، والنجائب النياق .

وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ٤٠٩ قوله :

إخوتي من بني الوفاء ورهطى — يوم أغزو — الملوك من آل كسرى

وصحته :

إخوتي من بني الوفاء ورهطى يوم أغزو الملوك من آل كسرى

أغزو الملوك أنتسب اليهم والضمير في إخوتي راجع الى المدوحين .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٤١٠ قوله :

فاقتناني تغنماً واقترافاً واستبانى قولاً لطيفاً وبراً

وصحته : فاقتناني تغنماً واقترافاً الخ . والافتراض : الانتهاء .

التصحيح الوارد بالجزء الثاني من ديوان مهيار

جاء بالسطر الخامس عشر من الصحيفة ٧٩ قوله :

ولا تكشف عن خفيات ما يخفيه عنك الهائب السائر
وصحته : السائر بالتاء بدل الهمزة .

وجاء بالسطر الأخير من الصحيفة ٧٩ قوله :
وَحَمَلَتْ بِعَدِّكَ جَهْلَاتِهَا وَفَرَّ مِنْهَا الْقَامِصُ النَّافِرُ
وصحته :

وَحَمَلَتْ بِعَدِّكَ جَهْلَاتِهَا وَفَرَّ مِنْهَا الْقَامِصُ النَّافِرُ
حُمِلَتْ مِنَ الْحِلْمِ وَهُوَ ضِدُّ الْجَهْلِ ، وَفَرَّ مِنَ الْقَرَارِ ضِدُّ الْاضْطِرَابِ .
وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ١١٨ قوله :

إِذَا شَرَّفَ الدِّينَ حَطَّتْ بِهِ قَدَرُنَا سِرَاهَا بِمَقْـدَارِهِ
قال في الشرح : (شرف جمع شارف وهي الناقة المسنة) وذلك خطأ
وصحته (شَرَفُ الدِّينِ) وهو اسم المدح وكُنِيَّتُهُ أَبُو سَعْدٍ .
وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ١١٩ قوله :

وَهَبَّ عُشْبَ الْأَرْضِ لِلرَّائِدِينَ إِذَا مَا وَلَيْتَ بِأَقْطَارِهِ
وصحته : وَهَبَ بِكسر الهاء من الهبة ، وَقَوْلُهُ وَلَيْتَ أَيْ أَثْمَرَتْ .
وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ١٦٣ قوله :

قُلْ لِبَيْضَاءٍ تَوْسَعَتْ بِهَا : قَدْ تَلْتَمِثُكَ صَلَاةٌ أَرْقَطَا
وصحته : تَوْسَعَتْ ، قَالَ فِي الْقَامُوسِ : (وَشَعَهُ الشَّيْبُ تَوْشِيْعَاعِلَاهُ) وَتَوْشَعُ بِهِ .
وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ١٦٧ قوله :

لَا تُرْكَنْ رَحِيلِي عَنْكُمْ سَمَةً شَنْعَاءُ يَعْطِطُ فِيهَا الْعَارُ مِنْ عِلْطَا
وصحته : شَنْعَاءُ مِنَ الشَّنَاعَةِ ، وَعَلَطُ يَعْطِطُ أَيْ وَسَمَ يَسِمُ .
وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة ١٦٧ المذكورة قوله :

فَهِيَ لِمَثَلِي مَقَامٌ عِنْدَ مِثْلِكُمْ وَعِنْدَ سَفْنِ الْفَلَاحِ وَالْمَلْطَى
وصحته : فَهِيَ لِمَثَلِي مَقَامٌ .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٢٦٠ قوله :
سَقَى الْحَسَنُ حِمْرَاءَ السَّلَافَةِ خَدَّهَ فَأَنْبَعُ نَبْتَا أَخْضَرَاءِ فِي السَّوَائِفِ

قال في الشرح (السوائف جمع سائفة وهى القطعة من اللحم) وهو خطأ وبعيد عن الغزل جداً ، وصحته : السوائف بدل السوائف جمع سائفة وهى الصدغ أو جانب العنق .

وجاء بالسطر السابع من الصحيفة ٢٦٠ قوله :

عصيت على الايام أن ينتزعني بنهي عدول أو خداع ملاطف
وصحته بنهي عدول ، من نهي ينهي .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٢٧٧ قوله :

وتغيرت ريح الصبا عن خلقها وليلها فنسيمها إعصاف
وصحته : فنسيمها إعصاف .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ٢٧٨ قوله :

وطفت نوائبها على فقرصها جرح ومختصراتها إسراف
وصحته : ومقتصداتها اسراف

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٢٩٠ قوله :

منحت والقلوب مطلقة ترعى وعاشت وكلها في وثاق

وصحته : وعادت وكلها في وثاق . والراجع عندى أن القصيدة التى منها هذا البيت ليست من شعر ميار لأنها تختلف عن أسلوبه .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٢٩٢ قوله :

سوى انا نفتر يا يوم وبلها بعاجلة والآجالات الصواعق
وصحته : نفتر من يوم وبلها .

وجاء بالسطر الذى يليه قوله :

تصدت بزور الحسن تقنصنا وما زخارفها إلا رنى وخنادق
وصحته :

تصدت بزور الحسن تقنصنا وما زخارفها إلا زنى وخنادق

والزنى جمع زنية وهى حفرة يجتمع فيها ماء المطر وتكون فى أصلها مأوى للسباع .
وجاء بالسطر الرابع عشر من الصحيفة ٢٩٢ المتقدمة قوله :

دعوت فإلى لم اجب إن عائقاً أصحك غنى أن يلبي لعائق
وصحته : أن تلي .

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٢٩٣ قوله :

سرورى حبيس في سبيلك وقفه ولدة عيشى بعد يومك طالق
وصحته : وقفة . وهو تأنيث الوقف الذى هو الحبس .

وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من الصحيفة ٣٠٧ قوله :

رمونى إذ أضحوا هوأنا أخامصاً ذنابى وإن أصبحت فى الفضل مفراً
وصحته : وإذا أصبحت ... الخ .

وجاء بالسطر الذى قبل الاخير من الصحيفة ٣٠٨ قوله :

نوم الفتى منهم حليماً فان تقل يقل مفحماً لدى الخصوم ومرهقا
وصحته :

يرم الفتى منهم حليماً فان يقل يقل مفحماً لدى الخصام ومرهقا
يرم أى يسكت .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ٣٠٩ قوله :

بكل غلام لا ترى السيف يبحتى ولا الموت فى نصر الحفيظة يثنى
وصحته : لا يرى .

وجاء بالسطر الخامس عشر من الصحيفة ٣١٢ قوله :

أنظر وليتك مفلت أشطان من يتعلقه
وصحته :

أنظر وقلبك مفلت أشطان من يتعلقه
وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٣١٤ قوله :

ريان ان ييس المرا دُ ضحى سقانى ريته
وصحته : ريان إن ييس المزاً دُ ضحى سقانى ريته
والمزاد السقاء .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ٣١٧ قوله :

يَأْتِيكَ زَوْراً كُلَّ يَوْمٍ مِ هَدِيَّةٍ تَتَسَوَّفُهُ
 وصحته : (يَأْتِيكَ ذَوْداً كُلَّ يَوْمٍ مِ هَدِيَّةٍ تَتَسَوَّفُهُ)
 والدَّوْدُ الأبل المسوقة والمهدى ما يهدى الى الكعبة . يقول ابن شعري يساق
 اليك كالمهدى الذي يساق الى مكة

وجاء بالسطر الثاني من الصحيفة ٣١٧ قوله :

يَجْبُوكَ خَالِصَتِي بِهِ وَسَوَاكَ مِنْ أَعْلَقِهِ
 وصحته : أَجْبُوكَ خَالِصَتِي بِهِ وَسَوَاكَ مِنْ أَعْلَقِهِ
 وجاء بالسطر الثاني عشر من الصحيفة ٣٢٣ قوله .

يَغْنَى اللَّهَاءُ رَفْعُهَا وَخَفْضُهَا حَتَّى يَقَالَ غَلِطًا أَوْ سَرَقًا

هكذا أوردت يغنى بالغين وهى هنا لا معنى لها ، وغلِطاً أو سرِقا بكسر
 اللام فى الأولى والراء فى الثانية وهذا غلط لأن القائل واحد لا اثنين . وصحة البيت :
 يغْنَى اللَّهَاءُ رَفْعُهَا وَخَفْضُهَا حَتَّى يَقَالَ غَلَطًا أَوْ سَرَقًا
 يغْنَى بالضاد بدل يغْنَى أى يتعب وغلَطًا أو سرِقا بالفتح والتنوين فى كليهما .
 وجاء بالسطر الثاني من الصحيفة ٣٢٤ ما يلى :

..... نَعِيمُهَا ظَهَرَهَا وَالْعُنُقَا

قال فى الشرح (هذا البيت مطموس فى الأصل الفوتوغرافى ولم نتمكن منه إلا
 الكلمات التى أثبتناها) اه . وعندى انه يمكن ملء هذا الفراغ هكذا

وغادة رققها نعيمها حتى أشفَّ ظهرها والعنقا

وذلك لأن البيت الذى يلى الفراغ فى وصف غادة .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٣٢٤ المذكورة فوه :

يَعْتَجِدُ الشَّمْلَةَ خَيْطَانًا إِذَا قَرَّ وَيَحْتَشُّ إِذَا مَا اسْتَرْزَقَا

وصحته : يَعْتَجِرُ الشَّمْلَةَ خَيْطَانًا الخ . أى أنه يلبس الرداء حيوطاً لقدمه وبلاء .

وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ٣٣٨ قوله .

حَنْتَ شَطَاطِي وَجَنْتَ مَا جَنْتَ مِنْ صَدْرِ عَمٍّ عَلَى رَوْنَقِي

وصحته : حَنْتَ شَطَاطِي بِالْحَاءِ . وَالشَطَاطُ اعْتَدَالُ الْقَوَامِ

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٣٣٩ قوله :

وما انتفاعى بجيكا واسع تخفزه ذاتُ جدأ ضيقـ

وصحته : وما انتفاعى بجيكا واسع الخ . والجيا مخفر البئر وشفافها وحرفها .

وجاء بالسطر الثاني من الصحيفة ٣٤٢ قوله :

كسك منها المد فضفاضة بغير أعطافك لم تلبقـ

وصحته : كسك منها المجد فضفاضة الخ .

وجاء بالسطر الخامس عشر من الصحيفة ٣٤٣ قوله :

ناشد غصونا باللوى موائلاً طوع النسيم تلتوى وتفرق

وصحته : تلتقى وتفرق .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٣٤٧ قوله :

يحملن كل خائض بحر الندى حتى يرى الموج عليه ينطبقـ

وصحته : يحملن كل خائض بحر الردى

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ٣٧٢ قوله :

ألا يا بشير الخير قل - غير متق - متى نلت من رؤيا الوزير مناكا ؟

وايراد البيت بهذا الشكل خطأ لأن «متى» ليست سؤالاً بل هى بمعنى اذا ، وقوله : قل فى البيت جوابها قوله توكل فى السطر الثالث ، فيكون رسم هذه الأبيات هكذا :

ألا يا بشير الخير - قل غير متق متى نلت من رؤيا الوزير مناكا ،

وأمكنك الحراس من بسط قوله تبوح بها جهرأ وتفتح فاكا ، -

توكل على من غمها فى سفارها فكم كنت فى أمثالها فكفاكا

أى يا بشير الخير قل له توكل على من غمها فى سفارها .

وجاء بالسطر الثامن من الصحيفة ٣٧٢ المذكورة قوله :

كأنك بالاقبال قد هب نائراً فناشك فيها ثم ردك ذاكا

وصحته : فناشك منها أى أنقذك منها .

التصحيح الوارد بالجزء الثالث من ديوان مهباز

جاء بالسطر الثاني عشر من الصحيفة ١٤ قوله .

وقلت لها : احسُّ بفِرط حبي له فازورُ جانبَهُ دلالا
وصحته : أَحَسَّ بالفتح بدل الضم .

وجاء بالسطر الأخير من الصحيفة نفسها قوله :

أَحِبُّ المرءَ ان لم تسق ربيَّ يداه تعدُّرًا رشحت بلالا
وصحته : تعذرًا بالذال بدل الدال .

مأخذ على الشاعر - قال في السطر الخامس عشر من لصحيفة ١٩ :

فالنفس عند المعجزات بأن ترى أخرى وإن سكنت الى الثَّقَالِ

وهذا البيت ضعيف التركيب قاصر عن الاداء والتركيب الصحيح هو هكذا :

فالمعجزات تكون أثبت موقعا بشهودها من منطق الثَّقَالِ
بشهودها أى بمشاهدتها .

وجاء بالسطر التاسع من الصحيفة ٢١ قوله .

أمن كل حظ - قل قسمي - أفله وكلُّ سبيل - ضل قصدي - أضله

ووضع هذه الفواصل خطأ وصحة رسم البيت هكذا :

أمن كل حظ قل ، قسمي أفله وكلُّ سبيل ضل ، قصدي أضله ؟

يقول أكلُّ حظ قليل يكون قسمي أفل منه وكل طريق مضل يكون قصدي أضله ؟

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ٢٧ قوله :

ما كنت فيه خائفا أن الردى من عز جانبه اليه واصل

وصحته : ما كنت فيه خائلا الخ . أى ظاننا .

وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من الصحيفة ٢٨ قوله :

ولمعر طرُق العلوم ذنوبهم فى الناس وهى لهم اليك وسائلُ

جعل قوله طرق العلوم من طرق يطرق وصحتها طُرُق جمع طريق يؤيد ذلك

قوله (وهى لهم اليك وسائل) أى الطرق .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ٣١ قوله :

هيهات زدن سنى فانتقصت قوى ودى مُتَن مع الشباب وسائلى
وصحته فانتقصت بالضاد أى انقطعت والقوى الجبال والروابط .

وجاء بالسطر الثالث عشر من هذه الصحيفة قوله :

فطرحت عن أعناقهن بان ذوت منى ذوائب كنَّ قبل خمائلى
وصحته حمائلى بالحاء بدل خمائلى ، وذلك أنه لما جعل نفسه سيفاً فى البيت السابق
جعل لهذا السيف حمائل والبيت السابق له هو :

كنت الحسام جلاى شرح شبيبى عند الحسان وماء غضى صاقلى
وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٣٢ قوله :

واذا رجعت الى أواخر ودّه قابلتها بوسائط وأوائلى
وصحته بأواسط .

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٣٣ قوله :

حكم سوى مسلط اذا جنى لم يعتذر وان قضى لم يعدل
ضبط حكم بضم الميم وهى بهذه الصورة لا معنى لها وصحتها حكم بفتح الحاء
وتشديد الكاف المكسورة واسكان الميم فهى أمر .

وجاء بالسطر التاسع من الصحيفة ٣٥ قوله :

(فيعدل فى القضية لا يجابى) ، وصحته لا يجابى .

وجاء بالسطر الرابع عشر من الصحيفة ٣٦ قوله :

كأن المجد لم يحزن لماض مع الباقي ولم يُفجع بحال
وصحته : بخال ، واخالى هو الذهاب الماضى .

وجاء بالسطر السادس عشر من الصحيفة ٣٧ قوله :

فان هدية مثلى لتكنى مكافأة لا نعمه الجزال

وصحته : مثلى كما هو بين ، فالشاعر يتكلم عن نفسه .

وجاء بالسطر الذى يليه قوله :

وكأثرى مجالسه تجدى التمام لما حوته من جمال

وصحته : وكأثرى فى مجالسه الخ .

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة ٤٦ قوله :

مالى من صاحبي إلا من لم ارعه ثلم مال

وصحته : بثلم ليستقيم المعنى والوزن .

وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من هذه الصحيفة قوله :

نشاطه للوفاء أضحى نشط لسانى من عقال

وصحته : من العقال ليقوم الوزن .

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٧١ قوله :

أتمنى والمنى جهد المقل وأقضى الدهر فى ليت وهل

وصحته :

أتمنى والمنى جهد المقل وأقضى الدهر فى ليت وعَل

أى ليت ولعل .

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة نفسها قوله :

يا ابنة السعدى ما جورٌ لكم ووفاء عاد غدراً وبخل

وصحته : يا ابنة السعدى ما جورٌ لكم الخ ، أى ما بال جودكم أصبح بخلا

ووفاءكم غدراً ؟

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٧٤ قوله :

اجبى يا أرض لى مثلهم إخوة أو قلديهم للبل

وصحته : أوفديهم للبل ، من الولادة لا من التقليد .

وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ٧٥ قوله :

مدّ حتى نالها فارسهم قلما يذرع والرمح أشل

هكذا وردت قلما بتشديد اللام وفتح الميم مع التسهيل وصحته :
 مدًّ حتى نالها فارسهم قلماً يذرع والرمح أشلّ
 أى أن فارسهم كناية عن كاتبهم يفعل قلمه ما لا يفعل الرمح ، يؤيد ذلك البيت
 السابق وهو :

يمجز الصارم عن تبليظها ماتقول الكتب فيها والرسل
 وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٧٦ قوله :
 انّ مرعى أنت فيه رائدى لعميم البنت مأنوس المحل
 وصحته : البنت بدل البنت .

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٨٣ قوله :
 معى ابن مالت بي من الأرض حاجة أعطفه حتى كاثى مُفاصله
 ضبط مفاصله بضم الميم وهو خطأ فاحش والصواب بالفتح جمع مفصل .
 وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من هذه الصحيفة قوله :

وخلف سجوف الرقم بيض أكنى تكففه من جنب سلمى طلائله
 قال فى الشرح : (الطلائل جمع طلاله وهو ما شخس من آثار الديار) . انتهى
 كلامه . والصواب ظلائله بالظاء المعجمة وسلمى اسم جبل .
 ومعنى البيت أن خلف السجوف حسان كأنهن لصونهن بيض عقبان فى وكون
 يظلهما هذا الجبل المعروف باسم سلمى وهو من جبال طى .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ٨٤ قوله :
 وأغيد أعياه سوار يُغصّه بخضب يديه أو حقاب يجاوله
 وصحته : بخضب ، والحقاب الحزام أى أنه يملأ السوار بمعصمه لخصوبته
 ووفورته ويدق خصره عن الحزام فيجول فيه وسيأتى ذكر هذا البيت
 وجاء بالسطر الذى يليه قوله :

حفظت الذى استودعت من صرّ حبه وهاجرته بغياً وقلبي مواصلة
 وصحته : بُغياً ، بدل بغياً
 وفى السطر التالى له قوله :

فأزال طرفي في الهوى وسفاهه بحلم في حتى علا الحق باطله
ضبط بحلم بضم الحاء والصحيح كسرهما، وهو ضد السفاهة والجهل.
وجاء بالسطر السابع من الصحيفة المتقدمة قوله :
أرى المرء لا يضويه ماردٌ وجهه مصوناً ولا يعنيه ما هو باذله
وصحته : لا يغنيه بدل يعنيه ، ومعنى البيت أن صوت وجه المرء لا يجيعه
ولا يهزله كما أن بذله لا يغنيه .

وجاء بالسطر الذي قبل الأخير من الصحيفة ٨٤ قوله :
يصدق ما قال الرواة فأسرفوا عن الكرماء بعض ما هو فاعله
هكذا وردت يصدق بفتح الدال المشددة والصحيح بكسرهما بمعنى يحقق ويؤكد.
وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ٨٥ قوله :
إذا الدولة استذرت بأيام عزها فما هي إلا رايه ومتاصله
قال في الشرح (راي جمع رايه) وهو كلام مضحك ، والصواب رايه بالهمز ،
والمعنى واضح جداً لا يعزب عن انسان .

وجاء بالسطر الذي يليه قوله :
ولم يك كالمدلى بجرمة غيره ولا من أنالته العلاء وسائله
والصواب : ولم يك كالمدلى بحجة غيره الخ .

وجاء بالسطر الحادي عشر من الصحيفة ٨٩ قوله :
يا عاقداً صهوة الحصان الى الـ حاجات حرصاً بغارب الجمل
وصحته هكذا :

يا عاقداً صهوة الحصان الى الـ حاجات حرصاً بغارب الجمل
وصهوة الحصان مكان ما يركب الراكب ومثله غارب الجمل .
وجاء بالسطر الذي يليه قوله :

يطلب ما أمهل القضاء به من الفتى في سفارة العجل
وردت سفارة بالتاء وفتح السين ووردت العجل بفتح الجيم وذلك خطأ وصحته :

في سيفاره العَجَل . الأُولى بكسر السين وبالهاء والثانية بكسر الجيم والسَّفار هو السفر .
وجاء بالسطر الذي قبل الأخير من الصحيفة ٨٩ قوله :

دلَّ على جوده تبسمه والشرق يشرى بالعارض الهطل
والصواب : والبرق يشرى أى يلمع .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ٩٠ قوله :

فات به أن تداس حلبته سن فتى ورأى مكتهل
ضبط فتى بفتحيتين ، والصواب : سن فتى ، كعلى .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ٩١ قوله :

أنعمتم لى خوض الرجاء وقد كنت أخلًا منه عن البلل
والصواب : أفعتم لى حوض الرجاء الخ . وأخلًا أى أُمِنع .

وجاء بالسطر الثانى عشر من الصحيفة ٩٣ قوله :

يتباحثون طلاب عائرة عصدت على القرطاس من نبلى
قال فى الشرح : (عصدت : التوت) هـ . ولا معنى لها هنا ، والصواب : عضدت
من عضد الرمى اذا ذهب به يمينا ويسارا .

وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ١٠٢ قوله :

بكم أطلال الزمان درعى وأبرم الحظ من سحيلي
وصحته : درعى بالذال المعجمة أى دراعى ، والسحيل الواهى .

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ١٠٣ قوله :

ما بعد يومك سلوة لمعلل منى ولا ظفرت بسمع معذل
وصحته : ظفرت بدل ظفرت .

وجاء بالسطر التاسع من الصحيفة ١٠٦ قوله :

أين الفؤاد الندب غير مضعف ؟ أين اللسان الصعب غير مفلل ؟

وصحته : العضب بدل الصعب ، والعضب هو السيف الماضى استعاره للسان .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ١٠٧ قوله :

قد كنت من قص الدجى فى جنة لا تفتحى ومن الحجا فى معقل
ولا معنى لقوله : قص الدجى ، إنما الصحيح أن يقول : قص التقى

وجاء بالسطر السابع من الصحيفة نفسها قوله :
 فمن أى خرم أو ثنية غرة طلعت عليك يد الردى المتوغل
 وصحته : المتوغل بدل المتوغل أى الصاعد .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ١٠٨ قوله :
 يوم أطل بغلة لا يشتقى منها الصدى وبغمة لا تنجلي
 وصحته هكذا :

يوم أطل بغلة لا يشتقى منها الصدى وبغمة لا تنجلي
 لا يشتقى أى لا يروى والصدى هو الظمأ .
 وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ١٢٨ قوله :

أولئك قومك من يعزهم فكيف مناقيره الأسفل
 والصواب : من يعزهم ، والأولى هجاء .

وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من الصحيفة ١٣٣ قوله :
 وإماء الحى مما اختضبت أرضهم بيض الطلى خضر النعال
 والصواب : وإماء الحى مما أخضبت النخ .

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة ١٣٨ قوله :
 الناس عندك من يكن أغنى يدأ فيهم وان لم تعط كان الافضلا
 وصحته : إن لم يعط .

وجاء بالسطر الثانى عشر من الصحيفة ١٣٨ قوله :
 إصع لهم مملقاً كما يرضونه ونح عنهم سامرياً قلقلاً
 قال فى الشرح : (السامرى القلقل : طالب السمر النشيط الخفيف) اه .

والصحيح أن السامرى رجل أخرج لبنى اسرائيل عجلاً ليعبدوه فطرده الله
 قائلاً له (فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لا مساس) فهام على وجهه ومعه ذريته
 فما لا مس أحد منهم الا وحماً معاً . هذا هو الصحيح ، ولو أن الشارح أخطأ
 لعذرناه ، أما أنه يتنحل فى شرحه فهذا عجيب . والقلقل الكثير التنقل .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ١٤٠ قوله :
 تمضى أذيتها اذا هي جردت فى حيث لا تجد السيوف توغلا

وصحته : أذْبَتْهَا جَع ذَبَابٌ وَهُوَ حَد السِّيفِ وَاسْتَعِيرَتْ هُنَا لِلْأَقْلَامِ .

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ١٤٠ أيضاً قوله :

(يَمْضَى وَرِيقَتُهُ الْمَدَادُ وَيَنْثَى) وَصَحَّتُهُ يَنْثَى .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ١٤٤ قوله :

تَطَالُلًا تَرَى الطَّرِيقَ أَيْدِيًا وَأَرْجُلًا

وصحته : تَطَالُلًا تَرَى الطَّرِيقَ أَيْدِيًا وَأَرْجُلًا

وجاء بالسطر الخامس عشر من الصحيفة ١٤٣ قوله :

تَرَوَحْتَ عَشَارَهُ مِلَّةَ الضُّلُوعِ حُفْلًا

وصحته : تَرَوَحْتَ عَشَارَهُ مَلَأَى الضُّلُوعِ حَفْلًا

وجاء بالسطر الثاني عشر من الصحيفة ١٧٣ قوله :

تَقْضَى الرَّؤْسُ عَلَى أَعْطَافِهِ صِبْغَةً لَمْ تَتَعَقَّبَهَا اسْتِحَالَهُ

قال في الشرح : (الروس نبات أصفر يصبغ به) اهـ . والصحيح ان هذا النبات اسمه الورس بتقديم الواو على الراء وقد قلبها الشارح .

قال في شرح البيت في السطر السادس عشر من الصحيفة ١٧٤ ما يلي : (بهذا الشطر عيب من عيوب الشعر وهو مكرر في هذه القصيدة فتأمل) اهـ . وهو في الغالب يظن البيت مختل الوزن والحقيقة أن وزنه صحيح وهو هذا :

والعيش لونٌ يوماً ولونٌ كلاهما صِبْغَةٌ تحولُ

وجاء في السطر الذي يليه قوله :

وربما حنَّت الليالي ثم لها مرة عُقُولُ

ولا معنى له ، انما الأصح أن يقال :

وربما جُنَّت الليالي ثم لها مرة عُقُولُ

وجاء بالسطر السادس من الصحيفة ٢٢٠ قوله :

كَمْ أَصْلَحُوا الْفَاسِدَ مِنْ دَهْرِهِمْ وَقَوْمُوا الْمَائِدَ بِالْعَادِلِ

وانتى أرجح المائل بدل المائد .

وجاء بالسطر الحادي عشر من الصحيفة ٢٢٤ قوله :

وجادلکم فی حقکم متکبرٌ بیاطله ثم المجال مجال

وصحته : ثم المحال محال .

وجاء بالسطر الثاني من الصحيفة ٢٤٤ قوله :

ظلاء قد يسكن السحاب وينح طُ أوانا فيسكن الازمًا

قال في الشرح : (كذا في الأصل والارمام المجارة في المفاضة ويحتمل أن تكون الأدم جمع أديم وهو وجه الأرض) انتهى كلامه . واللفظة الصحيحة هي الأدم بالدال المهملة وهو الجلد والمراد به هنا القرب جمع قرينة وهي ما يوضع فيه الماء . وهذا يشبه قول أبي الطيب المتنبى :

وتترك الماء لا ينفك من سفر ما سار في الغيم منه سار في الأدم

أى نحن لا نترك الماء قراراً فسيرمنه في الغيم سيرمعنا في الميزاد (القرب) عند السفر .

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٢٤٩ قوله :

عند برذايك الطلاحُ بدنا وراخ من حبها وارغ ونم

وصحته : وراخ من حبها ليستقيم الوزن .

وجاء بالسطر الثاني عشر من الصحيفة ٢٦٩ قوله :

ونورَ الليل وليست من ليالى النّم

وصحته : ونور الليل وليس من ليالى النّم

وجاء بالسطر الأخير من الصحيفة ٢٧٢ قوله :

وكان من حاولى حاول جُدَرَ العَصم

قال في الشرح : (جدر جمع جدار . العصم جمع أعصم وهو الطود) انتهى كلامه .

وكلا التفسيرين خطأ وصحة البيت هكذا :

وكان من حاولى حاول فُدَرَ العَصم

الفُدَرُ بضم الفاء واسكان الدال جمع فَدَرَ كقلم وهو الوعل العاقل في الجبل .

والعَصم جمع أعصم وهو الوعل الذى بيديه أو احدهما بياض .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٢٧٤ قوله :

والكلم الهافى فى نقشة كل كلم

وأرجح أن يكون هكذا :

والكلم الدامل فى نكاة كل كلم

وجاء بالسطر الثامن من الصحيفة المذكورة قوله :

ونفس كل طائع ونار كل ومم

وصحته : ونفس كل طائع الخ .

وجاء بالسطر الثاني من الصحيفة ٢٧٦ قوله :

ولا تزل بالشل تُرمى في العدا والجذم

وصحته : تُرمى بفتح التاء وكسر الميم .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٢٧٨ قوله :

فقل لمجر العجب فضل عنانه توقَّ عضاض العجب فهو غذومُ

قال في الشرح (الغذوم الذي يأكل ولا يبقى على شيء وفي الأصل غدوم) انتهى كلامه . وصحة الكلمة غذوم بالعين المهملة والذال المعجمة على وزن رَؤوم من العَدَم وهو العَض ، أى عَضُوض .

وجاء بالسطر الثامن من الصحيفة المتقدمة قوله :

تبينُ فما كل النفوس عظامُ اذا هنَّ لم يدفع بهن عظيم

ضبط تبين بوضع ضمة على النون وصحتها تَبَيَّنْ باسكان النون وتشديد الياء قبلها فهي أمر .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٢٨٨ قوله :

وُيُشْرِقُ في الصفاح التَّم إشفاقاً من التَّهَم

وصحته : وَيُشْرِقُ الخ . والصفاح هنا المصافحة .

وجاء بالسطر السادس من الصحيفة ٢٩٥ قوله :

حبسنا العيشَ منه على بخيل نؤمل عنده جدوى الكريم

أوردها العيش بالشين وصحتها العِيس بالسين المهملة وهي النياق .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٢٩٨ قوله :

يموت الدهر من هرم وتفتى بنوه وهي باقية الرسوم

وصحته : وَيَفْتَى بالياء بدل التاء .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٣٦٠ قوله :

ويا ربّي سعدت من بعد ما شقيت دامت عليك فأرضت روضك الديم
وانني أرجح أروت على أرضت .

تصنيف الجزء الرابع

جاء بالسطر الرابع من الصحيفة التاسعة قوله :

ان الذي عن بغضة زاورته لون الصدود بلعتي مأدوم
وصحته :

ان الذي عن بغضة زاورته لون الصدود بلعتي المأدوم
والمأدوم المحلوط، ولو كانت بدون (ال) لوجب أن تكون الميم منصوبة والقصيدة
مبنية على الصم .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ١١ قوله :

نُسِفوا بأيدي الحادثات كأنهم ورت تطارده الصبا مجلوم
والصواب : تطايره بدلاً من تطارده .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة المذكورة قوله :

واذا السنون أحلن أخلاق الحيا أقلعن عنهم والكريم كريم
وصحته : أخلاف بدل أخلاق جمع خلف وهو حاملة ضرع الناقة وهو هنا
استعارة ، وأحلن هنا من الحيال وهو انقطاع الحمل .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة الثانية عشرة قوله :

سلوا لهم آراءهم ففترجت ومن السيوف خواطرهم وغريم
وصحة البيت : سلوا لها ، والضمير عائد على الخطوب في البيت قبله .

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة الثالثة والثلاثين قوله :

واسمع فان عزبت فلم تسمع لها أختالها في مادحيك عرفتني
فهذا البيت مختل الصياغة ولعله هكذا :

واسمع فان عرفت فلم تسمع الى أمثالها من مادحيك عرفتني
يريد أن المادحين من الشعراء سيقلدون هذه القصيدة بأمثالها كما قال المتنبي :

ودع كل صوت غير صوتي فاني أنا الطائر المحكي والآخر الصدى
 وجاء في السطرين العاشر والحادي عشر من الصحيفة ٣٤ قوله :
 فقلت دهرى عدل القضية أو غير ابن أيوب فيه إنسان
 فِدَى أخى منه حيث ليس أخو صفور وخلى وليس إخوان
 قال في الشرح : (ورد هذان البيتان هكذا في الأصل رسماً وشكلاً ولم نوفق
 الى استجلاء معناهما ولا الى تصويبهما) ٥١ . وصحة البيتين هكذا :
 فقلت دهرى عدل القضية أو غير ابن أيوب فيه إنسان
 فهو أخى منه حيث ليس أخو صفور وخلى وليس إخوان
 ومعنى البيت الأول ان ابن أيوب لا يوجد انسان غيره في الدهر وان وجود
 غيره فيه بمثابة عدل الدهر المطبوع على الظلم في قضيته ، والبيت الثاني ظاهر المعنى .
 وجاء قبله بالسطر الثامن من الصحيفة نفسها قوله :

ذنبى فى ذمة الصِّبَا وإسا عتي بحكم الشباب احسان
 وصحته :

ذنبى فى ذمة الصِّبَا وإسا أتي بحكم الشباب إحسان
 وجاء بالسطر الثاني عشر من الصحيفة ٣٥ قوله :

يَنْقُصُ الدهر كل زائدة وأنت لا يعتريك نقصان
 وصحته : يُنْقَصُ بضم الياء وفتح النون وتشديد القاف مع الكسر ليستقيم
 الوزن .

وجاء بالسطر الثاني من الصحيفة ٣٧ قوله :

ولا تحسبن الخُلْفَ يصلح بيننا قرب يمين بالقسوق تمين
 وصحته الخلف أى القسم بدل الخلف .

وجاء بالسطر السابع من الصحيفة ٣٨ قوله :

ولما هفت أمس الحلوم بربها وشوور مدخول الحفاظ صنين
 وصحته : ظنين أى متهم .

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٣٩ قوله :

فككت وقد راجمته عنقه وفى جباهم شكوى لهم وأين

وصحته : شكوى له .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٤٢ قوله :

دَرَجَ الملوك بها كما درجت مع النفس السنانُ

قال في الشرح : (كذا بالأصل ولم نتيين معناه) . واني أرجح أن البيت هكذا :

دَرَجَ الملوكُ بها كما درجت مع النَّفسِ البَنانُ

النفس : الخبر . والبنان : الأصابع .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة المذكورة قوله :

طلبوا الأمان فكان يؤخذ من سيوفهم الأمانُ

وصحته : طلبوا الأمان وكان يؤخذ من سيوفهم الامانُ

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٤٩ قوله :

قناعة صانت لوجهي ماء كم من حريص لم يجد ولم يصنْ

وصحته : لم يجد بكسر الجيم لا ضمها ، من الجدة وهي الوفرة ، والمعنى أنني صنت ماء وجهي فكم من انسان بذل ماء وجهه ولم ينل شيئاً .

وجاء بالسطر الأخير صحيفة ٥٠ :

ليت البخيل القابلي والباخسي حق كما هو مانى يا باني

قال في الشرح (يريد يا باني فسهل الهمة) اه . فانظر فكما ترى لا حاجة بالشاعر الى هذا التسهيل لأن البيت صحيح مع الهمة .

وجاء بالسطر الخامس عشر من الصحيفة ٥٥ قوله :

إن عضى ريب الزمان أعانه وتراه يأنى ما أصبت زمانا
وصحته :

إن عضى ريب الزمان أعانه وتراه نأى ما أصبت زمانا

وجاء بالسطرين الخامس عشر والسادس عشر من الصحيفة ٥٨ قوله :

وصبرى وأخى شوب إذا قلت تصافينا

أولى هجمة الشؤ ذئاباً يتعاوننا

وصحة البيتین هكذا :

وصفوى وأخى شوب^(١) اذا قلت تصافينا
أولّى هجمة^(٢) الودّ ذئاباً يتمّاوينّا

وجاء بالسطر السادس عشر من الصحيفة ٥٩ قوله :
أيا صاحبي بالخيف حييتُ مفضّباً تفتّ ولكنى نظرت لحيني
وصحته :

أيا صاحبي بالخيف حييت مفضّياً نظرت ولكنى نظرت لحيني^(٣)
وجاء بالسطر الرابع عشر من الصحيفة ٦٠ قوله :

أدارى (بجمع) طرف عينٍ قضى البكا عليه انتشاراً أن طوى البينُ عينه
وصحته : اقتساراً بدلاً من انتشاراً .

وجاء بالسطر الثامن من الصحيفة ٦٢ قوله :
وأقسمت أنى قد ظفرت ببغيتى لك الله من خل صدقت يمينه
وصحته :

وأقسمتُ أنى قد ظفرتُ ببغيتى لك الله عن خل صدقت يمينه
وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من الصحيفة ٦٤ قوله :

لمن ظعنٌ سوائر لو صحت عقلتها لمن
وصحته :

لمن ظعنٌ سوائر لو صحت عقلتها لمن
ينظر الى قول امرئ القيس :

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً : عقلت بعيرى يا امرأ القيس فانزل
وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٦٥ قوله :

بقارغة الحقاب مشى ن مشى الذيل والردن

وهذا البيت ممسوخ مشوّه : فالشاعر لم يتكلم فى القصيدة كلها الا عن امرأة
واحدة فكيف يقول مشين ، ثم ما هو مشى الذيل والردن ؟ الصحيح ان البيت هكذا :

(١) الشعوب ضد الخالص (٢) المحمة القطعة من الابل (٣) الحين الهلاك

بفارغة الحقاب تمي سُمِّلَتْ الذيل والردن

الحقاب : الحزام ، فهي فارغة الحزام لدقة خصرها وهي ملئ الذيل والردن لامتلاء معصمها وساقها . وقد طرق الشعراء كلهم هذا المعنى فقال امرؤ القيس :

هصرت بفودى رأسها فتمايلت
قال الشماخ بن ضرار الغطفاني :

هضم الحشا لا يملأ الكف خصرها
وقال جرّان العود النخري :

مما يجول وشاحها اذا انصرفت
وقال ابن الرومي :

يجمع وشاح الدر منه مجاله
وقال أبو العلاء المعري :

وبيضاء رياء الصيف والضيف والبري
وقال سبط بن التعاويذي :

رؤى دماجلها ويعرث في موشحها الحقاب
وقال مهيّار :

تطول على الصوّاع حين يمدّها
وقال أيضاً :

وأغيد أعياه سوار يُفصّه
وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٦٥ المذكورة قوله :

تناشدني على يبرين غض الطرف تبغني
وصحته :

تناشدني على يبرين غضى الطرف تبغني
تعبني أي تحقني في العتب . قال الشريف الرضي :

لو كان يعتبني الزما ن لطلّ بعد اليوم عتي

وبين هذا البيت والذي يليه انقطاع في السياق فأدخلت بينهما هذا البيت من نظمي :

تقول أرى عيون النا س بالشُّبُهَاتِ تأخُذني
والذي يليه قوله :

فَصْنُ مَرَى وَسْرُكُ ان يكون بمطرح الظَّنِّ
وجاء بالسُّطر الذي قبل الأخير من الصحيفة المذكورة قوله :

وأغنى الله غيبته جزاءً من بدور غَنِي

قال في الشرح : (البدور : الأكياس للدرهم واحدها بدره) هـ . وهو خطأ ويريد بالبدور الحسان تشبيهاً بالأقار ، وغنى اسم قبيلة .

وجاء بالسُّطر السادس من الصحيفة ٦٧ قوله :

خبرتهم فَعَفَّتُهُمْ وكأثرني فوافقني

وصحته : عاشرني بدل كأثرني وسبب التصحيف أن الكاف ترسم أحياناً على شكل يقرب من شكل العين والناء تشبه الشين بنقطها .

وجاء بالسُّطر الثالث من الصحيفة ٧٠ قوله يصف أرضاً كثيرة النيات :

كَجَتْ فطالت ما ابتغت ومضت 'عَرْضاً' فخلت نباتها رَبِينَا

والصواب : خلت نباتها لُبْنَا ، أي بناء لأن كلمة تبين لا تتفق مع ذكر الطول والعرض ويؤيده قوله في البيت السابق :

تمشى عليها الرجل ثابتةً مما يلاحم غصنها الغصنا

وجاء بالسُّطر الخامس من الصحيفة ٧٤ قوله :

حيث لم يُلَحَمْ عذارى ولا رُجِمَتْ بعد بشهب الشيب جِئِي

وصحته : حيث لم يَنْجُمْ عذارى الخ . أي لم ينبت .

وجاء بالسُّطر السابع منها قوله :

أما يستطرف الروعة من نَفَرَتْ منه بقلبٍ مطمئن

وصحته :

انما يستعظم الروعة مَنْ نزلت منه بقلب مطمئنٌ
وجاء بالسطر الثاني من الصحيفة ٧٥ قوله :

سام بغضاً بي فلما داسها فراها جرةً قال أقلني
وصحته : سام بغضائي الخ .

وجاء بالسطر الأخير من الصحيفة ٧٦ قوله :

صِدْنِي بِالْخُلُقِ الرَّحْبِ وَكَمْ قَدْ تَقَبَّضْتُ بِخُلُقٍ لَمْ يَسْغِي
قال في الشرح : (في الأصل تقيضت) وصحة البيت هكذا :

صِدْنِي بِالْخُلُقِ الرَّحْبِ وَكَمْ قَدْ تُقَنَّصْتُ بِخُلُقٍ لَمْ يَسْغِي
وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ٧٧ قوله :

ما تخيلتك حتى جبتهم باحناً أقلبهم ظهراً لبطنـ
وصحته : ما تخيرتك حتى جبتهم الخ .

يا صاحبي شكواي هل ناصرٌ يملك رفاي منكم أو معين
والصواب : منكما .

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة ٩٤ قوله :

وهم أذالوا الشيب في مفارقي بالصدِّ لا عدى له الحسينا
والراجح عندي : وهم أذاعوا أي نشروا .

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة ٩٩ قوله :

تفدى سواه سوقها بضروعها ودماؤها معه فدى الألبانـ

والصواب : ينفدى سواه سوقها بضروعها الخ . كان العرب في أيام قحطهم
يجرحون الأبل في سوقها ويمتصون الدم السائل منها ، ويقول مهيار إن غير هذا
المدوح يجعل دم سوق ابله فداءً لألبانها عند جفاف الضروع أما هو فإنه
يعقرها فيقدم لحما لضيوفه ولو كانت تدر الألبان .

وجاء بالسطر الثاني من الصحيفة ١٠٢ قوله .

فقيّلوا ظلال كلِّ روضة وهجروا بني للجوى والحزنـ

وصحته : تقيّلوا أي استذروا في القائلة ، وهجروا بي أي عرضوني للهجرة ولم يشرحها الشارح.

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة ١٠٧ قوله :

واعلم أن ما طلت بالودّ أننى على قَرَبٍ لا بد تدلى له شِنَى^(١)
وصحته : واعلم أن ما طلت بالورد اننى الخ .

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ١٠٨ قوله :

وللخصم يستشرى على سفاهة وذى الود يستعلى حوّلاً ويستسنى
قال في الشرح : (كذا بالأصل فتأمله) ومعنى البيت أننى رشحت المرثى
للخصم الذى يحمى غضبه سفاهة ولذى الود الذى يستعلى على حوّلاً أى متحولاً
عن وده ويستسنى أن يترفع من السناء أى الرفعة .

وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من الصحيفة المذكورة قوله :

يرقت يوماً من لقائك نجتى ثمار الاياب الحلو من غصنه اللدن
والصواب : ترقبت .

وجاء بالسطر التاسع من الصحيفة ١٠٩ قوله :

عذيرى من أفواه دجلة بُدّلت^٢ من الغدق السلسال بالراكد الأجن
وصحته : عذيرى من أمواه دجلة الخ . وقوله بُدّلت دعاء منه عليها .
ويبدو أن المرثى مات غرقاً في دجلة .

وجاء بالسطر الثامن من الصحيفة ١١٠ قوله :

ولكن نعانى فيك من لا أروعه بسفك دم يحميك منه ولا جفن
والصواب : ولا حقن بدلا من ولا جفن ، وحقن الدم ضد سفكه .
وجاء بالسطر الذى يليه قوله :

هو الفاجع النسر المخلق بابنه على الطود والضب المنقب بالمكن
ضبط المنقب بفتح القاف المشددة والصواب كسر ها أى الذى ينقب الأرض
والممكن بيض الضب .

(١) القرب هنا البئر القريبة الماء ، والشن : القربة البالية .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ١١٤ قوله :

لمعها المجد وهى منه تبارق ما بين راحتين
والصواب : لمعها المجد ، الخ .
وجاء بالسطر الذى يليه قوله :

ناولها خالها أبوها بيضاء ملساء الجانين
وصحته : ناولها خالها أبوها الخ . أى ادخالها أمكن أباهما حتى جاءها كما يصف .
وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ١١٨ قوله :

واستخلفوني والجوى بى شاخص حيران أسأل منه غير مبين
قال فى الشرح : (شاخص : ذاهب) وصحة البيت هكذا :
واستخلفوني والجوى بى شاخصاً حيران أسأل منه غير مبين
أى جعلوه حليفاً للطلل الشاخص .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ١٢٢ قوله :
والناسُ مسلاةٌ فليتك موسعاً طمعى أمرت الناس أن تسلىنى
وصحة البيت هكذا :

والياسُ مسلاةٌ فليتك موسعاً طمعى أمرت اليأس أن يُسلىنى
وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ١٢٤ قوله :

متلثمٌ والشمس تحت لثامه أو سافرٌ والنجم تحت جبينه
والصواب : والنجم فوق جبينه .

وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ١٥٩ قوله :
كفيتك فى طرق الهوى أن تُعزّزنى فهل أنت فى طرق العلاء مهين
وصحته :

كفيتك فى طُرُقِ الهوى أن تُعِينى فهل أنت فى طُرُقِ العَلَاءِ معِينُ
وجاء بالسطر التاسع من الصحيفة ١٧٣ قوله :

برماً بحبات القلوب يخافها وتهشُّ محوّه

والصواب :

برمًا بحبات القلو ب يعافها وتهش محوه

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ١٩٤ قوله :

توحش يوم تطلب سامريًا وتأنس يوم تجلب بابلًا
قال في الشرح : (كذا في الأصل الفوتغرافي والنسخة الخطية ولم نفهم معناه)
وصحة البيت هكذا :

تَوْحَّشُ يوم تطلبُ سامريًا وتأنس يوم تجلبُ بابلًا
وقد أسلفنا القول عن السامري وهو الرجل الذي طرده الله فهام على وجهه ،
والبابلي يريد به السحر ، والمعنى ان هذه الحبيبة تتوحش عند ما تطلب كما توحش
السامري وتأنس عند خلابتها فتكون ذات سحر ، والسحر ينسب الى بابل لأن
بها هاروت وماروت كما ورد في القرآن .

وجاء بالسطر الثامن من الصحيفة ١٩٥ قوله :

مؤنة الثرى والماء يعدى بحسن طباعها القدرَ الجريًا
والصواب :

مدمنة الثرى والماء يُعدى بحُسن طباعه القدرَ الجريًا
هذا آخر ما توصلت الى تصحيحه الآن من ديوان مهيار ، وهناك أبيات لم
أستطع استجلاء طامسها وذلك لتكرار المسخ قرنًا بعد قرن كما أن هناك قصائد لم
أقرأها بعد . وبالله استقوى

صبيب عوض الفيومي





المتنبى

في بلاط سيف الدولة

لعل أبرز ما في حياة أبي الطيب ، هي السنوات التسع التي قضاها في حلب ، في عاصمة بني حمدان ، في بلاط سيف الدولة . وما كانت حياته من قبل ذلك ، ومن بعدها إلا ترداداً لها أو رجوع صدى . ففي هذا الحى غرّد المتنبى أفخر قريضه ، وغنى أجود قوله ، وفي هذا البلاط تجلت نبوّه الشعريّة ، وفي هذا البلد العامر من سوربة فاضت موهبته .

ما يُذكر المتنبى إلا ليذكر معه سيف الدولة وكافور ، وما يذكر العبد إلا ليردد فيه قول المتنبى :

لا تشتر العبد إلا والعصا معه ان العبد لا نخاس مناكيد
ما كنت أحسبني أحيا الى زمن يسيثنى فيه عبد ، وهو محمود
عن علم لا سود الخصى مكرمة أقومه البيض ، أم آباؤه الصيد ؟
أم أذنه في يد النخاس دامية ؟ أم قدره وهو بالفلسين مردود ؟

لكن سيف الدولة يُذكر لأن مديح المتنبى قد ملأ الاسماع والأبصار ، وشعره فيه المتنبى ذاته ! وشتان ما بين الهجاء والمديح ، وشتان بين قبح الصيت وحسنه حتى في الذكرى !

ان سيف الدولة مرادف للمتنبى ، كان شاعرنا قد تنبأ في قوله عن الصلة الدائمة بين اسميهما ، حين فخر بنفسه ، ومدح أمير بني حمدان قائلاً :

خليلى ! انى لا أرى غيرَ شاعرٍ فكم منهم الدعوى ومنى القصائد ؟
فلا تعجبا ، ان السيوف كثيرةٌ ولكن سيف الدولة اليوم واحد !

هذا هو أبو الحسن على بن عبدالله بن حمدان الغدوى الذى تولى الملك على حلب ومقاطعتها حتى انطاكية ثلاثة وعشرين عاماً ، وقف فيها ببابه من الشعراء ، ما لم يجتمع بباب أحد غيره من الملوك ، بعد الخلفاء ، كالسرى الرفاء والبيضاء والنامى والوأواء الدمشقى وسواهم لكن صيته لديهم خفت معهم ، ولم يثبت حتى الآن إلا لأن أحد شعراء الدهور وقف زمناً لديه ، وها نحن نرى اسمه خلد على المدى وسيرن فى الأفاق كلما رن اسم المتنبي رغم ما وقع بينهما من جفوة وفرقة ، وصار من وحشة وبعاد .

انها لصدفة عجيبة سديدة أن يأتى سيف الدولة الى انطاكية ، قصبة البلدان السورية الشمالية ليزور قريبه أبا الشعائر الحمدانى ، فيقدم هذا اليه أبا الطيب ويكشف له عن نبوغه فى الشعر ، ويثنى عليه فيضمه الأمير اليه على شروط يشترطها الشاعر : أن لا ينشد الشعر إلا جالساً ، ولا يقبل الأرض إن حضر بين يديه ، وفى هذه الشروط تتجلى كبرياء المتنبي بينة ظاهرة ، كيف يأبى الخضوع لما هو عرف متبع بين الشعراء فى حضرة الملوك ، وكيف يعدّ ذاته والملوك سواسية فى القدر والمكانة ، لولا الدهر المشاكس !

أكرم سيف الدولة مثواه بادىء ذى بدء ، وكانت هداياه لشاعره كثيرة ، وعطاياه عظيمة أسالت لعاب باقى الشعراء فى البلاط ، وأثارت حفاائظهم وأوقدت نيران الغيظ على هذا الشاعر الذى جاء ينجبت صيتهم وينال منهم لدى سيف الدولة ويحظى بالهدايا الفاخرة الوفيرة ، وتصدق عليه النعم العظيمة بينما هو يأبى أن يسير على سنة الشعراء ، أو يتقيد بعاداتهم ويأثم بأحوالهم ، أو يعدّهم وإياه على قدم سواء .

ثاروا وماجوا فى أنفسهم ، وعولوا على أن يدخلوا فى روع سيف الدولة شيئاً بل أشياء عن شاعره الممتاز ، وأخذ جانبهم أبو فراس الحمدانى ، ابن عم الأمير ، وكان ما لا بدّ أن يكون فى مثل هذه الحالات ، وانتهى الأمر بأن أصغى سيف الدولة بعض الشيء الى هذه الأقاويل التى تحف بمجلسه عن المتنبي فكان الحال كما قال فولتير أكبر كذوب فى العالم : « أ كذبوا ! كذبوا ، فلا بد أن يعلق فى العقول شيء من كذبكم ! » فكان تارة يحافيه وبالمثلهم عليه ، وتارة يحنّ الى

مديحه ، ويتوق اليه فيصله ويكرمه . وكان المتنبي من جهته أيضاً يتجاهله طوراً فيحضر مجلسه ولا عمدحه ، وطوراً يشيد بماثره في استعطاف ممزوج بكبرياء ، وهكذا دواليك من الطرفين . وهذا ما حمل يوماً ما أبا فراس على القول لابن عمه : « ان هذا المتشدق كثير الادلال عليك ، وانت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ، ويمكن أن تفرق مئتي دينار على عشرين شاعراً ، يأتون بما هو خير من شعره » . وعملت هذه النعمة القديمة في نفس سيف الدولة أى عمل فأضمر ما أضمر ، ووصل الخبر لمتنبي فاستعدّ للامر . فكانت هذه الحادثة التى تدل أعظم دلالة عما كان يجري في مجلس سيف الدولة من ايقاع بالمتنبي ، يقوم مجبكه أولئك الشعراء الذين أكل الحسد قلوبهم ، وملأت الغيرة قلوبهم وهى تملل لنا لماذا انتهت تلك الرابطة القوية بقطيعة مرّة ، رحل فيها المتنبي عن حلب رجلاً أبدياً ، فانه لما دخل سيف الدولة بعد تلك الواقعة من أبى فراس ، وأنشده أبياتاً لم يأبه له هذا ولوى برأسه عنه ، وكان من حوله يغتابونه أمامه سكت المتنبي وأسرّها في نفسه ، وانقطع عن المجلس حتى نظم قصيدته الميمية الشهيرة ، ثم جاء وألقاها ، وقد بدأ بالتظلم والاستعطاف والادلال :

واحرّ قلباه ممن قلبه شبنمٌ ا ومن بجسمى وحالى عنده سقمٌ ا
مالى ا كتم حبّاً قد برى جسدى وتدعى حبّ سيف الدولة الأمام
إن كان يجمعنا حبٌّ لغرّته فليت أنا بقدر الحبّ نقسم
قد زرتّه ، وسيوف الهند مغمدة وقد نظرتُ اليه والسيوف دم

وهنا كاد بعضهم يوقعون به في حضرة الأمير ويقتلونه ، لفرط ادلاله وسكوت سيف الدولة ، واستمر هو حتى انتهى الى قوله :

يا أعدل الناس إلا فى معاملتى فيك الخصام ، وأنت الخصم والحكم
فقال أبو فراس : قد مسخت قول دعبل :

ولست أرجو انتصافاً منك ما ذرفت عيني دموعاً ، وأنت الخصم والحكم
فقال المتنبي :

أعيدها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
فأدرك أبو فراس انما هو يعنيه بذلك ، فتار أن يكون هزأة ، وهو قريب

سيف الدولة ، وأن يوكزه المتنبي ، فقال : « من أنت يا دعيّ كندة ، حتى تأخذ أعراض الأمير في مجلسه ؟ » وظل الأمر على هذا المنوال ، يقول أبو الطيب بيتاً ، فيقاطعه أبو فراس ، حتى إذا انتهى إلى قوله :

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم ؟
قال أبو فراس : « هذا سرقته من قول معقل العجلي :

إذا لم أميز بين نورٍ وظلمةٍ بعينٍ ، فالعينان زورٌ وباطلٌ !
ومثله قول محمد بن أحمد بن أبي مرة المكي :

إذا المرء لم يدرك بعينه ما يرى فما الفرق بين العمى والبصراء ؟
وضجر سيف الدولة ، فقفذه بالدواة ، فاستطرد المتنبي ، وثار في نفسه لهذه الأهانة وأخذته أنفة الكبرياء ، فعول أن يطلق آخر سهم في كنانته ، فقال :

إن كان صرّكم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم !
فكان هذا البيت البلسم الشافي ، وإذا بسيف الدولة يرضى عليه ، ويقرّبه إليه ويقبّل رأسه ، ويصله بألف دينار ، يردفها بألف أخرى ، ويفقأ حصرماً في أعين الوشاة الحساد !

هذا مثال مما كان يحدث في مجلس سيف الدولة ، ومثال ناطق بما يفعل الحسد ، ولا ريب أن توالى هذه الحوادث وتوالى الجفوة بينه وبين المتنبي عملت في قلب أمير بني حمدان كثيراً ، ثم ربما كان هذا قد ملّ من الشاعر أثر تلك الوشائات ، بعد ما قضى لباتته منه ، فأراد أن يذل كبريائه ، ويخضد من عنفوانه ، لذلك نراه يمالئ الشعراء عليه ، ويطرق عنه ، مع أن ما قاله المتنبي فيه لم يقله شاعر في أمير ، فقصائده فيه أروع ما نظمته في سائر حياته ، ومدائحها فيه يتحدث بها الركبان ، ويتناشد بها الناس ، بل إن مرثيته لأقرباء الأمير ، من أمه ، وابنه واخته ، ملأت الأسماع حال قولها . ألم يقل ابن العميد : « إنه يغيظني أمر هذا المتنبي ، واجتهادي في أن أحمّد ذكره ، فقد ورد عليّ نيف وستون كتاباً في التعزية ، وما منها إلا ما صدر بقوله :

طوى الجزيرة حتى جافى خبره فزعت فيه بآمالى إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

فكيف السبيل الى اخماد ذكره ؟ » .

وما هذان البيتان إلا من قصيدة رثى بها المتنبي أخت سيف الدولة ، قبل قول ابن العميد هذا بسنة من الزمن ، فطافت في هذه المدّة أنحاء الجزيرة والعراق وفارس ، وانتهت الى أذربجان ، وحيث يقيم هذا الوزير ! ولوعاد سيف الدولة الى الحياة ، ورأى ما تركه له المتنبي من ذكرى ، لكان يندم على ما فعله أى ندم ، يحمله الى الاسراع الى الأُكفان من جديد ليدارى عيبه ، ولا يفصح عن عظم خجله ومعرّنه !

وكان سكوت سيف الدولة عن انصافه بعد الذى حدث في مجلسه بين أبى الطيب وابن خالويه النحوى ، من المهاترة والشجار ، فوثوب النحوى على الشاعر ، ولطمه بمفتاح في يده شجّ رأسه ، ما أدى بهذا أن ينفر نفوراً كلياً من رجل أشاد هو به كل الاشادة في أشعاره ، وترنم بها الناس في مجالسهم فخذله ، فتركه وذهب الى دمشق ، ومنها قصد الى مصر ، وأتانا نراه في مصر ، كيف يعرض بسيف الدولة وكيف يذكره بما كان منه من عدم الدفاع عنه أو الانتصار له ، وذلك في القصيدة التى قالها عن اشاعة موته ، ونعيه في مجلس سيف الدولة :

رأيتم لا يصون العرض جاركُمُ ولا يدرّ على مرعاكمُ الدينُ
جزاة كل قريبٍ منكم ، مللُ ! وحظُّ كل محبٍّ منكم ضغنُ !
وتغضبون على من نال رفقكم حتى يعاقبه التنغيصُ والمنُ !

وكانت هذه الأقوال القاسية خليقة بسيف الدولة بعد الفعل الشنيع الذى فعله ، ولكن المتنبي وإن قال ما قاله هنا وغير هنا عن ألم وحسرة وغیظ وتشفّر فقد كان دائماً يذكر سيف الدولة ، وبلاط سيف الدولة ، وليالى حلب ، وعيشه الرغد فيها ، ولولا فراقه لها لما صرمت حباله بهذه الكيفية المفجعة ، فيقتل وهو في طريقه الى بغداد عائداً من لندن عضد الدولة في شيراز ، ولكن :

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مُرادِها الأجسامُ !

ميسيل سليم كبير

بركات — السودان :

نوادير أبي الطيب

للمتنبي أخبار متشقة في تضاعيف الأسفار أشير الى بعضها في هذه المقالة :
رحل المتنبي الى العراق بعد خدمته لسيف الدولة بن حمدان في حلب فأقام في
البرية وسئل عن ذلك فقال : « ان بني حمدان كدروا خاطري فجئت أريجه » .

وقيل له يوماً : « على من تنبأت ؟ » قال : « على السفلة » ، قل : « ان لكل
نبي معجزة فما معجزتك ؟ » قال قولي :

وَمِنْ نَكِدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحِرَانِ يَرَى عِدْوًا لَهُ مَا مِنْ صِدَاقَتِهِ مُبْدًى

وجرت مناقشة بينه وبين أبي علي الحاتمي فقال المتنبي من كلام طويل للحاتمي :
« لقد أكثرت من ذكر أبي تمام لا قدس الله روحه » فقال الحاتمي : « لا قدس الله
روح الأخذ منه والطاعن عليه » .

وسأل أحدهم المتنبي عن قوله : « باد هواك صبرت أم لم تصبرا » كيف
أثبت الألف في (تصبرا) مع وجود الجازم فقال المتنبي : « لو كان أبو الفتح بن
جنى ههنا لأجابك » وكان يثق به كثيراً حتى اذا سئل عن معنى من أشعاره يقول :
« اذهبوا الى ابن جنى فإنه يقول لكم ما أردته وما لم أرده » .

وكان المتنبي موصوفاً بالبخل حتى انه لما أجز على قصيدة بعشرة آلاف درهم
وزنها ووضعها في كيس وختمه ورفعها الى صندوق في خزانة ثم رجع الى مجلسه فوجد
بين الحصير قطعة تكون مقدار ربع درهم فعالجها باظافره وهو يشد قول ابن الحطيم :

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضفت بحاجب

الى أن أخذها فأعاد الكيس ووضعها فيه بحضرة جماعة يعرف انهم يذمونه .
وكان أبو العباس النامي يقول : « كان قد بقي من الشعر زاوية دخلها المتنبي
وكنت أشتهى ان أكون قد سبقته الى معنيين قالها ماسبق اليهما » (أحدها) قوله :

رماني الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال

فصرت اذا أصابني سهام تكسرت النصال على النصال

والآخر قوله :

في جففل ستر العيون غباره فكأنما يبصرن بالآذان
وقصد السرى الرفاء سيف الدولة ممدوح المتنبي فأنشده بديها :

أنى رأيتك جالسا في مجلس قعد الملوك به لديك وقاموا
فكأنك الدهر المحيط لديهم وكأنهم من حولك الأيام
وبعد ثلاثة أيام جاء المتنبي مجلس سيف الدولة وأنشده قصيدته التي قال
في مطلعها :

أيدرى الربع أى دم أراقا وأى قلوب هذا الركب شاقا ؟
حتى بلغ الى قوله :

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حديق نطاقا
فقال السرى : « هذا والله معنى ما قدر عليه المتقدمون » ثم حم حسداً وتحامل
الى منزله ومات بعد ثلاثة أيام .

وكان لابن جنى هوى في أبى الطيب وكان كثير الإعجاب بشعره وكان يسوءه
اطناب أبى على الفارسي في الطعن عليه . واتفق أن قال أبو على يوماً : « اذكروا لنا
بيتاً من الشعر نبحت فيه » فابتدر ابن جنى وأنشد :

حلتِ دون المزار فالיום لوزار تـ لحال النحول دون العناقـ
فاستحسنه أبو على واستعاده — وقال : « لمن هذا البيت فانه غريب المعنى ؟ »
فقال ابن جنى هو الذى يقول :

أزورهم وسواد الليل يشفع بى وانثى وبياض الصبح يغرى بى
فقال : « والله ! وهذا أحسن ، فمن هو ؟ » قال : « للذى قال :

أَمْضَى ارادته فسوف له قد واستقرب الأقصى فثم له هنا !
فكثر اعجاب أبى على واستغرب معناه وقال لمن هذا ؟ فقال للذى قال :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلـ مصر كوضع السيف في موضع الندى
فقال : « وهذا والله أحسن ، ولقد أطلت يا أبا الفتح فمن هذا القائل ؟ » قال :

«هو الذي لا يزال الشيخ يستقله ويستقيح زيه وفعله وما علينا من القشور إذا استقام الباب» .

— قال أبو علي: «أظنك تعني المنجي؟» قال نعم: «فقال والله لقد حببته الي». ونهض ودخل على عضد الدولة فأطال في الثناء على أبي الطيب، ولما اجتاز به استنزله اليه واستنشدته وكتب عنه أبياتاً من شعره .
ومن محاسن منظومه القصيدة التي نظمها لما نعى في مجلس سيف الدولة بحلب وقد قال منها :

يا مَنْ نُعيتُ على بُعْدِ مجلسه كل بما زعم الناعون مرتين
كم قد قتلت وكم قد مت عندكم ثم انتفضت فزال القبر والكفن
قد كان شاهد دفني قبل قولهم جماعة ثم ماتوا قبل من دفنوا
ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
وقال في وصف القلم من قصيدة :

يتكسب القصب الضعيف بكفه شرفاً على صمّ الرماح ومفخراً
وبين في ما مسّ منه بنانه تيه المدل فلو مشى لتبخراً
وقوله في وصف عواد من قصيدة :

أديب إذا ماجسٍ أوتارَ مزهرٍ بلا كل سمع عن سواها بعائق
يحدث عما بين عاد وبينه وصدفاه في خدي غلامٍ مراهق
وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له إذا لم يكن في فعله والخلائق

ومن أقواله في سيف الدولة من قصيدة :

أرى كل ذي ملك اليك مصيره كأنك بحرٌ والملوك جداولُ
إذا مطرت منهم ومنك سحائب فوابلهم طلٌّ وطلك وابلُ
كريم متى استوهبت ما أنت راكب وقد لقت حربٌ فانك نازلُ
إذا الجود أعطى الناس ما أنت مالك ولا تعطين الناس ما أنا قائلُ
وقوله من غيرها :

فدتك ملوك لم تسم مواضيا فانك ماضى الشفرتين صقيلاً

إذا كان بعض الناس سيفاً لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول
ومن حكيمه قوله :

سوى وجع الحساد داوِ فانه إذا حلّ في قلبه فليس يحول
ولا تطمعن من حاسد في مودة وإن كنت تبديها له وتنيل
ومن قوله في الفخر :

وعندي لك الشرّذ السائراتُ لا يختصن من الأرض دارا
قوافٍ إذا سرن عن مقولى وثبن الجبال وخضن البحارا
ولى فيك ما لم يقل قائل وما لم يسر قمر حيث سارا
ومن حرياته قوله :

ولربما أطر القناة بفارس وثنى فقوّمها بأخر منهم
ومن تشابهه قوله في بستان المنية بمصر لما أوقع السيل جدرانه :

شق النبات عن البستان ريّقه محيّياً جاره الميدات بالشجر
كأنما مطرت فيه صوالة تطرح السدر فيه موضع الأكر
ومن قوله في مرثية أخت سيف الدولة وكانت قد ماتت له شقيقة قبلها وهي
الصغرى فعاد الموت وأخذ الكبرى :

فليت طالعة الشمسين غائبة وليت غائبة الشمسين لم تغب
وليت عين التي آب النهار بها فداء عين التي زالت ولم تؤب
قد كان قاسمك الشخصين دهرها وعاش درهما المنقضى بالذهب
وعاد في طلب المتروك تاركه إنا لنخفل والأيام في الطلب
ومن الحماسة قوله :

تبكى على الانصل المغمود إذا انذرهما أنه يجردهما
لعلمها أنها تصير دماً وأنه في الرقاب يغمدها
أطلقها فالعدو من جزع يذمها والصديق يحمدها

وأمثال هذه الروائع لا تحصى فنجتزئ بهذه الآن

عيسى اسكندر معلوف



الليل في فينيسيا

يا ليلُ ! ما أعجبَ هذى البلاد لا ليلَ فيها ، كلُّ ليلٍ صباحٌ
وكلُّ نبتٍ في رُبّها ضامدٌ و(مضرٌ) لا تُنبتُ إلاّ الجراحُ !
إبراهيم ناجي



الى قرنفلة

﴿ مهداة الى من شاعر العربية خليل مطران ﴾

أهديتَ للروح التي ذبلتُ روحاً يرفُّ بها الصبي الغضُّ
يا حسنّها ، زهراء ناعسةً أوراقها فيها الشذى المحضُ



قبلتها وغدوتُ أنشفها والقلبُ من أطيابها يملُ
وحلتها ، نشوان أُرشفها في عروتي حمراء تشتملُ !



الغيرةُ الحقاء ، والألم والحبُّ مجنوناً من الصدِّ
ونواضرُ الآمالِ قد سكنت لفتاتها ، ولواعجُ الوجدِ



يا زهرني الموت قد هدأت نفسي ، وأنتِ رهينة الموتِ

أحلامنا في العيش ضائعة ونعيمنا بعد الردى يأتى

هذا الشذى يبقى وقد ذبلت أوراقك الشقية النور
يسرى على النسمات منطلقاً في الليل يهذى الحب للحدود

وأنا الى التراب الذى نسجت أعصابنا منه أعود غدا
أفنى وأمنسى فى الترى بدداً إلا قريضاً خالداً أبداً
مخاض الوكيل

جمال الطفولة

أحييتهم وأزبدتهم حباً
ما كان أجمل أن أضاحكهم
كالزهر نظّم فى حدائقه
فى نضرة من طهرهم لمعت
تجلو وجوههم ضائرتهم
عفّ نفوسهم كالسهم
ما إن تثير إذا زجرتهم
قد كنت أشرب من عيونهم
ويشيع فى نفسى ابتسامهم

صقل الفؤاد وجدد القلب
ضحكاً يزيد قلوبنا قرباً
كالطير تشرب صوته عذبا
كلما نضر لونه الشحبا
مثل الأشعة تكشف الحجب
لا يعرفون الائم والعيب
حقداً ولا تخشى لهم عتبي
صفو الحنان الله شربا
رؤحا يجدد لروحي الخصب

عبر الباقي ابراهيم

المصور الفنان

(من قصيدة مهداة إلى الفنان المصري شعبان زكي)

قالوا لنا إنَّ النوايغ بيننا عزَّوا وليس بقطرنا فنَّانُ
 فأجبتهم : كلاً ا فني مصر فتى عشق الطبيعة ، والهوى كنانُ
 يختصها بجنانهِ وجَنانهِ فسرى له منها هوى وحنانُ
 إنَّ صوَّرت يده فني تصويره كلُّ الطبيعة ما بها نقصانُ
 أو خطَّ في لوح أحالَ بياضه شكلاً هو الابداعُ والاحسانُ
 أو جئت منزله يروِّعك متحفٌ الفنُّ تنهلُ وحيه الأذهانُ
 الذوقُ صورةٌ نفسه ، والحسنُ صو رةٌ حسِّه ، وكذلك الألوانُ
 ويجول في سعة له قد أحدثت بالكون بل خلقت له ا كوانُ
 ونحسَّ من تصويره بجمالة أني بدور مع الفصول زمانُ
 فسطنري داور





الشعر المقدس

(أحبَّ الشاعر فابتلى بالوشاية بينه وبين حبيبته ، فساورتها نفسه بالميل عن الحب ، ولكن شعلة الحب المقدس اجتذبتة في النهاية)

الشاعر (في مناجاته) :

يا بهيَّ السنا وعذبَ المحيَّا من بحق الهوى سمى بيَ عندك ؟
أنتَ روحي وكعبتى ورجائي كيف أحيأ ؟ وكيف أسعدُ بعدك ؟
كنتَ أوفى العباد برأ فقل لي : أى شيء تُراه غيرَ عهدك ؟
ما نحوَلْتُ عن وداك يوماً فلماذا حرَمْتَ قلبي وُدَّك ؟
لستُ أقوى على جفاك فجذ لي بهلاكى ولا تُبج لي صدَّك !
(بعد سكوت ولهفة) :

سألوه من وشى بي عنده فتقاضى فنماسى فجفا
أشجَّاهم أننى همتُ به ورأوه في وداى منصفا ؟
فثنوه عن محبِّ والهِ طالما حنَّ اليه وهفا

أيها المهاجرُ حَسْبى محنة أن أرى وُدَّك ولَّى وعفا
يا حبيبي ذابت الروحُ أنى وفؤادى ما تسلى أو غفا
أنا لولا نفحةٌ من خلدي درأتُ عنى الردى والتلفا

ما رأيتم غير غصن ذابل - وخيال شاخب قد وجفا
 فارحموا صبّا نحيلاً شفه - هجر من يهوى فأمسى مدنفا
 لا تظنوا أنني أبغضته - بعد ما صدّ ووالى السرفا ؟
 أنا لا أخفّ عهدي معه - ويح من يجحد ودّاً سلفا
 (ثم يخيل إليه أن حبيبته سلته ونسيت وداده فيقول) :

فقدت الأمانى من هواك وليتى - فقدت حياتى حين ضاعت أمانيا
 ففقدت حياة المرء فى ظلّ إلفه - أحب وأحلى من سلاف اللماريا
 وهبتك قلباً طبعاً لك مخلصاً - يحقق ما تبنى ويحفر المصاديا
 فبست بيخس حبه ووداده - وأسلمته للموت وطان صاديا
 (وحينئذ يحق على الجمال والحب ويتبرم بهما قائلاً) :

إلام خضوعى لبطش الجا - لـ وصدّ الحبيب وذلّ السهر ؟
 سأنسى الهوى وأروض الفؤاد - على ترك من فأتى بل حجر
 (ثم ينهيا للنوم وهو يتأشى بهذين البيتين) :

لا تلومى إذا هجرتك ، إني - قد رأيت الهوى ظلوماً مذلا
 بعث روى اليك لم أرج شيئاً - غير بعض الوفاء فازددت ذلاً
 (ينام فبرى فى نومه كتاباً أرسلته إليه حبيبته بينما يأتى طبخها فيخلق فى مياه
 الحجر مترنماً بهذه الأبيات) :

يا ناعماً ما نسينا - وداده - وهواة
 كم صفت فينا قريضاً - تغنو إليه - الحياة
 يا فانياً فى هوانا - من الخفاء - هداك ؟
 ترى هويت سوانا ؟ - فقاب عنا - سناك ؟

(يصحو الشاعر ويردّد هذين البيتين) :

مالى صحت شجبة كبدى - جمّ الحنين مضاعف الكد ؟
 من ذا أناد جوائى ؟ واحرقى ! - وأنا الذى هصر الجوى جسدى ؟

(ينصت للطيف ثم يقول) :

ماذا ؟ أسمع صوتاً كاد من وْلكِ
أجل ! فذلك طيفٌ هاتفٌ غرْدٌ
تَدْمَى مقاطعه الرِّيا من الألم ؟
لا أستبين صدَى ما حاك من نغم.
(يقرب منه الطيف منشداً)

يا أطر الناس قلباً وأصدق الناس وُدّاً
وأشرف الناس حُبّاً وأوثق الناس عهداً

هتفت بمحبِّنا حيناً وكنت كبضعة منّا
ولدت مدَى بوادينا فما لك تفتنى عنّا ؟
(يرَدِّد الشاعر البيتين الآخرين ثم يقول) :

أطيفٌ بعدَ أيامٍ ثلاثٍ جاءنا زائرٌ ؟
وقبلاً قد نمناه فؤادى الدابلُ الحائرُ
نسبنا الحبُّ والأحبا بَ مَدَّ صَدُّوا وما حُنا
كفى يا طيفُ أحزاناً وسُهداً قرَّح الجفنا !
(يتهيأ للنوم وهو يتابع حديثه) :

ربِّكَ خلنى أغفو عيتُ بروحى الحيرى
(يحاول الطيفُ إيقاظه قائلاً) :

أفقْ يا صاحٍ لا تنفُ أجنى ! هل تُرى تصفو ؟
أفقْ يا شاعرَ الحبِّ ! وأنزعْ مُهيجتى الظامى
فقد هيجت أشجاني ويصفح قلبك الخافى
(الشاعر للطيف بعد أن ينبّه) :

وبلَّغهم محبَّاتى وربك عُدْ لأهليكا

وَقُلْ ذَابَ الْوَفِيُّ وَمَا تَبَقَّتْ غَيْرُ أَنْثَا !
 سِيلَفْظَهَا لِيَنْجُوَ مِنْ شُرُورِ الْعَالَمِ الْعَانِي
 وَيَمْرَحَ فِي رِيَاضِ الْخُلْدِ بِمَجْهُولِ النِّهَايَاتِ
 يَرْتَلِ فِيهِ الْخَانَ التَّبَتَّلَ وَالْعِبَادَاتِ
 وَيُرْشِفُ فِي خَمَائِلِهِ أُرِيحًا مِنْ سَنَا الذَّاتِ (١)
 وَيَشْدُوَ لِلْمَلَائِكِ خَيْرَ أَنْعَامٍ وَأَيَّاتِ
 وَيُرْوَى بِالنَّشِيدِ الْعَذْبِ سَكَانَ السَّمَاوَاتِ
 سَمِعْتُ الْعَيْشَ مِنْ دُنْيَا الْهَمُومِ وَسَاحَةِ الْإِيْثِمِ
 وَعَفْتُ النَّاسَ إِلَّا أَنْفَسًا عَفْتُ عَنْ الظَّالِمِ
 فَكَمْ أُوذِيتُ مِنْ صَحْبِي وَكَمْ حُورِبْتُ مِنْ قَوْمِي
 أَنْاسُ قَلَمًا يَدْرُو نَ مَا شَجَوِي وَمَا هَمِّي
 شَقِيتُ بِهِمْ فَلَيْتِي مَا وُلِدْتُ وَلَا رَأَوَا رَسْمِي
 وَلَا بَاتُوا يَرُونَ الْخَيْرَ فِي لَوْمِي وَفِي ذَمِّي !

وَلَكِنْ كَيْفَ أَخْشَاهُمْ وَمَا قَارَفْتُ مِنْ جُرْمِ
 سَمَوْتُ عَلَى مَدَارِكِهِمْ وَسَدْتُ عَلَى الشُّهَا بِاسْمِي
 فَحَارُوا ... كَيْفَ لَا أُعْنِي بِنَا أَهْرِيقُ مِنْ كُلِّي !
 وَكَيْفَ أَقَابِلُ الْآحِدَا ثَ فِي صَبْرٍ وَفِي عَزَمِ
 فَجَدُّوا فِي مُتَوَاتِي فَلَمْ أَعْبَأْ وَلَمْ أَصْمِ
 وَلَمْ أَحْفَلْ بِمَجْمَعِهِمْ وَلَا بِأَدْلَتِهِمْ سَهْمِي
 (الطيف للشاعر في ذهول) :

كَأَنَّكَ يَا رَسُولَ الشَّعْرِ عَفْتُ الْحُبَّ وَالْحُسْنَ

ولن تَرِدَ الجمالَ ولن تُرْتَلِ في الهوى لحنا
 وكنتَ الشاعرَ الفذَّ السبوقَ الساحرَ المعنى
 فويحَ الحبِّ اَمَّنَ للحبِّ بحبيبه ومَن يُعْنَى ؟
 ومَنَ للحسنِ إن تجفوَ ه فاصدحْ واطرب الكونا
 (طيف الجمال للشاعر) :
 سلاماً شاعرَ الحبِّ مِن المضى لالامك
 خَلَدْتُ بشعرك السامى وذقتُ المعر من جامك
 أراك مبدِّدَ الأحلا مـ مشدودَ النهى نائز
 فن أوزى الأسمى فى قلبك المعمودِ يا ساحرُ ؟
 (يظل الشاعر صامتاً فيحتاج طيفُ الجمال قائلاً) :

عجيبٌ ! ما نُكَلِّمُنا وكنتَ الهائفَ الصادى
 تطوفُ بنا وتعبُدنا وأنتَ الخافقُ الشادى
 جحدتَ ولاعنا ومُنَى سُقيتَ رحيقها زمنا ؟
 أم اشتقتَ الجودَ على حياة هاجتَ الاحنا
 (الشاعر لطيف الجمال) :

كيف أنساك والمشارعُ ظمأى
 كيف أسلوك والضلوعُ صوادى
 أنتَ مرُّ الحياة أنتَ شذاها
 أنتَ نورٌ مقدسٌ عبقرى
 أنتَ رمزُ السموِّ والقبسُ الخا
 خصصك الله بالخلودِ وقد صا
 لست يا حُسنُ ناكراً للجملِ
 نحن مِن طينةِ الوفاءِ خلقنا
 ما هوينا سواك يا حسنُ لكنْ
 لحلاك النديَّةَ القدسيَّةَ
 لأريجِ المفاتيحِ البقريَّةِ
 خالق الشعر فى الفؤاد الخلى
 يغر الكونَ بالضياء السنى
 لدُّ والشعلةُ التى لا تغيبُ
 نك فينا ذاك الجلالُ المهيبُ
 شيمةُ الحرِّ أن يكون وفيا
 وعلى الودِّ والمكارمِ محيا
 ساءنا من ذوبك أن يتجنوا

آلمونا بصدِّهم فهجرونا
(طيف البغض للشاعر):

أتهوى مَنْ وفيت لهم فضنّوا
وما كنت المنافق في هواهم
أنشد مَنْ سآؤك بغير جرم
ودانوا للوشاة وما تروّوا
كفاك من العباد أذى كفاك
عليك بعقر ذارك فهو أجدى
ولا تأسف على مَنْ ليس يقضى
ولا تحزن على مَنْ قد تنامى
(الشاعر لطيف البغض):

رويدك ما عدلت ولا أصبنا
لعمري قد كذبت على جمال
تنحّ فلا رأيت العمر خيراً
إذا أنا بعت ودّهم فمن لى
(ثم يطرق ويقول في صوت محزون):

كل قلب يعيش بالحبّ يشقى
ما عهدنا معلق القلب يصحو
(طيف الحبّ للشاعر)

حطّم اليأس وأنس شجوك يا من
حسبك اليوم أن يخلدك الشعر
فيم ذا اليأس والحياة جهاد
كن شقيقاً لتنعم الروح بالطهر
ليس من يطلب الحياة ليحيا
مثل من يطرق الحياة ليحيى
خلد السكون حُبّه في كتابة
وأن تصبح الفريد النباه
كيف تسمو إذا عدمت الشقاء
في ظلال السرور والنماء
أنتسأ غاها نذيرُ الفناء

(الشاعر لطيف الحب) :

أنا وَحْيٌ من الخلود نَجَلِي في سماء الدُّنْيِ وطيفٌ مابرٌ
أرسل الشعرَ من دُمائِ لحناً يسرُّ الروحَ والنهى والضائرُ
لستُ ممن يقيم للفرِّ وزناً أو يهاب اللثيمَ والمتناسرُ
ذقتُ حلوَ الحياة والمرَّ منها كيف أخشى من الجدود الموائرُ ؟
(يترسل الشاعر في جوابه لطيف الحب متبرماً منه) :

إليك يا حُبُّ عني حسبٌ ما بليت قسنى به من شجونٍ دونها الحُرَبُ
لجأتُ للحبِّ كيما أستظلُّ به فأبتُ بالخمرةِ واحتاطتُ بِيَ النوبُ
وقلتُ بالحُبِّ يُشفي القلبُ من عللٍ لاذتُ به ويزول الهمُّ والوصبُ
فا ظفرتُ بغيرِ الحزنِ بجرعةٍ قلبي الفتيُّ الذي أودى به المطبُ
(يثور الشاعرُ فيخاطب جوارحه بالأبيات الآتية) :

ذاب قلبي فقتلني أوتاركُ يا ضلوعي وهشمي مزماركُ
واندبني الحبُّ في الغروب وفي الفجرِ وشقَّى عليه حزناً أزاركُ
وانشدى السلاوة المزيَّنة في الروض ففي الروض منتهى أوطاركُ
بين عُشبٍ مرنحٍ ونسيمٍ كالبحرين المذاب يروى أواركُ
وطيورٍ هوائفٍ تتناغى بحديث الهوى فتسبى المداركُ
وجمالِ الطبيعة الغرد الضا حك يحلو الشجونَ من أسفاركُ
فهلمي إلى الرياض لتنسى سالفَ الشجو وانشدى أشعاركُ
(يشندُ به الاغراق في الحزن فيودِّع الحب) :

وداعاً أيها الحبُّ وداعاً قد ذوى القلبُ
وداعاً قد وهى جسدي وشابَّ الرُّوحُ واللبُّ
كفاني دهرى القا مى وآمالاً بدت تحبوا

(يزاد البيت الآتي في حسرة ولوعة) :

خداعٌ هذه الدنيا وبين ذلك الحبُّ !
(تنور الأطياف على الشاعر وينتهى به الأمر إلى الهاكمة ، وتهتف الأطياف بالمقطوعة الآتية) :

وداع الحائق الشاني
وكان المشفق الحاني

ظلومٌ ودَّع الحُبَّاءَ
وصامَ عن الهوى وصَبَّاءَ
(الشاعر يستنجد بخالقه):

تلوذ بها عينٌ ويرشفها قلبٌ
يُحسُّ أنين الروح إن راحه الهدبُ
فكيف خلقت الحسن والحُبَّ يا ربُّ
بلوهم حتى تفاقست الحربُ
حبَّية نفس حار في برثها الطبُّ
لمن زانه الخلاق أو هتف الصَّبُّ؟
ونحرم مما قد أباح لنا الحُبُّ
تضيء دجى قلب ألم به الخطبُ؟

خلقت لنا هذى المحاسن فتنة
وصنفت فؤادي من شعور مهفف
وحذرتنا من أن تراها عيوننا
وروعتنا باللائمين فأمر فوا
يشورون إن شاموا محباً رنا إلى
فيا رب ما ذنب المحبين إن رنوا
أنحيا ظمأً والمناهل عذبة
حديثاً شهيلاً لا يُعاب وبسمة

إذا نصب الميزان واحتدم الرعبُ
رجاء فكم تبنا وليس لنا ذنبُ
رواية مفتون رأى الود لا يجبو
وكان حصيناً لا تطاوله الشهبُ
أرويه من قلبى إذا ناله الجذبُ
إذا نفر المحبوب أو هجر الصحبُ

لنا أملٌ في الصنم عندك في غد
وليس لنا في اللائمين إذا لسحو
رمونا بأننا خائنون وصدقوا
فآلمهم فاندك صرح وادانا
ولكننى مازلت للحب راعياً
وما دُم من يبقى على الود وافيّاً

لنا حجبٌ قد حال من دونها الربُّ
بديع نظام الكون وانخذل الخبُّ
رأوا بعيون الحق ما ستر الغيبُ
وكلهم يشدو بما أبدع الربُّ
إلى الحق كم ناقت وليس لها شربُ

خبرنا ضروب الحسن حتى تكشف
فآمن منا صادقاً من بدا له
وما شعراء الحب إلا ملائكة
فباتوا سُكاري بين ران وساجد
ورؤوا بما جادوا نفوساً صدية

(طيف الحبيبة يقبل على الشاعر ويصافحه قائلاً) :

كأنك ما خفرت العهد أو فرطت في الحب !
فذاك الروح يا أصفى العباد وأشرف الصحب !
(الشاعر للطيف) :

سيعلم من ألقى دماء ودي إذا عجم الحياة ورام صحبا
بأنى كنت خير من اصطفاه وإنى كنت أسمى الناس حبا
سيعلم في الغداة إذا تراءى له غدرُ الصحاب من الوفاء
ويأسف للوفاء خبا ودالت معاملهُ وقد عزَّ الصفى
سأجعل ما حيت دمي فداء لهم وافى بأئمن ما أدين
وفيت لهم فكيف أحيدُ عنهم وهل أهبُ اليهودَ ولا أصونُ
رُبيت على الوفاء وذاك طبعى وما من شيمتى غدرُ الخليل
ولا أنا جاهدُ نِعَمًا حبها يدُ غرّة كالنعم العليل
(الأطياف تلتفت حول الشاعر وتنشد) :

يا لبابَ الوفاء والودادِ الفريدِ

لا عدمت الهناء في جنانِ الخلودِ

(ثم ينصرف الجميع في نشوة وغبطة) .

محمد عبير الفنى بحيت





توديع وتر حبيب

فناؤك يا وليد الظلم عيدُ
سنونٌ أربعٌ ثقلتُ وطالتُ
رجعتُ إلى الوراء بنا فبتنا
فيا ابن المستبدِّ لقيتُ يوماً
أقامك مبغضاً من كلِّ قلبٍ
عجيبٌ أن تعيشَ عذاب شيبٍ
وأعجبٌ منه أن تحيا قريراً
فيا عهداً ودستوراً تقضى
لقد أكلتُ صنائعك الليالي

ويومٌ قد نُحيتَ به سميدي
ترابك البلادُ متى تبدي
يصرفُ أمرنا فردٌ عنيدُ
كيوم أبيك، يابئس الوليدُ
ليفعلَ تحت ظلك ما يُريدُ
تكيلُ له الشقاء ولا يذودُ
وغارسُ نبتك الدَّوى طريدُ
وأقسمَ لا يدومُ ولا يمودُ
وبدَّدَ عهدهم عهدٌ جديدُ

أعاد فناؤك العهدَ المَرَجى
ويا حُرِّيَّةُ انطلقي وعودي
تلقَّاك البلادُ بكلِّ بشرٍ
ستسعى في ضيائك للعالي
وتبنى صرح الاستقلال ثباتاً
وليس سِواك بناءً مشيدُ

فيا دستورنا عودٌ حميدُ
تخطمت السلاسلُ والقيودُ
فأنت لأهلها الأملُ الوحيدُ
وسوف تنال أبعد ما تريدُ

رأيتك كالبدور تفيب حيناً
لتجملَ في العيونِ إذا تعودُ

أم اخترتَ البعادَ لتبتلينا وتعلم كيف يُحترمُ البعيد ؟
 ألا فاعلمْ بأنك عند مصر مكانُ الروح منها أو تزيدهُ
 قديمٌ كالنجوم... وكَم قديم تضاءل في مقابله الجديدُ
 تقلبت المهودُ عليك محوًّا وتعطيلًا وعاكست الجدودُ
 ونحن كما عهدنا أوفياء وأنت كما عهدت لنا ودودُ
 طلبه محمد عبده

❦❦❦



شكوك

غمزتُ قلبي بطول ظني في كل ما ليس منه فك ؟
 يا طيبها سلوةً لو اني أشكُ في أنني أشكُ !

أشكُ في النور حين يبدو شعاعه في الصباح هاتف ؟
 فما لآفاق كلِّ نفسٍ تغمرها حلقةُ العواطف ؟
 وما اصطدام المنى ؟ وهلا اعتدتْ بما انساب في المشارف ؟
 أم هل تُرَى أننا خدعنا وهذه ضحكةُ السوادف ؟
 تسخر من غفلةٍ ووهنٍ والنور من نغرهنَّ ضحك ؟
 يا طيبها سلوةً لو اني أشكُ في أنني أشكُ !

أشكُ في اللحن ، كم أراهم يستشعرون الجمالَ منه

يصوغه معزفٌ شرودٌ أناملُ الفنِّ لم تَزَنهُ
 توئبوا نشوةً وغنوا بالسحر مما عزفتُ عنه
 فهل بقيثارهم جالٌ لكنَّ أذني لم تستبينه ؟
 أم ذلك المعزفُ المغنِّي نابٍ ، وما قيلَ عنه إفكٌ ؟
 يا طيبها سلوةً لو أني أشكُّ في أننى أشكُّ

أشكُّ في الحبِّ يا حبيبي هل يعرف الحبُّ غيرَ آدمَ
 ولو تراءتُ حواءُ أخرى له لآلتي بما تقادمُ
 طبيعةً حكما علينا في كل جيلٍ وكل عالمُ
 أن تفتح القلبَ للأمانى وكم ظفرنا بها ويا كمُ
 عدنا الى ساحة التمني نشغل في نارها فتذكو
 يا طيبها سلوةً لو أني أشكُّ في أننى أشكُّ !

أشك فيمن لو قلتُ عنه بلا احتيال ، لَقِيلَ كافرُ
 فهل أنا ذو الغباء وحدي والناس تهديهمُ البصائرُ ؟
 أم العمى مرَّ لم يعدني وعادهم يسرق النواظرُ
 فأشعلوا النارَ فوق رأسي يا حيرةَ الأنفس الشواغرُ
 يدكها جهلهم ويثني ما ليس يُثنى ولا يُدكَ !
 يا طيبها سلوةً لو أني أشكُّ في أننى أشكُّ !

صالح مودت

أنيبي

يمرُّ زمني والايوقات تنفضي ولم أدر ما شأني وما شأن أزماني
 ولم أدر ما كنهي فهل أنا فكرة تحسُّ بفكري إذ تجلَّتْ كالنساني

يمرُّ خيالي مثلما مرَّ غيرهُ
وما أنا ما أبدو وإن كنتُ بادياً
فأشعر في آني شعوراً وحسبه
فها أنا «أبوب» بآنٍ وحالٍ
فما هذه الأشياء للعين تنجلي
فلو لم يكن عقلٌ لما كان غيره
فما كان لولاه نحسُّ وجودها
فما خارج الأذهان شيء وإن بدا
وليس وجود الناس غير تناقضٍ
فلم تدرِ معنى الليل لو لم يكن ضحى
فدعني وآرائى وشأتى وظائى
أشكُّ فلا الإيمان يغلب حيرتى
يقينى وإيمانى وشكى وحيرتى

بنداد :

ويطوى سجلى مثله طى نسيان
مثال الذى أبدو عليه لأعيان
شعورا بآنٍ غيره كان فى آنٍ
وفى حالةٍ أخرى وانية ثانى
فتبهرها الإخيلاتُ وسنانُ
وهل يوجد المبنى إن لم يكن باني
كما لم تفز دون الضياء بألوانٍ
ككل الذى يبدو فتصويرُ أذهانٍ
فلو لم يكن ضدُّه لما كان ضدانٍ
ولا أولٌ تدريه لو لم يكن ثانى
فانى فى شأنٍ وانك فى شأنٍ
وآمنٌ لا التشكيك يغلب إيمانى
سواء ، ولا قاصٍ لدى ولا داني
أبوب القيسى





رثاء شيخ العروبة



فقيه الادب والعروبة أحمد زكي باشا

(١)

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| دال السكون من الحراك الدائم | وأقر بعد السهد عين النائم |
| دنيا يعود العقل في تصرفها | حيران بين غريمها والغائم |
| حتى ليسأل: من أضلها، إذا | ما قاس بين حليمها والحالم |
| إن تأمن مصر، فما أساها أنها | مفجوعة في لودعي عالم |
| أو كاتب كالنيل في فيضانه | أو خاطب كالآخر المتلاطم |

أو جهيز متثبت مستصم -
أو ذائد عن مجد أمته ، اذا
أو باحث عما طوت أسفارها
تبكى أولئك كلهم في راحل -
فتعددت أرزاؤها ، وتفاقت

* * *

شيخ العروبة ، ابن صائن ارثها
بل ، ابن في الفسطاط موئل أهلها
يفد الغريب اليه ، وهو كأنه
فالدائر ، من لطف الضيافة ، داره
دار أجدها بها الندى لتزيلها
تنافس الزينات ترحيباً به
فبعينه ، وبسمعه ، ولقلبه ،
فدح المصاب وقد ألم بقصور
سقيت نضارة وجهه صفو الندى
بأصم ، الا إن تحدته العلى
أو أن يُباح له بحاجة أمل -
بمحب في قلب كل مواع
جلد على الآفات ، لم يحرق على
وعلى التباين في العواقب ينثنى
حسب المجاهد معية ، إن لم يفز
سلخ الغوالي من سنيه مكافحاً
ومعائب أسياها إن أغمدت
ومعالجاً أزمارها ما أعضلت

والحق لا يابى بلومة لأثم -
عز النصير ، وصال كل مخاصم -
طى الجواهر في بطون مناجم -
راع القلوب بأى خطب داهم -
في رزله المنعقد المتفاهم -

ومُعيد نضرة عهدها المتفاهم ؟
من بارح يخلى المزار لقادم ؟
يمشى من الأشواق بين معالم -
ووليها المخدم شبه الخادم -
أشهى الطرائف من قرى ومكارم -
ويكثر الأيناس جود الطاعم -
ولجسه فيها فنون ولائم -
ورد ، ذكى الطرف ، أروع ، باسم -
من شبيه ، بعد الشباب الفاحم -
بحديث غايات سمّت وعظامم -
أو أن تُسر إليه شكوى كاتم -
ومبفض في وجه كل مصادم -
سؤل - اذا ما فات - سن النادم -
بجديد فخره ، أو بعرض سالم -
شرف المرام مشرف للرائم -
دون العروبة ، كل باغ آثم -
والغمد أكال لنصل الصارم -
بمضاء مقدم ، ودرب حازم -

ومقرّباً شقق الخلاف ، وواصلأ
جاهد عدوك ما استطعت جهاداً
حقّ البلاد عليك أعلى حرمة
ما قطعته يد الشقاق الفاصم -
أمّا أخاك ، فما استطعت ، فسالم -
من أن يضاع بمزريات سخائم -

يا أمة الضاد ، التي في حبّها
إن تكرمي بالحق ذكرى ماجد
علم الأولى مانوا ، وليت بنهمو
وبأن عمراً يستطال على القدي
وبأن خاتمة المطاف قريبة
بذل النفيس ، ولم يكن بمساوم -
فالمجد لا يرضيه نوح حمام -
علموا ، بأن الموت ضربة لازم -
إن طال ، لا يعدو وتمهل فارم -
لأخي الشقاء ، وللقرير الناعم -

* * *

يا بانياً لله أروع مسجد
نهض البناء الى السماء ، وقوّضت
هي حكمة الله بالغة ، وإن
العبد يعطى من حطام بائد
نظم البدائع فيه أبرع ناظم -
ربّ البناء يد الزمان الهادم -
خفيت ، وذلك حكم أعدل حاكم -
والله يجزي بالنعيم الدائم
خليل مطران

(٢)

لا الرّيث من شأنه ولا التّؤدّة
لو انطوى المرء في كنانته
ولو تغطّى منه بصارمه
النافذ النّذب من فرائسه
رام من الحنف آخذ عدّة
يطمع ألا يصيبه وجدة
ألني غراريه عينه وبدة
إذا تصدّى ، والواهن القعدة
ماردّه حارس ولا طردة
عن أمره ناقض لما عقدة
جاره مع الروح في منافذها
وراكض في مناه بصرفه

يُبصرُهُ المرءُ في سلامته
بيننا الفتى والحياة ناضرة
سَيَّان دأى الصَّبِي ، يُراجُ له
وفي دواء الطبيب إن رصده
يمرحُ في الزارعين ، إذ حصده
والشيخُ لقمانُ إذ دما كبده

ها إن شيخ العروبة ، انثرت
تعادت الكُتُبُ بعدَ مضرعه
مِرُّ التواريخ ابن أودعه
يَكشفُ عنه القرون حافلة
إن غاب من حادثٍ مضى خبره
وعى التواريخ منذ مولدها
كلُّ سؤالٍ تعيا الثغرات به
وهو إذا جال لم نجد أحداً
يستزُّ ما شاء فوق منبره
كالعارض استزُّ في مسائله
برَّح بالضاد أن منصفها
أهابَ بالين ، مانهيبه
ثم اغتدى تزخرُ النفوسُ أمى
لعلها منه نيةً عرضت
ينشد مجداً نأت مطارحه
بدَّده الدهرُ فهو منطلق
إذا انثنى والكتابُ في يده
وواجده العلم بعد ضيعته
ياخذ من نفسه لأمته
ومن رعى نفسه وحاجته
آمن بالله ، فاشترى وطناً

به المنايا فقوَّضتُ مُحمَّده
واحترب الكاتبون والنقَّده
من خا ط أ ك فانه ومن لحده ١٩
في مستقر الزمان مُحندة
حدث عنه كأنما شهده
كأنما كان للزمان لده
جوابه حاضر لمن قصده
من حلبة القوم ينتفى أمد
في سُبُل للبيان مُطرده
لا ممسكاً مائه ولا برده
أنحى عليه الحام فاضطهده
ولا اتقى شؤمه ولانكده
لاخره غيب الردى زده
لنازح من شُقوره اعتمده
ورب مجده لقومه نشده
يجمع من كل جانب بدده
قلت أخو عيلة أصاب جدده
كواجده الكنز بعد ما فقدده
ويطلب الحق عند من جعده
فما رعى قومه ولا بلده
لواه - جلَّت صفاته - عبده

مَنْ آتَرَ الْحَقَّ لَمْ يَصُنْ دَمَهُ
لَا يَحْفَلُ النَّاسُ أَيْةً ذَهَبُوا
النَّاسُ شَتَّى وَلَسَتْ تَنْصِفُهُمْ
بِشْتِ حَيَاةُ الرِّجَالِ لَا هُمْ
وَلَا تَقُومُ أَيْةٌ أَنْفُ
الْعِلْمُ أَفْضَى بِنَا إِلَى زَمَنِ
أَضْعَفُ أَهْلِيهِ عِنْدَهُمْ سِنْدًا
لَا يَحْسِبُونَ الضَّعِيفَ مُنْقِصَةً
رَبًّا صَرِيعَ وَالْحَقِّ فِي دَمِهِ
أَضْفَاهُ كَالدَّرْعِ مَا بِهَا خَلٌّ

« ٠ »

يَا وَادِعًا وَالْهَمُومُ نَائِرَةٌ
مَلَأَتْ أَمْسَ الْبَيَانِ مُنْقِبَةٌ
عِلْمٌ ، وَتَقْوَى ، وَهَمَّةٌ صَرَفٌ
أَحْلَكَ اللَّهَ بَيْنَ جِيرَتِهِ
مِنْ حَوْلِهِ ، وَالْقُلُوبُ مُرْتَعِدَةٌ
فَامْلَأْ إِذْنُ يَوْمِهِ أَسَى وَغَدَةٌ
تُزْجِي الْأَعَاجِبَ غَيْرَ مُقْتَصِدَةٍ
بِحَيْثُ يَجْزِي التَّقَى مَا وَعَدَةٌ
أَصْحَمُ مُحَرَّمٌ

❖❖❖❖❖

طال احتجابك !

يَا أَبَا الْقَمَرِ السَّخِيُّ بَنُورُهُ
فِي ظِلِّ نَوْرِكَ حِينَ تَبْدُو بِاسْمًا
كَمْ فِي الدَّجَى مَذْغَبَاتٍ مِنْ مُتَأَمِّلٍ
أَمْهَدِيَّةِ الْأَفْكَارِ إِنَّ جَدَّ الشَّرَى
فِيمَ احْتِجَابِكَ عَنْ وَحِيدٍ سَارِيٍّ
أَرَبُ النُّفُوسِ وَمَتْعَةُ الْأَنْظَارِ
بَيْنَ النُّجُومِ بَنُورٌ بِالْأَكْدَادِ
هَلَّا رَحِمْتَ مَبْلِلَ الْأَفْكَارِ ؟

يا مُشرقَ القُصَمِ طَبْعُكَ رَحْمَةٌ
أَنْتَ الْوَفِيُّ فَكَيْفَ تَرْضَى لِلَّذِي
يَا بَاعْتَ الْأَنْوَارَ تَنْتَظِمُ الرَّبِّي
قُلْ لِي بِحَقِّكَ : هَلْ تَحْسُ بِغُبْطَةٍ
أَمْضَيْتَ كَيْبًا تَسْتَرِيحُ مِنَ الشَّرِّ
أَفْصَحْ فَمَلَّ عِزَاءَ نَفْسِي أَنَّهَا
أَنْرَى تَبُوحَ بَعَا لَدَيْكَ فَأَشْتَقِي

فَالْأَمَّ تَتَرَكْنِي لَوْقَتِ مِرَارِ ؟
فَادَرْتَ لَيْلَ تَحْبُطِ وَعُضَارِ
وَالْوَهْدِ ، طَالَ الشَّوْقُ لِلْأَنْوَارِ
فِي النَّأْيِ أَوْ تَشْتِي مِنَ الْأَقْدَارِ ؟
أَمْ أَنْتَ طَوْعُ تَصْرِفُ الْمَقْدَارِ ؟
تَجِدُ الَّذِي تَهْوِي مِنَ الْأَخْبَارِ
أَمْ لَا تَزَالُ تَضْنُ بِالْأَمْرَارِ ؟

محمود البشبيشي

(المدرس بدار العلوم)

الصباح الجديد

(مهداة الى روح أبي القاسم الشابي
في مقرّها الوادع الأمين)

| | |
|-------------------------------|---------------------------------|
| أَيُّهَا الْمُتَعَبُ الَّذِي | حَطَمَ النَّأْيَ وَاسْتَرَحَ |
| هَذِهِ غَايَةُ الْمُتْنَى | هَذِهِ غَايَةُ الْمِرَاحِ |
| لَوْعَةٌ بَعْدَ لَوْعَةٍ | فَرَحَةٌ ثُمَّ لَا تَبَاحِ |
| نَفْعَةٌ فِي صَبِيحِهَا | آهَةٌ الْحُزْنِ وَالْجِرَاحِ |
| عَالَمٌ فِي مُحِيطِهِ | رَاحَةٌ الْيَأْسِ وَالْكَفَاحِ |
| مُجَنَّبَةٌ كُلُّهُ رَوَى | تَخَلَّطَ الْجِدُّ بِالْمَزَاحِ |
| جُزْئَةٌ الْيَوْمِ عَابِرًا | ظَلَمَ الْهَازِلِ الْوَقَاحِ |
| كَمْ تَمَنَّيْتُ لَوْ بَدَتْ | ظِلْمَةُ اللَّيْلِ عَنْ صَبَاحِ |
| فَا كَشَفَ السَّيْرَ هَائِكًا | عَنْ أَعَاجِيِبِ الصَّبَاحِ |

أَيُّهَا الشَّاعِرُ الَّذِي ضَاقَ بِالْمَشْرِعِ الْمَتَّاحِ

أرهِقَ الجِسمَ نائِراً بينَ جَنبِيهِ لا يَراحُ
 راعِبٌ في انْطلاقِـهِ بالأمانِِّ وانْفساحِ
 لم يَسعَ صدرُهُ المُنَى لم تَجِدْ فيه من رَاحِ
 حَطَمَتُهُ بَعفَها وهى مَشبوبةُ الطَّماحِ
 وتَوَلَّتْ بِرُوحِهِ فى مِادينِها الفِصاحِ
 مِلَتْ عن عَالمِ القِبو د الى عَالمِ المَراحِ
 فاكشَفَ السَترَ هائِلاً لاحَ للمُذَلِّجِ الصَّباحِ

فى طَريقٍ من الأَسى وظلالٍ من النُواحِ
 فوقَ أشلاءٍ تُبعثَرُ من أمانِيكَ الرِّواحِ
 وصُخورٍ كَأَنما تُنبِتُ الشَّوْكَ كالرِّماحِ
 مِرَّتْ تَشكو وتَشكى ألمَ الجَهدِ والكِفاحِ
 ألمَ اليأسِ فى المُنَى ألمَ الوخزِ والجِراحِ
 عشتَ تَشِدو لعالمِ قد تَلهى بِكأسِ راحِ
 الأَصاصيرِ لهُوهِ وأَغاريدِهِ الرِّياحِ
 كيف يَصغى لِشاعِرِهِ وهوَ غرقانُ فى نُباحِ ١٢

أيها المَتَعَبُ الذى حطَمَ النَّائى واستراحَ
 نَمَ قَريراً فَقَد مَرى لَحْنُكَ العَذبُ فى البَطاحِ
 فَجَرُّكَ الحَلوِّ لم يَضَعُ بينَ أِيامِكَ الشَّحاحِ
 فَهو ما زالَ سابِحاً هائِلاً خافِقَ الجِناحِ
 إن يَكُن غامِراً الدُّجى فلَقَد شارَفَ الصَّباحِ

مِسْمَهُ لَمَلِ الصَّبْرِفى

بين عالمين

(إلى روح أبي القاسم الشابي)

من وراء الغمام ، في الأفق الدا
 طالعتنى في رهبة وجلال
 عبرت بي كالحلم في ليلة البيا
 جاذبتني السماء والأرض حتى
 كلما لاح فأتني يسكن الأار
 هي كالعابد الذي هجر الأار
 ما لها في الحياة غير نواحي
 من أغاني الرواة ، من نغم النسم
 وافتتان الآفاق بالشفق السا
 شارفتني ثم انقثت عن عيوني
 هل من حلـ من حلكة القضاء المغيـ
 لحة من خلاله تتوـب
 من فأودت بكل داج وغيب
 لراها حيرانة تنذبذب
 من تغنى به حجاها وشبب
 من وولت في عزلة يترهب
 من والسحر والأناشيد مذهب
 ر ، وإشراق الصباح المحب
 حر في روعة الغروب المذهب
 وهي في القلب لم تزل بعد ترقب

إليه ! من أنت أيها الجسد النـ
 كيف ممراك ؟ أنت تشرق في الرـ
 كيف يخبو ضياك من ساحة الكـ
 أيها الشاعر الذي بعت اللـ
 كلما رجعوا نشيدك عادوا
 أيها الساحر الذي هدهد الأـ
 الهنيمات لا يقسن خلوداً
 رى ؟ من أية الفرادس تسكب ؟
 ح وفي موطن النواظر تغرب ؟
 ن ؟ فذاك الضياء من كل كوكب !
 وة في عالم جريح مـعذب
 مـهجات بلحنه تتطرب
 من سناه هنية وتغيب
 فهو كاله عمره ليس بحسب !

يا أبا القاسم انتهيت إلى الآخر
 رى فحدث بما رأيت وأصيب

هاتِ لِحْنًا يَهْدُ مِنْ رِيَّةِ الْمَوْتِ
 هل رأيتِ الآلهَ والغَيْبَ وَالْخُلْدَ
 من أَغَانِي الْحَيَاةِ يَا شَاعِرَ الْفَرْ
 من أَغَانِي الْحَيَاةِ يَا شَاعِرَ الْفَرْ
 من أَغَانِي الْحَيَاةِ يَا شَاعِرَ الْفَرْ
 فَأَغَانِي الْحَيَاةِ أَمْرٌ عَجِيبٌ
 انْ أَنْأَى طَمُوحِ فِلَسْفَةِ الْآرِ
 تِ ! أَجْزَلِي إِلَى الْحَقِيقَةِ مَذْهَبٌ !
 دَوَّسٌ مَا ضَلَّ فِيهِ رَأْيِي وَكَذَّبٌ ؟
 دَوَّسٌ إِنْ الْغَدِيرُ يَجْرِي لِيَنْضُبُ
 دَوَّسٌ إِنْ النُّجُومُ تَبْدُو لِتَقْرُبُ
 دَوَّسٌ إِنْ الْحَيَاةُ تَأْتِي لِتَذْهَبُ
 وَأَغَانِي الْمَمَاتِ لَا شَكَّ أَعْجَبُ
 ضَرْبٌ لِأُغْنِيَةِ الْآلِهَةِ الْمُحِبِّبِ

لَيْتَنِي كُنْتُ مِنْ صُفَاتِكَ فِي الرَّحْمَةِ
 فَإِذَا مَا قَطَعْتَ مَرَّحَلَةَ الْأَرْضِ
 وَانْتَهَى السَّيْرُ وَالشَّرَى لِمَقَرٍّ
 رُحْتَ تَشْدُو، وَمَعْزَفَ الشَّعْرِ فِي بُحْبُوحِ
 وَعَلَى جَانِبِكَ مِنْ مَلِكِ الْجَنَّةِ
 وَحَوْلَيْكَ مِنْ مِفَاتِنِ هَوَاهِ
 يَا لِحَزْمِ مَكْبَتِهِ يُنْمَلُ الْخُلْدُ
 لَيْلَةٌ عِنْدَ عَالَمِ عِبْقَرِيٍّ
 لَةَ تَزْنُو إِلَى الدُّنْيَى وَهِيَ تَلْعَبُ
 ضَرْبٌ وَشَارَفَتْ كَوَكِبًا بَعْدَ كَوَكِبٍ
 مَرْمَدِيٍّ مِنْ الْآلِهَةِ مُقَرَّبُ
 نَاكِ يَقْفُوكَ فِي رَجْعِهِ مَرْتَبُ
 قُتْمُخَرٌ وَجَدَانُهُ يَتَوَثَّبُ
 رَوْدَانَتِي وَزَمْزَمَةُ الْفَنِّ مُوَكَّبُ
 رَوْدَانَتِي وَبَهْفُو عَلَى الْآلِهَةِ فَيَطْرَبُ
 وَقَفَ اللَّهُ رَأْدَهَا يَتَعْجَبُ !
 صَالِحٌ هَوْدَتِ

أَب يِيكِي ابْنَهُ

وَيَنَاجِي رُوحَهُ

مَصَابِيهُ الصَّمِّ الصَّلَادُ تَصَدَّعُ
 رُمِينَا بِهِ فِي يَوْمِ مُحَسَّرٍ وَلَمْ نَكُنْ
 فَقَدْ كَانَتْ الْأَيَّامُ تَبْسُمُ عَنْ مُنَى
 لَوْ أَنَّ لَهَا قَلْبًا بِحَسْنٍ فَتَجَزَعُ
 لِيَوْمٍ عَبُوسٍ مِثْلَهُ تَتَوَقَّعُ
 تَلَاؤًا فِي جَوْثِ الْحَيَاةِ وَتَلْمَعُ

ألياً وأن الدهر قد كان يخذعُ
 طليعته دأباً عضالاً مروّعُ
 خياراً بنينا ناشئاً يترعرعُ
 وهل بعد فقد القلب عيشك ينفعُ ١٢
 أباً قلبه المكلوم حرّاً نوجعُ
 طيب له العينان تدمي وتدمعُ
 تذكيره ذكرى غائب ليس يرجعُ
 وأموالنا لو كان ذلك ينفعُ
 ظلاماً وكان النور في الكون يسطعُ
 فقدتلك. هل لي في رجوعك مطعمُ
 أرى شخصك المحبوب في النشء يرتعُ
 على كبدٍ مقروحة أنوجعُ
 ذكرك والاحشاء مني تقطعُ
 مثيرة حزنٍ قاتل ليس يُقلعُ
 ذكرك لا تنفك عيني تدمعُ



فانك في قلبي أراك وأسمعُ
 أدوي به روحاً اليك تطلعُ
 لتخبو نيران حوتن أضلعُ
 حياة وفي نعمائها أتمتعُ
 وإلاً فاني راحلٌ ومودّعُ
 أرى وجهك المحبوب في الأفق يطلعُ
 لعل ستورا عن محباك تُرفعُ
 من النور فيها نور وجهك يسطعُ

ولم نك ندرى أن في الغيب فاجعاً
 إلى أن بدا جيش البلية زاحفاً
 فسدد ذاك الداء سهماً رمى به
 فيالك من دأب سلبت فؤادنا
 فيا رحمة الله انزلى فتداركى
 وأما لنيران الأسي في فؤادها
 وأني لماء العين أن يطفى الأسي
 فيا راحلاً عنا فدتك نفوسنا
 فلا خير في هذا الوجود وقد غدا
 بُنيّ! لقد اسودّت حياتي بعد ما
 أدور بعيني في لداتك علني
 فيرتد طرفي خائباً ثم أنتنى
 ونار الأسي ترمي فؤادي كلما
 وذكراك يا روح الحياة وأنسا
 وأني يا ربحان صدرى كلما

بُنيّ! انكلم أناجى! أنا منصتُ
 أذقني عذاباً من حديثك علني
 هلم إلى صدرى أضحك ضمة
 هنالك يا ميرة الحياة أحس لي
 وتصفولي الدنيا واضفر بالني
 أناجيك: أشرف من سمائك علني
 أقلب وجهي في السما منتظراً
 كاني بما أرجو فهاتيك هالة

نحف بك الأملاك من كل جانب
يسير بك الجمع الالهي صاعداً
الى روضة ولدان والخور والآلى
الى ساحة الرحمن ربك حيث لا
الى جنّة المأوى التى لا يمسيها
ورائحة المسك الذكي تفرّج
الى جنّة فيها لمثلك مرتج
تمجّلوا بتقوى ربهم فتمتعوا
لغوب ولا لغو من القول يسمع
فناء ولا داء هنالك يصرع

بني أراي سامعاً صوتك الذي
نعم يا أبي لا تحبني فانياً
من الأفق الأعلى اطلّ عليكم
فأسمع نجواكم وافضى اليكم
فأجسادكم قيداً لسمعكم الذي
وقد تسمع النجوى نفوس منجّرات
وها أنت ذا تبدون الآن صاعداً
فأنت معي في عالم الروح فاستمع
أبي أوصل أمي بالتجلّد والرضا
وأتم بنار الحزن ذابت قلوبكم
أبي ارفها عنكم فقد كان ما قضى
وما هذه الدنيا بدار إقامة
عهدت، فهل في الحق أني أسمع؟
فان حياة الروح أبقي وأرفع
وبعض ستور الغيب عني أرفع
ولكن عزيز أن نجواي أسمع
مداه لسلطان الطبيعة يخضع
من العالم الأدنى فلا ستر يمنع
الى مسبح الأرواح حيث تجمع
الى ما سألتني انني لك أسمع
فاني أراها دائماً تتوجّع
فأدمعكم من مهجة القلب تهمع
إله حكيم حكمه ليس يدفع
وكل امرئ يوماً الى الله يرجع

بني وددت الصبر لكن عزيزتي
بني لقد صارت حياتي كلها
أراك بعين القلب في كل مشهد
فذكرى تلى ذكرى وحزن مجدّد
أراها من الخطب الأجل تضعضع
مشاهدة تذكى نار قلبي فتوجّع
شهدت معي إذ كان بدرك يطلع
وحرقة أحشاء، وقلب مروع

يردّ قضاء الله أنّك تجزع
ليوم حسابٍ حيث لا مال ينفع
وموطن وعي النصح مني مضيع
سُلوّ ومني مهجة القلب تنزع
ولكنني أبكي وقلبي مصدّع
ويطفيء ناراً في فؤادي تلذّع
يردّ أحشائي وحزني ينزع
فليس سواء للأحبة يجمع
يقربني من ربه ثم يشفع
يحوطها نور من الله يسطع
ويدعون بالفقران ربي فيسمع
نعمهم ورضوان من الله أوسع
بعفوك ، إنا في رضاك لنطمع

أصغر القوس

(الدرس بدار العلوم العليا)

وقالوا إلى الصبر الجميل فهل ترى
وهلاً ثواب الصابرين أدخرته
فقلت لهم والرشد عني عازب
أروني مكان الصبر كيف يكون لي
يقولون إن الدمع يعقب راحة
فإن كان في الدنيا دواء يريحني
قليل سوى ورد المنية ، انه
فذاك دوائي قرب الله يومه
هنالك ألتى قرّة العين (أحمداً)
كذلك التي (أنوراً) و (محمداً)
كذاك بناتي السابقات يظفن بي
هنالك محيا خالدين يُظللنا
فيا ربّ ألحقنا بهم ونولنا



صمت الحكيم

جمّ البلاغة رائع التبيان
نزلت بهن نواعق الغرaban
في حرفه النظام والوزان

قالوا: سكّت وكنت أكبر شاعر
فأجبتهم: شال الهديل عن الرّبي
من كلّ أبلة رام صيتاً ظنه

يقنطحون على القريض كأنهم في أرض (أندلس) من الثيران !

أكبرت قدرى والهوان له مدى
وزجرت نفسي عن جوائز لم تكن
والشعر أحقر ما يكون إذا سقى
عشرون عاما أو تزيد ملائتها
ولو اننى تاجرت في السلع التي
ولمن يقال الشعر وهو مرزأ
صمت الحكيم الله من إفصاحه
عن نيل جائزة وكسب رهان
بأجل مما كرفته بناني
يوما الى مزر من الاحسان
بالشعر حتى كل منه لسانى
حقرت لجل بسوقهن مكانى
بزعانف خالين من أذهان ؟ !
في معشر جيلوا على الهذيان
أصمر نسيم

❖❖❖

معبد الذكرى

« ما هذه الأنفاس الحارة التي تهب
من بين ثنايا هذه الغابة الخالية ؟ أه ! انها
أنفاس الحب ، وهامى ذى النباتات
يعانق بعضها بعضاً كأنها تدعونا نحن
الآخرين للعناق »

كولريدج

معبد الذكرى أتينا طائعين
معبد الذكرى سلاماً كلما
أين أمسى ؟ هل مضى أمسى في
أم طواه الحزن في ظلمته
نسكب الدمع على الماضى الدفين
هاجت النفس تباريح الحنين
لجّة الذكرى وأمواج الأنين ؟
ورماه اليأس في وادى الشجون ؟

ذكريات بالأمس لاحت شبحاً طارقاً في غفلة الدهر الخثون
 وكأنّ الليل أضحي نغماً رنّ حسناً في دياجير المكون
 فأصاخ الكون للحن الذي ردّد الأفق صدهاء بعد حين
 وأخو الظلماء يرنو ساهياً يتزّرى في زهول الناسكين

أيها المعبّد إني جائمٌ في ظلال الصمت والحبّ الطمين
 أرهفُ السمع لخطوات الردى تابعتها في الدّجى أمسى القرون
 فاذا صمتك الحانُ المنى واذا لحنك أنات الحزين
 صممه محمد محمود

❦

الى أمى

وقضى زمانى بالفراق تعسفاً ما للقضاء ؟ أدأبه الارغام ؟
 وأرى الحياة بغير وجهك قفرةً فالعين تذرف والهموم جسام
 وأرى الليالى موحشات جهمةً سيّان عندى الضوء والافلام
 يا أمّ لا تبكى الفراق ولا النوى فلسوف تجمعى بك الأيام
 أروم قلبك ان يحطّمه الضنى وله أعيش ، وتعذب الآلام ؟
 يا أمّ ما دنيا حياتى إن خلت من قلبك الحانى ؟ لذاك حرام
 أترى حسبت الحقّ ينصف نفسه والناس فى دنيا الشرور نيام
 أترى ظننت ما ل حظى فى يدى أبداً لعمرى ، فالحيّاة (دِرام) !
 لا تحسبى كلّ القلوب بريئةً فلکم قلوبٌ دأبها الايلام
 من لى بقاؤهم منصفٍ فى حكمه فالظلم يرتع والسلام يضام
 لهنى على الأم الحنون من الضنى ومن الهموم ، كأنهن ضرام

لهنى على الكنف الظليل مَشَتْ به ربح الخريف فعاد وهو حطامُ

سأظل أهرجُ للفنون سعيدةً حتى يُظللني بها الألهامُ
وأنام عن دنيا الأنام فما بها إلا شقاء عارمٌ وخصامُ
ما فى الحياة رغبةً أهفو لها إلا وعقنتى بها الأيامُ
فلا حى فى الشعر الخصب جناحه فى حيث تطرق ساحتى الأحلامُ
فأرى الوجودَ على اختلاف شخوصه ملهى - على رغم الصراع - يرامُ
جميلة محمد العرابلى

٥٩٠

القدر المذل

مَلَمْتُ للقدَرِ المذلِّ سلاحى وجرتْ على مشيئةُ السَّاحِ
مستضعفٌ يُخنى على كائنى يُنمُّ يَدَلُّ فى حُجُورِ سَمَاحِ
يا محنة أكل الشقاء شبيبتى فيها، ومزقت الخطوبُ جناهى
ولبستُ باليها بعرمى مكرهاً وشربتُ آسنها معتقَ راحِ
جُرْحان فى كبدي لفرطِ صباتى ولشقوتى والناسُ جدُّ شِجَاحِ
ولو أنهم جرحى خطوب زمانهم من ذا يقيس جراحهم بجراحى ؟
لا تعبوا بُخلى بدمعى صابراً فيضُ الدموع بمقلة التماسِ
أنبتُ فى الأخلاق صدقَ مجدٍ وجنيتُ كذبَ مُسيلمِ وسَجَاحِ
أشكو إلى الأخلاقِ غرّاً والغا فى الأفك رغم هداية النصّاحِ
كم ذا أقلتُ عناره ورحمته فارتدَّ يهجو نعمتى ويلاحى ؟
نبغ النبوغ اللغو فى نهريجه ومن الطَّعام مهرِّجُ الأفراحِ
تخذه تسمية الندى وحسبه هزءُ الضَّحولِ ونكتةُ «الفضّاحِ»

من معشر أكلوا الجرابة قننعا
ظفروا على الأحداث جند موفق
إن كان هذا الفحش خفة روحه
ما كان ضرر لو رعت كرامتي
وأنا الذي لبس النجوم فلاندا
رطلعت في محل الخلائق واكفا
أيساح عرضي في سفاهك بينما
وأشد ما ألقاه يوم رزيتي
من قبل يوم البعث لثومك باعث
نحن الملائك والملوك ، وحسبنا
يا محنة الأدب الرفيع بمعشر
لا يصدع الزبد الجفاء سفينة
بالخير مؤثما بماه قراح
لعمال أو خدما لدى متباح
فن الحماقة خفة الأرواح
ورجت تبرجي وطول نواحي
وزكا غدوي في العلا ورواحي
ومحا ظلام المعتفين صباحي
عرض الأذل الغر غير مباح
أن أجعل الهجو الوجيع سلاحي
في كل يوم حامل المصباح
بالشعر تزكية ونبل وشاح
جعلوا السفاهة آية الإفصاح
والبحر طوع رغائب الملاح
عبر الحميد الرب

•••••

ضحك البكاء

عجبا أنبسم حين قلبك دامي ؟
وتخال أنك تستزيد محبتي
ولكم وددت لك السرور منزها
ولكم وددت لك السرائر ثرة
لكنني أبصرت قلبك داميا
إني عجبت لثغرك البسام !
بالبشر حين ظناك تقس أوامي
عن كل شائبة وكل عرام
بالصفو مترعة ، وتلك مداми
بين الجوائح في جنون ضرام !

•••

ضحك البكاء عرفته وخبرته
وكذاك أعرف صادق الانعام

ويخالي النائي رفيقَ مسرّةٍ
ولوانه عرفَ الحقيقةَ لارعوى
ولقد ضحكْتُ تعامياً عن مهجتي
هل بسمه يا حبُّ في ألفافها
أمّا التي ألبستَ فنك حسنها
فهي البكاة بعينه ولو اكتست
وحليفَ محمود من الأحلام-
عن ظنه وبكى بدمعٍ هام-
أكذا الجمال عن الهوى متعام؟
تحلو الحياةَ خليفةَ الاستقام؟
وزعمتَ أنّي عابدُ الأوهام-
حللَ السرور بفنك المتسامي
بروى الصحر طباته



دوحة الوادي

أيّا دوحة الوادي! سلاماً معطّراً
يضمك في لطف الحنون مخاصراً
سأوتُ عهداً بعد عهدك عذبةً
تلوحين دوني للخيال كمرح-
فأشهد من ماضٍ ساعاً كأنها
وأبصر آمل زهوراً تفتحتُ
كأنك نبعُ الذكريات لخطرى



فله كم ضمتُ ظلالك شملنا
حنوت علينا كالرّوم نعطفاً
وأفعمت روحينا مراحاً وصبوةً
البك خرجنا فنشد اللّهُ والصّبّا
صغيرين لما ندر هماً ولا كرباً
وأرضعتنا في ظلك الطهر والحبّا
وأهمتنا الأحلام والأمل الرحبا
فعدنا وكلُّنا ناشدٌ في الهوى قلباً

وكم ضحوة لم تصح إلا بشمسها
وقفت لحسنائي بروحي وفاظري
ويصلي فؤادي من عوادي لحاظها
تدور لنا في الحب نجوى شبيهة
ونشدو بلحن الحب والطير هتف
تعيد صدانا الشم وهي ثواب
وعش الربي يهتر نشوا وفوقه
وقنا نؤم الدور نرجف خيفة
عهود قطعناها غراماً ونشوة
إذا نقرت دلاً تقدمت ضارطاً
ونبني خصاماً في دلاله فان دنت
والحبا تحنو على بمقلة
قرأت عليها أنها بي صبة
مثلت لها في هيكل الحب خاشعاً
وألتهت فيها الحسن لا عابداً لها
لك الله ذوقاً قدس الحسن رقة

صالح بن علي حاصر العاصي

❦

حرية الشاعر

حررّوني كما تحرّر شعري
واتركوني كما أشاء قليلاً
فلقد ضاق بالتقيّد صدرى
فكفاني أنى أعيش لغيرى

« »

ولكى أهدى الضليل لرشد
وكفاني احتراق جسمي بالنو

وكفاني انهدامٌ طالى بنائي يوم أبني مقاصر الخلد وحدي

« . »

أنا طيرٌ من جنة النور والأشجار والنهر ذي الحصا الذهي
أنا لحنٌ من الهوى والأمانى بددته أوتارٌ عودٍ خفي !

« . »

كيف يلتقي باللحن في ظلمة الحبس وأني تشجي القلوب الحزينة
ظلمة الحبس ظلمة البحر والمجا ن حوتٌ ، ولست إلا سفينة

« . »

فأتركوني أجزأ إلى المرفأ الفأ مضر في فجر لجة الظلمات
أنزل العابرين فيه مع الصبح وأشجبههم بلعن الحياة

« . »

أصعدُ الناس فوق سلم أفرا حر ، وأبقى بلجة الأحرار
نكفُ الرعدة المميته قلبي يوم عودى لبحرى الروحاني

« . »

فاذا كان ذاك حالي فخلو في أعش في الحياة كيف أشاء
أنا حرٌّ ، والموت حرٌّ ، ويبقى الشعرُ تهدي بنوره الأحياء
عامر محمد بحري

❦❦❦❦❦❦

حزين

نفحة الدهر إلى الهم أنا والمعنى في غيايات الشجون
والطريد العمر عن ساح المني والوجيع الرزء ، والجم الفتون
بين جنبي بيوت الضنى بين جنبي مأس لا نهون
نحت أضلاعي دني ، لا كالدني من غيوب الهم في ريب المنون

داحياتٌ ، موحشاتٌ من سنا

خائفات ، صارخ فيها العنا ا

ليت شعري ما الصفاة ، ما الهنا ؟ ا

ثم ما سرّ الالى مُمرّوا هنا

علّنى أحياء ، ولكن فى فنا ا

طائف الآلام ، ماذا أرجعك ؟ أوما ودّعت من قد ودّعت

أنت تبكى ؟ لم ؟ كفكف أدمعك أعلّى ؟ ربّ دمع أمتعك ا

كم بكيتا ثم لم نفلح معك ا

ملّنى من بعد ماجد - الشجن حينما أنهيت فى كتمى شكائى

قدما فيمن دعا سُحْمَ المحن ترقى صبرى ، وترسى جنبائى

فاذا بى لست فى هذا الزمن لا ، ولا فى صرف موت أوحيا

أترانى لم أزل أنا إذن أم ترانى قد غزنى غمرانى ا

نضو بؤس حاد الذكر فأن

قلب الدهر ظهر المحن

غار بالهم وبالهم سكن

فتنة الدهر إذا الدهر فتن

أو لم يبق هنا شيء حسن ؟ ا

يا بلاء البتلى ما أوجعك ا من على نسيى بذكرى أسمعك ؟ ا

خذ بصدرى حيث ترضى مضجعك ته على ، لا تخف أن أفرعك

روّع الدهر صفاء روّعك ا

ولقد أمرى بى ليلاً إلى عالم من عادات الجازعين

سيق بى فى موكب يقفو البلا حيث يلقي البؤس حشد النازلين

ثم بوركت ، وتوجّب على أمم الشجو ، ومصر البائسين

عدت من فورى نبياً رسلا رغم أنى ، وكتابى : «لات حين» ا

تلك آياتى من البلوى علّا ا

أحمدى من دنا ومن علا !
كلُّ أهل البؤس جُندي في الملا
بأيموني ، إنهم قالوا : « بلى » !
رُبَّ عرشٍ من حلى الملك خلا

إيه يا قلبي ، تخيّر مصرعك حيلةً ما بعد ذا لن تنفعك !
إن تنه للدهر يوماً صدّعاً إن تصب فاجعه ، لا أن يفجعك !
حارب البؤس تويد منزلك !

محمد زكي إبراهيم



الرجوع

خرجتُ من الديار أجرهُ سُقى وعُدْتُ إلى الديار أجرهُ ساقى
أندفني وقد هاضت جناحي ونجذبني وقد شدت وثقي ؟
إبراهيم نامي



على السجية

هل آملُ يُقضى له يُنجحُ أم ذاك ليلٌ ما له صُبْحُ ؟
أطلب عند الله نيلَ المتى والله يُرجي عنده الفتحُ

لا مثل ما يعطى الورى مِنَّةٌ
 وليس همى منصبٌ مَطْمَعٌ
 لَكِنها حسناء بَهْنَانَةٌ
 أعطائها من ثقل أردافها
 ممشوقة هيفاء مَمْكُورَةٌ
 ماجت كموج الماء أطرافها
 وغلقت أجفانها فترةً
 بلها ما غصن من وجهها
 لو عَرَضَتْ والخلد في معرض
 عاشقها حُرْبَاءُ شمسٍ له
 شمسٌ على رمحٍ ولكنها
 تبرق كالسيف وفي طرفها
 طلعتها برلاً ، والفاظها
 يَظَلُّ مَسْحُورٌ بِالْحَافِظِهَا
 كأنَّ قُرْطِيهَا إذا أَشْرَفَتْ
 زادت سنّاً إذ حَجَبُوا حُمَتَهَا
 والروضة الغناء إذ حُجِّبَتْ
 كأنَّ ظَافِرَها عند تقيلها
 كأنها ماءٌ على زُبْيَةٍ
 هبت به ريحٌ فريجةً ففى
 والنسل ما بين الحصى فأنجلي

يُعْطَى وَلَكِنْ مَنْحُهُ الْمَنْحُ
 أَوْ غِيْضَةٌ قَامَ بِهَا صَرْحُ
 وَسَنَانَةٌ وَجَدَى بِهَا بَرْحُ (١)
 تَشْكُو فَمَا بَيْنَهُمَا صَلَحُ
 لَفَاءٌ لَمْ يُزِرْ بِهَا كَدْحُ (٢)
 نَضَارَةٌ وَاهْتَضَمَ الْكَشْحُ
 مِنْ سَكْرَةِ الْحَسَنِ فَمَا تَصَحُّو
 حُجْبٌ وَلَا خَامِرُهَا بَجَحُ (٣)
 لِنَاسِكٍ قَالَ هِيَ الرِّيحُ
 وَجَهَتَهَا مِنْ لَوْعَةٍ شَحُ
 تَفْعَلُ مَا لَا يَفْعَلُ الرَّمْحُ
 قَدْ كَمَنَّ الْأَثْنَانُ وَالذَّبْحُ
 طِبٌّ وَلَكِنْ صَدَّهَا جَرْحُ
 فِي غَمْرِهِ الْحَبُّ لَهُ سَبْحُ
 نَحْيَا سَمَاءٍ لَهَا لَمَحُ
 وَالْبَدْرُ لَا بِحُجْبَةِ الْجَنَحُ
 أَزْهَارُهَا نَمَّ بِهَا النَّفْحُ
 صَبَاءٌ بِالْمَسْكِ لَهَا جَدْحُ (٤)
 لِلْبَرْقِ فِي حَاقَاتِهَا قَدْحُ
 حِجَامَةٍ مِنْ عَرَفِهَا نَشْحُ
 عَنْهُ الْقَذَى وَاسْتُخْلِصَ الْمَحُ (٥)

(١) البهانة: اللينة في عملها وكلامها أو البسامة الخفيفة الروح .
 (٢) المكمورة: المنعومة التامة الخلق . (٣) البجح: الدعوى والفخر
 المزج . (٥) المح: خالص كل شيء ، وهو أيضاً صفار البيض .

حتى جرى يشقى غليل الصدى
 أشرب ماء الحسن من وجهها
 وأنضح القلب برشافها
 كأن في صدري خضماً من الآ
 وإذا تلاقينا على رقبة
 قالت: أما نخشى العيون التي
 قلت: متى لببت داعي الهوى
 انى امرؤ لا أنقى شائناً
 إن كان من يعشق من يدعى
 قد طحن الحب عظامي فثا
 أرسخ منطوح ولكنى
 يضرح منى الدهر في كيده
 أرضح من أرزائه عكناً
 قد علم الناس وإن أنكرت
 بضرت بالدنيا فن صرفها
 طرحت فيها نظري فاحصاً
 كالبحر ينجى دُرّه قاعه
 كم مر ردح وأفاعيلها
 نحسبنا منها بمنسوحة
 ونُلحق الأحداث آمالنا
 نمسح منها مُنتناً حائلاً

من رَدِه التنضاح والرشح
 بالعين والقلب به نقيح
 فيستثير الوقدة النضح
 شواق لا يُنضبه الترح
 أقبل صفح ونأي صفح
 لها البنا أبدأ لمسح
 سيان عندي المدح والقدرح
 يسعى ولا يحفيلنى المدح
 حباً فاني عاشق قح
 يبرحنى ما طحن القمح
 من شيمتى الابهان لا النطح
 ملساء لا يوهنها الضرح^(١)
 كالدر لا يقطعها الرضح^(٢)
 جهالهم أنى أنا الملح
 وعظاً ومن إيجازها شرح
 فغاية الضن بها طرح^(٣)
 صفلاً ويُبدي الجيف السطح
 فبنا مواضع وأنى ردح
 وأين، لا أين بها الندح
 وما لديها يُفتح السقح
 عجفاء لا يُدرُّها المسح^(٤)

١ لساء: الصخرة والفرح بالضاد المعجمة: الدفع والابعاد (٢) الرضح كسر
 ، ولا يقطعها لا يفنيها (٣) تطريح النظر: تبعيده (٤) المسنت: التي
 دب، والحائل التي لم تحمل وهي من البهائم كالعاقر من النساء.

تَمْلَسُ لَا دَرًّا وَلَكِنهَا تَخْتَلُّ حَتَّى يَنْكَا الْقَرَحُ (١)
 نَحْنِي وَلَا نَحْنِي وَمِنْ دَأْبِنَا نَمْنَى وَمَا مِنْ دَأْبِهَا الصَّفْحُ
 طَوَّقْتُ فِيهَا لَيْسَ فِي مَطْمَحِي قَسَرْتُ وَلَا فِي وَثْبَتِي جَحْجَحُ
 فَكُنْتُ فِي مَتْنَحِي لَهَا وَارْدَا نَاضِبَةً حَرْمَانَهَا التَّمَحُّ (٢)
 وَهِيَ أَنَا الْيَوْمَ تَجَنَّبْتُهَا لَا أَثْبِتُ الْأَمْرَ وَلَا أَحْوُ
 رَوَّضْتُ نَفْسِي بَعْدَ مَجْبَاحِهَا فَمَا الَّذِي يَتَلَفُهُ الْكَسْبُ
 إِلَيْكَ يَا دُنْيَا فَانِي أَمْرُو خِرْقٌ يَمَّا نَحْوِيهِ مَتَمَحُّ (٣)
 لَا يَخْدَعُنِي مِنْكَ مَا يُطْغِي قَدْ اسْتَوَى رَعْنُكَ وَالسَّفْحُ (٤)
 إِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ غَدَا جَارِمُ كَالنَّهْبِ لَا يُجْحَى لَهُ مَرَحُ (٥)
 يَمْزَحُ قَوْمٌ بَعْدَ جِدِّ لَمْ حِينًا وَهُمْ فِي جِدِّهِمْ مَزَحُ
 فِي طَبْعِهِمْ شُحٌّ وَفِي لَفْظِهِمْ قَبَحٌ ، وَفِي أَشْعَارِهِمْ قُبْحُ
 لَمْ أَذُرْ إِذْ يَنْشُدُ مِنْ قَدِّمُوا أَذَاكَ شَعْرُهُ مِنْهُ أَمْ سَلَحُ
 يَنْعَبُ لَا يَعْلَمُ مِنْ جِهْلِهِ أَهْوَى نَعِيبُهُ مِنْهُ أَمْ صَدَحُ
 غَرَابُ أَطْلَالٍ لَهُ عَائِفُ هَزَلًا غَدَا يَنْحُو الَّذِي يَنْحُو
 أَنْصَحُهُمُ وَالنَّيَّ فِي خُلُقِهِمْ طَبَعُهُ فَمَا يُجَدِّبُهُمُ النَّصْحُ
 لَوْ عَقَّدَا مِنْهُمْ أَرَى لَاغْتَدَى طَوْنَانُ نَوْحٍ ذَلِكَ السَّعْجُ
 لَكُنِّي فِي مُغْرِبَةٍ بَيْنَهُمْ وَذَلِكَ عِيبُهُ حَمَلُهُ فَدَحُ
 فَلَا يَزَلْ هُمُومُو نَاصِبًا مَا تَغْمَطُوا أَوْ أَوْدَقَ الطَّلَحُ (٦)

عجيب غرضي الفيومى

- (١) نَكَأَ الْقَرَحَ قَشَرَهُ قَبْلَ أَنْ يَبْرَأَ (٢) التَّمَحُّ : رَفَعَ الْمَاءَ (٣) الْخِرْقُ بِكَسْرِ
 الْخَاءِ : الْمَعْطَاةُ الْكَرِيمُ (٤) مَا يُطْغِي : مَا يُسْتَهْوَى وَيُسْتَهْنَى ، وَالرَّيْنُ رَأْسُ الْجَبَلِ
 (٥) السَّرْحُ : الْحَالُ السَّارِحُ (٦) الطَّلَحُ : شَجَرُ الْمَوْزِ

الشاعر

يناجي مصدر إلهامه

سجد الشاعر في خشوع تحت قدمي قبس الجمال المشع بنور الله البهي المصمم في
 قطعة الفن المحيطة بالوجود التي تبدو أمام الرائي كأنها محدودة في شخص المرأة .
 سجد الشاعر في خشوع مستجدياً الرحمة من باسطة الرحمة ، من مانحة العذاب ،
 من نسيم الحياة ، من مسموم الهلاك ، من جحيم الشقاء ، من فردوس النعيم : من المرأة .
 سجد الشاعر سجود المأخوذ المذهول أمام الجمال النوراني السحري الذي وسعه
 جسم محدود على اتساعه ، وبينما الشاعر في نشوة السجود والتسبيح والتبتل أمام ربة
 الجمال المسيطرة على الحواس والعواطف ، بينا هو كذلك إذا به يرى لهيباً
 تمتد إليه ألسنته فيقول مذعوراً ويتراجع إلى الوراء صامتاً وتمتلىء جوانحه بالرب
 ولولا أن الذعر كم فيه لنددت منه صرخة عظيمة يكفهر لها جو العالم ويمتلىء بالدخان
 الكثيف . غير أنه صرمان ما ومضت من خلال اللهب ابتسامة أشرقت لها دنيا
 الشاعر المحدودة بالضياء المحمودة أمام تمثال الجمال والسحر خصب ، فاستأنست لهذه
 الابتسامة روح الشاعر بمض الشئ ، وهذا رعبه تدريجياً . وصرعان ما اندفع في
 فضول الشعراء يسأل ربة الجمال والسحر عن سر هذا اللهب فتجيبه بابتسامة أخرى :
 لا لهب ما ترى يا شاعري ، وإنما ترى العاطفة النائرة ، عاطفة أحب ، تمتد لتعانق
 الفجر لتذوب في الشمس وتخرج مع الضياء ، فتتشكل بألوان الشمس عند طلوعها
 وتبسط الضياء على أرجاء الكون لتمنع كل قلب قسمته من الحب النابور والداطقة
 الملائكية ! وما هذا الوميض الذي أضاء أمام عيني الدالم المظلم الكثيف ؟ هذا
 ابتسامي يا شاعري أرسله على العالم كلما بصرت بادجاً يريد أن يقرره أو يحزن محض
 يريد أن يلج صدره بأشئ مثلك ، ولولا هذا الوميض من الابتسام الذي تراه الآن
 لتعظمت في طريق مظلم مائتات يكون في نهايته قبر مظلم ذو حراك مسموم حيث
 القضاء وحيث الدمار يجبان بجسمك النفس النضير ! ونداء رئت ضربة عذبة مسكرة
 من جهة مصدر الصوت سكر من خلاوتها الشاعر فوق عفاقة الوحي ، وعندما أطلق
 وجد نفسه في حضن امرأة التي أمطرت ناء بالقبل وأضعت جسمه بالضم وأضاعت
 جوانب روحه وأهملت الإغاني القدسية السطوية الصادرة من إلهه الحنان والرحمة

المنسكبة مع ضياء الفجر الجميل على براعم الورود العطرية الندية التي اشتار الشاعر
منها خلاصة نطاف أندائها ، وراح يستقي منها أرواح الناس سلا مصفى لذة للشاربين

الجزيرة أبا — السودان

بشرى السير أميمه

❦❦❦

خصائص شعر أبي العلاء

« ١ »

لم يقنع « أبو العلاء » بنظم الشعر العربي بما قنع به غيره من الشعراء الأقدمين ، بل اختط لنفسه طريقة جديدة سواء أكان في المعاني أم في النظم : فانه حين رأى أن الشعر العربي باب من أبواب الباطل ، صمم على تركه بعد أن نظم « سقط الرند » الذي سار فيه على منهاج الشعراء المتقدمين من المديح والرثاء والهجاء والفخر وما إلى ذلك ، ولهذا تراه يقول في مقدمة « سقط الرند » :

« وقد كنت في ريان الحداثة وجنّ النشاط مائلا في صفو القريض اعتدّه بعض
مآثر الأديب ، ومن أشرف مراتب البليغ ، ثم رفضته رفض السقب غرسه والوال
تريكنه ، رغبة عن أدب معظم جيله كذب ، ورويته ينقص ويجذب ، وليس الرى عن
الشفاف وبعلامك بجنى الشجرة الواحدة من ثمرها ويدلك على خزامى الأرض النفحة
من راحتها » .

ثم ترك أبو العلاء هذا اللون من الشعر ولم يرجع اليه بعد ذلك ولكنّ لاسمى
أراه وأمراراً لا بد أن يذيعها ويريد بعد ذلك أن يلقيها الى أسمع قوم عندهم استعداد
لفهمها فنظم « لزوم مالا يلزم » لعلمه أن قراء الشعر إنما يكونون على الأغلب الاعم
من سواد الخاصة ، ولا كذلك النثر ، وثمة لجأ الى التصريح تارة والى التلميح أحيانا :
« قَطِينُ الحاضرين من يفهم التعريض حتى يظنّه تصريحاً »

واسمع اليه حين يبرر رجوعه الى نظم الشعر ثانية في مقدمة لزومياته فيقول :
« وقد كنت قلت في كلام في قديم : انى رفضت الشعر رفض السقب غرسه ، والوال
تريكنه ، والغرض ما استجيز فيه الكذب واستمين على نظامه بالشبهات . فأما الكائن
هظة السامع ، وإيقاظاً للتوسن ، وأمرأ بالتحرّر من الدنيا الخادعة وأهلها الذين
جُبِلوا على العش والمكر ، فهو إن شاء الله مما يلتصق به النواب . وأضيف الى ما

سلف من الاعتذار أن من سلك في هذا الأسلوب ضَعُف ما ينطق به من النظام لأنه يتوخى الصادقة ، ويطلب من الكلام البرة ، ولذلك ضعف كثير من شعر « أمية بن أبي الصلت النقي » ومن أخذ بفريه من أهل الاسلام ، ويروى عن الاصمعي كلامٌ معناه : « ان الشعر باب من أبواب الباطل ، فاذا أريد به غير وجهه ضَعُفَ » . وقد وجدنا الشعراء توصلوا الى تحسين المنطق بالكذب وهو من القبايح وزينوا ما نظموه بالغزل وصفة النساء ونعوت الخيل والابل وأوصاف الحجر ، وتسببوا الى الجزالة بذكر الحرب ، واحتلبوا أخلاف الفكر ، وهم أهل مقام وخفض في معنى ما يدعون أنهم يعانون من حث الركائب ، وقطع المفاوز ، ومراس الشقاء .

« ٢ »

اخط المرءى لنفسه طريقة جديدة في النظم أيضاً ، فانه لم يكتفِ بأن تكون قافيته على حرف واحد شأن غيره من الشعراء ، بل تعداه إلى أكثر من ذلك فقال :

سيسأل ناسٌ : ما قريشٌ ومكةٌ كما قال ناسٌ : ما جديسٌ وما طئمٌ ؟
أرى الوقت يُفنى أنفساً بفنائها ويمحو فما يبقى الحديث ولا الرممُ
لقد جدَّ أهلُ الملعبين فائقوا بناءً ولم يثبت لرافعو وممُ
وفي العالم الغاوى بخيلٌ ممولٌ وسَمَحٌ فقيرٌ ، شدَّ ما اختلف القسمُ
وكونُ الفتى في رهطه نيلٌ عزِّق على أن داء الدهر ليس له حسمُ
وبرزاً جسمُ المرء حتى إذا أوى إلى العنصر التربي لم يُرزا الجسمُ

فقد التزم في القصيدة كما ترى حرفي السين والميم ، ثم قال :

إذا قيل : غالَ الدهرُ شيئاً فأنما يُراد إليه الدهرُ والدهرُ خادمُ
ومولده هذى الشمس أعياك حده وخبرٌ لبٌّ أنه متفادِمُ
وأيسرُ كونٍ تحته كلُّ عالم ولا تدرك الاكوان جردُ صلادمُ
إذا هي مرَّت لم تعد ووراءها نظائرُ ، والأوقاتُ ماضٍ وقادمُ
فما آبَ منها بعد ما غابَ غائبٌ ولا يعدم الحينَ المجددَ مادِمُ
كأنك أودعت النمايل أنفساً وأنت على التفريط في ذاك نادِمُ

وما آدم في مذهب العقل واحداً ولكنه عند القياس أودم
تخالفت الأغراض : ناس وذاكره وساله ومشتاقه وبانه وهادم

فانت تراه في هذه المرة يلتزم حروف الالف والالم بكل بيت ثم يقول :

طلب الخسائس وارتقى في منبر يصف الحساب لأمة ليهوها

ويكون غير مصدق بقيامه أمسى يمثل في النفوس ذهوها

ووجدت ليل النى ألبس مردها وشيوخها وشبابها وكهوها

لو قام أموات المواسم وحدها ملأوا البلاد حزونها وسهوها

فخذ الذي قال اللبيب وعش به ودع الفواة كذوبها وجهوها

فانت تراه في هذه المرة يأخذ نفسه بالتزام حرف الهاء والواو واللام والهاء والألف في أبيات القصيدة كلها ، وانظر الى قوله :

إذا دارت الكأس في دارم فقد رحل الدين عن دارم

فا وقفوا عند إيرادهم ولا وقفوا عند اصدارهم

وفي رفع أصواتهم بالغناء دليل على خطأ أقدارهم

فان كنت خدناً لهم فاجبهم جفاء على قرب مزدارهم

فكم حرفاً التزم في هذا القصيد ؟ لقد التزم حروف الدال والألف والراء والهاء والميم في كل بيت نظمه ، وأما أعجب قوله :

يا أمة في التراب هامة تجاوز الله عن سرائركم

يا ليتكم لم تطلوا إمامكم ولا دنونم الى حرائركم

إن استرحتم مما نكابه فنحن من بعد في جرائركم

قد خطب المخاطبون نسوتكم وأسكت الحس من ضرائركم

ذرت البلى فوقكم رمادته ولم تعودوا إلى ذرائركم

لو شاء ربى أمر مقتدراً ما قض الموت من مرائركم

فقد التزم في هذا القصيد ستة أحرف ، والشواهد على ذلك كثيرة لا تحصى فليرجع اليها من شاء في « لزوم ما لا يلزم » ، وذلك مما يشهد له بالتفوق في اللغة

ومما يبطل حجج الضعفاء الذين ينادون بعدم تقيد الشعر العربي بالقافية الواحدة في القصيدة الواحدة سترأ لعجزهم وتبريراً لضعفهم .

« ٣ »

وكما اختص شعر أبي العلاء بلزوم ما لا يلزم حتى صار هذا القيد شعاراً له وعلماً عليه ، فلم يستطع شاعر أن يجاريه في ذلك مهما أوتي من القوة ، وأصبح قصارى الشاعر المجيد منهم إذا أراد أن يحاكي أبا العلاء في ذلك أن ينظم القصيدة أو القصيدتين بعد جهد مضنٍ ، وأين هذا الجهد الضئيل من قدرة المعري على نظم سفر ضخيم لا تقل أبياته عن أحد عشر ألف بيت من الشعر الرائع الأخاذ ! وليست هذه هي أكبر مزبة للمعري في هذا الديوان الحافل بأروع ما خلفته العبقرية الانسانية ، فانك لتدهش أشد الدهش حين يطالعك أبو العلاء بطريقته الفذة التي سلكها في بعض شعره ، والتي أفردته افراداً من بين شعراء العربية قاطبة ، وهي تمكنه وتلاعبه بالألفاظ والمعاني على السواء متوخياً تفسير الألفاظ الغامضة في شعره حتى لا يسأم القارئ فتراه يقول مثلاً :

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| فلا يمس فخاراً (من الفخر) عائذ | الى عنصر الفخار للنفع يضربُ |
| لعلّ اناء منه يصنع مرة | فياكل فيه من أراد ويشربُ |
| ويحمل من أرض لأخرى وما درى | فواهاً له بعد البلى يتخرّبُ ! |

« ٥ »

وكل أديب (أي سيدعى الى الردى) من الأدب لا أن الفتى متأدب)

« ٥ »

نوديت أوليت فانزل (لا يراد آتى) سبرى لوا الرمل بل للنبت إواء)

« ٥ »

| | |
|-----------------------------------|------------------------------------|
| راعتك دنياك (من ريع الفؤاد) وما | راعتك في العيش (من حسن المراعاة) |
| إن شئت إبليس أن تلقاه منصلاً | بالسيف يضرب فاعمد لنجمات |

« ٥ »

| | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| يا صاع (لست أريدُ صاع مكيلة) | فأضيفه لكن أرخم صاعداً) |
| لا تدنوّن من الشرور وأهلها | فتكون من أهل العلى متباعداً |

« ٠ »

فَزَنَ (من الوزن) لفظاً حين ترسله وزن (من الزين) اعطاءً بترويح

« ٠ »

مُخِرَتَ (من الخمار) وذاك نحس وأما من خمارك فهو مصد

« ٠ »

أَقْصَرْتُ (من قصر النهار) وقد أتى منى الغروب وليس لي إقصار

« ٠ »

وَأَنْتَ عَلَى الْأَكْوَارِ (جمع الكور) والأكوار الممرح هذه الأكوار

« ٠ »

قَرْنَكَ (من القرى) وقرت بهلك وأقرت عبأها وقرت شرورها

« ٠ »

غَفَرْنَا (وما أعنى اغتفاراً) وإنما عنيت انتكاس البرء لا كرم الغفر

« ٠ »

إِنْ قُلْتَ صَفَوْا بِالْغَازِ مُعْتَمِدِي صَفَوْا (من الصفو) لا صفو من الكدر

« ٠ »

أَسْنَيْتَ (من مر السنين) ولم أرد أسنيت من ضوء السنا البهار

« ٠ »

وَفَوَائِدُ الْأَسْفَارِ (جمع السفر) في الدنيا تفوق فوائد الأسفار

« ٠ »

إِذَا أَوْجَدْتَ يَوْمًا (من الوجد) أوجدت من (الوجد) هذا خلقها وهو أثرس

مَتَى مَا تَحَاوَلَ فَارِسًا (من فراسة) فأتى من زيد وبسطام أفرس

« ٠ »

إِنْ تَرَاعَوْا (من المراعاة) رباً لا تراعوا بالروع من ذات رمض

« ٠ »

تمسك بتقوى الله (لست بقائل تمسك) ومعنى السوار أو المسك

« . »

ومعترلي لم أوافق ساعة أقول له في اللفظ دينك أجزل
أريد به (من جزلة الظهر) لم أرد من الجزل في الأقوال تلاوي وتجزل

« . »

ساحليون (لم أرد ساحل البحر) ولكن نسباً لأقر ساحل

« . »

هل تسمعون فاني فارس أربي (من الفرامة) إذ للحرب فرسان
إلى آخر هذه الأبيات التي تكثر في زومياته، وما أحسبني في حاجة إلى قصصها
في هذه الالمامة الموجزة .

وليست هذه كل مزاياه فانه كثيراً ما يلجأ إلى تضمين آراء الشعراء وأقوالهم
في شعره فتراه يقول :

مضى الأنام فلولا علم حالم لقلت قول زهير آية سلكوا
أويقول :

من قال صاحب لثام الناس قلت له قول ابن أسلت قد أبلغت أسماعي
ومن خصائصه النادرة تلك التشبيهات المبتكرة التي يربط بها المعاني الرائعة
بالصرف والنحو وما إلى ذلك ، كقوله :

أعلت علة قال وهي قديمة أعياء الأطباء كلهم ابراؤها
وقوله :

مالي غدوت كقاف روية قبّدت في الدهر لم يقدر لها اجراؤها
وبعد ، فان خصائص المعرى أعظم من أن تحيط بها كلمة مقتضبة موجزة كهذه
الكلمة ، ولكننا أردنا أن نشير إليها إشارة سريعة آملين أن نعود إليها بشيء من
الافاضة متى أمكننا الوقت ، وأنبعت لنا الفرصة ؟

سير ابراهيم

ذكرى

وقفةً قبلَ المسيرِ ذكرُ رَمْلِهِ وزبدِ

ذكرُ نُورِ شِعْ في ظلمةِ الليلِ البهيمِ

عائِ لحظاتٍ مضت وانطى حتى الابدِ !

غريب

وُلدتُ غريباً في الحياةِ وانى أسامرُ أفكارَ الفناءِ المعدبِ

فياليتَ رُوحى لم تجد فيه مسكناً ولا امطرت عيني دموعَ الغروبِ

اعصنى يا رياح

اعصنى يا رياح

كيفما شئت

فانى لست أدري ما الهدوء

واقصنى يا رعود

كيفما شئت

واهلمي القلب الضعيف

ان قلبي ليس تغنيه رباح

لا ولن يهلهه قصف الرعود

ميراثى لطفى

طرائف العظماء

لنى غلام أبا العلاء المعرى فقال : من أنت أيها الشيخ ؟ فأجاب : فلان . فقال
الغلام : أنت القائل فى شعرك :

وانى وان كنت الأخير زمانه لا تتر بما لم تستطعه الأوائل

قال : نعم ، فقال الغلام : يا عمته ! ان الأوائل قد رتبوا ثمانية وعشرين حرفاً
للهجاء ، فهل لك أن تزيد عليها حرفاً ؟ فدهش المعرى ولم يحجر جواباً .

« ٠ »

كان الشاعر (شلى) يتلهم فى أوقات فراغه بتمويم مراكب تصنع من ورق
الكتابة على شاطئ نهر التاميز حتى روى عنه أنه لما كان يموزه الورق كان يعمد الى
ورق المصارف (بنك نوت) فيصنع منه مركباً على نحو ما يصنع الأطفال ثم يموّمه
فى الماء !

« ٠ »

قيل إن (ديوجنيس) زعيم فلاسفة اليونان كان يزيّف النقود فى حدائمه ، ولما
افتضح أمره فرّ هارباً الى أثينا خوفاً من القصاص الذى يلحق بمقترفى هذا الجرم ،
وهناك قصد (انتينيس) ليقراً عليه الفلسفة فرفض أن يقبله محتذراً بأنه آلى على
نفسه ألا يعلم أحد ، وأما ديوجنيس فتطلب عليه وذلك ان الأخير تهدده بالمصا
إن لم يبادر بالخروج من داره فأجابه مطأطئاً رأسه : اضرب ولكن اعلم أنك مادمت
تسكّم لست أبالى بضرب المصا ! فصرّ الفيلسوف وقبله تلميحاً .

« ٠ »

كان (وردسورث) يدرس دائماً فى الخلاء ، ودوى من أحد الناس
انه جاء لزيارته ليشاهد غرفة درسه فأراه الخادم غرفة قال : انها مكتبة سيدى ، أما هو
فيدرس فى الحقول !

« ٠ »

كان كاليبوس الفيلسوف الرومى مصارعاً ثم سقاً لحدائق بعض الاشراف بأثينا
وكان فيثاغورس صاحب الفلسفة المشهورة ابن صائغ وأوربيدس الشاعر التمثيلى ابن

بستاني وديعيتني ابن أحد صناع الأسلحة ، وفيرجيل ابن فاخوري ، وشكبير
ما كان أبوه الا صوافاً ، وابن جونسون كان أبوه طوآباً ، وروبرت برنز الشاعر
الظريف كان حراثاً ، وجون كيتس الشاعر الخالد كان عطاراً .

وكان أبو كارليل بناء وأبو الشاعر الفحل المتنبي سقاء وكذلك أبو تمام وكان يعمل
في جامع مصر بل قيل كان يخدم حائكاً ويعمل عنده بدمشق وكان بشار بن برد
رقيقاً وُلد في الرق فاعتقته امرأة .

« ٠ »

لم تظهر على الكوننت تلتوى في صفه أى نجابة بل كان بالعكس محباً للهو
واللعب والحق الأذى بالناس يكره الدرس سريع التأثر . وقد ذكر في كتابه (الطفولية)
ان خاطراً جاش في صدره يوماً وهو ان الموت في انتشار الانسان دائماً فيجب على
الانسان أن يضبط بحاضره ويدع المستقبل وشأنه وانقياداً لهذه الفكرة ترك الدفاتر
والمحابر والكتب وهرع الى اللهو واللعب فكثيراً ما شارك أباه الصيد والقنص
ولازم الحوذى في عربته يطوفان بالقرى المجاورة .

نقول لهنا ابراهيم

❖❖❖

انا والسعال

بني وبينك يا سُعالُ في كلِّ آونةٍ نزالُ
في الصبحِ ، في غسقِ الدجى يقسو ويشتدُّ الفضالُ
أشعلتْ نارَ الحربِ في جسدٍ أضرَّ به الهزالُ
وجعلتْ منى الصدرِ مِـدانا يسود به القتالُ
لكَ الانتصارُ اذا الرحى دارت ولى أنا الانخدالُ
حاربتنِ ، ففلبتنِ والحربُ عادتْها سجالُ

الحربُ قائمةٌ على قدمٍ وساقٍ لا تزالُ

قد خُضْتُهَا كرهاً ، فهل مِن هَدَنَةٍ فِيهَا أَنَالُ ؟
 مَا لِي بِمَجْرِبِكَ طَاقَةٌ كَلَّا وَلَا عِنْدِي أَحْتِمَالُ



عبد الحمادي الطويل

وَيَقُولُ اخَوَانِي وَقَدْ شَهِدْتُكَ عِنْدِي يَاسَعَالُ :
 خُذْ مَدْفِنًا يَذْهَبُ وَلَا يَبْقَى لَهُ حَتَّى الْخِيَالُ
 ثُمَّ اتَّخَذْتُ لَكَ شِمْلَةً يَقْطَعُ سَعَالُكَ الْاِشْتِمَالُ
 فَأَخَذْتُ مَا وَصَفُوهُ لِي وَفَعَلْتُ مَا أَمَرُوا وَقَالُوا
 وَشَرِبْتُ نَارًا رَغْمَ نَارِي فِي الضَّلُوعِ لَهَا اِشْتِمَالُ
 ثُمَّ اِشْتِمَلْتُ وَخَلْتُ أَنْ حَسَنْتُ لِهَذَا الصَّدْرِ حَالُ
 فَذَا بَدَأْتِي فِي الْحِشَا وَالصَّدْرُ لَيْسَ لَهُ زَوَالُ
 فَسَأَلْتُ غَيْرَهُمْ فَمَا أَغْنَى الْجَوَابُ وَلَا السُّؤَالُ

حتى يُستُ وخاني جَلدي وأدركني المَلالُ
وعلمتُ أن البرءَ بها قد أصبتُ به محالُ

لم يبقَ عندي مَلجأٌ إلا الرضا والامتنالُ
فأفعلُ بصدري ما تشاء فليس لي فيك احتيالُ
إني إذا ما متُّ لمَ تَجزع على موتي النصالُ
لكن سيندب مصرعي شعراً يحفُّ به الجلالُ
عبد الرهاري الطويل

❦

أبو الطيب المتنبي

أخلاقه وصفاته

مفخرة من مفاخر الأمة العربية ، وثروة غالية من ثرواتها الأدبية الرائعة ، وملأ الدنيا وشغل الناس^(١) ، الشاعر العبقرى الخالد ، السائر على الألسنة ما بقي الدهر .
ألم يصح ما قال :

وما الدهر إلا من رِواة قصائدي إذا قلتُ شعراً أصبح الدهر منشداً
فسار به مَنْ لا يسير مشعراً وغنى به مَنْ لا يقنى مفرّداً
ودع كل صوتٍ غير صوتي فاني أنا الطائر المحكي والآخر الصدى

إذا تصفحت ديوان المتنبي لتقرأه تلحس شخصيته في كل قصيدة من قصائده ، بل في كل بيت من أبياته تثر على ناحية من تفسيته الفذة التي هي مجموعة خلال وصفات تفرّد بها فكانت مثلاً أعلى للرجولة الحقة ، للنفس الكبيرة العبقرية ذات الموهبة والكفاءة كما سترها الآن .

للمتنبي نفس طموحة إلى المجد ، طامعة في العلاء والرفعة ، راغبة في العظمة والخيلاء ، متمتعشة إلى السيادة والحكم ، تواقّة إلى أسمى المراتب وأعلى المناصب إلى مالا يفكر فيه سواه ولا يحظر على قلب بشر .

(١) ابن دُشَيْق في العمدة

أريد من الأيام ما لا يريده سوى ولا يجري بخاطره فكرا
وبالفعل فقد ادعى النبوة ولكنه فشل كما تعلم فالتفت الى الملك والولاية :
فأرّم بي ما أردت منى فاني أسد القلب آدمي الرواء
وفؤادى من الملوك وإن كا ن لسانى يرى من الشعراء
يعتد أبو الطيب بنفسه لدرجة أن لا يفضلُه انسان ولا يفوقه أحد :

إن أكن معجباً فعُجب عجب لا يرى فوق نفسه من مزيد
لم يضارعه أحد ولم يجد له صنوا :
أمط عنك تشبيهي بما وكأنه فما أحدٌ فوق ولا أحدٌ مثلي
فخيرة أهل زمانه كما يصفهم :

أذم الى هذا الزمان أهيله فأعلمهم قدّم وأحزمهم وغد
وأكرمهم كلبً وأبصرهم عم وأسهدهم فهدً وأشجعهم قرء
وعامة الناس عنده أشبه بالحيوانات والبهائم :

تلقى بكل مكانٍ منهم خلقاً تخطى إذا جئت باستفهامها بمن
هو ذو همة شديدة وجلد صليب على قطع البلاد :

أبدأً أقطع البلاد ونجى في محوسٍ وهمى في سعود
فيتعب بالراحة والاقامة ويستريح بالتعب والمشقة :

ذرائى والقلاة بلا دليل ووجهى والهجير بلا لنام

فانى أستريح بنى وهذا وأتعب بالإنابة والمقام

فمن تعود على القتال والطعان لا يأنس بالراحة التى تكون أحياناً مدعاة
للضر بحجمه :

يقول لى الطبيب : أكلت شيئاً وداؤك فى شراك والطعام

وما فى طبّه انى جواد أضرت بحجمه طول الحمام

تعوّد أن يغبر فى السرايا ويدخل من قنار فى قنار

المتنبى قوى ، جرىء ، مقدم ، بطاش لا يرهب قوة ولا بأساً ولا يجزع حتى
من ملاقة الحمام :

ذكرت جسيم مطّلي وأنا نخاطر فيه بالهجر الحمام

أمتلى تأخذ النكبات منه ويعجز عن ملاقة الحمام
ولو برز الزمان إلى شخصاً خلص شعراً مفرقه حسامى ؟
يزعم أن قوته لا تدانيها قوة الجيوش فيمتو ويسطو على العاتين والساطين :
لتعلم مصر ومن بالعراق ومن بالعواصم أنى الفتى
وانى وفيت وانى أبيت وانى عتوت على من عتا
المتنبى عصامى لم يتشرف بأهله بل تشرف بنفسه :

لا بقومى شرفت بل شرفوا بى وبفسى فخرت لا بمجدودى
وعصاميته أكسبت قومه فخراً عظيماً جعلتهم مفخرة العروبة :
وبهم فخر كل من نطق الضاد وعود الجانى وغوث الطريد
ويكنى أن يكون لأحدهم صلة به لينال الشرف الخالد والفخر الأئيل كما
قال فى رثاء جدته :

ولو لم تكونى بنت أكرم والد لكان أباك الضخم كونك لى أمّا
المتنبى لا يعرف القناعة فذو المطامع الكبيرة والآمال البعيدة والمطلب الذى
لا يدرك ولا يحده لا يرضى بالأقلال ولا يقنع بميسور العيش :

وفى الناس من يرضى بميسور عيشه ومركوبه رجلاه والنوب جلده
ولكن قلباً بين جنبي ما له مدى ينتهى بى فى مراد أحده
المتنبى أوف ، وفى ، مخلص ، لا يحمل قلبه حقداً ولا يوغر صدره غلا :

خلقت ألوفاً لو رجعت الى الصبا لفارقت شيبى موجع القلب باكياً
يحفظ الجليل ولا ينكر المعروف ، يغفر الاساءة لصاحب الفضل :

فان يكن الفعل الذى ساء واحداً فأفعاله اللأى سررن ألوفا
المتنبى كتوم للسر لا يبوح به ولو شرب :

ولسّر منى موضع لا يناله نديم ولا يفضى اليه شراب
أبو الطيب صادق فى قوله وعمله :

لقد أباحك غشاً في معاملتي من كنت منه بغير الصدق تنتفع
لم يعشق المتنبي لأن العشق مظهر من المظاهر الباطلة فضلاً عن أن لحاظ الغانيات
لم تنفذ إلى قلبه :

وما العشق إلا غرة وطاعة بعرض قلب نفسه فيصاب
وغير فؤادي للفواني رمية وغير بناني للزجاج ركاب
يعاشر أبو الطيب الكرام وينبذ اللثام الناقصين حتى إذا وجد من أخيه عوجاً
أو نقصاً يأنف منه :

وأنف من أخى لأبي وأمي إذا ما لم أجده من الكرام
يصون العرض ويهون عليه كل شيء في سبيل المحافظة على عرضه من أن يتلخخ
بوزر أو ائتم :

يهون علينا أن تصاب جسمونا وتسلم أعراضنا لنا وعقولنا
فيما سبق ظهر لك أن المتنبي ذو أخلاق عالية وخلال حسنة يندر أن تجتمع في
إنسان كاجتماعها بشخص أبي الطيب فهو — كما بدا لك عظيماً في شخصيته — عظيم
في شعره ، عظيم في أدبه .

حمر : نبیه عیسی العاقل



مصطفى نجيب

في مستهل أكتوبر الآتي نحين ذكرى مرور ثلاث وثلاثين سنة على وفاة
الكاتب الشاعر الألمى مصطفى نجيب بك زميل المرحومين مصطفى كامل باشا ومحمد
فريد بك ومن أقطاب الوطنية الذين اعتمد على اخلاصهم وتقانيهم الحزب الوطنى

في كفاحه الأول ، وزميل المرحومين اسماعيل صبرى باشا و احمد شوقي بك في المودة الأدبية وفي الروح الشعرية . توفي الفقيد الكبير في أول أكتوبر سنة ١٩٠٢ ودفن بمدينة الاسكندرية ، وقد مرت عشرات السنين ولا يزال أدبه غصناً ناضراً ، وحسبك أن تقرأ كتابيه (حماة الاسلام) و (أحلام الاحلام) وتراجع مقالاته الوطنية والأدبية الرائعة في « اللواء » وكأنك أمام كاتب من أفصح كتاب العصر العباسي ، وحسبك أن تقرأ شعره المنبث في كتب الأدب لترى الشاعرية البليغة الحية على مر الزمان .

إن هذه الذكرى الغالية جديرة بحفاوة أهل الوطنية وأهل الأدب عامة وأهل الشعر خاصة ، جديرة بأن تسجل دراساتها في كتاب أدبي قيم يرجع إليه . واني أقترح منذ الآن على شاعر العربية الجليل أستاذنا خليل مطران أن يتولى برعايته هذه الذكرى فقد كان من أخلص محبي الفقيد الكبير كما تشهد بذلك كتابته الرائعة عنه .

وليس في إمكانى هنا أن أقوم بدراسة تحليلية لشعر مصطفى نجيب - وهو ما يعنى هذه المجلة الشعرية - بل حسبي في هذه المناسبة أولاً أن أنبه الى واجب تلك الذكرى المجيدة ، وثانياً أن أشير الى نماذج من شعره الرائع المتين الاسلوب البراق الخاطر .

قال من رثائه لصديقه المطرب الشهير عبده الحولى :

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| كدت في عيني السرور فصار لي | في كل مشهد بهجة يلام |
| فأعجب لحسن في مقام مسرة | وأعجب لحرب والزمان سلام |
| أيقنت أن الدهر بعدك قد عفا | والدار خلوة والزمان عقام |
| ولقد أسنت مضر بعد شبابها | وتأجها وأصابها الاعقام |
| منى على تلك الليالي لوعة | فسلوهن على الحب حرام |
| من كان يذكرك أنسها ونعيمها | وبكى لها أسفاً فليس يلام |

وقال في إنكار للتفرج الأعمى الذي كان متفشياً في ذلك الوقت بمصر :

أقرأك ما تلقاه من حسن ملبس
ومن شاهقات الدور نحو السما تملو

وَمِنْ عَرَبَاتٍ قَادِيَاتٍ رَوَانِحٍ وَمِنْ كَهْرَبَاءٍ لَا يُبَادِمُهَا اللَّيْلُ ؟
 مَنَظَرُ أَوْهَامٍ لَعَمْرِكَ كُلِّهَا وَمَاذَا يَفِيدُ الرَّجُّ غَادِرَهُ النَّصْلُ ؟
 مَظَاهِرُ تَقْلِيدٍ أَقِيمَتْ بِلَا نُهْيٍ إِذَا هُدِمَتْ يَوْمًا تَبَوَّأَهَا النَّصْلُ ؟
 بَنَتْهَا يَدُ الْأَوْهَامِ حَتَّى إِذَا هَفَّتْ بِهَا الرَّيْجُ أَهْوَتْهَا فَلَيْسَ لَهَا أَصْلُ ؟
 تَوَكَّنَا سَجَايَانَا وَهَمَّنَا بَغِيرَنَا غُرُورًا ، فَنِي أَعْنَاقٍ أَكْثَرْنَا غُلُ ؟
 جَهَلْنَا نَوَامِيسَ الْحَيَاةِ ، وَأَنَّهُ لَاوَلَّ مَا يَدْعُو لَهَا الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ ؟
 تَبَصَّرَ ! فَلَيْسَ الْعَيْشُ إِلَّا مَعَامُحٌ يَفُوزُ بِهَا الْأَقْوَى وَيَكْبُو بِهَا الشَّرُّ ؟ (١)
 قَضَتْ سُنَّةُ الدُّنْيَا بِهَذَا فَلَا تَكُنْ أَسِيرَ أَمَانٍ ، لَا شَعُورَ وَلَا حَوْلُ ؟

وقال من قصيدة في وصف « الكرنك » :

أَهَاجَ طِبْطِبَةً بِأَلَى رَبْعِكَ الْبَالِي وَاسْتَوْقَفَ التَّمَكُّرَ فِي حَالِهِ وَفِي حَالِ
 لَهٍ مَا أَبْقَتْ الْأَيَّامُ مِنْ أَثَرِ شَادَتْهُ أَيْدِي الْعُلَا فِي عَصْرِ إِقْبَالِ
 يَا رَبِّعُ هَلْ تُحَسِّنُ الْفَتَوَى فَتُخْبِرُنَا عَمَّا تَعَاقَبَ فِي صَمَوٍ وَأَهْوَالِ
 أَرَى الْمُلُوكَ رُسُومًا فِيكَ سَاهِمَةٌ كَانَهَا لَمْ تُجَرِّزْ فَضْلَ أَدْيَالِ
 قَدْ غَيَّرَ الدَّهْرُ مِنْهَا كُلَّ مَعْلَمَةٍ وَابْتَزَّ مِنْهَا عَزِيزَ الْمَلْبَسِ الْغَالِي
 إِنْ يَبْلُغُهَا الدَّهْرُ فَلَا تَارُ مَا بَرَحَتْ تَتَلَوْ لَنَا سِرًّا أَقْوَالِ وَأَفْعَالِ
 قَدْ شَادَتْ النَّاسُ مَا شَادَتْهُ مِنْ حَجَرٍ وَشَادَ مَا شَادَتْهُ مِنْهُمْ بِأَجْيَالِ

وقال من قصيدة طويلة في رثاء الخديو اسماعيل :

أَحْزَنَّا وَمِنْ طَادَاتِ طَلْعِكَ الْبِشْرِ وَقَبْرًا وَكَانَتْ تَحْتَ اخْمَصِكَ الزُّهْرُ ؟
 وَمَوْتًا وَقَدْ أَحْيَا بِكَ الدَّهْرُ ذَكَرَهُ بِكُلِّ جَبِيلٍ لَيْسَ يَخْلُقُهُ الذِّكْرُ ؟

طلعت علينا طلعةً إثرَ غيبة
فلا النفسُ نالت حظَّها من حبيبها
فبؤساً لأيامٍ أساءت صنيعها
وأودت بآسماعيل : مَنْ كان في الوردى
بمنتخبٍ من ذروة الملك كلما
وكنّا زجرنا طائرَ النّعي والأُمى
قضى ذاكرَ الأوطانِ في دار غربة
فأولى في فلكِ حوى المجد والنّدى
فسار يئنُّ الفلكُ لما ثوى به
وَمِنْ عجبٍ أن قد غدا سائراً به
ومنها :

علا فوق أعناق غدت من جلاله
عجبت لها أنى استقلت بحمله
أرى عارضاً للمجد أطلع مُزَنُه
فلم أدر مُذْ أبصرتُ مشهدَ رزوه
رَمَتْهُ عيونُ الناسِ حتى حسبتُه
وقد أسمع النّاعون فيه صراخهم
طواه الرّدى طىّ الرداء ولم تزل
وكلها من هذا النسق العالى ، وقد عرّضَ فيها مسهباً ماثرَ اسماعيل الجليلى
ووفاه حقه من التاريخ الصحيح .

ومن مرثيه الرائعة رثاء عبدا لله فكرى باشا وجمال الدين الافغانى ورثاء عبده
الحولى الذى أشرتُ اليه فى مستهلّ هذا المقال . وأما رثاؤه لنجيب الحداد فقد

دَوْنَهُ بِمُخْطَه هَكَذَا ، وَقَدْ عَثَرَ عَلَيْهِ فِيمَا بَعْدَ بَيْنَ مَا بَقِيَ مِنْ أَوْرَاقِهِ الْخَاصَةِ الَّتِي سَلِمَتْ
مِنَ النَّهْبِ وَالضِّيَاعِ ^(١) . قَالَ الْفَقِيدُ الْكَرِيمُ :

« لَمَّا صَدَرَ الْبَيَانُ وَالضِّيَاعُ رَأَيْنَا فِيهِمَا شِعْرًا نَفِيسًا بِاسْمِ نَجِيبِ الْحَدَادِ
وَأَشْتَقْنَا لِأَن نَرَاهُ وَنَلْقَاهُ ، فَقَصَدْنَا الْأَسْتَاذَ الشَّيْخَ إِبْرَاهِيمَ الْيَازْجِيَّ صَاحِبَ الْجَرِيدَتَيْنِ
وَسَأَلْنَاهُ عَلَيْهِ فَذَا بِهِ فِي شِدَّةِ الْمَرَضِ ، ثُمَّ مَا لَبِثْنَا لَحْظَةً إِلَّا وَتَلَفَرَفَرَتْ نَفْسُهُ وَارْدَتْ
عَلَى حَضْرَةِ الْأَسْتَاذِ وَنَحْنُ فِي الْجُلُوسَةِ فَأَثَرُ فِينَا ذَلِكَ الْحَالُ جَدًّا وَدَعَتْ الْحَالَةَ لِأَن
نَرِيهِ بِهَذِهِ الْأُيَّاتِ :

| | |
|---------------------------------|-------------------------------------|
| سَلَبْتِكَ دَاعِيَةُ الْبَعَادِ | مِنْ قَبْلِ أَنْسَى بِالْوَدَادِ |
| أَنْسَى لَوْدَكَ ، وَالرَّوْدَى | يَسْمَى عَلَى غَيْرِ الْمُرَادِ |
| أَنْسَى لِلْإِنْسَانِ يُبْلَا | حَقُّ غَلَوَةِ الدَّهْرِ الْجَوَادِ |
| حَرْبٌ لِأَخْيَارِ الْإِنَا | مِنْ فَيَنْتَقِي خَيْرَ الْجِيَادِ |
| نَظَرْتِكَ نَفْسِي فِي رِيَا | ضَرْبٍ مِنْ لَطَائِفِكَ الْعِتَادِ |
| فَرَأَيْتُ بَيْنَ الشَّعْرِ رُو | حَا تَسْتَفْزُ هَوَايَ الْفَوَادِ |
| وَقَصَائِدِ تَرْوِي بَلُطُ | فِي رَوِيَّهَا الْمُهْجِ الْعَوَادِ |
| أَوْدَى بِكَ الدَّهْرُ الْخَوُو | نُ وَعُطِّلَتْ نَلَكُ الْإِيَادِ |
| قَصَّافُ أَفْنَانِ الْعُلَا | قَطَّاعُ أَوْصَالِ الْعِبَادِ |
| أَسْنَى عَلَيْكَ ، وَاتَّه | أَسْفَهُ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ |
| أَسْنَى عَلَى نَارِ الدَّكََا | تَوَوَّلُ مِنْكَ إِلَى رِمَادِ |
| وَلَمَّا ذَاكَ الْوَجْهِ غَا | ضَرْبٌ ، وَكُلُّ شَيْءٍ لِلنَّفَادِ |
| قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَى | بِكَ جَحْظَةً وَابْنَ الْعِمَادِ |
| فَأَرَاكَ قَدْ سَاوَيْتَ مَنْ | فِي التَّرْبِ مِنْ إِرْمٍ وَطَادِ |
| يَا قُرْبَ مَا كَانَ الْقَمَا | وَطُولَ عَهْدِي بِالْبَعَادِ ١ |

(١) أَنِي مَدِينِ بِهَذَا الْبَيَانِ لَصَدِيقِي الْأَدِيبِ الْفَنَّانِ سَلِيْمَانَ نَجِيبَ مَجْلِ الْفَقِيدِ .

فمزاء آل نجيب للشجن المبرح والسهاد

قد طار بلبلٌ روضكم أننى الى الآداب شادى ؟

إنّ البراعة واليرا عة والبيان مع المداد

ولطائف الأشعار والا أخبار تملأ كل نادى

وأداة كتاب البلا غة والطروس مع المداد

حزنت وقد لبست على الحداد أثواب الحداد »

وللفقيد فى مناجاة القمر نظماً ونثراً آيات ساحرة ، ولولا ضيق الفراغ لنقلت
احدى مطولاته الشعرية فى ذلك ، وهذا مثالٌ منها مستلهماً القمر :

يا لوعة لا تكادُ تُظفى أضحى بها دائماً وأُمسى

ومحنة لا تكادُ تُخفى فى حالتى وحشتى وأنسى

ومأمناً نلتُ منه حينما كأنّ نفسى عذابُ نفسى

أسعدنى وهو لى شقائى أحرقتى وهو لى خليلٌ

كقارب قوسين فى الترائى وما إلى قربهِ سبيلٌ !

ناشدتها قبل يوم بينى فى آخر المهد بالتدان

بأن تنى فى الغرام ديتى وتنظرَ البدرَ حيث كان

لتلتقى عيشها وعينى عليه وقتاً من الزمان

فان حباً المهد بالوفاء وحقق الظنّ للخليل

كان اتصالاً من السماء إذليس فى الأرض من وصول !

أو على فائت الزمان والقلبُ بالقرب فى مرور

ونحن فى الأمن والأمان والدهرُ فى كيدنا يدور

إن غاب عنى وعن عيائى فانّ تمّواه فى الصدور

مادارت العَيْنُ في الفضاءِ إلا تَرَائِيهِ في المُنُولِ
أشهدُهُ دُونَ كُلِّ رَأْيٍ مَا كُلُّ مَنْ قَد رَأَى يَعْبِلُ (١)

وللفقيد في وفاة الملكة فكتوريا قصيدة لامية طويلة جمعت بين السياسة والوصف والتاريخ لحرب البوير . وله قصيدة بليغة في أحد تحاريق النيل تُعدُّ من أجود شعره .

ومن شعره النثرى اللطيف الدائم تحيةُ القرن العشرين ، وأوصافه الشائقة المتنوعة في شتى الأغراض الفنية ، وأعدُّ منه رسائله الإخوانية ، فجميعها فوَّاحةٌ بعبق الشعر ، كما أنَّ له غيرَ قليلٍ من الأغاني المهدِّبة القديمة .

ولعلَّ في مقدِّمةَ الجديريين بانصاف ذكرى الفقيد الشاعرين الشهيدين أحمد محرم وإبراهيم الدباغ ، فكلامها عليمٌ بأدبه النفيس وجديرٌ بهذا الانصاف في بلدي « كلُّ شَيْءٍ فِيهِ يُنْسَى بَعْدَ حِينٍ » ما

محمد عبر القصور



الخُلُود

أموتُ وأحيا كلَّ يَوْمٍ مُجَدِّدًا
لقد جئتُ مِنْ فَجَرِ الزَّمانِ كَأَنِّي
وَمَثَلُ جَسَدِي فِي النُّشُوءِ نَشُوءٌ
مِلايينُ مِنْ حَيٍّ الخَلَايا كِبائِها
فأينَ ضَلالاني ؟ وأينَ لِي الهَدْيُ ؟
خيوطٌ بِهِ تَبْدَأُ وتَمُضِي على المَدَى
فتكوِّنُ جَسْمِي رَمْزُ ما مَرَّ مَرْمِدا
كِباني، وأُخْرَى إنْ تَمَّتْ لَمْ تَمُتْ مُدَى

تَطَوَّرَ جَسْمِي بَلْ وَنَفْسِي ، فَمَا أَنَا
أَجَلٌ ، ذَلِكَ الْآتِي الْبَعِيدُ أَحْسُهُ
كَمَا كَانَ جَسْمِي ذَرَّةً بَعْدَ ذَرَّةٍ
فَمَا الْخُلْدُ إِلَّا النُّوعُ يَمْضِي مُخْلَدًا
وَمَا الرُّوحُ إِلَّا كُلُّ مَعْنَى نَشِيئُهُ
مِنَ الْحَيِّ فِي شَتَّى الرُّسُومِ . وَمَفْرَدًا

وَمَثَلْتُ لِي أَنْتِ الْمَعَانِي جَمِيعَهَا
لَنْ عَشْتِ فِي دُنْيَا الْأَنَامِ أُسِيرَةٌ
أَبْنَتِ لَنَا سِرَّ الْخُلُودِ فَعَرَّدَتْ
وَلَسْتُ أَبَالِي بَعْدَ يَوْمِي إِنْ أُمْتُ
شَرَحْتُ لَهُ دِينَ الْجَمَالِ فَحَسِبُهُ

الإضرار

تَأْمَلْتُ فِي دُنْيَايَ حَتَّى وَجَدْتُهَا
وَمَا كَانَ هَذَا النَّقْصُ نَقْصًا بِذَاتِهِ
كَأَنَّ الْأَطْيَافَ ضَوْؤًا مُوَحَّدًا
فَفِي كُلِّ شَيْءٍ آخَرُهُ طَاشٍ مُضْمَرًا
وَمَا عَالَمُ الذَّرَّاتِ مَا الْعَالَمُ كَاشِفُهُ
تَقَلَّبُ أَلْوَانًا رِيَاءً مُجَدِّدًا
وَمَا بَدَّهَا فِي مُرْعَةِ الْوُثْبِ طَائِرُهُ
فَأَحْسَسْتُ أَنَّ الْكَوْنَ أَوْعَافُهُ مَأْرَى
وَأَمَنْتُ بِالْمَعْنَى الْخَفِيِّ فَانْه
تَوَحَّدَتْ الْأَضْدَادُ فِي كُلِّ كَائِنٍ
وَقَدْ ضَلَّ كُلُّ النَّاسِ سَاعَةً هَدَى بِهِمْ

تَقْبِضَةً مَا تُبْدِي لِعَيْنِي الْمَظَاهِرُ
وَلَكِنَّهُ فِيمَا يُنَاقِضُ سَاحِرُهُ
فَغَابَتْ وَمِنْ أَمَوَاجِهَا الضُّوءُ عَامِرُهُ
فَتَبَدُّوْا وَإِنْ تُخَجَّبُ لَحْمَى الضَّمَائِرُ
إِذَا خَدَعْتَ كَالْعَالَمِينَ الْعُنَاصِرُ
وَتَخَذَلْنَا مِنْهَا النُّهَى وَالْمَشَاعِرُ
وَلَا فَاقَهَا فِي وَثْبَةِ الْوَهْمِ شَاعِرُهُ
وَكُلُّ وَجُودٍ ضِدُّهُ فِيهِ حَائِرُهُ
مِنَ النُّورِ : يُخْفِي وَهُوَ كَالنُّورِ غَامِرُهُ (١)
فَفِي الْمُؤْمِنِ الْمَشْهُودِ يَكُنْ كَافِرُهُ
لِذَلِكَ دَهْرُ النَّاسِ بِالنَّاسِ سَاخِرُهُ
أَصْحَرُ رُكِّي أَبُو سَادِي



بعد عام

لي حبيبٌ ملء عيني أزرق العينين ساحرٌ
 حسنه فوق التمتي وجهه أحلام شاعرٌ
 شعره كل المعاني فيه شعره يتوَّب



محمد احمد رجب

فيه من روح المتاني فيه شمس تلهب
 فاب عني بعد عام كان عمراً للقبيل
 فتواري في الخصاص أمل بعد أمل
 قصة الحب الجديد مثل أنغام الريح
 يقينا القلب العميد في أغانيه بضغ ا

محمد احمد رجب

(الحامى)

حلم

تَفَنَّتْ لِمَطْلَعِهَا السَّاحِرِ مَلَأْتُكَ الْحُبَّ فِي خَاطِرِي
فَأَهْدَتْ إِلَى شَفَتِي قُبْلَةً وَقَالَتْ : احْبُكْ يَا شَاعِرِي !
وَرَأَتْ تَدْلِنِي كَالصَّغِيرِ وَتَغْمِرُنِي بِالرَّضَا الْغَامِرِ
وَتَجْعَلُ مِنْ صَدْرِهَا مَخْدَعًا لِأَجْفَانِ مَجْنُونِهَا السَّاهِرِ
فَقُلْتُ حَرَامٌ عَلَى الْكَرَى إِذَا كُنْتُ فِي الْحَرَمِ الطَّاهِرِ
لَكُمْ رُمْتُ اغْفَاءَ كَيْ أَرَى خِيَالَكِ عِنْدَ الْكَرَى زَائِرِي
فَأَمَّا : وَقَدْ ضَمَّنَا الْمُلْتَقَى فَلَسْتُ عَلَى النُّومِ بِالْقَادِرِ

وَمَرَّ الظَّلَامُ وَرَاءَ الصَّبَاحِ وَهَامَ الضُّيَاءُ عَلَى نَازِرِي
فَأَلْفَيْتُهُ حُلُمًا قَدْ مَضَى فَفَسَّرَهُ بِاللَّهِ يَا هَاجِرِي !
بِرَارٍ يَا صَالِحِ جُودِي

❦



فن شكسبير

في نظر تولستوي

عبقريّة شكسبير موضع إعجاب الأمم وفخر الأدباء ، ولهذا رأينا بعض الأمم يتنازعون فخر نسبته إليهم ، وضاق صدر الناس حين سمعوا أن رجلاً عادياً من قرية « استراتفورد » يخرج أسمى ما أخرجه عقل بشري ! وراح فريق من الناس ينكر على شكسبير نسبة هذه الروايات الخالدة إليه ، وزعموا أن يكون هو كاتبها .

وهذا زعم لا سند له من الحق . والحق أن شكسبير القروي كان رجلاً فذاً موهوباً ، له بديهة نادرة ، وخيال خصب رائع ، وكان رجلاً فاضلاً أحب الفضيلة وأذاعها في رواياته ، وخلقته تأخذ بلا ريب لب القاري أكثر من فنه .

وهذا الرجل لم يكن شخصاً واحداً بل عدة أشخاص ، ولم يكن فكرة واحدة بل عدة أفكار ، ولم يكن رجل انجلترا وحدها بل رجل العالم كله ، أو كما قال أحد الكتاب عنه «أراد ربُّ الدراما أن يكتب فاستحال بشراً ووجد نفسه في لندن !» وهذا الشاعر الضليع موضوع درس الأدباء والفنانين من أواخر القرن السادس عشر الى الوقت الحاضر ، وقد أعجب به جيته الألماني كما أعجب خاصة برواية «هملت» وحللها تحليلًا بديعاً ، وهذا هو الشاعر الذي اعتبره لسنج الألماني «مرآة الطبيعة» ، كما أعجب به فولتير اعجاب الحذر المشفق منه على المسرح الفرنسي وترجم له رواية يوليوس قيصر ووشَّاهَا بالتعليقات الطريفة ، وأبدى محاسنها ومعايبها ، وقال عنه إنه مهد طريقاً لم يطرقها أحد قبله ، وأنه خلق فيه ولكنه تركه غير كامل ، وهذا الشاعر هو أيضاً الذي تحدث فيكتور هيجو عن عبقريته كما لو تحدث هيجو عن نفسه واعتبره من أعظم الأذهان البشرية .

هذا الشاعر الخطير نظر اليه الكاتب الرومي الفذ نظرة عجيبة وذهب في تقدير فنه مذهباً مخالفاً لهؤلاء الأدباء العظام وكثيراً ما رآش سهمه ووجهه نحو أولئك الذين أعجبوا بفن شكسبير ، ومن باب الطرافة ثبت هنا أقوال تولستوى وحكمه على فن شكسبير ، قال :

«أذكر الدهشة التي مسّنتني عند ما قرأت شكسبير لأول مرة : كنت أؤمل أن أجد لذة جمالية في مؤلفاته فطالعتها مرات كثيرة . وطالعت بخاصة تلك المؤلفات التي أجمع الناس على اعتبارها آية في الجمال والفن - رواية الملك لير ، ورواية روميو وجوليت ، ورواية هملت ، ومكبث ، فاطافت بي لذة بعد قراءتها ، بل شعرت بأشتمزاز وتقزز كبيرين ! فهل أنا مصيب أم مخطيء إذا اعتبرت مؤلفات شكسبير رديئة سخيفة ، تلك المؤلفات الجبهة التي وجد فيها العالم المتمدين الكمال الاسمي ؟

زاد قلتي ، ورَبَّتْ حيرتي ، ولم أثق بنفسى ، فطفقت أستعيد قراءة تلك الروايات في لغات متعددة . قرأتها باللغة الروسية ، وبالانجليزية ، وبالألمانية ، ورجعت الى ترجمة شليجل كما نصحنى الكثيرون . ولكنى لم أغنم شيئاً ولم أظفر بنتيجة ، بل

كان شعوري واحداً لا يتغير ، شعور تقزز وتضجر وتشكك ! « ثم قال
تولستوى :

« أكتب هذا وقد بلغت الخامسة والسبعين من عمري . أكتب هذا وقد قرأت
كل مؤلفات شكسبير ، وبنفسى نفس الشعور الذى طاف بي من أول قراءتي له .
وانى لمأ كد أن تلك الخلال التى يخلعونها على الرجل ، والتى هو محروم منها ،
خطر كبير ككل أ كذوبة ! »

مصطفى عبر اللطيف المحمدي
(الخامس)



شعر الشباب

أقدر كل التقدير تعليقكم على رسالتى عن شعر الشباب ، وإن كنتم طالبتمونى
بأمثلة صريحة على ما أرى من تشابه فى النماذج فاني أرى الخير فى عدم ذكرها .
فصحيح ما قلتم من أن هذا الشعر كثير التنوع فى المرامى والمعاني والأخيلة
والأساليب ، ولكن ما قصدت اليه هو أنه كثير التشابه فى الروح ، ولا أظن أن
جميع الشعراء يتحدثون فى الروح ، ولأضرب لكم مثلاً بسيطاً : كان الشاعران شيلي
ويرون متعاصرين وكنا طليعة الشباب المجدد القوي فى عصرهما ، ولكنهما اختلفا
فى الروح ، فكان شيلي يفنى فناء تاماً فى حب الحياة والاندماج فيها بينما كان
يرون يكره ضوضاءها مؤثراً العزلة والانفراد ، حتى أن ضوضاء الحياة تكاد تقنله كما
يقول شيلي نفسه معرضاً به من قصيدة (أدونيس) : « فوق الزهرة الذابلة تبسم
الشمس المميتة بالأنوار » .

فهذا هو ما قصدت اليه ، ومن الخير للنهضة الأدبية أن ينبّه الشعراء الشباب
الى ذلك ، فلا يصدروا الا عن احساساتهم ، غير متأثرين روح الغير ، وبذلك يكون
الصدق عندنا أساساً فى التعبير عن الشعور ؟

عاصر محمد بحمري

الديمقراطية والأدب

أخذتُ على الدكتور أبوشادى — كما أخذ عليه غيرى من أصدقائه وصريديه — ديمقراطيته المتناهية التى دلّت التجربة على أنها لا تناسب البيئة المصرية ، ولكن هذه المؤاخذة فى الواقع غير معقولة لأنه من العسير جداً بل من المستحيل أن نغير هذه الطبيعة فى رجل تربى ديمقراطية وقضى أحد عشر عاماً فى بلاد الديمقراطية الصحيحة ، فكان نصير الديمقراطية فى أدبه وكان مثال الديمقراطية التامة فى خلقه ^(١) .

الرجل الذى تكتب صحيفه (التمس) عن جهودهِ ، وتشيد بأعماله هيئات شتى فى مصر والخارج ، فى غنى عن أن يتكلف العظمة والتعالى خصوصاً بعد أن بلغ العقد الخامس من عمره .

لا أعرف أديباً بارزاً صنع ما صنعه الدكتور أبوشادى من افراح الميدان للأدباء المغموين ومن نهضة الجوِّ للجيل الجديد ، راضياً عن طيبة خاطر أن يتسلّق شهرته الناشئون ليظهروا على حسابه ما داموا من أهل المواهب فرحاً بتكوين هذه الشخصيات الجديدة ، معتبراً مهمته الكبرى أن يناول رسالته الفنية من جيله إلى الجيل التالى وأن يحقق للأدب وللوطن تميّزاً هذا الجيل التالى . وهذا دليل على غنى نفسه التى تحب أن تعطى ولا تأخذ .

ولا شك أن تعاليم أبوشادى هذه وجهوده أثمرت ثمرتها فأصبح الشعر والشعراء حديث الأندية الأدبية ، وظهرت أصوات جديدة كانت فى غمرة النسيان والافغال ، ومع كل هذا فلم ينتفع أبوشادى من وراء ذلك ذرة من الانتفاع ، بل قضت صوفيته أن يستمتع أو يتفكّه بتفاسير المصغرين والجاحدين قدر استمتاعه بمراقبة النهضة الشعرية الحية إلى نفسه . وقد هالنى ما رأيت من التقاريز المكسدة فى « ندوة الثقافة » وقد أبى أن ينشر شيئاً منها ، ولو كانت فى أيدي حساده ومناوئيه لطلبوا وزمروا لها شهوراً وسنين فى الصحف المتصلين بها !

على أن الطبيعة البشرية التى جعلت المتنبي يصيح من أعماق نفسه :

وَمَنْ عَرَفَ الْيَوْمَ مَعْرِفَتِي بِهَا وَبِالنَّاسِ رَوِّى رُحْمَهُ غَيْرَ رَاحِمٍ

هذه الطبيعة البشرية تحتم ظهور المنافقين والكاذبين والخائنين ... ولست أجارى المتشائمين الذين لمحووا كثرية هؤلاء من طلبة (دار العلوم) وخريجها ، فقد يكون ذلك مجرد مصادفة ، وإن قيل إن معظم أولئك من طبقة معينة تدين بالوصولية قبل كل مبدأ آخر ، فاسأوا الى سمعتهم والى سمعة هذا المعهد الجليل شرّاً اساءة بما اشتهر من الأعييبهم ومكائدهم في الحياة الأدبية . لا أجارى المتشائمين ما دام لي بين أولئك الأدباء أصدقاء ، وما دام على رأس ذلك المعهد الجليل ناظر حازم ومعلمون مربون من خيرة الرجال وبينهم من تتشرف « ندوة الثقافة » بعضويتهم . ولكنني مع ذلك لا أستطيع إنكار الحقيقة السالفة الذكر وإن كنت أميل الى اعتبارها مجرد مصادفة ، وإن سياسة الحزم والتطهير كقيلة بالقضاء عليها تلافياً لهذا الشرّ الخلقى المستطير الذي يشوّه بلا شك سمعة هذا المعهد .

ليس عجيباً إذن — والطبيعة البشرية هي هي في كل العصور — أن يظهر الدّسّاسون والكائدون الجاحدون الذين يقابلون الاحسان بالاساءة ، ولكنّ العجيب أن لا يظهر هؤلاء ... وقد كان منهم من بلغ غايات الخسة في تصرفاته بالرغم مما يدينون به لأبو شادي في شتى النواحي في توجيههم وخواطرم الشعرية وظهور اسمائهم ومؤازرتهم المنوّعة بل وخلقهم من العدم ، كلّ ذلك إشباعاً لشهوة الجحود والأذى والوصولية المتأصلة في نفوسهم ، فيهون لديهم أن يجحدوا فضل هذا الرجل بكلّ سماجة ووقاحة بعد أن ينالوا أقصى غايتهم منه ، ولا يعزّ عليهم أن يبيعوا أنفسهم بيع الكلاب لمن يستغلهم أتباعاً له ، فيطّبّون ويزمرون له بالفضل الموهوم ، مضحين بشخصيتهم وكرامتهم في سبيل الكيد المطبوعة عليه نفوسهم ، كأنما من نعم الشيطان عليهم كل هذا التلقيق والجحود !

ولا أحبّ أن أذكر أحداً من هذه الأسماء فأتمتع بتعيني المبادئ وحدها ، وإنما تعينني الحجة على هذا الصّغار وعلى هذه النفسيات المنحطة ، مؤثراً من باب الشفاق على أصحابها كتم اسمائهم لعلمهم يبتدون . وماذا تقول فيمن لم يهدأ له لسان في إلحاح باخراج كتاب عن أبو شادي حتى إذا صرفه صديقنا الدكتور عن ذلك بلطف ولم يجد له قنطرة الى مودة أبو شادي الأدبية غير الانتاج الرفيع راح يكيد له بأقذر الوسائل ؟! وماذا تقول في زميله الوصولي الذي يصحّح له أبو شادي ديوانه من أوله الى آخره ، ويُعيّره بعض الرواشم المساعدة على طبعه ، ويأبى عليه أن ينشر فيه مدحة طويلة عنه ، ويستجيب إلحاحه بكتابة مقدمة

له بعد أن تومَّط والده لدى الدكتور في ذلك ، فاذا به يتخذ من كل ذلك قنطرة لموازرة العقاد له على حساب أبوشادي ، ولا يكتفي بهذا بل يكيل وزميله الهجاء لصديقنا الدكتور الذي لم يكتب ولم يقل الى الآن كلمة هجاء واحدة ضدها ويجعلان من المقاهي مسرحاً عجيباً لكل ذلك العبث ؟! ماذا تقول في مثل هذا الأديب الذي تصرخ في وجهه أبيات شعره معلنةً ججوده بفضل مُسلمه ومعلمه كما تشهد كتابته إلى غير واحد من الأدباء وفي مقدمتهم الشاعر مختار الوكيل ؟! على أن هذين المثليين ليسا إلا أهون ما يقع في البيئات الأدبية في مصر بفضل مياسة الأناثية الحمقاء التي يلجأ إليها بعض المزمعين ، مغررين بأمنال هذا الشاب أو ذاك ، حتى أصبح أدباء مصر بفضل هذه الحالة مضغرة في الأفواه وسخرية الأدباء في الخارج !

وقد عرفت في الدكتور أبوشادي — بالرغم من اشمئزازه لهذه الحالة المخجلة — نهاية الإيمان والنبات ، ولكن اذا اقترنت هذه المكاييد (كما هو واقعٌ فعلاً) بالاساءة المادية عند باعة المجلات وفي الوزارات المختصة بل في كل مجال ، واضطر الدكتور أبوشادي اضطراراً الى إيقاف هذه الجهود واعتزال الحياة العامة بسبب عجزه المالى بعد تضحياته الجسيمة المتوالية ، فأى شرف يمكن أن يظفر به مناوئوه ؟ وأى غنيمة يمكن أن يصيبها الأدب والثقافة المصرية من وراء ذلك ؟ هذا ما أدع لخصومه أن يفكروا فيه إذا كانت عندهم بقية من شهامة ووطنية ما

محمد عبر الفقور



الشعر ودار العلوم

نحت هذا العنوان كتب الدكتور أبوشادي في عدد (أبولو) الماضي ص ٤٠٩ كلمة رد على مقال المربي الفاضل محمد هاشم عطية في (صحيفة دار العلوم) عدد شهر أكتوبر الماضي تحت عنوان « الشعر في نهضتنا الحديثة » ، وفي الحقيقة كانت كلمته لمحة سريعة اقتضاها داعي الامام والايجاز ، وإلا فما أظن أنه يتيسر لأحد أن يعبر نواحي هذا الموضوع المنفصم العرى ، ومع ذلك فقد كانت كلمته موفقة ، ولو اعتبرها الدكتور غير فنية ، وكل نقطة في مقال الدكتور تحتاج الاطالة في بيانه الى وقت

غير يسير ، ولعلّ أستطيع في هذه الكلمة المقتضبة أن أبين غلوّ الدكتور في بعض أحكامه وفي تقدير كلمة الناقد الفاضل .

أول ما يقول الدكتور في مقاله المذكور : « لا نعرف إلى الآن شاعراً مجيداً ولا ناقداً مبرزاً من خريجى دار العلوم دان بالمعينة الى تعاليمها قبل أن يدين بهذه الألمعية الى طبعه أولاً ثم الى اتساع أفقه الثقافى نتيجة اطلاعه على الآداب العالمية سواء أكانت بلغاتها أم منقولة إلى العربية » . والدكتور لا يأتينا بمجديد فى النقطة الأولى، فالموثوق به أن الشاعر الأصيل موهوب بفطرته ، شاعر بطبيعته ، وليست دار العلوم ولا غيرها تصنع الشعراء أو تهيب الشاعرية ، غاية الأمر أن دراسة اللغة وتعرف أسرارها وإبداع رجالها العامل الأول فى تكوين الذوق الأدبى ، فلست أفهم ما تريد إلا بأسلوبك المائل بين يديّ ، وبغير ذلك لا أستطيع أن أعرف أنك ناثر أو شاعر ، ولا أستطيع أن أفهم أن معانيك جديدة فضمة جديدة بالاحتفال . ولا نعرف مهنداً أدى رسالته كما أدتها دار العلوم باعتراف الدكتور أبى شادى نفسه ولا أجد مبرراً لهذا التناقض فى حصن اللغة العربية وآدابها فى أيامها المختلفة غير مدافع ولم تكن غير ذلك فى يوم ما .

وبعد ذلك يقول : « فقد أخذ يلتقى بأحكام غريبة على الأدباء المجددين تلح من خلالها أن كل ذنبهم يرجع إلى عدم انتسابهم إلى بيئة دار العلوم وإن احتراموها كل الاحترام » . ونحن نشكر الدكتور على هذا الاحترام اللائق بشخصيته الفذة ، ولكنى أقول للدكتور إن استنتاجه الأول لا يطابق الواقع ولو عرف أن استاذنا يوجّه انتقاداته إلى أبناء دار العلوم بصفة خاصة لما قال ذلك ، وهذا منطقى لأن فائدة النقد ترجع للأديب قبل أن ترجع إلى غيره فهم أولى بنقده . وليس غريباً أن يختص الدكتور أبو شادى الذى يتزعم مدرسة بجانب غير يسير من تلك العناية النقدية ، وهو يقصد فى قوله إن كلمة (بينا) حشو فى قول الدكتور :

عرضت لنا تقاسيمَ الجلال وإشعاعَ الحقيقةِ والخيالِ

تلاًّلاً بالهوى القدسى بيننا تدفقَ بالتجاوبِ لانبهالِ

فانها من الألفاظ التى لها الصدارة ولم نجىء كذلك فى البيت ، ولم يقصد استاذنا أنها لغو . ثم يقول « وأما عن أنشودة الهاجر (ص ٦٦ من الينبوع) فهى من الشعر

الفنائى المحض وخير له أن يسمعه ملحنًا قبل أن يحكم على رداءة نسجه». والتجاء الدكتور إلى التلحين أمر غريب (مع انتظارنا بسرور لليوم الذى تردّد فيه أنغام الموسيقى آيات الشعر) لأننا إلى الآن لم نحكم الموسيقى فى نسج الشعر. هذه كلمة عنّ لى أن أسطرها تعقيباً على كلمة الدكتور أبى شادي فليقبلها إذا شاء والسلام

بروى أحمز طبانة

(المحرر — ننشر هذه الرسالة عملاً بحرية منبرنا العام، ولنا عليها التعليقات الآتية:

(١) إنّ تمهيدنا الذى يشير اليه حُضرة الكاتب لا تناقض فيه ولم يكن لنفوّأ، وانما هو ردٌّ منطقيٌّ على ما كتبه حُضرة المربى الفاضل محمد هاشم عطية، فليرجع حُضرة الكاتب الى مقاله المشار اليه وقد ظهر فى العدد الثانى من «صحيفة دارالعلوم»، فليس الذنبُ ذنبنا إذن فى تناول هذه البدييات. وقد جاء ذلك المقال النقدى فى أسلوب غريب أقرب الى أساليب الصحف المولعة بانتقاص الأدباء المجدّدين منه الى الأسلوب المعتدل الذى يُنتظر من معلمى «دار العلوم». فعلى حُضرة الكاتب أن يوجه ملاحظاته هذه الى ناقدنا الفاضل بدل توجيهها إلينا. ونحن دائماً من مقدّرى «دار العلوم» وانما نحب أن نوضع الأمور فى نصابها وأن يتناول الأديب بنقده ما هو الصّق به.

(٢) لا نفهم الصدارة لكلمة «بيننا» الاّ لغرض المفاجأة، وفى ما عدا ذلك فهى ظرف لا موجب لصدارته، وهى فى البيت المشار اليه فى موضع الاضافة الى جملة، وكلّ مطلع على مقارنة اللغات يعرف نظير ذلك فى اللغات الحية. فلم نخطئ إذن فى هذا الاستعمال حتى ولو كان من باب تعريب الأساليب الغربية، فضلاً عن جواز مثل هذا التأخير والتقديم فى الشعر اذا ما دأ الى ذلك انسجامه الموسيقى (راجع شرح المفصل لابن يعيش). ويميّز علينا أن نجرد لغتنا العربية من كلمة تقابل كلمة whilst الفرنجية معنى واستعمالاً وأن نحكم بمجمودها!

(٣) نحن لم نلجأ الى التلحين دفاعاً عن «أنشودة المهاجر» التى يستطيع الكاتب

الفاضل أن يتلقّى ألحانها عن الفنان المعروف محمود حلمي ، وانما أردنا أن نبين أن التكرار في بعض ألفاظها مقصودٌ إليه وله معناه التوكيدي كما له حلاوته الإيقاعية ولا ينافي جودة النسيج بأيّ حال ، ولو كان النسيج رديئاً لسقطت هذه الأنشودة من الناحية الفنية .

(٤) نحن بعيدون عن التزعم لأي مدرسة ، وليست لنا أكثر من صفة الأديب المنظم المنتج الذي يحترم نفسه ويحترم كلّ من يستحق الاحترام ، وملاحظتنا التي وجهناها الى استاذنا الفاضل لا تنافي احترامنا له وانما هي منصبّة على معالجته الشعر بنقده معالجة غير فنية ، فلم ينصفنا كما لم ينصف غيرنا من رجال الشعر الحديث . فاذا قلنا إن الأولى به الالتفات الى الدراسات اللغوية التي هي أقرب الى مزاجه وترك نقد الشعر للشعراء الضليعين فلسنا بالباخسيه حقه ولا بالجاحدي فضله ولا فضل «دار العلوم» على اللغة العربية () .



أخنا تون

أكتب هذه الكلمة الموجزة وبين يدي إعلانٌ من إعلانات (أخنا تون) أول أوبرا عربية — لم يحو الإعلان أي الفرق ستخرج هذه الأوبرا ولا في أي المسارح سيكون ذلك ، ولا يفهم منه إلا أن هناك فرقة ستخرج أوبرا باسم (أخنا تون) من نظم الدكتور أبي شادي ومن تلحين محمود حلمي .

وقبل أن أقدم للقارئ هذه الأوبرا يجب أن أقدم كلاً من ناظمها وملحنها وهما من رجال الفن المعروفين .

فالدكتور أبو شادي في غنى عن التعريف وعلى الأخصّ لقراء هذه المجلة فهو ناظم عدة أوبرات عربية وله في ميدان الأدب جولات لا ينكرها منصف ولا يرجع عدم اخراج أوبراته إلا لانتظارها الملحن الكفاء الذي يعرف من الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية ما يؤهله لتلحين أوبرا كاملة .

أمّا هذا الملحن الذي كنا ننتظره منذ سنة ١٩٢٧ لتلحين أوبرات أبي شادي فهو محمود حلمي الذي درس الموسيقى النظرية بجامعة لندن بعد تخرجه من المعهد

الملكي للموسيقى العربية ، وهو أول ثمرة لقسم النظريات بالمعهد . ولحمود حلمي دراية عظيمة في فن الأوبرا ، فله عدة ألحان في أوبرات أوروبية ، وكلنا يذكر اسمه ضمن واضعي موسيقى رواية (الحبيب) السينمائية التي عرضت في سينما وهي .

أما الأوبرا (أختاتون) فتدور حول حياة ملك مصر الروحاني الذي يعتقد بعض المؤرخين أنه شبه مجنون — هذا لاعتقاده أن للعالم إله واحد اسمه (آتون) تفاني تفانياً غريباً في تقديسه ، وكان انحلال الامبراطورية المصرية نتيجة تهافته على مثله الأعلى وقد أدّى حبه للسلام الى استقلال أمراء الدولة بممتلكاتها .

يصور لنا أبوشادي حياة هذا الرجل كحياة رجل عظيم على أخلاق عالية ومبادئ سامية ولم يكن عيبه (في نظر أبي شادي) سوى أنه خلّق قبل أوانه . ولا بدّ من كلمة أخيرة صريحة : تلك أنه من الواجب على وزارة المعارف الأخذ بيد الفرقة التي تخصص في الأوبرات ما بين اعانة مادية ومعنوية ، أقلها السماح لها بالانتفاع بدار الأوبرا وتغطية خسائر الفرقة حتى يمكننا احياء هذا الفن الجديد في مصر ، بدل أن نقف معاونتنا وتشجيعنا على الفرق الأجنبية وحدها ، إذ من الصعب جداً اخراج مثل هذه الأوبرا بنجاح تام اذا تخلت الوزارة عن المساعدة .

أصمّر فتحي

(خريج كونزفرتار باريس للموسيقى)



بين نزاهة النقد وضعة الأهواء

نشرت جريدة (الوادي) في عددها الصادر بتاريخ ١٣ أكتوبر سنة ١٩٣٤ مقالا لي بعنوان « تصدير . . » تناولت فيه الكلام عن المقدمة التي صدر بها الدكتور أبو شادي ديوان « الألمان الضائعة » ، وما يؤسف له جد الأسف أن رجال (الوادي) تناولوا المقال بالحذف والاضافة والتبديل بحيث أصبح مقالا لا يمت إلى بسبب !

وكل ما قصده من نشر تلك الكلمة هو أن أبين رأيا لي أعرض فيه على قول الدكتور أبي شادي : « فليذهب عشاق التشريح والتنقيب اللفظي الى غير هذا الشعر . فليذهبوا الى شعراء الرنين وليتناظروا معهم في استبدال لفظة بأخرى وفي أصوب

المذاهب النحوية . « وكلُّ ما عنيته أن أناقش الدكتور الفاضل مناقشةً منطقية هادئةً نصل معها الى الحقيقة المنشودة ، فمجبب جداً من بعض صبيان الصحافة أن يدسوا على الناس ما لم يكتبوه وأن يخلقوا الحزازات الشخصية حيث لا مدعاة للحزازات أبداً ، ولا أدري ما الذي يدفعني الى النيل من شخصية أبي شادي وكل ما بيننا خلاف أدبي ؟ »

ولعل أ كثر الظواهر الأدبية إيلاماً للنفس في هذا البلد هي اسفاف النقد ووضاعة تسيئة النقاد الى حد جعلنا نؤمن أن الناقد الذي يعمل لوجه الأدب وحده لم يخلق بعد في مصر ، كما أنه من أسوأ ما يدل على ذلك الخور الذي يسيطر على فريق من أدباء هذا البلد عدم تفريقهم بين الشخصيات والأدب ، وهذا جمل من النقد معمولاً للهدم أو بوقاً للتبريج .

فهل نكون محقين بعد ذلك اذا قلنا إن النقد في مصر مهزلة وضيفة بفضل أولئك السامرة الذين يحترفون السب والقذف إشباعاً لزعمة تمتلك قوسهم ؟ وهل لنا أن نقول إن الأدب في مصر سيظل كسيحاً ما دام النقد في مصر ترهات وأباطيل ؟ كل ذلك بفضل أولئك الذين يسممون الجو الأدبي بنزعاتهم ونفسياتهم التي يتبرأ منها الأدب والشعر والنقد ؟

م . نصرى عطا الله

(المحرر — هذه الشكوى ليست الأولى ولا الأخيرة من طرازها ، ولعلها تمثل أهون ما نالنا ونال حضرة الكاتب بفضل أهواء المغرضين الذين يحتمون في السياسة وفي غير السياسة للنيل من كرام الرجال الذين يعملون لخدمة النهضة الثقافية في شرف واستقلال . والعلّة الأساسية لكل هذا العبث هي الأتانية المتفشية والجهل بالواجب العام ، وهذه الحالة تبيح لأولئك العابثين كبارهم وصغارهم على السواء ألوان التجنى والتزوير ما دام في ذلك منفعتهم الشخصية التي يعبدونها ولوضحوًا في سبيل ذلك بالخير والاصلاح وبأخلاق الأدباء)

العقاد وأدبه

لا أريد في هذه الكلمة أن أتحدث عن أدب العقاد الانشائي فقد نشرت مجلة (أبولو) من وقت إلى آخر تقديرات مختلفة له ولغيره ، وقد تعلمنا من صوفية محررها الفاضل أن نفقش عن الجمال في كل عمل ، وأن نعترف للعقاد نصيبه في الحركة التجديدية ، وأن نحمد له آثاره الطيبة ، ولكني أريد أن أشير في لهجة بريئة صادقة إلى جانب من تصرفات العقاد وتأثيرها في الجو الأدبي وفي منزلته الأدبية إن لم يكن حاضراً (وهو واقع فعلاً) في حكم التاريخ الذي لن يرحم أحداً .

لاحظت كما لاحظ كثيرون غيري أن العقاد قد جعل محوره الأدبي منذ سنوات بعيدة الأناية المطلقة والتمجيد إن لم أقل التقديس لذاته مستعيناً بالسياسة لهذه الغاية ، والسياسة لا تبالي بامتهان الأدب اكراماً لأحد خدأها ، ومن ثم نشأ الفساد العميم في الجو الأدبي ، وعدنا إلى العبث السخيف بامارة الشعر وإلى تسخير الأدباء في هذا التهريج ! ولما كان مبدأ (أبولو) ومحررها عكس ذلك تماماً فقد استحق من أجل ذلك أفسى الحملات عليه من قلم العقاد ومن أقلام من يتملقونه من الشبان المغرر بهم ، بل استحق أن توقف صحف شتى على الإضرار به كالوادي والاسبوع والراديو والشببية وغيرها ، وأن يتماذى ذلك العبث إلى درجة الطعن في رجولة أبي شادي والمقارنة البغيضة بينهما مما يقع الكتاب تحت طائلة العقاب القانوني ، فيقابل ذلك أبو شادي بالترفع والتسامح ، وما أندر تحركه للدفاع الواجب . ولا يسعني تقريراً للحقيقة إلا عرض هذه المقارنة وأتحدثي أياً كان أن يخطئها أعرضها على كره مني مادام العقاد يحب المقارنات ويوعز بها في تلك الصحف التجارية .

أبو شادي

العقاد

- (١) قضى زهرة عمره في نصرة الديمقراطية المصرية بالقلم واللسان وبماله ، كما تشهد جهوده في إنجلترا وفي مصر منذ سنين بعيدة . وتضحياته لذلك وخدمة الثقافة الوطنية مضرب المثل من شتى الوجوه .
- (١) تذبذب ما بين الحزب الوطني والوفد ، وقد فضح ذلك الهياوي وعبد القادر حمزة وغيرهما ، وكان تصرفه تصرف الكاتب الأجير فحسب . وهو لم يضح بشيء بتاتاً بل عرف دائماً من أين تؤكل الكتف ، وحتى في حبسه كان مكرهاً لا بطلاً .

(٢) جعل معظم حياته وفقاً على الدعاية لنفسه حتى لم يستح من المناداة بأنه شرف العربية بأدبه أكثر مما شرفها أدب المتنبي والمعرى وابن الرومي ، وذلك تفريراً بعقول الناشئين فسنّ أسوأ سنة خلط الأدب بالاعلانات الجوفاء .

(٣) كان مثال العقوق لكل من خدمه مثل عبد الرحمن شكرى والمازنى والسباعى وداوود بركات ، وهذا أشهر من أن يذكر ، وكان دائماً التهافت على التفرد والاثرة .

(٤) تهافت على الانقلاب : فن زعيم المجددين الى أمير الشعراء ، بعد ما كان ينكر ذلك على شوقى ، وجعل الشباب مطايا لأهوائه الشخصية ، فأساء اساءة بليغة الى الجيل الناشئ .

(٥) جعل كل جريدة اشتغل فيها وآخرها « الجهاد » موقوفة على مآلثيه ، وحارب كل أديب مستقل بشتى الاساليب وقضى على النقد الأدبى التزيه قضاء تاماً فى بيئته وحينما استطاع أن يبت دماياته .

(٦) لا يعرف الا التحزب بالحق وبالباطل ، ومحور جميع أحكامه مبلغ تبعية الأديب وتعلقهم له ، دون أن يفرق بين الشخصيات والمثل العليا . وقد أدى به ذلك الى الاغراء بأبى شادى حتى

(٢) جعل حياته وفقاً على خدمة الثقافة فى فروع متعددة خدمات ممتازة ولم يقصر جهده على نفع نفسه ، حتى قال عنه المرحوم شوقى بك فى شيخوخته : « شاب طموح نشيط مجتهد شغلته صوالح الأعمال عن طولها » وذلك بعد مارآه من تسامحه الصادق وتقانيه للمبادى وحدها

(٣) كان مثال البر بأساتذته وزملائه وإن تمجنى بعضهم عليه . وتعلقه ببطران ومكرم وناجى والصيرفى وغيرهم فى غنى عن التعريف به ، ولم يشأ دائماً إلا أن يبعد نفسه فرداً من مدرسة .

(٤) رفض رفضاً باتاً تهريج الالقب وبت روح الديمقراطية الأدبية ، وعنى بتنشئة الأديب الشباب تنشئة مستقلة ، وحرص على كرامتهم ورجولتهم .

(٥) أفسح صدر مجلانه لما يكتب ضده قبل ما يكتب له ، وأبعد عنها الكثير من التقاريط ، وعنى بتشجيع النقد الأدبى الحر فى أوسع دائرة ممكنة له .

(٦) لم يتردد فى مخالفة مناصريه اذا لم يجد أن الحق لديهم كما خالف الدكتور رمزى مفتاح وسواه من الأديب ، وفى رد كل غلواء مدافعاً عن العقاد فى مواقف كثيرة ، معلناً أن اسمى غاياته هى خدمة

الحق والجمال أينما وجدوا ولو عند ألد خصومه ، فكان أثره دائماً في مجال الخير .

(٧) لم يتردد في أي وقت في الاشارة بمواهب العقاد الادبية وكتب خير كتابة عن شعره وعرض مختاراً منه للترجمة وأعلن من تلقاء نفسه عن ديوانه ، واستعان بالفنان شعبان زكي على الدكتور رمزي مفتاح ليخفف لهجة نقده ، وحذف الكثير مما تناوله ضده وأهمل سواه .

(٨) أفسح الطريق للكثيرين من أدباء الشباب النابئين وأبى تمجيدته على حسابهم ، وحرص على أوقاتهم وجهودهم ، وحضهم على التسامح مع خصومه وعلمهم حبّ الأدب للأدب والترفع عن الحزازات والدسائس المزرية ، وغفر حتى للوصوليين منهم الذين يطعنون فيه جزاء إحسانه .

(٩) بالرغم من اشتغاله الطويل بالصحافة منذ سنة ١٩٠٨ حيث صدرت أولى مجلاته عاش بعيداً عن التحكك بالصحفيين واكتساب مديحهم وقلماً أعلن حتى عن مؤلفاته ، ورخّب بكل نقدي — ولو كان مغرضاً — يوجّه الى المؤلف في حياته ، وحارب ما نفعته بالهارة الفكرية وتأجير أفلام الأدباء للمدح والقدح وشراء آثارهم سرّاً وانتحالها بأجناس الأثمان .

(٧) لم يحجم عند ما تبين استقلال أبي شادي من نفعه في غير حياء بالطبيب المتشاعر ، وهو الناظر الى طائفة من معانيه واتجاهاته ، بعد أن كان ينعته بالشاعر الفاضل ، ومن اغفال كل ما كان يكتب من خير عنه الى « الجهاد » ، ومن العطن فيه بمجلات وصحف شتى بأقلام صحبه وأقلام نكرات أو شخصيات وهمية ، ومن تلفيق التهم ضده في غير تورع .

(٨) شغل أولئك الأدباء بمجالسه الليلية عن دراساتهم وجعل همهم الأول تمجيدته بدل تكوين أنفسهم وعلمهم القلب والذبذبة والاساءة الى من عاونهم إكراماً لا يمحاه وزجّ بهم في تيار الحزازات والمناورات الشخصية وتظاهر ببعض التقدير لهم لقاء أن يبقوا مطايا .

(٩) خلق سفراء له في ادارات الصحف المختلفة وأوجد شبكة من التعزّب له ولما واة جميع منافسيه ، وابتدع مذهب « الحجر الادبي » على كل من لا يرضى عنهم ، ولم يتعفف حتى عن استغلال تاجر خردوات أو بائع لبن ، وجعل المغالاة في مدحه ضربية لا مفر منها على كل من يستبق صلاته به ، ولم يبال بما لكل هذا من العواقب الوخيمة على أخلاق الأدباء .

(١٠) عمل على استقلال الأدب عامة (١٠) احتفى بالسياسة لتطبل لأدبه
كما عمل على استقلال الشعر خاصة. وبذلك وتزمر ، ولتقيه حتى من النقد الأدبي
أصرّ على الاعتراف بالجهود الأدبية البرىء ، واخترع أخس النهم السياسية
الممتازة أينما كان مصدرها ولو خالف أصحابها ضدّ زملائه ولو كانوا من أطر الرجال
في أشياء كثيرة. وبذلك صان حرمة الأدب ذمةً وخلقاً وأصلاً. فمنّ بذلك سنة
وكرامته وارتفع بموازين النقد الأدبي. فبيحة سمحت الجو الأدبي في مصر.

هذا قليل من كثير من نقاط المقارنة ، وقد شئت رجولة العقاد التي يتغنى
بها أن يقف موقف النساء حينما صدر الحكم بحبسه شهوراً معدودة حبساً بسيطاً
وأن يهول في تصوير ذلك الحبس ، وشاءت رجولة أبي شادي التي يتناساها العقاد
أن يتقبل ما هو في حكم النفي ببلاد غريبة سنين عديدة عاملاً لخدمة وطنه أشرف
الخدمات بالرغم من كل اضطهاد.

ولست أرمى بشيء مما تقدّم الى انتقاص أحد ، وإنما أريد أن أدلل على أن
من الخير للأدب والادباء أن يحاسب العقاد نفسه ويغير من خطئه التي لا تنفعه
بقدر ما تنفع وسطاء السوء.

السير عطية شريف

(المحرر — ننشر هذه الرسالة تلبية لغيرة كاتبها الفاضل الذي أثبت له نخوته أن يرى
الشباب يغرّر به هذا التغرير للتطاول على الادباء الجاهرين بمجاعة لاهواء هذا المترجم
أو ذاك . وفيما يختص بنا شخصياً فليس لنا من دعوى أكثر من الخدمة المتواضعة
قدر طاقتنا ، وإذن فلسنا من مجاري أي مقارنة أو يقبلها ، ولسنا من برضى انتقاص
أحد . ونحن نسامح كل من تطاول علينا وافترى ضدنا أو خان ثقتنا أو حسن ظننا
فيه أو جحد معاونتنا ، ونعد هذا التسامح قرباناً للخير العام . والله المسئول أن
يهدينا جميعاً سواء السبيل) .

جولة في شعر أبي شادي

لكل عصر طابعه الخاص ، وفي كل عصر تجد الناس مفترقين ثلاث فرق ، ما من ذلك بدئاً : فأمّا داعر إلى التجديد متطرف فيه ، وإمّا داعر إلى القديم جامد عليه ، وإمّا حذرٌ طموحٌ مشفقٌ على القديم راغب في الجديد فتراه يداور ويحاول وعسى أن يوفق بينهما ، وكلا الطرفين ساخط عليه متبرم به . هذا قانونٌ صادقٌ في كل شيء وخاصة في أبحاث اللغة والأدب .



عبد الفتى محمود علي

ولا تزال نرى الشعراء منقسمين على أنفسهم هذا الانقسام ، والدكتور أبو شادي من دعاة الطفرة والثوب والجري السريع في عنان الحضارة ، فهو من المتطرفين في الأدب ثم حامل لواء التطرف والتجديد .

أول ما يروعك من أبي شادي كثرة الانتاج حتى كأنه معملٌ يديره محرك كهربائي من أحدث أنموذج في السرعة ، كأنما ألقى نظرة إلى العالم فوجده مملوءاً بالحركة والنشاط ، فجري ملء عنانه أنفاً أن يتخلف عن الركب ، وهو في هذه السرعة لم يخل من سقطات وعثرات ومصادمات ومنافسات شأن المنتجين في كل فنٍّ من فنون الحياة . وهو شاعرٌ طبعىٌ يجرى في ميادين الطبيعة حراً طليقاً ،

فقد يجمع به الخيال ، وقد يَهْدِي الى وجه السداد ، وتراه يعرض نفسه على النوادي على أسلوب العصر أيضاً في الاعلان . والناس منهم معرض عنه ومقبل عليه وهو ماضٍ في طريقه لا يلوى على شيء ، ولا يبالي بالخسائر التي تصيبه ولا بالآلام التي يعانها حتى اذا فاز في النهاية حمد طول السرى .

وقد هزّني ما رأيت من اختلاف الناس فيه وخلاف الأدباء عليه أن أكثر القراءة في شعره ولكن بسرعة كسرعته لعلني أستطيع أن أستوعب أكثر ما عنده وأن ألمح جوانبه كلها لمحا يضعه عندي في المرتبة اللائقة بهذا الانتاج الضخم والعمل المضني . فأخذت أقرأ وأقرأ على جناح السرعة — كما يقولون — ففأنتني المعاني وبقيت الألفاظ ترن على شفّتي رنيناً مزعجاً ، فخيّل الى أن عوداً وقع على أوتاره طائر فظنه شركاً فأخذ يرفرف بجناحيه على أوتاره فتخرج أنغاماً لا موسيقى لها ولا جمال فيها . فجذعت على وقت ضاع في هذا العناء الذي لا طائل فيه ولا جدوى . فألقيت خاطر أبي شادي وعصر أبي شادي وأقبلت على الشعر أقرؤه بهدوء واطمئنان وبيطء قد لا يعجب أبا شادي فانه ليس منه في شيء ، فما هي إلا جولات حتى رأيت خيالي يطير معه في أودية شتى ويسرع في التنقل كالطائر المدعور : فرة أراه يرقص مع الآلهة أو يضرب الاعواد مع الرهبان في الهياكل وتارة أراه مع الفراعين الاول يستلهم المعاني ويستوحىهم المجد والعظمة ، وطوراً أراه « وراء الغمام » يصف ما وراء الحجرة وأسمع له شعر النجوم والمرج ينتظر « أحلام الظلام » ، وتارة أراه بين الرياض يصف الأزهار و« الأنهار » و« مخلب الطاووس » وفيضان النهر المقدس والحقول و« الأشجار الشريفة » و« الارز الطائش » عند سير القطار به ، فأخال انساناً يعيش في جو من الاحلام الشعرية لا صلة له بالسياسة ولا بالمتجمع ! وما هي إلا صفحة من أشعاره قلبها حتى نراه يجيئ ويهني زعيم الأمة والمجاهد الكبير وبودّع صدق باشا وينمى على وزارته سيئاتها في حادث ضريح سعد ويصف بأس الشعب ويذكر أنه مصدر السلطات ويخوض معمعان السياسة بعاطفة وطنية صادقة ، ويسبح في المجتمع فيدخل المحكمة الشرعية فينتقدها انتقاداً مرّاً لاذعاً وينتقد سماسرتها بنظرة الفيلسوف الاجتماعي . ثم يقتحم الزحام في مولد السيدة زينب فيصفه أصدق وصفٍ إذ يقول :

فسرنا في مواكب حاشدت تدفق كالظلام على الظلام
وقد ثار الغبار فصار معنى لغير السلم في مثل القتام

ويلاحظ التواء التعبير في قوله « لغير السلم في معنى القتام » كأنه يقلد المتنبي في مثل هذا الالتواء . ويصف الولي « المطمطم » وقد سار يشق الجمع مزهواً بكثرة أتباعه . ولكن أبا شادي لا يسلم في هذا الزحام من العثرات فانظر اليه يقول في وصف الولي :

ببارك كلّ مكومٍ عليلٍ ومن أمثاله علل الكلام

فما معنى « علل الكلام » هنا ؟ وما مناسبتها إلا لتكملة البيت وموافقة القافية ؟ فإن كان يقصد الكلام بفتح الكاف فلا معنى لها هنا ولا مناسبة — وإن كان يقصد الكلام جمع كلم وهو الجرح فهذه إضافة الشيء الى مثله وهي نائية على الذوق الأدبي ضعيفة في نظر النحوى والبلاغي . وإن قصد بالعلل الأسباب فيكون الضعف في كلمة من أمثاله . فهذا الشيء وأمثاله هم أسباب الفساد لأن منهم الاسباب فهم بأعيانهم وذواتهم والأعييبهم فساد لا ريب فيه ولا نزاع .

والشاعر مولع بالتجديد لأبعد حد ، وقد يخرج به التجديد والسير وراء الفن عن جادة الحشمة فيصور الصور العارية أو القريبة من العارية كل ذلك لا دعوة للإباحية والفوضى الخلقية فهذا ليس من شأن الفيلسوف الاجتماعي ولكن إثارة لعواطف الشباب نحو الجمال وتقديره وتقديسه . ومن الصور ما يظهر فيه الفن الرائع ، ومنها ما لا يظهر فيها روعة الجمال ، ومنها ما يصور أساطير يونانية ورومانية وفرعونية أو يشير إلى حوادث تاريخية ، وهذا كله وإن كان خارجاً عما وقفت عليه البحث غير أنه داخل في شخصية أبي شادي .

وأبو شادي رافع راية التجديد وعلى يديه خفيتين حيناً وظاهرتين حيناً آخر تخرج شبان في نظم الشعر الحديث على الأسلوب التجديدي . ومما يمسّ النفس ، ويقضى عين الحقيقة ، وينغص فؤاد المعروف ، ويفسد حسن الصنيع ، أن من هؤلاء الشبان من يكفره ويحجد فضله .

نبئت عمراً غير شاكر نعمتي والكفرُ مخبنةٌ لنفس المنعم

وهؤلاء الشبان وهم لا يزالون في فجاجة وقصور يتناولون عليه إرضاء لأنسان آخر يريد أن يتزعم الشعر تزعماً لا يقره عليه من نقاد الشعر أحد ، ولكن السياسة الخرقاء تحميه من النقد ، وانتسابه لأكبر الأحزاب في مصر يرفعه عند الناس ، ولكن عند من ؟ عند من يتغاضى وهو يعلم أن الزمن كفيل بهدم هذا الصرح المشيد

في الهواء من الهراء . وهنا أقف وقفة الأسف والالام ، وأرفع الصوت عالياً ضد السياسة التي ما دخلت شيئاً الاً أفسدته . وقد تعمّذ المرحوم الشيخ محمد عبده من السياسة ومن ساس ويسوس ... الى آخر ما يمكن اشتقاقه من هذه المادة .

ما للسياسة وما للأدب لولا سخرية القدر ومجانة الحظ ؟ وأي شأن هؤلاء المتشاعرين بالموازنة بين الشعراء وبالحكم بينهم ؟ حسبهم أنهم يحاولون الانضواء تحت لواء الشعر محاولة ، فكان الأجدر بهم أن ينزهوا أفواههم الباغمة من مصالوة الأسود في حرجاتها . ولكن تأبى البعوضة الا أن تطن في أذن الفيل ، ثم تسأل : أيسمعى الفيل ويعبأ بى ؟ حقاً أنا عظيمة لأن الفيل يحرك أذنه من أجلى !

وما زال أمثال هؤلاء يتزلفون الى الدكتور حتى ينوّه بهم ويمدّهم بالمال والخيال والفن ، حتى اذا ظنوا أنهم شيء تراموا على أعتاب غيره والثقوا حواليه ولسان الحال يرّدّد في آذانهم لو سمعوا :

أعلّمه الرماية كلّ يوم فلما اشتدّ ساعده رمانى
وكم علمته نظم القوافى فلما قال قافية هجاني ١

ومن العجيب أن الدكتور قد بدأ يعبأ بهم ويقيم لهم وزناً فتراه قد أصرّ على هجر ميدان الأدب الذى جرى فيه طلق العنان أمدأ بعيداً وقطع فيه مدى شاسعاً ! لأي شيء يهجر الدكتور هذا الميدان ويتغلّب عليه اليأس وهذه قصوى أمانى حسّاده ومنافسيه ، وهو الذى ضرب المثل عالياً في المغامرة وعدم المبالاة ، وأرغم الحساد زماناً طويلاً لذلك ؟

أتقدّم للدكتور في روية وأناة وأزلف له نصيحة خالصة ملؤها الاخلاص والانصاف يرّددها معى جميع عارفى فضله : إنا نرى الدكتور يكتر من الانتاج ولا يتنخل ما ينتجه ، فما أجدره أن يصفى ويصفى ويحذف كثيراً ويطارع دولة الألفاظ قليلاً ويصنئ لأحكامها ولو بعض الاصغاء ، فذلك يعود على أسلوبه بالطلاوة والحلاوة ويكسوه رصانة ودقة ومتانة ، ثم لا يعبأ بعد بهؤلاء الأذئاب ولا يقيم وزناً لهم ولا لمحرضهم ومحرضهم به ، فمن الخور والضعف أن ينكس مثله لهذه الحملات الخرقاء التي يشنها عليه خصومه الألداء .

وما آخذه عليه إهماله الرواية . وفنّ الرواية في الشعر الأوروبي قد تقدّم تقدّمًا

مريضاً وشعرنا العربي لا يزال في مهده من هذه الناحية ، وقد رسم شوقي بك خطه لا بأس بها ولا بأس بالتجديد عليها ، فلا شيء لم يؤلف أبوشادي روايات شعرية وهي أجدي على الأدب وأجذب للقراء وأمتع للنفوس من الخيالات الشاردة التي يتصيدا ويتقيدها ثم يسيرها في الناس فلا تشق طريقها في هذا الجيل السئوم الملول إلا في بطنه وفتور كآنها بنت شعيب تمشي على استحياء ؟ ولعل هذا الصوت يسمع أباشادي فيقذف بنفسه في هذا التيار فيخرج لنا كل شهر رواية مسرحية شعرية خالدة فالمرح ينتظر منه ، وإذا أبي مسرح هذا الجيل فستكفر عن سيئاته مسارح الاجيال القادمة . ومن الاخطاء العربية اللغوية التي لا يبالى بها أبوشادي ولا يراعيها وأجدر بها أن تراعى قوله في قصيدة « بأس الشعب » :

وليس العتيّ الرأي للنصر كافلاً إذا الحقُّ للرأي العتيّ خصيمٌ
فكلمة اذا لا يليها الا جملة فعلية وقيل في « اذا السماء انشقت » انها جملة فعلية بتقدير « انشقت » . ولا يليها مبتدأ وخبر الا اذا كانت للعفاجأة وهي لا تصلح هنا . ومن فساد الخيال وصفه ألوان الطعام بأنها مثل سلاح أعداء السلام في قوله في قصيدة « مولد السيدة زينب » :

وألوانُ الطعام تفوح حتى تخال سلاحُ أعداء السلام !
واستعمله لفظ « حرامي » العامي بلا أقواس في القصيدة نفسها :
وأخرى في تدفقها حيارى وقد أودى بها عبث الحرامي
ويقصد أودى بها أي بنقودها أو حليها وليس بشيء أيضاً ، فهلا تمحل ومحض وروسي عساه يحل المكان اللائق به ، وعساه ينهض بالشعر الحديث الذي انتدب الى انهاضه ، فان هذه الاباحية قد تقعد به وبشعره عن بلوغ الغاية المنشودة وتحط منزلته عند أفاضل النقاد وأساطين الأدب في هذا الجيل ؟

عبر الفنى محمود على
مدير (مجلة الطلبة)

كلية الآداب
الجامعة المصرية

(المحرر — نشكر لناقدنا الفاضل حسن ظنه بنا ونهتته باستقلاله الفكري ، ثم نعرض عليه الملاحظات الآتية ليتدبرها تدبر الأديب المستفيد الذي لا يجوز له أن يتعالى على المعرفة أيتاً كان مصدرها ، وما أجدر شبابنا أن يكون هذا ديدنه دائماً :

(١) من الأوهام الشائعة التي يورثها الاتجاه فريقياً بعد آخر من الناس أن كثرة الانتاج الفني توجب كثرة السقطات والعثرات ، مع أن المعقول أن المراتبة الفنية التي تصحب الانتاج الوفير تؤدي الى النضوج والانتاج . وللأسف لا يوجد انتاجٌ بالغٌ لأحد من الأدياء المكثرين في مصر يقارن بانتاج أمثالهم في الغرب ، فلا معنى لأن نخدع أنفسنا بهذا الوهم ثم نتبرع بالنقد لما لا يستحق النقد . والشاعر الذي يبلغ العقد الخامس من عمره محتفظاً بقواه الذهنية وخصائصه الفنية هو أولى بالتشجيع منه بالتنبيط لانه في سنّ النضوج المثمر ، والأولى بمحبي الادب أن يتطلعوا الى أقصى المستطاع من انتاجه الناضج في هذه الحالة وأن يطالبوه به تبعاً ، لا أن يعنفوه على نشاطه الموفق !

(٢) كثيراً ما يتعثر الناقدون في وصف أساليب الفنانين ومناحيهم فينعتونها أحياناً بالسقوط والاسفاف وما الى ذلك ، ومنشأ هذا التطاول راجعٌ الى تعالى النقد شيوفاً وشباناً على السماء ! ولو أنهم نظروا الى الآثار الفنية نظرة الاحترام الواجبة لتذوقوا ألواناً متنوعة من الابداع الفني أسلوباً وموضوعاً في شتى المناحي ، ولكنهم يكتفون بالنظرة القصيرة وبلون واحد من الفن يؤثرونه فيبغضون غيره حقاً وتغيب عنهم آفاق كثيرة ... ان الفن حليف التنوع والتجديد ، فمن العبث الإيمان بصورة واحدة من صوره والتخلي عما عداها !

(٣) ان ما نعرضه على النوادي الادبية من تعاليمنا الفنية بالتأليف أو المحاضرة هو أكرم أنواع العرض تلبيةً للدعوة الحميمة لا تطفلا على أحد . وقد دلتنا الخبرة الطويلة على أن عملنا المستقل في ظروفنا الاجتماعية والسياسية الحاضرة أجدى على الأدب والعلم من جهودنا التعاونية ، فالتعاون مازال غريباً شريداً في مصر يحاربُ الداعي اليه والعامل له شرّاً محاربة !

(٤) لا يوجد شاعرٌ معاصرٌ خدمَ الموسيقى الشعرية بأكثر مما خدمناها ، وقد أبينا العبث الشائع بالزنين اللفظي على اعتبار انه موسيقى بالمعنى الفني ، كما أبينا تبعية الشعر لغيره من الفنون ، واحترمنا الموسيقى الأصلية المنبثقة في بنية الشعر — موسيقى المعاني الشعرية . ولم ننسَ تقسيم جول كومباريو الفنَّ الى ثلاثين أساسيين مستقلين بعضها عن بعض : ثلوث فنون الابعاد أو الجمال الثابت ، وثالث فنون الوقت أو الجمال المتحرك ، إذ يتألف الثالوث الأول من البناء والتصوير والنحت ،

ريثا لف الثالث الآخر من الموسيقى والشعر والرقص (فن التماثيل الحية)^(١).

ونحن نقر هذا التقسيم على اعتبار الفن الموسيقى الشعرى فنَّ تعبيرىٍّ معنوىٍّ وليس رنيناً لفظياً آلياً ، فالموسيقى ازدوج ببيانها المعنوى ازدواجاً مؤلفاً لوحده الفنية التى لا يمكن تجزئتها . وعلى هذا الايمان يقوم حرصنا على الموسيقى الشعرية الصحيحة فى تعليمنا وتطبيقنا كما تقوم محاربتنا لكل زيف باطل يعرض علينا باسمها

(٥) لا يجوز أن يوصف التركيزُ والدسامةُ فى التعبير بالالتواء ، وأين الالتواء مثلاً فى البيت الثانى من هذا القول وصفاً للزحام الهائل بمولد السيدة زينب :

فسرنا فى مواكب حاشداتٍ تَدْفُقُ كالظلامِ على الظلامِ

وقد ثار الغبارُ فصار مَعْنَى لغير السَّلم فى مثل القنّامِ

وكيف يحار أديبنا الناقد أمام مثل هذا البيت فى وصف الولي :

يُبارك كلَّ مكّومٍ عليلٍ ومن أمثالهِ عللُ السّلامِ

حينما صدر البيت يفسّر عجزه ؟ إن هذا البيت ضرورىٌّ للصورة الوصفية وليس فى شيء من الحشو الذي ينافى طبيعتنا ، وإذا خطته يراعة طبيب اطّلع على الكثير من علم النفس فانه يحمل من المعانى الضمنية كثيراً فوق رموز ألفاظه وأمثال ذلك الولي بلا شك من الاسباب المرضية للجراح النفسية الخبيثة المتفنية بين من يؤمنون به ، وما أ كثر هذه الجراح !

(٦) إن ما نعرضه من الصُّور الفنية حسب اعتقادنا يرَّحَّبُ به أيّما ترحيب فى مجال النقش والتصوير ، فكيف يعاب فى مجال الشعر ؟ أليس ذلك راجعاً إلى حكم العادة الغربية فحسب ؟ ولو عُنِيَ النقاد بالتبحُّر فى دراسة عناصر الفنون الجميلة وعلاقة المرأة بكل ذلك لجدوا لنا جهدنا بدل لومه ، ولما كان للحديث عن الحشمة أيّ معنى فى تلك المناسبات . كذلك لا نعرف أننا نتصيد شيئاً من الخيالات الشاردة بل جميعها من صور الحياة المواتية لنا فى سهولة طبيعية وقد توفرت لها أركان الفن الأدبى .

(٧) نحن لا نعبأ بهوس الدسّاسين والجاحدين وافتراءات المفرضين الأنانيين ،

(١) أنظر مقدمة كتاب (أصول الموسيقى) للاستاذ شارلس بيرس .

فكل مخلوق ميسر لما خلق له ، وإن سجلنا صُوراً من تصرفاتهم للتأريخ الأدبي فقط في هذا الزمن الشديد الاضطراب . وفي فاتحة هذا العدد (وكذلك في أعداد زميلتنا « الامام » الأخيرة) شرحٌ كافٍ لموقفنا الذي يترتب على ظروفنا المادية قبل سواها ، بعد أن استنفدنا جميع وسائل التضحية وبعد أن تلقينا ما لا عداد له من المناوآت . وليثق صديقنا الناقد بأننا في أيّ وقت نجد الفهم الصحيح والموازنة الكافية لمشروع (ندوة الثقافة) فأننا لن نتأخر عن تحقيقه خدمةً لوطننا وللعروبة وللمعرفة الانسانية مادامت فينا قدرةٌ على العمل ، وأمّا آراء ما آلت اليه ماليقنا من الاضمحلال وازاء الخذلان الحكومي الذي نلاقيه بالنسبة لتطبيق الاصلاحات المنشودة على الأخص ، فلا حيلة لنا الا في ايقاف كل جهودنا العامة . وهذا وحده هو الاحتجاج العملي البارز الذي نملكه اشهاداً للفوضى السائدة في مصر .

(٨) لسنا بالمهملين لفن الرواية الشعرية كما تدل على ذلك آثارنا المطبوعة التي لم يطلع عليها ناقدنا ، وبالرغم من حالة المسرح المصري وانعدام الجمعيات المسرحية المشجعة (التي تبلغ زهاء الألفين في بريطانيا العظمى) ، كذلك لا نعتقد ولا يعتقد كل فنان وثيق الصلة بنا أن لدينا من الآثار الأدبية ما يجب غربلته . وهذا الرأي الجريء كان يجب أن يسبقه احتكاك الناقد طويلاً بنا ليرعى عن كذب الدواعي الشعرية التي تتأثر بها ومبلغ حرصنا على اللغة والأداء وعلى الموسيقى الشعرية .

ولو قدّر ناقدنا الشاب أنه يفصل بيننا وبينه ربع قرن من الاضلاع المتنوع والمرانة في اللغة والأدب والفن لا أدرك حينئذ أنه من التناول أن يُعطينا ذلك الدرس في النحو مع أنه نتيجة اطلاعه المحصور وجهله بالمدرسة الكوفية المجتهدة ، وكذلك وصفه باختيال الفاسد اشارتنا الى الطعام القذر الشائع في الموالد بمثل قولنا :
وألوانُ الطعام تفوحُ حتى تُخالَ سلاحُ أعداء السلامِ

وهو بيتٌ يوحيه خيالٌ طبيبٍ شاعرٍ خبرَ حوادث التسمم البطوميني (ptomain poisoning) من مثل ذلك الطعام الذي يفتك بالنفوس الآمنة المطمئنة في تلك المناسبات الدينية . وقياساً على ذلك نقده كلمة « الحرامي » وهي عربية مصقولة تناولها بالشرح استاذنا الشيخ عبدالوهاب النجار وإن وردت في لغة التخاطب ، ولولا ذلك لما استعملناها ، فلسنا نحن من أنصار العامية أو الأباحية

في شيء ، فحرية الفن لا تعني الفوضى ، وكل من خبرنا طويلاً من أصدقائنا الأدباء كالجدّ أوى والسحرتي والبحراوي وعبد الغفور والصيرفي يعترف بأننا في شعرنا أشبه بالرسم الصيني الخبير الذي ينضج في نفسه المعاني التصويرية ثم ينقشها بمجراة قوية لا تقبل التعديل لأن طبيعة فنه لا تسمح بالتعديل ، وليس معنى ذلك شيء من الإهمال أو المجز بحال من الأحوال . وأما عن الزعامات الأدبية فنحن براء منها ، فما أفسد الشرق مثل التهافت على الزعامات ، وحسبنا غنماً وحظاً نشر تعاليمنا الفنية قدر طاقتنا ووسائلنا في الجيل الجديد) .



مهازل النقد

كنت أطلع في الصحف والمجلات انتقادات مختلفة للمؤلفات فأجد في الكثير منها تحاملاً لا أدري له سرّاً حتى أخرجت ديواني (الألبان الضائعة) فأدركت أسراراً !

فالنقد عندنا يصدر عن نفوس تختلف باختلاف أغراضها : فنقاد يكتبون عن عدا شخصي وسخيمة راكدة في نفسه يضمروها لصاحب الكتاب ، وفنقاد تلهيه الغيرة فيكيل التهم للمؤلف ، وفنقاد يدفع للنقد دفعاً ابتغاء مرضاة وليٍّ أو نصير أو متزعم يريد أن لا يظهر رأس غير رأسه ، وفنقاد يشتدّ في الزرابة بالكتاب والمؤلف ليظهر أمام الناس بمظهر العالم الزاخر بالمعرفة !

ولقد عرض لي عالم النقد صوراً من كل هؤلاء ، خالفوا سنة النقد وخالفوا قوماً أدركت من وراء نقدهم الحقّ والطريق السويّ ، قوماً فضلاء يعرفون للنقد حرمة فلا يزلون به إلى حمأة التجزّب والاستصغار .

وقد اطلع قراء هذه المجلة في العدد الماضي على ردّي على الشاعر سيد قطب وكان هذا الردّ معدّاً للنشر في جريدة (الأهرام) ، فبذل الناقد الفاضل جهده في أن يحول دون نشره في تلك الجريدة ، وهذا منتهى الصراحة والحرية والشجاعة ! وعرضت في ردّي حملاً مما بثّه الناقد في نقده محاولاً الاصغار من شأني ، ذلك لأنّ له ديواناً يستعدّ لإخراجه يسير فيه على نهجي في الشعر الرمزي .

له معنى لم يكن ابني الحلال ! فأراد أن يحطّ من قيمة ديوانى ليتيسر له بعد أيام من ظهور نقده أن يعلن عن نفسه بما أعلنه فى (الأهرام) وفى غيرها من أن ديوانه هو الديوان الأصيل الذى يشرف شعر الشباب ! وأن النضوج الذى ليس للصيرفى حظ منه ولا نصيب لم يُخلق إلاّ لسيد قطب ! وأراد الناقد الفاضل أن يطعننى من ناحية اللغة ظناً منه أننى بعيد عن اللغة لا أستطيع الردّ عليه وكانت انتقاداته فى حاجة الى التصحيح ، وفى الكثير منها ما أدهشنى حتى كان يعكس الحقيقة والواقع فى كلمات تجاوزت عن الردّ عليها رفقا به : وذلك مثل مؤاخذته إيتاى على استعمال الفعل « ملا » متعدياً لمفعولين مع أنه لو فتح أىّ معجم من معاجم اللغة لوجد هذا المثل البسيط مذكوراً بحروفه « ملاّ الاناء ماء » !

ولو جاز له أن يحكم على بسقوطى كشاعر لأنه وجد هذه الألفاظ التى حاول إكراهها على أن تكون خطأ ولو فُقت عين الحقيقة لجاز له أن يحكم على استاذة العقاد بهذا الحكم ولما كان يجوز له أن يقول إن شعر العقاد هو شعر الجيل القادم ! وأنا أنقل له نبذا من نقد امام من أئمة اللغة فى هذا العصر لديوان من الدواوين العصرية . فأما الامام فهو الاب انستاس مارى الكرملى مؤلف (ذيل لسان العرب) ، وأما الديوان فهو (ديوان العقاد) . يقول الكرملى فى مجلته (لغة العرب) : (العقاد كاتب كبير وكنا نفتقد انه كذلك شاعر كبير حتى جاءنا ديوانه الجديد حافلاً بما نظمه قديماً وحديثاً ، فاذا هو دون ما أكره تصوّرنا ، واذا هو مشحون بالأغلاط والضرورات القبيحة ، واذا هو قبر للألفاظ الميتة دارس فيه كثير من العظام البالية ، واذا هو تافه المعانى فى الأكثر ، واذا هو فى كثير من قصيده يخرج عن الموضوع فلا تبقى فيه الوحدة المتوخّاة منه ، واذا هو يبالغ أو يفرق فى كثير من أبياته ، واذا هو يقلّد القدماء فليس فيه ما يمتّ الى الشعور بواشجة الا أبياتاً قليلة متفرقة هنا وهناك) . وبعد هذا ينتقل الى نقد لغوى فى الديوان فيقول : (وقال — أى العقاد — :

يزجى منارك بالضياء كأنه أرقّ يقلبُ مقلتي ولهانـ

و « يزجى » يتعدى بنفسه لا بالباء .

وقال :

يشكو من الدنيا الالى لولاهم ما كانت الدنيا تُحبُّ وتُربُّ
و « رغب » فعل لازم لا يبنى منه المجهول إلاّ بحرف الجر و « رغب » لا يحذف

منه حرف الجر لأنه يتعدى بحرفين مختلفين «فيه وعنه» ويختلف معناه بموجبها ،
فأى معنى يريده منها ؟

وقال من قصيدة « فينوس » ص ٢١ وقد عربها من شكسبير :

وتنفخ في روع الغبيّ فينبى فصيحاً ويغدو مدره القوم أبكاً

فقوله «ويغدو» معطوف على « فينبى » وهو معطوف بفاء التفرغ على تنفخ
في روع الغبي . فكيف يكون الغبي مدرهاً ؟ وإذا تسامحنا فقلنا إنه معطوف على
«تنفخ» فبأى شيء يغدو المدره أبكم إذ لا تعلق للتنفخ به ؟... وقال : ويسفه «فيك
الشيخ إن بات مغرمًا» وأحسن من قوله « إن بات » « قد بات » ليكون حالاً .
وقال : «عسواً إذا ما الخوف قد كان أحزماً» ولا تجتمع « قد » للتحقيق والشرط
فلا يقال : « إذا ما زيد قد أتاني » لأن الشرط مشكوك في وجوده فلا يناسبه
التحقيق . وقال : « وأنت بأن تقسو جدير وترحما » أليس عجيباً أن لا تنصب «أن»
فعل المضارع المتصل بها « تقسو » وتنصب الفعل البعيد عنها « وترحما » بواسطة
العطف ؟ وهذا قبيح وإن جاز . وقال :

ويغض أحياناً فهل أبصر الردى مقضاً عليه أم بغاضيه يحلم ؟

ومعنى «أقصر» خشن ، وهو إنما يستعمل في المضجع ولعله ظن « مقضاً »
بمعنى « منقضاً » (١)

هذه بعض المؤاخذات اللغوية التي أخذ بها الاب الكرملى العقاد ، فهل أنقصت
من قيمته كشاعر ووضعت في الموضوع الذى يريد سيد قطب أن يلتقى بي فيه ؟ أنا
لا أراها مؤثرة في شاعرية العقاد إن كان ناقدى الفاضل يرى أن دعاويه التي أبطلتها
في ردى مؤثرة في شاعريتي !

وانتهز هذه الفرصة لأنه حضرة الناقد الفاضل سيد قطب الى أنى بحثت عن قصيدة
« ابليس ينتحر » للعقاد التي ادعى حضرته أن بينها وبين قصيدتي « موت عزرائيل »
تشابهاً حتى وجدت هذه القصيدة في ديوان العقاد (وحى الأربعين) الصادر في
سنة ١٩٣٣ فلم أجد بينها وبين قصيدتي التي نشرت في (المقتطف) في شهر أكتوبر
سنة ١٩٣٢ شبهاً يذكر ، ولكنى وجدت هذا الشبه بين قصيدتي وبين قصيدة
أخينا سيد قطب الذى نشرها في (المقتطف) أخيراً وأسمها « الانسان الأخير »

فاذا هي صدى لقصيدتي « موت عزرائيل » فسررت جدَّ السرور اذ أتاح لي الله أن أسمع صدى الحاني فلا أعتقد أنها ضاعت ، فبارك الله في الأفق الذي لا تضيق فيه أصداء الناس ! ولولا ضيق صفحات هذه المجلة لنشرت القصيدتين ليطلع عليهما القراء الأفاضل ولكنني أهمس في أذن الناقد الفاضل منبِّهاً إياه إلى أن في لغتنا الكريمة مثلاً ظريفاً هو « رميتني بدائها وانسلت » ، فليعتبر به وكفى الله المؤمنين شر القتال !

إنَّ نماذج الشعر التي ينشرها سيد قطب من ديوانه الذي وعد بإصداره في الشهر الآتي ما ينتسب له وما رضى عن جودته بالنسبة لسنَّه ودرجة ثقافته ، ولكن بينها أيضاً الكثير المنظور فيه إلى شعر غيره ، وهو لم يتسام عن تسمية ديوانه من ابتكار غيره وعن ازدراء خواطر شعرية لم تكن له في يوم من الأيام كما كُشِفَ عن بعض ذلك في « أبولو » و « الامام » ، وهو بعد هذا يحدثنا مباشرة أو بالواسطة عن ابتكاره المدهش ! ومن يدري فقد يقلد غيره أيضاً حتى في مقدمة ديوانه ثم يتظاهر بالابداع البياني كما تظاهر بالاهتمام بالنفسيات التي نبه اليها من قبل صاحب (الشفق الباكي) في مجلة (العصور) كما نبه اليها صاحب (العصور) في (أبولو) ! أما كان الأولى به أن يقتصر على جيد شعره بدل هذا الأسلوب العقيم في ازدراء شعر سواه ثم اقتناص الشهرة على حساب الغير ؟ إنَّ التطبيل والتزوير لا قيمة لهما في النهاية ازاء الحكم المستقل الذي يحكمه التاريخ الأدبي على الآثار الأدبية ، وكمن مجلة وصحيفة تجارية طبلت لهذا أو ذاك ونعنته بأكبر النعوت الأدبية والفلسفية ثم ذاب كل هذا مع حرارة التخميس والبحث .

هذا وقد اندسَّ إلى عالم النقد مهرّجون همَّهم في الحياة أن يتطفلوا على موائد الأدباء ويخرجوا منها بفضلات يظنون فيها الدسم والغذاء ، ومن هؤلاء غرَّ يتشدد بالطعن فيَّ بعد أن تطفل على مجلس ضمني وبعض اصدقائي الأعزاء في نادي الموظفين بمدينة الاسكندرية ولم أثقل نفسي بمعرفته ، واليوم أطلع في مجلة (الجمهور) على بذاة ينشرها ذلك الفتى « حسين المهدي الغنام » يردد فيها بروح البيغاء ما قرأه طعنًا في ديواني وتجريحاً له . فيتصدَّى لنقده وهو يجهل معنى الشعر ويجهل معنى النقد ولا يعرف من اللغة والأدب الا ما يسمعه في المقاهي . وما كنت لأعني بكلامه

لولا رغبتي في أن يعرف القراء صنفا من الناس يريد أن يظهر نفسه وليس عنده استعداد يؤهله لهذا ، ولأظهر جهل هذا النوع من المدعين الأدب ، وليطلع القراء على أدب هؤلاء وعلى أساليبهم وألفاظهم مما يبيض وجه النقد ويشرفه !

وهل تنطبق كلمة أديب على من لا يذكر في نقده إلا مثل هذه الجمل كقوله : «أما اذانظرنا إليه - أي صاحب (الألحان الضائعة) - من جهة اللغة والعروض والموسيقى فانه من أشعر الناس جهلاً بها ، فلم تشفع له حساسيته لأنه لم يفضل العامة الأُميين في هذه الناحية » أو قوله : «أما شعره الحر والمرسل (هكذا) فهو نعيمٌ ممتعناه من أبي شادى» أو «والذى يستلفت النظر في هذه المجموعة كذلك هو كثرة استعماله كلمة الشاعر والشعر ، وفي هذا ما فيه من الغرور والدليل على الجهل ما فيه ، لأنه لا يكرر الشيء غير الخائبين فيه ، وصفوة القول ان هذا شاعر لا رسالة له فاذا فقدناه فقد لا تفقد كثيراً ولا قليلاً !»

أما «نقد» هذا المتأدب فهو ترديد لما ذكره سيد قطب ، فكل الكلمات التى ادعى هذا أنني مخطئ فيها أعادها ذلك الناقد الجديد وزاد عليه بأن أثبت جهله بالشعر وبحوره ! فهو يرى أن الوزن الذى منه هذا البيت :

يا ظلمة الليل ردى نجمك الزاهر
كفانى اليوم أنى تائه حائر

لا يلائم الا وزن المواليا ! فرحى ! مرحى ! بناقد يتكلم عن الشعر والعروض وهو لا يعرف شيئاً اسمه البحر البسيط ، وبعد ذلك يتبجح فيقول إن ثقافتى محدودة ومحيطى ضيق وعلمى باللغة ساذج واطلاعى على الشعر وأصوله وأحكامه وأوزانه معدوم !

وبأتى بالمضحكات فهو يدعى أن بالديوان شعراً مرسلأ وحرأ ، وهو يرانى جاهلاً باللغة لأننى قلت : «فاذاه كالصم من ألم النفس غريب ...» والصواب فى شرعه أن أقول «غريباً» ولا معنى إذا لوجود الخبر ! ويرى أن كلمة «حَوَّ» بمعنى «خُضِرَ» التى لا تستعمل الا فى أمهات كتب الأدب سوقية سخيفة وكذلك يكرر كلمة «السوقية» التى يبدو لى أنها (لازمة فيه) عند تعرضه لقولى : «فعلى من ندعو؟ وأياً نلوم؟» وفى قولى «أحلى الأساسى من لغات الهوى» ولو كان مطلعاً على اللغة ومعاهما لعرف أن «الاسامى» جمع الجمع لكلمة «اسم» ولكن لغوى هذا العصر لا يرون ضرورة للبحث فى المعاجم ما دامت الكلمة فى نظرهم خطأ ! وليس عجباً أن يصدر كل

هذا العبت منه ومن أمثاله ممن يغرّر بهم محبو الزعامات والخواشي الذين لا يتورعون عن أى تغرير وأى اختلاق فى سبيل تمجيد أنفسهم والكيد لأعلام الأدب الذين يحبون الأدب لذاته ويخدمونه خدمة بريئة. ويكرر طفيلى النقد كعادته تلك المؤاخذة الواهية حول عدم ظهور الياء فى قولى « تركتني أرتشف اللّمي » مع أن هذا التخفيف الموسيقى له نظائره من الاباحة لا فى الشعر العربى وحده بل فى الشعر العالمى، ومثل هذا موجود فى شعر العقاد، وما ذكرت شعر العقاد إلا لأنه هو المثل الأعلى عند أمثال هذا الطفيلى ولأن كل هذه الشتائم التى تكال اليوم لى بعد أن كملت لأبى شادى وناجى وكل من يتصل بجمعية أبولو عمل مقصود لحساب العقاد. وبعد هذا يعود ذلك الفتى للكلام عن الأوزان بعد أن أثبت جهله ببحور الشعر بالتصدّى الى محاولاتي فى مزج بعض البحور اعتماداً على قرابة موسيقية تسبغ ذلك وتزيد فى ثروة الشعر كما زادته محاولات شعراء الاندلس.

هذا الفتى المتأدب لا أرى أنسب رد عليه إلا أن أنشر للقراء شيئاً من شعره الذى ألقى به على مجلة (أبولو) رجاء نشره فكانت القصيدة تأخذ بتلابيب الأخرى الى عالم، النسيان حتى يطلع قراؤنا الأفاضل على شعر من يتصدّى لنقد الشعر وقد اجتهدت فى اختيار أحسن ما قدفنا به، ولم أعمل الريشة فى تصحيحه كما كنا نعمل سابقاً معه ومع أمثاله ممن يتبجحون اليوم علينا. يقول حفظه الله وأسبغ عليه نعمة الأدب النفسى قبل الأدب اللغوى :

| | | | |
|------------|------------------|--------------|---------------------|
| كانّ رضاها | راح الدنان | وخيرُ الخمرُ | تقبيل الغواني |
| رشت رضاها | فتملت منه | وليس أشد من | قبل الحسان |
| وغصت بلحة | الأحلام حتى | أفقت على | تنهدة الجنان |
| فقد قالت : | وداعاً يا حبيبي | فقد آن | الرحيل وقد دعاني |
| فقلت : | أترحلين وان قلبي | يكاد يذوب | شوقاً فى التداني ؟ |
| فكيف إذا | رحلت وإن نأيت | حناناً - | لا تزبدى فى هواني ! |

| | | | |
|-----------|-----------------|-----------|--------------|
| ورمتُ بأن | أطيل لها شكاتي | ولكن كنت | منعقد اللسان |
| فقدمت | الجنان لكى تراه | فان القلب | أبلغ ترجمان |

وقوله :

لا تسقني راحاً فحسبي نشوة أني أفبّل نورك الوضوء
وأنا من فيك المنور نفة ومن اللّمي أروي الجوى إرواء
ورضاك المعسول أنهل قرقفاً ورحيقه أمتصه صباه

لا تسقني راحاً فحسبي أني أحظى بقربك أو أنال لقاء
هذا نصيبي في الحياة — وحظنا في العيش أن نحيا معاً سعادة
تهدي شفاهي كلّ صبح قبلة وأمتّع العينين منك مساء
ونعيش في جسمين روحاً واحداً ويعيش كلّ للخدين رجاء

وبعد هذا أسدل الستار على هذه المهازل تاركاً هذه الضجة المفتعلة لأعمل في
سكون وهدوء بعيداً عن الطنطنة والجري وراء الشهرة ، لا يعنيني الا أن يمتاز أدبي
هذا الجوّ الموبوء حتى يجد في الربوع الطيبة أو في الأجيال السليمة من الأغراض
ما هو أهل له ؟

صبره كمثل الصبر في



التحاسد الأدبي

كلمة رجاء

مما يؤلم نفس الأديب المجرّد ما يراه في هذه الأيام من «التحاسد الأدبي» بين
كبار كتابنا ونوابغ شعرائنا ورجال صحافتنا في المهجر والوطن .

ومما يبعث على الأسف الشديد أن ذلك التحاسد ناجم في العالم عن حزانات في الصدر أو تحامل شخصي لسبب أو لغير سبب .

ففي المهجر نكابات وأحقاد بين حملة الأفلام وأرباب الصحف وأدباء ديار الغربة وفي مصر مناظرات عنيفة ومصادمات كريهة وهجو قاذع ونقد لاسع لاذع . وفي سوريا كما في لبنان أضغان تأصلت في الصدور وتحولت الى هزء وسخرية . ولو عقل ابن المهجر أو ابن الوطن لمدَّ يده لأخيه مصافحاً ، وعاشاً معاً عيشة راضية ملؤها الغبطة والعافية والحياة الهنيئة الصافية .

قال أحد المحدثين للأصمعي :

رأيت أعرابياً قد بلغ عمره مئة وعشرين سنة وهو غض الاهاب ، وعلى وجهه نضارة الشباب فقلت له : ما الذي أطال عمرك يا عماء ؟ فأجاب : تركت الحسد فبقيت .

فليقتد أديبونا بذلك الأعرابي ، ولينبذوا الحسد ليسعدوا وبيقوالا ليسهدوا ويشقوا ، وليردد كل منهم ما قاله الشاعر بلسان إحدى المنشدات :

خيراً رأيت وكل ما أملتُه ستناله مني برغم الحاسد

وانك لفاعل ان شاء الله أيها القاريء العزيز بعون المولى العزيز

ملم دموسى

بيروت :



فلسفة السرقة

بين البارودي وناجي والعقاد

نقد الشاعر المعروف عباس محمود العقاد في مقاله « دواوين شعرية » المنشور بالعدد الصادر في ١٣ يونية سنة ١٩٣٤ من (الجهاد) ديوان (وراء الغمام) للشاعر الوجداني الدكتور ناجي ، وقد كان من أثر الضغط الشديد في التحامل وإنكار

الناحية الفنية في الديوان أن زلّ قلمه بما فضح نقده ومكّن الظن في اشباع نقده بالعداء الشخصي ، ذلك انه نسب الى الدكتور ناجي انتزاعه بعض المعاني من شعره وضرب لذلك أمثلة رأينا أن نمقب على واحد منها لتكشف للجهمور ضلالة النظرات النقدية التي يلتفت بها كبار الأدباء بعضهم الى بعض . قال إن البيت الآتي للدكتور ناجي :

مرّ الظلامُ وأنت ملء خواطري ودنا الصباح ولم أزل مشغولاً
مأخوذ من قوله :

فاذا صحوتُ فأنت أول خاطري واذا غفا جفني فأنت الآخرُ
وهذه الملاحظة فاسدة من أساسها ولا أثر للانتزاع فيها مطلقاً ، من وجهين :
(١) قال البارودي - نضر الله ذكره راثياً زوجته في داليتة المشهورة التي مطلعها :

أيّد المنون قدحت أيّ زناد ! وأطرت أية شعلته بفؤادي
.....

فاذا انتبهتُ فأنت أولُ ذكرتي واذا أويتُ فأنت آخرُ زادي
وفي رواية أخرى :

فاذا صحوتُ فأنت أول ذكرتي واذا غفوتُ فأنت آخرُ زادي

فأنت ترى أن بيت العقاد بنصه وفصه مسروق من بيت البارودي .
(فالمعنى) متحدّ في البيتين كل الاتحاد ، كلاهما يثبت سبق الخاطر ، والذكرة للمحبيب الى شعوره عقب صحوه وانتباهه ، وكلاهما يثبت أيضاً أن المحبوب هو آخر خاطر أو زاد يتزود به في اغفائه . ومن هنا يظهر ضعف الافتراق اللفظي اليسير في بيت العقاد عن بيت البارودي ، فالعقاد يقول (أنت الآخر) بينما البارودي يقول (أنت آخر زاد) ، ولو أن العقاد أخذ كلمة (زاد) بنصها لكان أولى من ذلك الافساد لمعنى البارودي الذي يجعل ذكر الحبيب في خاطره آخر زاد يتزود به في حياة الاغفاء وسكرة العقل ، وفي هذا شدة تعلق بالحبيب وآصرة روحية عميقة مفتقدة من بيت العقاد الذي قد يستعويض عنه هواجس آخر .

أما من الناحية اللفظية فأمامك البيتين ليس فيهما تغيير ذو بال فكلمة (خاطر)

أصلها (ذكرتي) في بيت البارودي وكلمة (غفا جفني) أصلها (غفوت) و (أنت الآخر) أصلها (أنت آخر زاد) وعلى الرواية الأولى لا فرق بين الانتباه والصحو ولا بين الاغفاء والايواء المضاجع .

فبيت العقاد الذي يتَّهمُ ناجي بسرقة ليس له ، لا لفظاً ولا معنى ، وإنما هو برمته للبارودي . والذي يحمل في نفسه مثقال ذرة من الانصاف لا يتردد في التسليم معي بجميع ما قلت . على أني لو سلمت جدلاً بأن البيت للعقاد فمحال أن تصدق دعوى انتزاع بيت ناجي منه كما ترى .

(٢) سقط إذن بيت العقاد من المعركة ، فلنأخذ بين بيتي البارودي وناجي ، وأكبر ظني أن الموقفين مختلفان اختلافاً بيئياً : فالبارودي يأوي إلى النوم وضجعتة مخوفة بذكرى حبيبه . ولكن ناجي لا ينام ، بل يظل مترقباً طول الليل ، والظلام يمضي وحبيبه ملء خواطره ، والصباح يدنو وهو قلق مشغول مشغوف إلى عودته . فجرّد تشابه الغرض أو المنحى الوجداني للشاعرين لا يوم تلبساً أو اشتباكاً في الصورة التي يرسمها الشاعران وهي مختلفة في التخيل والتأمل .

على أن في صورة ناجي نضوجاً وجدانياً لأن تماسك الصلة بين الروحين يوحى القلق والسهاد والترقب طول الليل إلا أن يكون تصوير البارودي متساوفاً مع الواقع الذي يحس به . واللفظ مختلف في البيتين كما ترى .

شاء العقاد أن يفض من شاعرية ناجي ، فوكر نفسه وشعره وسجل على الأدب عار الفساد في نقده ، وعلى الجمهور عار التّخريب به ! ولقد سقط مستوى النقد الأدبي في مصر سقوطاً فاحشاً ، هذا مثل واضح منه . فمن أراد أن يقف على شاعرية شاعر فليتحرف عن تلك الحملات المخرضة إلى حيث يسلم النقد من الدّخل والفساد .

محمد حسن اسماعيل



الأدب الميت

من الناس من يعيش ويموت فلا يؤبه له ولا يشعر بوجوده بل يقضى على اسمه بانقطاع سراج حياته وتداول معاله كأن لم يكن له ذكر ، ومنهم من يكون حديث الناس وشغلهم في حياته وإمامهم وقائدهم بعد وفاته — خالداً ما خلد الدهر تشييد بذكره آثاره ومخلفاته .

وما ذاك إلا لأن النوع الأول عاش متطفلاً على موائد الغير ناسجاً على منوال من سبقه فعاش خاملاً ومات خاملاً

وأما النوع الثاني فهو الذى عافت نفسه أن تُعرج على موارد غيره وحرّم عليها أن تظأ طريقاً سبقه إليها إنسان ، فعاش في عزلة عن العالم بأفكاره وعاداته ، ونظر الناس إليه نظرة دهشة وحيرة وقدسوا عبقريته ، وراموا على ينبوعه يرتشفون من أدبه ومعارفه . وما يكاد يلفظ آخر نفس من أنفاسه حتى يكون اسمه قد نقش بمداد من النور على صفحات القلوب وصحائف التاريخ .

ولقد طالعنا التاريخ بأسماء كثير ممن سُجِّلوا في صحائف خلوده وكانو أئمة للفكر وقادة للبيان أمثال امرئ القيس وأبي العلاء والمتنبي وأضرابهم من الذين بدّثوا معاصريهم بابتكارهم وعلو أدبهم .

كما أن لنا في شعراء العصر الحاضر شخصيات ممتازة كل منهم له طابعه الخاص في شعره وأدبه حتى أنك لتعرف اسم الشاعر بمجرد سماعك لشيء من شعره ، وهؤلاء أمثال شوقي ومطران ومحرم وأبي شادي وشكري وناجي وغيرهم .

على أن في عصرنا الحالي من يدعون الشعر وليس لديهم ما يؤهلهم لأن يتقلدوا ذلك المنصب السامي بل كل بضاعتهم منتحلة وأخيلتهم ومعانيهم مسبوقة . وخير الشعراء أن ينسب إليه بيت واحد من شعره من أن تمهر باسمه مئات القصائد المسروقة أو المستعارة . ولقد حفزني الى كتابة هذه الكلمة قصيدة أتيح لي الاطلاع عليها للشيخ عبد الله عفيفي أعدّها لهيئتها بها جلالة الملك بعيد الفطر ، وكم تأملت عند ما عرفت أنني قرأت نظيرة لها لابن النبيه المصري ، واليك أيها القارئ الكريم بعض ما اشتركت فيه القصيدتان :

أما القصيدتان في المدح والمدوحان ملكان . ولقد ابتدأ الشيخ عفيفي قصيدته
واصفًا هلال شوال بقوله :

بدا على الأفق غصن الحسن زاهره^١ يلوح باليمن والاقبال طائرته^٢
وابتدأ ابن النبيه بقوله :

باكر صوحك أهنأ العيش باكره^٣ فقد ترنم فوق الأيك طائرته^٤
ثم قال الشيخ عفيفي مستمرًا في وصفه للهلال :

في وجهه قبس الآمال نرقبه^٥ وفي محياه صافي البشر باهره^٦
ويقول ابن النبيه :

وكوكب الصبح نجاب على يده^٧ مخلق تملأ الدنيا بشائره^٨
ويصف الشيخ عفيفي الهلال بأنه :

رسالة الله يحظى المؤمنون بها^٩ ويفرح المخلق باديه وحاضره^{١٠}
ويقول ابن النبيه في محبوبته :

نبي حسن أظلمته ذوائبه^{١١} وقام في فترة الأجفان ناظره^{١٢}
ويقول عن هذه الرسالة :

منها استمد فنون القول نائره^{١٣} ومن حلاها استمد الشعر شاعره^{١٤}
ويقول ابن النبيه في مدح الملك الناصر :

كل الكلام قصير في مناقبه^{١٥} إلا إذا نظم القرآن شاعره^{١٦}
بعد ذلك ينتقل الشيخ عبد الله إلى مدح جلاله الملك فيقول :

أحب الله واستصفي شمائله^{١٧} فكان لله ماضيه وحاضره^{١٨}
ويقول ابن النبيه :

إمام عدل لتقوى الله باطنه^{١٩} وللجلالة والاحسان ظاهره^{٢٠}
ويقول الشيخ عفيفي :

في ذروة المثل الأعلى مناقبه^{٢١} ورأيه وأمانيه وخطره^{٢٢}

ثَبَّتُ الْيَقِينَ وَثَبُّ الدِّينِ مَعْتَصِمٌ بِالْحَقِّ فِي يَدِهِ الْعَلِيَا أَوَّاهُ
ويقول ابن النبيه :

تَجَسَّدَ الْحَقُّ فِي أَنْثَاءِ بَرْدَتِهِ وَتَوَجَّتْ بِاسْمِهِ الْعَالِي مَنَابِرُهُ
ثم يشبه الشيخ عفيفي جلالة الملك بالمسيح بقوله :

يَدَا الْمَسِيحِ يَدَاهُ إِنْ أَلَمَّ بِهَا عَلَى مَوَاتِ نَحْيٍ وَاخْضَرَّ سَائِرُهُ
ويشبه ابن النبيه موسى الأشرف بموسى الكليم فيقول :

بِحَدِّ سَيْفِكَ آيَاتُ الْمَصَا نَسَخَتْ إِذَا تَفَرَّغَ عَنْ يَوْمِ الرُّوعِ كَافَرُهُ
ويقول الشيخ عفيفي :

لَوْلَا يَقِينُ الْوَرَى فِي عَظَمِ قُدْرَتِهِ لَقَبِلَ ذَلِكَ سَحَرٌ وَهُوَ سَاحِرُهُ
ويقول ابن النبيه في حبيته :

فَلَوْ رَأَتْ مَقْلَتَا هَارُوتَ آيَتِهِ الْكِبَرَى لَأَمَنَ بَعْدَ الْكُفْرِ سَاحِرُهُ
بعد ذلك يسطو الشيخ عفيفي على شطرة كاملة ويجعلها في ختام قصيدته ولا
يشير الى مصدرها ، حتى ولا يجعلها بين قوسين ، فيقول سامحه الله :

لَا زَالَ جَدِّكَ بِالْفَارُوقِ مَبْتَسِمًا وَأَنْتَ نَاهٍ هَذَا الدَّهْرَ آمَرُهُ
ويقول ابن النبيه :

خُذْ مِنْ زَمَانِكَ مَا أَعْطَاكَ مُغْتَنِمًا وَأَنْتَ نَاهٍ هَذَا الدَّهْرَ آمَرُهُ
هذا ما عنى لى أن أكتبه عن هذه القصيدة ، وبودى ألا يعود الشيخ عبدالله
عفيفي الى مثل ذلك حرصاً على سمعة الأدب المصرى ؟

محمد عبر الفنى نجيت



الألحان الضائعة

تعليق على نقد

استاذن قراء (أبولو) في نشر هذه الكلمة التي بعثتُ بها الى مجلة (الرسالة) لنشرها فيها فظهرت مبتورة وعسى أن يكون ذلك ناشئاً من ضيق صفحات تلك المجلة لا من سبب آخر ، وأداني مضطراً الى تسجيل كلتي هنا للتأريخ الأدبي ولحرية الفكر وليطلع عليها من اطلع على مختصرها في (الرسالة) فيعرف ما كنت أريد أن أقوله فضاع في الاختصار والاختزال .

تناول الأدب محمود الخفيف في العدد الماضي من (الرسالة)^(١) ديواني (الألحان الضائعة) فبدأ كلمته بقوله : «قرأتُ ديوان شاعرنا الشاب ، فأحزنتني لعمري الله هذا البكاء الذي لا ينقطع ، وهذه الشكوى المربوة التي تمنعُ بها قصائده ، ورحمت أنلمس سرَّ تلك الكآبة الجازعة فلم أهتد الى شيء ، فطويت الكتاب وأنا برم بهذه النزعة من شاب في مقتبل العمر ، أجل ربما كان الشاعر قد صادف في حياته ما أجرى دموعه ، ولكن متى كانت رسالة الشعر النحيب والشكوى في غير سبب معروف وفي غير ايضاح من الشاعر عما ناله ؟ على انه لو كشف سرَّ بكائه لكان الواجب يقضى عليه أن يقتصد في شكواه أو يعرضها في صورة غير الصورة اليائسة المستسلمة » .

فالنقاد الفاضل يأخذ على تلك الكآبة التي لزمتني في عهد من حياتي وراح يتلمس سرَّها فلم يهتد الى شيء مع أن هذا المرء واضح كل الوضوح في كثير من قصائده الديوان بل من أول قصيدة الى آخر مقطوعة فيه . ففي قصيدة «الضحية» تفسير قويٌّ لناحية من تلك الكآبة يؤكد قولِي في القصيدة التي نلها بعنوان «الواحة المنسية» :

في ذمة الفنِّ ما ردّدتُه أمدأ فضاع لحني سُدى في جوٍّ نكرانِ
طفي عليه ضجيجُ القوم فانطمست أصداؤه ، وفؤادي طيَّ الحاني

وفي قولى من قصيدة « اللحن الضائع » :

يا أغانى الربيع ما أنا إلاَّ مَقطَعٌ من قصيدةٍ ضاع لحنه
لم تلد لى الأيام من بتولى بَعَثَ لحنى ، وكيف يبرز شأنه ؟
أوبين الصخور يكتمل الصو ت ؟ محالٌ هذا ... وكنتُ أظنُّه

وفي قصيدة « اللغز » تظهر نواحٍ كثيرة من سر هذه الكتابة وتظهر فيها قوة الشباب الغلاب لا اليأس المستسلم .

وأظن أن تصوير الشاعر لآلامه ليس من العيوب التى تؤخذ عليه ، وإلا فليس من الواجب أن نطالبه بالصدق فى التعبير ، وألاَّ نؤاخذه على تزوير شعوره .

ولو اطلع الناقد الفاضل على « الصورة السريعة » التى كتبها عن حياتى فى الديوان لعرف شيئاً عن سرّ الكتابة التى لازمت شعرى فى الأربع السنوات الماضية وزادها سواداً ذلك الجحود الذى لقيته فى الأدب وعبرت عنه فى معظم قصائدى ، فاننا ما زال نعانى مصيبة لا أدرى متى ينتهى أجلها : تلك أن أدب الأديب يقاس بعمره ، فتنى كان فى دور الشباب فهو فى نظر الناقد مبتدئ يحتاج الى الصقل ، وتفكيره وإن دقَّ ساذج ، وأثره وإن كان فى مرتبة أدب بعض الأشباخ إن لم يزد عنه فجَّ لم ينضج !

هذه المصيبة التى نحتاج الآثام الأدبية فى مصر هى من الأسباب التى لوّنت أدبى فى هذا الديوان بهذا اللون القاتم الذى حاول الناقد الفاضل أن يستشفه فلم يهتد اليه بالرغم من تعبيرى عنه .

إنَّ أحكام النقاد الأفاضل هى التى تقضى على كل أثر أدبى فى مصر بأن يأخذ لوناً من ألوان الحسرة والالَم . فالسادة النقاد يريدون أن يصدروا أحكامهم على الأدباء الشباب دون أن يعرفوا مدى ثقافتهم ، ويحاولون تجريدهم من معرفة أى شىء حتى المذاهب التى يبتدعونها ! وإلاَّ فما الذى أوحى الى الناقد الفاضل أننا نتحدّث بالرمزية ولا نعرف معناها ، وما الذى ألقى فى روعه أن هذه الرمزية فى الأدب خطر دائم وعقبة كأداء فى سبيل تقدم الشعر العصرى مع أن هذه الرمزية موجودة فى القرآن الكريم !

إن هذه الأحكام وأمثالها مما لا يصدرها نقاد اليوم على أشياخ الأدب في توافه تأليفهم والتي لا يصارحونهم بها هي الخطر الدائم والعقبة الكأداء في سبيل تقدم الشعر المصري وجميع فنون الأدب .

لقد بُليتُ في حياتي الأدبية بصنوف من الجحود ساعد عليه ازوائى عن عالم التهريج وعزوفى عن الجرى وراء شهرة لا يتكسبها الانسان إلاّ بأشياء لا ترجح ضميره بله ضمير الناقد التزيه ، فأخرجتُ ديوانى وأنا أعرف مكانه في النقد ومكانه من رضا الناس !

إنّ النظر الى صاحب الكتاب وسنّهُ دون النظر إلى كتابه وما فيه ، وإن محاولة الناقد أن يقف من المؤلف - وإن كان في مرتبته - موقف الأستاذ ، وإن الصراحة التي لا تظهر من النقاد إلاّ مع أدباء الشباب ونحني مع الشيوخ ومع أصحاب المراكز الأدبية الممتازة ، لما يجعلنى أهتف في حرارة بقولى :

في ذمّة الفنّ ما ردّدته أمدّاً فضاع لحنى سُدّى في جوّ نكران !

يرى الناقد الفاضل أن « الأديب الصيرفى قليل العناية بقوافيه وبلغته على وجه العموم (هكذا) » . هذا حكم يصدره ناقدٌ فاضلٌ لآنه عثر على بعض هنات يعثر عليها في كثير من أشعار المتقدمين والمعاصرين ، ولآنه وجد محاولات عروضية مخالفة للسنة القديمة وهى لم تضر الأدب في شيء إن كان قد أصابه ضررٌ من محاولات شعراء الأندلس . . . هذه الهناتُ التي لم يذكرها والتي يمكن لكل ناقد أن يعدّها على أصابعه تجعل من صاحب الديوان رجلاً لا يهتم ببلغته وقوافيه (على وجه العموم) !

إنى لآلمُ إذ أحاول التكلم عن أصول النقد وواجباته ، ومن هذه الأصول عدم الحيدة عن الحقيقة والانصاف ، وأدعو الله أن يهدينا جميعاً الى أقوم سبيل ؛ هذا وأختم تعليقي بالشكر للناقد الفاضل على تنويهه ببعض ما وجدنى قد أحسنت فيه مما كان يرفعنى - أو يُرجّح منه ذلك - لو أنى سرتُ على نهجه كما يقول ! وأنا عند حسن ظنه بى يوم يتقدّم بى العمرُ حتى يتكافأ وأدبى !

مسلم كامل الصيرفى



وصف البحترى

أبو تمام والمنتبي حكيمان والشاعر البحترى

(١) فاق صاحبيه بالوصف

عرّف المعري كلمة الشاعر ليخصصها بالبحترى فينفيا عن صاحبيه ، وقد قصر البحترى عن المنتبي في المديح والهجاء ، وقصر عن أبي تمام في الفوص على المعاني العميقة ، وقصر عن كليهما بالحكم ، ولم يبرز الثلاثة في الفنون الأخرى وإنما يبرز المنتبي في حكمه وعظمته ، وأبو تمام في معانيه وصنفته ، والبحترى في وصفه ، فكان شاعراً دونهما لأن الشعر يعتمد على الخيال في مادته وميدان الوصف خيال رائع . وسنكتفي الآن بوصف الشاعر دون التعرض إلى المقابلة لأن الموضوع وصف البحترى .

(٢) أثر به جمال الطبيعة في شبابه

وجو العراق بعد ذلك

وُلد البحترى في منبج وهي بلدة قرب حلب «عذبة الماء طيبة الهواء قليلة الادواء ليها سحر كله» ، فكان لذلك الماء العذب أثر في صحة البحترى ، ولذلك الهواء الطيب أثر في صفاء ذهنه ورقة خياله .

وعاش البحترى في أحضان الطبيعة فكانت خياله أما رؤوماً ، ودرس في كتابها الواسع وكتاب الطبيعة أكبر معين للخيال الرائع ، وغذاه الشباب الغض والشباب

زمن العواطف الثائرة ، والحسّ الملتهب ، والشعور القوى ، واذا لم تساعد الطبيعة
وكتابتها ، والشباب وعواطفه ، والصحة وجودتها - أضف إليها المرأة والعقل النابغ -
في خلق الشاعر فليس في الدنيا شاعر .

أثرت به منبج ، وجمال مناظرها ، وطيب هوائها وصفاء جوها فذكرها في نعمته
وشبه نعيمه بها ، واتخذها معيناً لرسومه ، قال :

لا أنسينَ زمناً لديك مهذباً وظلالَ عيشٍ كان عندك سجع
في نعمةٍ أوطنتها وأقت في أفيائها فكأنني في منبج

وذهب البحتري الى العراق قبل أن تؤثر به ثقافة الشام الحكيم فتأثر بالأدب
العراقي ورق خياله فوصف في ما وصف الخمرة ورعاً لم يشربها ، ولكنها الطابع الذي
ألققه أبونواس على الشعر العراقي . قال البحتري :

من مدام تقولها هي نجم أضوا الليل أو مجاجة شمس
أفرغت في الزواج من كل قلب في محبوبة الى كل نفس
وترجت أن كسرى ابرو - ز معاطي والبلهذ أنسى

ولعل البحتري لم يشرب الخمرة منفرداً في الايوان ، ولعل له من همومه عازفاً عنها ،
ولكننا لا نشك في أنه وصفها وأجاد في ذلك الوصف ، فهي نجم يضيء الليل وهي
شعاع تلمع الشمس من فيها فكانه جسم حي بلغ من قوته أن يمج الشعاع فيصـل
الى الأرض وأجل الصور أحيائها وهذه في العراق أحياء منها في الشام .

ولا تنس أن العقل حاجز الى اليوم عن ادراك تلك القوة التي تحمل شعاع الشمس
الى الأرض ، وتلك القوة التي تدفع النور بتلك السرعة العجيبة ، فأين علم العلماء
من خيال الشعراء ؟

والخمرة عند مدمنيها لذيذة محبوبة فكانها مزجت بكل قلب وأفرغت من كل
نفس ، وأحب شيء الى الانسان نفسه ، وأيسر شيء يحمله الى مراتب الملوك ومنازل
العظماء قدح من الخمرة ، فكانه أمير على أمير المؤمنين وكأن كسرى نديمه والبلهذ
أنيسه !

ورأى البحتري مواكب الخلفاء وعظمة المتوكل مما لم ير مثله في الشام فوصف

ذلك وكأننا نراه ، وهنا سرُّ عظمة البحترى : يصف فكأننا بعد ألف سنة ونيف نرى
موكب الخليفة ونسير خلفه ودليلنا الشاعر ، قال :

أظهرت عزَّ الملك فيه بمجفَلٍ لُجِبَ يحاط الدينُ فيه ويُنصرُ
خلنا الجبالَ تمير فيه وقد غدت عدداً يسير بها العديدُ الأكثرُ
فأنجِلَ تصهل والفوارس تدعى والبيض تلعب والأسنة تزهرُ
والأرض خاشعة تميد بثقلها والجوُّ معتكر الجوانب أغبرُ
والشمس طالعة توقد في الضحى طوراً ويطفئها العجاج الأُكدرُ
حتى طلعت بنور وجهك فأنجِلِ ذاك الدجى وانجباب ذاك الصبرُ
ورنا اليك الناظرون فاصبغْ يومى اليك بها وعينٌ تنظرُ

تلك الجبال السائرة وذلك الضجيج نجمه في معاني البحترى ، ونسمعه
في ألفاظه ، وفي تلك الصورة نرى الأرض خاشعة لمقام الخليفة تكاد تميد بثقلها ،
وذلك الغبار يطفىء الشمس فيجلوه وجه الخليفة حين يطلع . صور متابعة قوية
نسمع بين سطورها صهيل الخيل واداء الفرسان ولعان السيوف وضجيج الجماهير
حتى اذا ظهر الخليفة تهيبت الخيل اجلالاً ، وسكت الناس اعظاماً وأشاروا بأصابعهم
حتى لا يبقى من تلك الصور القوية المتتابعة غير أصبع يومى بها وعين ترفو ، وحتى
نكاد نشارك القوم متأثرين ببلغة الشاعر .

(٣) أثر به حنينه الى وطنه وجهه علوة

حنَّ البحترى الى وطنه وانما حنَّ الى ذلك الليل البارد في منبج ، والى تلك
المناظر البهجة التي كانت تجود عليه بها الطبيعة ، والى أولئك الأهل الذين عرف
البحترى معهم طيب العيش وهناء بل حن الى تلك الحرية الطبيعية الواسعة التي لا
يجد بعضاً منها في بغداد ، والى ذلك الفضاء الواسع يرسل به خياله فلا يضعفه مال
أو قيود ، ولا يقف في وجهه حسد أو وشاية ، وقد أثر ذلك الحنين في فؤاده فاستلَّ
من خياله صوراً جميلة لم يشاركه فيها شاعر وإن تخرجت فقلَّ لم يدانه غير واحد
أو اثنين . قال يحن الى الشام :

شاقنى بالعراق برقٌ كليلٌ ودعانى للشام شوقٌ طويلٌ
ولو آتى رضىً مقسوم حظي لكفانى من الكثير القليلُ

ولقد صدق البحترى فلو لم يكن من الطمع وحب المال على جانب عظيم لترك العراق وماد الى منج يحيا بها حياة الهناء والنور ، ولو ماد الى الطبيعة لرقَّ خياله على رفته ، وزاد اتساعاً على سعته ولكن من يدري ؟ ربما كان ينصرف الى درس الطبيعة فلا يخرج عن دور الطالب والناس ينتفعون بقليل من العلم يظهر ، ولا ينتفعون بكثير من العلم يضمن به صاحبه خوفاً أو رهبة .

وأحبَّ البحترى في وطنه علوة فلم ينسها في العراق ، وقد أثر به حبها وأضرَم في صدره نار الوجد ، وعلمه الشكوى ، وأثر بخياله فأرقه ، وليس كالمرأة مرقَّ للخيال وليس كالحب الأول الثابت مؤثراً في الشعور ، وليس كحب الشباب الذي لا يجرفه الأهواء عامل في العاطفة .

وكثيراً ما ذكر البحترى علوة في نعيمة وكثيراً ما تشوّق ، قال :

طيف لعلوة ما ينفكّ يأتيني يصبو اليّ على بُعدٍ ويصيني

وربما كان لبخل البحترى أثر في اكتفائه بطيف علوة وعزوفه عن ملاهى بغداد وعيشها ومجونها ، ولعله كان صادقاً في حبها فلم نظلمه ؟ ومهما كانت الأسباب فقد ذكرها كثيراً ، قال :

وما أنس لا أنس عهدَ الشبا ب وعلوة إذ غيرتني الكبر
وقال : عرّج على حلب فحى محلة مأنوسة فيها لعلوة منزل

(٤) البحترى صلة بين أدبين

كان في العصر العباسي أدبان متميزان : أحدهما أدب العراق ويمتاز برقّة خياله واسترساله مع الطبع وتأثره بالخرقة والغلطان وبما أدخله أدباء الفرس على الأدب العربي من أدبهم ، وبامتزاج الثقافة الفرسية بالثقافة العربية امتزاجاً نشأ منه ثقافة جديدة تبعد عن قوة الجاهلية وصلابة صدر الاسلام ، فكان هذا الأدب أدب اللهو والخيال .

والآخر أدب الشام ويمتاز بمجزالته العربية — وشعره الشام كلهم عربٌ — وبتنقيفه وحكمه ، وقد تأثرت بثقافة العرب في الشام وثقافة اليونان الى حد ، ولم يعرف العرب أدب اليونان بل عرفوا علمهم وفلسفتهم ومنطقهم ، فظل أدب الشام

أقرب إلى العرب لقربه من الحجاز ولنسب شعرائه ، فكان أدب الجند والجزالة والعقل .

ولسنا نفي البحث حقه في وصف البحترى إذا لم نشر إلى بعده عن الطبع أحياناً ، وقد تعودنا في أبحاثنا كلها أن نكتفي بالحسن وحده وذلك نقص .

كان البحترى صلة بين أدب العراق وأدب الشام فكان رقيق الخيال غير لاه ، وكان ينقش شعره غير صانع . أما رقة خياله فقد رسمت صوراً ناطقة ، وأما تثقيفه فكثيراً ما يظهر في خلال قصائده ، قال :

ان أيامه من البيض بيضٌ ما رأين المفارق السود سودا
وبين البيض والبيض جناس وبين البيض والسود طباق ، وفي البيت تثقيف يقرب
من الصنعة ، وقال :

وما الناس الا واحدٌ غير مالك لما يفتنى أو مالكٌ غير واحد
وفيه العكس ، قال :

فليس الذي حلته بمحلٍ وليس الذي حرمة بمحرام
وفي البيت طباق بين الحلال والحرام وفيه ازصاد ، ولكنه على نوعيه أقرب إلى
العاطفة من صاحبيه . قال ابن الجرجاني :

« ان البحترى لينزع من شماس المهر الصعب الجامح حتى يلين لك لين المنقاد
المطيع » .

(٥) أثر به أبو تمام

والبحترى مدينٌ بصنعة لأبي تمام وقد أعجب الشاعر بأستاذه وسأله أن يوصيه
فأوصاه « بتخير الاوقات واختيار الالفاظ والاستعانة بالشهوة للقول والتشبه بمن
سلف ، الخ » .

فكان في شعره ريح الصنعة كما كان فيه نسيم الرقة والطبع .
وقد بلغ من إعجابه بأبي تمام أن سطا على بعض معانيه فأنخذها أصحاب أبي
تمام ذريعة لتفضيله على البحترى ، قال أبو تمام :

وما تقع من قد مات بالامس صادياً اذا ما مماء القوم طال انهارها

قال البحتري :

واعلم بأنّ الغيث ليس بنافع للناس ما لم يأت في آبائه
وقال أبو تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طوبى أتاح لها لسان حصور

فقال البحتري :

ولا تستبين الدهر موضع نعمة إذا أنت لم تدلل عليها بحاسد
(٦) وصفه صور ناطقة

البحتری ابن الطبیعة بامها يتكلم ولسانها يترجم والطبیعة ناطقة لمن يفهمها
وبرة بمن هو بر بها . قال يصف الربيع وكأننا نرى أشجاره تمایل أغصانه :

أناك الربيع الطلق يختال ضاحكا من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد نبّه النوروز في غلس الدجى أوائل ورد كن بالامس نوما

يففقا برد الندى فكأنه يبت حديثا كان قبل مكتما

ومن شجر رد الربيع لباسه عليه كما نشرت وشيا منمنا

ورق نسيم الريح حتى حسبته يجيء بأنفاس الأعبة نعمنا

فما يحبس الراح التي أنت خلها وما يمنع الأوتار أن تترنما

يصف البحتري الربيع فاذا هو فتاة حسناء ترنو ضاحكة حباً وحناناً والدنيا
تضحك لمن يضحك لها ، وتحب من يحبها ، والطبيعة تبسم لمن يهواها وتحمل في
ثنايا أثوابها الجميلة السعادة لمن يطلبها عن طريقها المستقيم ، يضحك الربيع فيكاد
يتكلم ، وأجل الصور ما ظهرت الحياة بين ألوانها ، وأفضل الوصف ما تكلمت سطور
شعره ، وهذا وصف البحتري صور ناطقة ضاحكة تتكلم .

ويتساقط برد الندى على كأم الورد ينبها أذار فتفرج شفتها قليلا كأنها تبث
حديثا كانت تكتمه وكأنها تضن به فلا يسمعه عذول أو واش .

ثم يخلع الربيع لباس الشجر عليه فكأنه وشى منمنم ويزيد في جمال هذه
الصورة وحلاوة وقعها جمال الكلمة وحلاوة جرسها في ربيع الحياة .

ثم يرقّ النسيم فكأنه يحمل أنفاسَ الأحبة ، وكأنه يثير عواطف الشباب الملتبئة
ويضرم شعوره القوى ، ويحرك أوتار قلبه الخفاق ، وأي فضل للشاعر إذا لم ينطق
الطبيعة ويحرك أوتارَ عودها ؟

وفي هذا السرور ، وفي هذه النعمى ، وبين أحضان الطبيعة الضاحكة المتردية
ثوب النشاط والجمال ، وبين ربيع الحياة يسمعا تغريد طيره ، ويحمل الينا عقب أزهاره
ويمتعنا بجبال بوره ويداعبنا النسيم مداعبته أوراق الاشجار ، ويثير فينا السحر علائم
القوة والنشاط ، ماذا تمنى وماذا نطلب غير راح نشرها وعود نسمع لغات أوتاره ،
ومغنية تنمنا بصوتها ، وحسنا تلهنا بجملها ، وأي فضل للشاعر إذا لم ينطق بكل
لسان ويعبر عن شعور كل انسان ؟! والبحترى شاعر الطبيعة وكفى .

وقال يصف بركة بناها المتوكل :

| | |
|--------------------------------|------------------------------|
| تنصب فيها وفود الماء حائلة | كالخيل خارجة من جبل مجريها |
| كأنما الفضة البيضاء سائلة | من السبائك تجري في مجاريها |
| إذا علتها الصبا أبدت لها حبكاً | مثل الجواشن مصقولا حواشيا |
| فحجب الشمس أحياناً يضحكها | وربّما الغيث أحياناً يباكيها |
| إذا النجوم تراءت في جوانبها | ليلاً حسبت سماء ركب فيها |
| لا يبلغ السمك المحصور غايتها | بعد ما بين قاصيها ودانيها |
| يعمن فيها بأوساطه مجنحة | كالطير تنفض في جوّ خوافيها |
| محفوفة برياض لا تزال ترى | ريش الطواويس تحكيه ويحكىها |

وليس بين وصف البركة ووصف الربيع من الجمال إلا ما بين الطبيعة والحضارة
الماء كالخيل في قوته ، وكالفضة الجارية في صفاته ، حتى إذا علتها الصبا حبكته درعاً
منيعاً لو جدد ، ولكنه درع حي يضحك لحاجب الشمس وما أشبه تلالؤ الماء بابتسامة
الطبيعة تعانق أشعة الشمس ، فإذا طانقت البركة الغيث بكى ماؤها فلا يقل بكاؤه
جمالاً عن ابتسامته ، وإذا تراءت النجوم فيه ليلاً فكأنه السماء بلعانها واشراق
كواكبها واتساعها وكأننا نرى سماء لا ماء !

ثم يريد البحترى أن يرضى الخليفة فيبالغ في حجم البركة ، ثم ينتقل الى وصف
السمك فكأنه طير تنفض في الجو خوافيها ، حتى إذا جاء يصف الرياض بعث بها
الحياة فكأنها طاووس يبدائع ريشه وجمال ألوانه .

وقال يصف ايوان كسرى وقد زاره فرأى فيه صورة تمثل وأقعة جرت بين
الروم والفرس فأحيها وكأنا نرى لمعان السيوف وعراك الرجال وكأنهم أحياء خرس:

فاذا ما رأيت صورة انطاكية ارتعت بين روم وفرس -
والمنايا موائل وأنوشر وان يزجي الصفوف تحت الدرفس -
تصف العين أنهم جد أحياء لهم بينهم اشارة خرس -
يفتلى فيهم ارتياني حتى تنقر اثم يداي بلمس -
وقد أحياء البحترى صورة الجيوش حتى شك هو نفسه بها فأخذ يتقر اثم باللمس
لينزع شكه ، ثم يصف الايوان فيقول :

عكست حظه الليالى وبات المش ترى فيه وهو كوكب نحس -
فهو يبدى تجلداً وعليه كل كل من كلال الدهر مرس -
مشمخره تملو له شرفاته رفعت في رؤوس رضوى وقدمس -
لا بسات من البياض فما تبصر منها الا غلائل برس -
ليس يدري أصنع انس الجن سكنوه أم صنع جن لانس ؟
وكان الوفود ضاحين حسرى من وقوف خلف الزحام وخفس -
وكان القيان وسط المقاصير يرجعن بين حو ولعس -
يصف البحترى الايوان فيبعث فيه الحياة ، وأى فضل للشاعر اذا لم يحى الميت
وينطق الجماد ؟

يرسم الايوان فاذا هو حى يبدى تجلداً رغم ما عليه من كلال مرسة ، ويعلو
مشمخراً فخوراً رغم ما أصابه من ذل ومن عز ، ويزدهى مفتخراً بشرفاته التى تبعث
فى قلوب الزائرين روح الاجلال والتعظيم والذكرى لو تنفع الذكرى .
ثم يعجز البحترى على فنه أن يصور عجائب الايوان فاذا هى من صنع الجن ، والجن
مصدر الغرائب ومورد قوى من موارد الخيال ، ثم يعود الى احياء كسرى وملكه
وايوانه فاذا الوفود حسرى مزدحمة واذا القيان بين حو ولعس تغنينا زاهن ونمغمهن !

٧ - أسلوبه عربى ولفظه حلو سلس

أثرت به جنسيته وأثر به أبو تمام فكان أسلوبه عربياً جزلاً ، وأثر به جو

العراق فكان عذباً دون تعمق في المعنى ، وأثرت به الطبيعة فكانت ألفاظه حلوة
سلسة تجري مجرى الماء .

وإذا عُذنا الى وصف بركة المتوكل رأينا جزالة العروبة على الصور الحضرية ،
وإذا التفتنا الى وصف الربيع رأينا عذوبة ورقة على غير تعمق في المعنى ، وحلاوة
في الألفاظ فكانها الماء النخير . وقال :

ليشوقني سحر العيون المجتلى و يروقني ورد الخدود الأحمر
وفي ذلك السحر حلاوة ، وفي تلك الخدود عذوبة ، وفي ذلك الانسجام جمال ،
وفي تلك المزوجة بين سحر العيون المجتلى وورد الخدود الأحمر رقة المياه ، وبين
يشوقني و يروقني مزوجة شامية وجزالة عربية . وقال :

قطعنا الليل لثماً واعتناقاً وأفنيناه ضمّاً والتزاماً
وبين قطعنا وأفنيناه وبين لثماً واعتناقاً وضمّاً والتزاماً مزوجة في اللفظ والانسجام في
المعنى وقال :

ولم أر مثلينا ولا مثل شأننا نعذب أيقاظاً وننعم هجداً
وبين نعذب أيقاظاً وننعم هجداً مزوجة في اللفظ على عذوبة وطبلق هو من
آثار النقيف . وقال :

فأحسن بنا والدمع بالدمع واشج الخد بالخد ملصق
وبين الدمع بالدمع واشج الخد بالخد ملصق مزوجة في اللفظ والانسجام في
المعنى كأنسجام الدمع على الخد ، والبيت جزل وألفاظه منتقاه مختارة . وقال :

تطيب بمسراها البلاد اذا سرت فينعم رباها ويصفو نسيمها
وبين النعيم والصفاء مزوجة والانسجام ، وبين الربا والنسيم مناسبة ، وفي البيت
جزالة العروبة وحلاوة الحضارة .

هنا نمر

مدرس الاداب في كلية الشرق (طرطوس)





دموع الناسك

« الى الروح التي في السماء . . . الى أخي مصطفى »

(دخل الناسك المعبد على دقات ناقوسه الحزين فرأى أمام المذبح شاعراً
مطرقاتاً فهزه في رفق فوجد إطاره أبيضاً فخرج مرتاعاً هائماً ينشد
من يعينه على حفل روحى . . . يودع به هذا الناي المحطّم)

هائمٌ بين الغسقِ مثلَ ماضٍ الحزينِ
أشعثُ الشعرِ قلقٌ يتنزّى كالطعمينِ

ناسكٌ واهى الجسدِ عاشَ في حُبِّ الآلهِ
يتفانى في الأبدِ بين زُهْدٍ وصلاةِ

خاصمَ الدنيا الغرورِ واختلَى في صومعةِ
حيثُ ينساب الغديرُ ساحراً، ما أدّوعه !

يعبد اللهَ فيحكى زهدَهُ رَجْعُ الهواةِ
يعبد اللهَ ويبكي بينَ حُبِّ ورجاءِ

طافَ والدُّنيا نيامَ بين أحضانِ الأزلِ

مِنْ طيورٍ وَأَنَامٍ وَوُحُوشٍ فِي الْجَبَلِ

فِي سُكُونٍ غَامِضٍ فِيهِ أَنْعَامُ الْعَدَمِ
وِظْلَامٍ قَائِضٍ بِالتَّجَنِّيِّ وَالْأَلَمِ

يَحْمِلُ الْمَشْعَلُ يَجْبُو بَيْنَ أَنْفَاسِ السَّحَرِ
وَالِى الرُّبُوعِ يَرْنُو فِي سَكُونٍ وَخَفَرٍ

وَأَتَى الرُّبُوعَ لَمَّا أَمْسَكَ النَّائِي الْقَدَرُ
وَهُوَ النَّاسِكُ مِمَّا رَآهُ فَوْقَ الْحِجْرِ

وَمَشَى صَوْتُ الْقَدَرِ فِي النَّسِيمِ الْغَاطِرِ
وَشَدَا بَيْنَ الشَّجَرِ بِالنَّشِيدِ السَّاحِرِ
لَحْنُ الطَّبِيعَةِ فِي أَنْشُودَةِ الْفَجْرِ
لَحْنُ مَرَى وَشَعَاعُ النُّورِ يَعْرِفُهُ
لَحْنُ يَشِيْعُ لَيْلًا طَالَ مَعْتَمَفًا
وَيَقْطَعُ النَّوْمَ - وَالْأَحْلَامَ طَبِيعَةً
لَحْنٌ عَلَيْهِ جِيوشُ النُّورِ زَاحِفَةٌ
وَطَوَى النُّورُ الظَّلَامَا
فَتَوَارَى فِي الْعِنَاقِ

وَرَأَى النَّاسِكُ رَبَّةً يَتَجَلَّى فِي الْجَبَلِ
وَأَفَاضَ اللَّهُ حُبَّةً فَمَحَا عَنْهُ الْوَجَلِ

قام يتلو ما شَجاه تحت أستاذ القلَس
وهو يرنو في بُكاه ينشد المون القدُس

شاعرٌ غنيٌّ وناما يا أَلَمي أنت أعلم !
إلى المذبح ظمأ في ذهول فتعطم !

شاعرٌ غنيٌّ ففَنُّوا ثم أغنى وحدهُ
وتراهم قد تمنَّوا أن يشيدوا لحدهُ

كم بكى من أجلهم وهو محسوبٌ عليه
كم شكى من ذلمهم والأمانى في يديه

ففتى الكونَ وجومَ ودوى صوتَ جهير
بين أشباحٍ محوم اتمعوا وحي القدير :
اجمعوا الأرواح زهرا من رياض العمر طرا
واممعوا النساءُ ناجوا ربهم مرّاً وجهرا
وخذوا النجوى كثووساً واعصروا الإيمان خمرأ
وتعالوا في خشوع ندخل المهرابَ فجراً
نركب الفجر شعاماً في كلام الليل مرّاً
واهبطوا الأرض خفافاً كنسيم رقّ سيرا
ألبسوا الأكليلَ هاماً أكعب الأحياء فخراً
ضمّخوا بالمطر نايأ ضمخ الأجواء دهرأ
قربوا الحَرَّ إليه إنما القربانُ ذكرى

سات غريدُ الليالي وانتهى مما أمراً
كرموا قلباً ودبماً تجدوا روحاً وفكراً

محمد أحمدرجب
(الحامى)



على الغدير

فطَقَ الغديرُ فكانَ لَحْناً لَعْنَةُ الهوى لَحْنُ الغديرِ
ومَعْنَتُهُ فسمعتُ معنَى هو نصُّ ما فى ضميرى



أنا فى عُرُوقى مِنْ دَمى هبةُ الحياة لكلِّ صبٍّ
أنا كلُّ صبٍّ يفتنى عندى ويستهدى بقلبي



وكذا الغديرُ اذا هَمَى والروضُ مثلناحٌ مُعْنَى
وَهَبَ الحياةَ ورُبَّما جعلَ المياةَ هناكَ فنا



فعلى حِفَافَتى مائه للطير تنعيمٌ وشكوى
وعلى سَنَا حصبائه للزهر تسلیمٌ ونجوى



يا ذِمَّةَ للروضِ فى عُنتى لها طَوْقى المدينِ
لكِ عندَ قلى أن ينى دينَ الغرامِ مِنَ الحنينِ



لما استجابَ الليلُ ما أسدى لقلبينا سكونه
وقضى الجميلَ فكلَّما ارتعنا أظلتنا يمينه



بَنَّا رَفِيقِي بِدُرِّ الْفَيْنِ بِرَعَانَا سَنَاهُ
نَدَعُو الْمُتَى فِي نَوْرِهِ وَالطَّيْرُ تُشْجِينَا مُنَاهُ

وَالْبَدْرُ يَبْسُطُ ظِلَّهُ مَتْرَاحِيَا بَيْنَ الرِّيَاضِ
وَالنُّورُ يَنْسَبُ أَصْلُهُ يَا قَلْبُ لِلْحَقِّ الْمِرَاضِ

فِي حُجَّةِ اللَّيْلِ الَّتِي تَذَرِي الْخَيَّ وَلَا تَذِيعُ
أَوْدَعْتُ نَفْرَكَ قُبُلَتِي مِمَّا نَضَمْتُ الضُّلُوعُ

لَكِنَّ قَلْبِي كَيْفَ كَانَ عَلَى جَوَانِبِهَا بِحُومُ ؟
هِيَ قَبْلَةُ نَقَلْتِ مَكَانَ الْقَلْبِ حَيْثُ غَدَتْ تُقِيمُ

وَالآنَ هَلْ تَذَرِينَ يَا أَصْلَ الْجَمِيلِ مِنَ الْفَنُونِ
أَنْ الْمَرْجَى لِلْحَيَاةِ قَرِيطِيهَا أَنْ تَرْحِمَنِي ؟

مَا فِي الْحَيَاةِ سِوَى الْمُتَى وَلَئِنْ كُلُّ مُتَى الْحَيَاةِ
فَإِذَا ظَفَرْتُ بِهَا هُنَا شَفَقَتْهَا بَعْدَ الْمَمَاتِ

هِيَ لَوْ عَلِمْتَ تَعَبْدِي وَالْحُبُّ إِيمَانُ الْقُلُوبِ
لَوْ كُلُّ قَلْبٍ يَهْتَدِي خَلَّتْ الْحَيَاةُ مِنَ الذُّنُوبِ

وَحَدَّثْتُ فَيْكَ صَبَابَتِي وَجَدْتُ فَيْكَ شَرِيكَ حُبِّي
وَبَقِيتِ أَنْتِ هِيَ الَّتِي بِجَاهِلِهَا وَحَدَّثْتُ رَبِّي أ

وَأَذَقْتَنِي حُرْقَ النَّوَى فَكَشَفْتَ لِي سِرَّ الْوُجُودِ

وَأَرَبَيْتَنِي أَنْ هَوَى هُوَ وَخَدَهُ سِيمَةُ الْخُلُودِ

حَامَتُ عَلَى فَرْدَوْسِهِ رُوحِي وَمَا بَلَغَتْ مَدَاهُ
هِيَ تَفْحَةٌ مِنْ جَنَنِهِ كَحَلَّتْ إِلَى الدُّنْيَا صَدَاهُ

محمد الهرهباري



أحن إلى الرياض

أحنُّ إلى الرياض لَأَنَّ قَلْبِي إِذَا ذَكَرَ الرِّيَاضَ غَدَا فَتِيًّا
يُمَاقِبُ طَيْرَهَا مَرَحًا وَشَدَوًا وَتَبَعْتُ فِي جَوَانِحِ الشَّدِيثَا
وَمَا حُبُّ الرِّيَاضِ شَغَفَنَ قَلْبِي وَلَكِنْ وَهَجُ هَاتِيكَ الْحَبِيثَا
فَفِي قَلْبِي مِنَ الْأَحْبَابِ ذِكْرِي وَفِي عَيْنِي مَنَى تَزْدَادُ غِيثَا
وَمَا فِي الرُّوضِ أَزْهَارُهُ وَلَكِنْ دَيْبٌ فِي الثَّرَى يَدُوى خَفِيثَا
يُوقِعُهُ السَّحَابُ عَلَى الرُّوَابِي وَتَعْرِفُهُ الصَّبَا نَفْعًا شَجِيثَا
فَفَنِّ يَا رِيَّاضُ غِنَاءَ صَبٍّ يَجْدُدُ لِلْهُوَى عَهْدًا قَوِيًّا

ماري عجمي



زورق الصياد

(كان أبو القاسم الشابي رحمه الله صياداً ماهراً يبحث في زورق حياته
الجميل في بحر الوجود عن لآلئ الشعر ، وقد حطمت الآلام حياته
فأثقله زورق آخر في الجهة المظلمة من بحر الوجود ، قال روحه
الشاعرة في زورق الموت ، أهدي هذه القصيدة)

رَسَا زَوْرَقُ الصَّيَّادِ فِي غَسَقِ الدُّجَى عَلَى شَطِّ بَحْرِ مَوْجُهُ مُتَلَاطِمٌ
تَدَاعَبَتْ الْأَمَّالُ أَمْرِي شَبَاكِ وَصَيَّادُهَا فِي سَاحَةِ الرِّكْبِ نَائِمٌ
وَفِي بَانِبِ الصَّيَّادِ ضَاءَةٌ ذُبَالَةٌ بِمُهَاجِمِهَا نَسَمُ الدُّجَى فَتَقَاوِمُ
وَقَدْ بَدَّدَتْ صَمْتَ الْمَسَاءِ أُمَامَهُ نِيَّاحُ كِلَابٍ جَاوَبَتْهُ الْحَنَانُ
وَصَرَ تَقَبُّقِ الضَّفَادِعِ مُرْعِشٌ وَتَصْرِخُ بَوْمٍ طِيلَةَ اللَّيْلِ دَائِمٌ
نَدَوَى رِيَّاحٌ حَاصِفَاتٌ بِقَرْبِهِ وَلَيْسَ نَدَوَى فِيهِ إِلَّا زَمَانُ (١)
زَمَانُ أَحْلَامٍ مَرَّتْ بَيْنَ عَيْنِهِ وَلَيْسَ لَهَا فِي مِسْمَعِهِ تَرَاوِمُ

لَقَدْ هَجَعَ الصَّيَّادُ بَعْدَ مَشَقَّةٍ مُتَغَالِبُهُ الْأَحْلَامُ ، وَالنَّفَرُ بِأَمِّهِ
تَنَبَّهَ بِهِ الْأَمَّالُ عَنْ غَدِيهِ وَمَا يُسَرُّ بِهِ فِي لَذَّةِ النَّوْمِ حَالُ
رَسَا زَوْرَقُ الصَّيَّادِ تَحْتَ شُجَيْرَةٍ عَلَى شَطِّ بَحْرِ مَوْجُهُ مُتَلَاطِمٌ
وَرَائِعَةُ الْكَافُورِ تَرَقُّصُ بَيْنَهَا فَيَحْلُمُ فِيهَا بِأَمِّهَا وَهُوَ نَائِمٌ
وَتَفْشُدُ أَوْرَاقُ الشَّجِيرَةِ لَحْنَهَا إِذَا دَاعَبَتْهَا فِي السَّكُونِ النَّسَائِمُ
تَهَبُّ عَلَيْهِ الْعَاصِفَاتُ كَأَنَّهَا صَرَخَتْ شَجِيحٌ فِي الْهَيَا مَتَرَاوِمُ
فَيَسْتَشْعِرُ الصَّيَّادُ خَوْفًا كَأَنَّهُ ضِيَاءُ تَبَتْ السَّحَرِ فِيهِ طَلَامُ

رِسا زورقُ الصيادِ نَحْتَ شَجِيرَةٍ
رِسا الزورقُ السروى يُخْلَمُ في الدجى
تطوفُ به الذكرى وتعبُرُ جوفَهُ
تَدْفُ مِيَاهُ البحرِ في جنباته -
وقد زَعَزَعَتْ رِيحٌ على الشَّطِ صَخْرَةً
فقالَ سريعاً يَمْنَةً بعدَ بَسْرَةٍ
وفي هَدَاةِ اللَّيْلِ البهيمِ تَحْرُكُ
تَزَعِزِعُ وَسَطَ المَاءِ والمَوْجِ حَالِماً
فَأَوْقِظَ مَجْنُونٌ يُعْرِبُدُ ذَاهِلاً
مَرَى ليس يَدْرِى أَيْنَ شَطُّ نَجَاتِهِ
فصاحَ كَسِيرَ النفسِ في كُلِّ مَوْجَةٍ
وشاهدَ ضَوْهَ آبِ عَبْقَرِيَا كأنه
فقام .. وفي القلبِ المِبلِلِ فَرْحَةٌ
يُغْنَى ولا يَدْرِى إلى أَى شَاطِئِ
أَغَاذِهِ لَهَا وَقَعٌ وَلَيْسَ لَهَا صَدَى
فقد صَدَرَتْ مِنْ أُرْغَنِ تَاهَ لَحْنُهُ
وعامَ إلى الضَّوِّ العَلِيِّ تَرْفُهُ
تَرْفُ الأَمَانِ مِنْ بَعِيدٍ كَأَنهَا
رَأَى كُلَّ شَيْءٍ فِي الضِّيَاءِ مَوْقِعاً
رَأَى الضَّوْءَ فِي رَكْبٍ بَعِيدٍ كَأَنه
وقد عَلَّقَتْ بِالرَّكْبِ بَعْضُ هَيَاكِلِ
تَهَادَى بِمَجْدَافٍ قَوِيٍّ تَفْتَحَتْ

تَطْلُ عَلَيْهِ - وهوَ بالماءِ سَاهٍ
بِمَاضِيهِ وَالسَّرُّو المِبلِلُ سَادِمٌ (١)
رِيحٌ مِنَ السَّرُّو الخَفِيُّ نَوَاسِمٌ
قَهَنَزَ أَشْطَانٌ بِهِ وَدَعَامٌ
فَفُكَّتْ قُبُودُ الرِّكْبِ وَهِيَ قَوَائِمٌ
وَصَاحِبُهُ فِي سَكْرَةِ النُّومِ حَالِمٌ
تُهَاجِمُهُ الأَحْجَارُ .. وَهُوَ مُسَالِمٌ
تُقَارِضُهُ فِيهِ الصُّخُورُ الصَّلَادِمُ
كَشَيْخٍ بَدَتْ فِي نَاضِرِهِ الخَوَائِمُ
وَكَيْفَ يَصُدُّ المَوْجُ ؟ كَيْفَ يَقَاوِمُ ؟
لِيُوقِظَ عَيْنَ اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ نَائِمٌ
شِعَاعٌ مِنَ الوَادِي المُقَدَّسِ قَادِمٌ
كَأَنَّ السَّنَى ضَوْءٌ مِنَ اللَّهِ رَاحِمٌ
تَسِيرُ أَغَانِيهِ لِلْعِذَابِ النُّوَامِ
تَدُلُّ عَلَيْهَا فِي الشِّفَاءِ عِلَامٌ
وقد عَبَرَتْ عَنْهَا شِفَاءٌ بِوَاسِمِ
خِيَالَاتِ آمَالٍ هَفَّتْ وَعَوَالِمُ
مَلَائِكَةٍ فِي الْمُنْتَهَى تَفْتَادِمُ
كَأَنَّ ضِيَاءَ البحرِ فِي البحرِ حَاكِمُ
أَشْعَهُ بِدْرِى وَالرَّكْبُ غَمَائِمُ
تُسَوِّجُهَا فَوْقَ المِيَاهِ هَاجِمُ
تُقَلِّدُهُ بَيْنَ السَّمَاءِ خِيَاثِمُ

فلما رآه الركب ، وهو مشردٌ يُقَلِّبُهُ مَوْجٌ ويشبه عارمٌ
 سرى نحوه حتى تضائل ظله وكلُّ مكانٍ في الخضمِّ مُراغمٌ (١)
 وناداه ربان الركابِ بلهجةٍ طوتها وأخفتها الدُفَى والعوالمُ
 فلي نداءٌ صادقاً وهو طائعٌ وأذنَ للرَّبانِ وهو مسالمٌ
 وألقى عن الصيادِ ثوباً مبلاً وأهداه ثوباً ناصعاً وهو باسمٌ

لقد ظنَّ أن الركبَ حسناً لفها من الثلج أزهارٌ عذابٌ نواسمٌ
 تصوَّره قاصباً يقصُّ على الدُّجى أقاصيصه ، والبحرُ في الليلِ واجمٌ
 ترنُّ به الألحانُ هادئةٌ كما تحفُّ على رملِ الصحارى مناسمٌ (٢)
 تغنى بمجاذيفُ الركابِ ودفعه بدفٍّ مياهُ الركبِ فهي صوارمٌ
 فيرتجف الصيادُ في كلِّ ضربةٍ ويحسب أن الموتَ في الماءِ جائمٌ

قضى زورق الصيادِ تحت شجيرته على شطِّ بحرٍ مَوْجُه متلالمٌ
 وكانت لاوراقِ الشجرة ضعفةً إذا دأبتُها في السكونِ النَّسائمُ
 ولكنها صارت هناك حزينةً على زورقٍ قد حطمتُه الصلادمُ

سيهفو على البحرِ الجمالُ وتزدهى عليه طيورٌ بالحبابِ هوائمٌ
 ويحمرُّ في شمسِ الغروبِ عبابُه وتنفض في الظهرِ المياهُ القوائمُ
 ويعبت بالركبِ المحطمِ مَوْجُهٌ ، ولكنَّ حزنَ الشَّطِّ والبحرِ دائمٌ

قد انبلج الصُّبحُ اليبسُ وحوَّمت وطافت على أفقِ السماءِ حَمائمٌ
 ولاحت خيالاتٌ على الشاطئ الذى تحطَّم فيه الزُّورقُ المتصادمُ

(١) مراغم: مضطرب (٢) المنسم: خف البعر، ولصوت وقع على رمل الصحارى موسيقى هادئة جميلة

خيالاتُ أطفالِ صغارٍ ونسوةٍ تنادى على الصيادِ والبحرُ واجمُ
لقد حدثتُ في البحرِ حتى بدا لها خيالٌ بعيدٌ أبيضُ الثوبِ حائمُ
يلوحُ من بُعدٍ إليها كأنه شعاعٌ على أفقِ السماواتِ حائمُ
يلوحُ للدُّكرِ المقدَّسِ باسمِ وفي عينهِ الدمعُ السماويُّ ساجمُ

و غاب فردتُ غيبةَ الطيفِ صبيحةً من الشاطئِ المحمودِ والكلُّ ساهمُ
وناحتُ به الغربانُ تنقُفُ ريشها وهبتُ لتمزيقِ الصخورِ ضياغمُ (١)
محمد سعيد السمراري

وحي الظلام

وكم تحار لي الظلماءُ حتى أجوسَ خلالها وأعيشَ فيها
وأترك هذه الأضواءَ خلفي لمن نفويه أو من يرتجئها
ففي الظلماءِ مسلاتي وأنسى وفي الظلماءِ مرتادٌ لنفسي
وفيها ينبع الإلهامُ صرفاً ومنها يستقى عقلي وحسِّي
معاني الليل في ذهني تُضيءُ وتنساب الخواطرُ في المساءِ
إذا ما عشتُ معتزلاً ونفسي حبثني الوحي في صفو النجاءِ (٢)

مصطفى عبد اللطيف السمرني

نسمة الريح

أفعمتُ روعي من شذاك الوديعُ فعاودى يا نسمة الريحِ !

(١) في هذا البيت تصوير رمزي للجزن على الصياد بجزن الحيوان (٢) المناجاة

في بُردك العذب وهذا الشذى
 فاشقي فؤاداً بالجوى ذابياً
 للشعر روحٌ فيه مكلومةٌ
 وأبردى طرفاً ذوى في الهوى
 هبّي! فهذا الكونُ في منظره
 مرتفع ، منخفض ، معجب
 فيه جمالٌ وحيثه فوق ما
 صبّ الأصيلُ النورَ في وشيه
 والزهر منشورٌ كشهب السما
 من أحر قانٍ إلى أصفره
 فالعشب وشيٌ كميّتهُ الرّبي

داعى الثّام للفؤاد الصّديق
 كلّف حبّاً فوق ما يستطيع
 أنت لها نعم الضّماد النّجيع
 بين كرى عاصم ودمع مطيع
 ضاح وهذا الرّوضُ حال مرّيع
 وطيبه مبدٍ جلال الرّفيّع
 نخيل الشعرُ وفوق البديع
 ناراً تلظى أو نضاراً يميع
 في جهة شتى وأخرى جميع
 أو أزرق أو ذى ابيضاض نصيع
 والزهرُ فيه قُبُلاتُ (الرّبيع)

والجوّ ضاح بالسّنى ضاحكٌ
 والسحب في عرض الفضا يرتقى
 لاحت كدوح المّرو منصوبةٌ
 والشمسُ صفراء بدت حولها
 عادت الى المغرب في موكب
 كخادة عاصبة رأسها
 أو مائل في قود غطيت
 فاصفر رعباً وجهه حيناً
 والشفقُ احمرّ فهل من أمّى
 أم استهانت شهبُ هذا المسا

والأفق بالألوان زاهٍ بديع
 منها قطيعٌ خفّ يقفو قطع
 وانبسّطت مثل هصاب الصّفيع
 في جهشة الباكي ولون السّيع
 ضاق به صدر الفضاء الوسيّع
 مالت على الفرش برأسه وجميع
 عيناه عن مرأى القصاص القطيع
 حلّ به الموت وعز الشّفيّع
 يبكي على النور بكاء الرّضيع
 لمشهد الشمس وهذا النّجيع

هَبِّي صَبَا ! لست سوى نفقة مشبعة من سحر هذا (الربيع)

هَبِّي ! فعندي من عهد الصبا في القلب عهدٌ لك حاشا يضيع
ورددي للنفس ذكرى صبا مرّ بقلبي كالصباح السريع !
في كل نسيم منك لي خاطرة يوحى لنفسي كل معنى رفيع
زفني لي الأحلام رباعة واستفتحي حصن الخيال المنيع
وصيرى العالم في ناظري مفاتنا تجلى وسحراً يشبع
هَبِّي ! فقلبي منك في نشوة حلّ بها النجم وجاز الرقيق (١)
وحلّني بي في سماء التقى والحبّ عن دنيا الغرام الخليع
وطوّني بي في الجنان العلا في زاهر غصنٍ ومجنى ينبع
واصنّى لقلب شاعره قد شكى من حبّه والدهر سوء الصنيع
واطوى لنجوى فاني أرى فيك زهر الروض مرّاً يذيع
هَبِّي ! فإنت سوى نفقة سارية من أغنيات (الربيع)

سنانورة :

صالح بن علي الحامد العلوي

ترنيمه الذكرى

ما هذه الألحان يا ابن الربيع ؟ أفزعتنى في لحنك المفرع
ما بين أنغامك ترنيمه قد جعلت قلبي في مسمى
وصيرتني فاقداً البال

يا بلبل بالله ما ذا دهاك ؟ أوضح ولا تخش هنا من رقيب

إن كنت صبيّاً تلقى عاشقاً أو غربة تشكو فاني غريب
فلا تخف يا صاح أمثالي

أواه! ما يبكيك؟ مهلاً فقد بعثت آلامي بهذا الحنين
لا يا أليني خل هذا النشيد وخفف الوطأ فقلبي حزين
يلتمس السلوان بين الطيور

يا شاعراً للفتنة الهادئة غرد فخيرُ اللحن بين السكون
(أما رأيت الوجه منى ذوى والعين غامت تحت ستر الجفون)
والروح في اللوعة بين الزهور؟

فاجمع بنات الزهر يا صاحبي حولي وأنبئني عن أمري
وامسح دموع العين في وردة إن جاشت الأحزان في صدري
وقاضت العين بماء الدموع

وقل لها تنشد أحزانها تسعدني فالقلب منى كلم
فربما خفض من لوعتي يا حبد اللحن شفاء السقيم
أواه لويعل من ما في الضلوع!

مرضى فرج الله

(عضو الرابطة العلمية الادبية)

النصف الاشراف :



ثورة الذكريات

في حضن الطبيعة

تقحة السحر من سماء الجمال وعذارى القريض فن حيالي
ملكنتني من الطبيعة روح ذات فن مؤئل المجد عال
إنه الحسن في الطبيعة يحبي ذكريات من النعيم البالي

قد مضت صُحْبَةُ الزَّمانِ وحالت
 ابن بالأمس قاربٌ يتهادى
 في غصون الكرى كطيف خيالٍ
 تحت ضوء النجوم غيرَ مُبالٍ؟
 كنتُ فيه مع الحبيب وكنا
 خفقةَ الحبِّ في فؤاد الليالي
 وفنينا في قبلةٍ وعناقٍ
 وثملنا من سحرِ ذاك الجمالِ



محمد رشاد راغب

وسكرنا من نشوةٍ وجنونٍ وأفقنا في فتنَةٍ وجلالٍ
 فعرفنا من العَرامِ فنوناً وتركنا الخيالَ للأطفالِ!

أينَ خمرُ الهوى؟ لقد حطَّم الكأْسَ
 سَ نذيرٌ من الهمومِ الثِّقالِ!

محمد رشاد راغب

مواكب المساء

ودعى الشمس وأعراس الفضاء
صعدت أنفاسها محمّرة
عبق الجوُّ بها فاندفقت
لوّن الموج بتبر أصفر
وسماء أصبحت بجرّاً كما
ونهار ودّعه شمسا
ومقاذيف أكفّ ودعت
صورته من ريشة الباري بها
إنّ يوماً مرّ من أيامنا
جلس الناس إلى ندمانهم
حشرت فانطفأت أجفانها
نعشها في موكب النور مشى

إنما مآتمها عند المساء
كعليل مجّ قطرات دماء
تخضب الغيم وأنفاس الهواء
ولجن بعد قلات الضياء
أصبح البحر فضاء وسماء
إنما العمر وداع ولقاء
بشرعات مناديل بكاء
مسحة الفن ووحى الأنبياء
هو يوم قلّ من عمر الشقاء
بهجة العمر حديث الندماء
وخبا كل يريق في الفضاء
فانطوى يوم بطيات الفناء ١

رياضى صلاوى



فى المساء

كنتُ أمأشى صاحبين من خيار صحي
نمّشى الهوينى فى ظلال السّرو قبل المغرب
والماء يجرى سلسبيلا فى الغدير المعشب
والجدول الرقراق يبدى صفحة من ذهب
والطير تشدو ساجعات فى كروم العنب
والدوح يهتز اهتزاز المستهام الطرب

ثم اخفت عنا (ذكاه) تحت طي الحجب
 فوجم الليل وجوم الحائر المضطرب
 ولم نعد نسمع غير البلبل المنتحب
 ينوح في إثر الأليف النازح المغيّب
 وسكن الكون سكون الخفق المرتقب
 ثم انتضى للندأ أسياف المضم المضرب
 وراح يُزجي للوغى كل خميس لجب
 فن رباح عصفت الى ركام السحب
 ومن بروق خطفت إلى هزيم مربع
 وحاول الحرب فما استفاد غير الحرب
 يارحمنا للكون ، ما أدرك غير النصب
 فارتدّ يبكي بدموع اليأس المكتئب
 ثم أطلّ البدر في إشراق وجه معجب
 يفتّر في عليائه عن رقة وحذب
 جاء يعزّي الكون عن كوكبه المغترب
 فسكن الكون ولكن تحت نير الغلب

حبيب محمد البشيشي



كآبة الخريف

مرحباً جاء الخريف بالحيا المحي اللطيف
 كل غصن في الروابي شاحب بالثر أسيف
 من خدود الورد حتى ساق أشجار خفيف

كلّ دوح كجناح وله دوماً رفيف
 نثرت أوراقه كالريش من طير طريف
 قطع مثل مناديل لمسلول نحيف
 خضبت من صدره بالأحمر القاني الخفيف
 بشفاه كلما حرّكها سال التزيف
 كمويدائي غيوم هي كالبحر الكثيف
 كست الوادي رداءً أبيض اللون طريف
 وخريف كرفيق لي على الهمّ أليف
 همّه همي ودمعي دمعته مثل ذريف
 كله ظرفٌ ولطفٌ وله ظلٌّ خفيف
 لن ترى عيني صديقاً صادقاً مثل الخريف !

بياض معلوف



السحر

في وثلوج الكون أبواب السحر
 تنثى الهامات : جنٌّ وبشر
 خاشعات في سويحات القمر
 يستحمُّ الكلُّ في نور القمر
 ويلفّ الحيّ والميت السُّهوم

تقرع الأسماع أنات المياه
 حين خار اليمّ أو نار الفدير

يستحيل الصوتُ موتاً في حياة :

إذُ تلاشى الصوتُ كالحلم الغريبُ

يتداوى الماءُ كالرعدِ الرجيمُ

وتبدى في السموات السحابُ

غضبُ الحيا كثيفُ ضاربُ

ذابت الأضواءُ في ظلِّ الحجابُ

ومضى الصوتُ الرهيبُ الصاخبُ

وتنحى الغيمُ في وادى الفيومُ

وقف البارى شهيداً من علاء

وتنحى كلُّ هامٍ والتقدّرُ

خشعتُ حتى نجماتُ السماء

وصحتُ حتى أمانى الشجرِ

وقفتُ جزعى بوادٍ ، لا زيمُ

سكنت ربحُ الشمال العانية

وتقصت غمغات الخـريرِ

سكنت أثباج موجِ وانية

وتلاشى الفحُ مفلول الصريرِ

وتراخت زفرقاتُ للنسيمِ

رعشت في اليأس أطيافُ السماء

وتندت طلعة القمر
وتهاوت في تضاعيف الفضاء
لمعات فئت كالعمر
وتشاكى الليل واليم الحزين

واشرأبت فيه أعناق الحب
خلقهن ارتخاءات الفتور
مسحتها لامعات من شهب
بدت الدنيا كما منذ الدهور :
هي غرقى العمر ، ما فيها قطين

بليت في الجو أ كفان السحاب
هوائها مراسلات لا تلين
ونهادى البدر مهزوم الشباب
يتراعى نوره الساجى الخنون
كعذارى في الظلام المستكين

جاء رب الشعر مهول البناء
في رواق الليل غنى آية
نزلت للموت^(١) من كهف السماء
أى واد ؟ قيل : واد للأبن
فاض بالدمع ولذات الحين !

لورسي عوصه

النّاي الأخضر (١)

(لطفولة الريفية في لهوها روح خاصة من
أمتعها عود البرسيم الأخضر الذي يلهو به
الصبيان خلف السوائم الرائعة في الحقول)

زَمَّارَتِي فِي الْحُقُولِ كَمْ صَدَحَتْ فَكِدْتُ مِنْ فَرْحَتِي أَطِيرُ بِهَا !
الْجَدَى فِي مَرْتَمِي يُرَاقِبُهَا وَالنَّحْلُ فِي رَبَوِي تُجَاجِبُهَا
وَالضَّوءُ مِنْ نَشْوَةٍ بِنَعْمَتِهَا قَدْ مَالَ فِي رَأْدِهِ يَلَاعِبُهَا
رَنَاهَا مِنْ جُفُوفٍ سَوَسَنَةٍ فَكَادَ مِنْ سَكْرَةٍ يَخَاطِبُهَا
نَصَحْتُ فِي نَائِبِهَا فَطَرَّبَنِي وَرَاحَ فِي عَزَلَتِي يُدَاعِبُهَا
يُغَازِلُ الرُّوحَ مِنْ مَلَايِنِهِ بِنَعْمَةٍ فِي الضَّحَى ثَوَائِبُهَا
سَكْرَانُ مِنْ بَهْجَةِ الرَّبِّيعِ بَلَا خَمَرٌ بِهِ رُفِرِقَتْ سَوَاكِبُهَا
يَهْفُو إِلَى مَهْدِهِ بِمَأْسَةٍ مِنْ غَضٍّ بِرَسِيمِهِ يُرَاقِبُهَا
صَبِيَّةٌ فَوُفَّتْ غَلَاظِلُهَا وَطُرَّرَتْ بِالنَّدَى جَلَابِيبُهَا
وَأَشْرَقَتْ فِي الصَّبَاحِ لَاهِيَةٌ فَكَلَّلَتْ بِالسَّنَا ذَوَائِبُهَا
غَنَيْتُ فِي ظِلِّهَا .. فَهَلْ سَمِعْتُ لَحْنِي ، وَقَدْ ارْعَشَتْ تَرَائِبُهَا
أَمْ زَارَهَا فِي مِهَادِهَا نَسَمٌ وَرَاحَ مِنْ فِتْنَةٍ يُجَاذِبُهَا ؟
مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ

(١) عن ديوان (أغاني الكوخ) الذي سيصدر في الشهر الآتي



مصر

أجل! إن ذا يوم لمن يفتدى مصرًا
حلفنا نولّي وجهنا شطرَ حبّها
نبثُّ بها روح الحياة قوية
نحطم أغلالاً ونمحو حوائلاً
فصرُّ هي المحراب والجنة الكبرى
وننقد فيه الصبر والجهد والعمر
ونقتل فيها الضنك والذل والفقرا
ونخلق فيها الفكر والعمل الحرّاً

أجل! إن ماء النيل قد مرّ طعمه
وروضتنا الغناء ديست ومزّت
فدالت بها الدنيا وريعت حمائم
وحامت على الأفق الحزين كواسم
نحط كما حط العقاب من الثرى
فهلّا وقفتم دونها تمنحونها
وهلا وقفتم دونها تمنحونها
وهلا وقفتم دونها تمنحونها
سلاماً شباب النيل في كل موقف
تعالوا نشيدُ مصنعاً ، ربّ مصنع
تعالوا نشيدُ ملجأ ، ربّ ملجأ
تعالوا لنمحو الجهل والعلل التي
ومن منكم بالله لم يذق المرّا؟
تناوشها الفتاك لم يدعوا شبرا
مفرّدة تستقبل الحبر واليسرا
إذا ظفرت لا ترحم الحسن والزهرا
وتلتهم الأفنان والزغب والوكرا
قلوباً ترى مصر الهوى والمنى طرّا؟
أكفّا كماء المزن تمطرها خيرا؟
سواعد من صلب تصدّ بها الدهرا؟
على الدهر ينجى المجد أو يجلب الفخرا
يدرّ على صنّاعنا المنعم الوفرا
يضم حطام البؤس والأوجه الصفرا
أحاطت بنا كالسيل تغمرنا غمرا

تعالوا فقد حانت أمورٌ عظيمةٌ ولا كان منا غافلٌ يصم العصرا
تعالوا نقلٌ للعيس أهلاً فأننا شبابٌ ألفنا الصعب والمطلب الوعرا
شبابٌ إذا نامت عيون فأننا بكرنا بكور الطير نستقبل الفجرا
شبابٌ نزلنا حومة المجد كلنا ومن يغتدى للنصر ينتزع النصرا

ابراهيم ناجي



المجنون

أو

قيس وليلى

(مهداة الى روح المرحوم أحمد شوقي بك)

قفْ أيا شوقي وكوِّ الأضلعا قفْ بنا كي نشد الشعرَ معا
ونلفّ الحبَّ في أكبادنا قطعاً حرقى ترشّ القطعا
فخيالٌ في الهوى مادغدغتْ جانحيه الريحُ الا أبدا
ونبوغُ الحبِّ أوتارُ إذا حركت قلباً دقيقاً رُوّعا
وإذا الأفراخ في أوكارها غلغلت تشكو فؤاداً موجعا
تنقر الحَبَّات في أقفاصها تفرس الأعشاب فيها مضجعا
فخيوط الحبِّ في ليلاتها علمتها أن تنير المطلعا

نحن أطيّارٌ بروض الكون في زقزقاتٍ نستفيض المدحما
 إنَّ على الأغصان قنا نشكى ضجت الدنيا تعيرُ المسمعا
 وإذا ما لفظت أرواحنا وسراج الموت ألقى برقعا
 تنسج الالهام من آلامنا ونغنى الدهر شعراً مبدها !

نحن في شرع الهوى قلبٌ وفي مرتع الأحلام نبى مرتعا
 شعراء قلبنا في شعرنا يملأ الدنيا شعورا أرفعا
 وشبابٌ يهيك الآمال في ليلة النجوى خيالا أوسعا
 وإذا ما قيس مجنون الهوى ضلّ في الدنيا ، وضلّ المرجعا
 وإذا ليلى تلاشى عقلها وجنونُ الحبّ شفّ المدحما
 فلأن الله في صدرهما حبّك الالهام سحرأ مرضعا !

قلّ أيا شوقى أما من خمرة تسكر الأرواح حتى تجرما
 فتطوف الروح في أجوائها ويجن القلب حتى يصلعا ؟
 ان حبّ النفس الهام ، ومن علم النفس الهوى ما ضيما
 لم يكن قيس سوى حبّ إذا جنّ من حبّ يذيب الأضلعا
 شاعرٌ في قلبه ، في روحه شاعرُ الحب مكلوم هوى
 عبقرى الحب مكلوم هوى يحمل الصحراء جرأ مولعا
 في خيام الوجد يبنى مجده في ربوع البدو يبنى مربعا
 بدوىٌ يفرق الحب دما من فؤادٍ كان قدما ممتعا
 ليس في الحب جنون ، إنما شعلات الحب تلقى برقعا
 فتثور النار في بركانها وتكوّى العقل حتى يسطعا

فيقول الناس : هذا عاشقٌ ضيَّع العقل ، فعاف الجميع
غير أن الناس لا يدرون كم وضع « المجنون » سحراً مبدعاً
والتوى بين الوري ينشره فكان « القيس » كان المرضعاً !

هذه ليلي تناغي حبها ينخر العظم هياماً قاتلاً
وإذا ما عرفوا في حبها وإذا ما عرفوا في حبها
في نظام صامت مستوحش كالنجاج البيض والشوك على
وقلوب العشاق هل تعرف من تنبذ الشكوى على أقدامها
وكذا ليلي فلم تعباً لما إنما مالت إلى أهوائها
لتلاقي النور مسفوفاً على يتعري الفجر في برصه
لودرت أن الهوى في قلبها لئبل الكون من أجفانها

هكذا الشاعر في آلامه كي يغدّي الليل من أنواره
يسلب الأنوار من قلب الدجى والوري يسخر من آلامه
بحرق الأنفاس حتى يبلد ويحيل القفر روضاً حمرعاً
ويحيل الكون شعراً طبعاً والوري عنه يمدد السمعا

إنما الدنيا خلود بعد ما تمسكتُ الاقدارُ قلباً صُعضاً
وفؤادُ الشعر خفاقٌ على بسمَةِ الفجر يطوف الأربعا !

ميسال كرم

زحلة :



النافذة المغلقة

(تمثل هذه الأغنية لوناً من الغناء الشعبي الايطالى ، وملحوظ فيها بساطة التعبير ، كما لوحظ في ترجمتها الحرص على الذوق الايطالى الأصيل في البيان الشعرى .
وهى تصف حالة شاب عاشق من أهل الموسيقى اعتاد أن يقف كل ليلة تحت نافذة حبيبته - كما هو شائع في إيطاليا - ليطلبها على آلة المندولين . وفى ذات ليلة اتجه مع رفقة من أصدقائه الشباب الى بيت حبيبته كعادته فوجد النافذة مغلقة بعد أن كان متعوداً فتحها لتستمع الى أغنياته ، فأشجاه ذلك ، وتدقت هذه الخواطر الغنائية منه)

١ - الترجمة الحرفية

إذا ظَلَّتْ النافذةُ مغلقة

فأطلب يا أصدقائى معذرة

فهى ليست غلطى .

أغنيتى المملوءة غراماً

كانت تشغلها دائماً .

الآن أغنيتى تذهب فى الشارع

فى الليلة الخفية

من غيرك أيتها الجميلة

بدون اشراق يحملك .

أغنيانى تموت

إذا لم تطلي بعد

لتسمي صوتي .

« . »

يا نافذتها المغلقة

لماذا لا تفتحين ثانية

لقد أخفيت هيامي

هيام القلب المشتعل

أنا ثملٌ ، مجنونٌ ، من الحب

من هذا القلق الذي أجد فيه لذة .

« . »

قولي لها إني أحبها

ولا أزال أحبها .

إذا كانت تخدعني

فإن يدي لا ترتعش

وسأعرف كيف أنتقم .

« . »

أصدقائي ! أعزائي ! مساءكم سعيد

فلاؤتار كسرت

ومحال أن أعزف عليها ثانية .

« . »

إذا ولّيتي الجمال طائراً

فأتركوني هنا وحدي

أتركوني أغني

الفناء الأخير

بأعلى الصوت

قويًا،

الأغنية التي تصبح كاللوت

لهذه المرأة الرديئة

التي قطعت قلبي

بوحشيتها .

أيها النافذة المغلقة

التي لا تفتح مرة أخرى

في ليلتك الفضية

إذا لم تكن موجودة

فأنا أريد أن أغنى من أجلك

ما دام شبابي باقيًا

نودَ قلبي ! ... نارَ حبي !

محمد أمين صموئيل

٢ — الترجمة النظامية

أمنحوني أيها الخللانُ عذراً ليس لي ذنبٌ بخلق النافذة

ليس لي ذنبٌ، فكم قد ملأناها بفرامى أغنيائي الآخذة

إنها الآن إلى الشارع تمضي وهي من غيرك تفتي ما جميلة

هي تفتي دونَ إشرافك إن لم
 لم لم تفتحي من بعد غلق
 وجد قلبي المشعل المجنون سُكراً
 بلغها أني عبدٌ هواها
 إن تشأ خدعي فلي بعد يد
 أصدقائي وأعزائي أ وداعاً
 فحال مرة أخرى لمثلي
 أتركوني هاهنا في عزلي
 رافعاً صوتي قوياً داوياً
 قطعت قلبي بوحشيتها
 لغنائك أنت المنتهي
 نور قلبي ! ... نار حبي !

أحمد زكي أبو شادي



الهوى والسلام

للشاعرة إيلا هويلر ولكوكس

ملاكان ينشر سره الال
 هما رحمة هبطت في القلوب
 ومن عجب أن ثانيهما
 فما التقيا مرة عند قلب
 إذا وقعت مقلتا واحدا
 بروحيهما طيب ما يحمل
 ب ونور من الله يسترسل
 يبادل النعمة الأول
 وآواها بابه المقفل
 على نده شدة ما يجفل

وقد تنطوى فى الأسى لذّةً ويحنو على البومة البلبل
وتأوى إلى البأس بعض الأمانى ويبسم للشعلة الجدول
ويغنى النفيضان من كل أرض ويحطم حاكمه المقول
فإن يطل ملاك السلام يوارى ملاك الهوى معزل
يظلل ما ظل عمر الوجود عدوّن بينهما فيصل
فأما انقضى العمر جال الردى فضمّهما فى الثرى موئل
صالح جودت

سطور حزينة

للشاعر الانجليزى شلى

إنّ الرّيح العانية تدوى وتئنّ
إنّها تنعى « موت الموسيقى » بين الحفول
والدودة الباردة تنهب فى القبر
وردة الشفاء التى رقت عليها القبلات منذ حين

يظلّ الجنين آمناً مادام فى الرحم
وكذلك يجد الهيكل المنحلّ راحته فى القبر
وهكذا مرجعنا إلى حيث ما لنا
عثمانه فنروح البسبوني



THROUGH THE CROWD

The sacred oath we vowed
 Best of lovers to be.
 Across the battling crowd,
 You waved your hand to me !

And I shot thro' the mass
 As my heart ached for you
 And my lips for the glass
 Of lips as fresh as dew !

And I won you at last
 By me, not in my arms .
 You and time go so fast
 And fly - with all your charms !

Ibrahim Nagy

في أدب الشاهنامة

كلمة السيد عبد الحميد العبادي

في الاحتفال بذكرى الفردوسي بمدينة طهران

لا أنعرض في هذه الكلمة الموحزة للشاهنامة من حيث هي ملحمة رائعة بليغة فقد يكون ذلك من شأن غيري . ولست متعرضاً لها من حيث هي كتاب تاريخ مقيد لحوادث ايران القديمة . فليس من شك في أن التاريخ بمعناه العلمي قديماً وحديثاً لم يكن الغرض الجوهري الذي قصد اليه الفردوسي عند ما شرع في نظم الشاهنامة . انما أريد في هذه الكلمة الوجيزة أن أتناول الكلام على الشاهنامة من حيث هي كتاب أدب رائع وحكمة بالغة فهي على هذا الاعتبار كتاب عالمي يتأدب بمطالعة الناس على اختلاف أحوالهم وأجناسهم وأوطانهم وأعصارهم .

ما برح فلاسفة التربية والأخلاق يرون في الشعر عامة والقصص منه خاصة وسيلة من أقوى الوسائل في تهذيب النفوس وتكميل الأخلاق ، وذلك من طريق العرض الشعري البليغ لموضوع رائع جليل يتضامن في عرضه خيال الشاعر وعقله وقلبه . لذلك عول الفلاسفة على الشعر عامة والملاحم خاصة في تحقيق المثل الأخلاقية العليا أكثر مما عولوا على غيره من الفنون الجميلة . ونحن نعلم أن ارسطاطاليس استعان في تنشئة تلميذه الاسكندر بأن أقرأه إبادة هوميروس ، كما نعلم أن المؤدبين من العرب كانوا يروون الناشئة الشعر الحماسي الذي هو أقرب أنواع الشعر العربي الى الملاحم واستعانوا به على تلقينهم أصول المروءة التي تدنى عندهم صاحبها من كمال الأخلاق . والشاهنامة تعد بحق من ملاحم الطبقة الأولى ، وهي والابادة من حيث القوة والروعة الفنية والابداع سواء ، غير أن الشاهنامة عندي تربي كثيراً على الابادة من الناحية الفلسفية الأخلاقية ، فالفردوسي لا يميل أن يبدى القول ويعيده واعظاً ومرشداً وهادياً ، سالكاً حيناً طريق الحقيقة وحيناً طريق المجاز . فليت شعري ما الأصول التي يمكن أن ترد إليها فلسفة الفردوسي الأخلاقية ؟ هي أربعة : الايمان الواجب ، سلامة القلب ، الزهد .

والايمان عند الفردوسي ليس ذلك الشعور الذي يخالط ضعفاء النفوس وخورة الطباع ، ولكنه ايمان الجبارة بعد الملوك والأبطال . والفردوسي يعتمد أن يظهر ملوكه وأبطاله عند استمئاضهم في الظاهر كل أسباب القوة والجبروت في مظهر النقص والافتقار الى عون الله ومدده مبالغة منه في تأكيد ضرورة الايمان في الحياة ورغبة منه في كبح جماح النفوس الطاغية وكسر شررة القلب العاتية . ولا مثل لذلك في الشاهنامة فعند ما خرج الملك (كيخسرو) الى قتال (افراسياب) انتقاماً من مقتل أبيه (سياوخس) جعل يدعو الله أن ينصره عليه . يقول الفردوسي . « وبعد ذلك اغتسل الملك كيخسرو ودخل متعبداً لهم ، وجعل لهم طول ليلته يتضرع الى الله تعالى ويبتهل ويعفر خده في التراب ويستنصره على افراسياب ، ويستعين به عليه فقطع ليلته تلك بالسجود لله تعالى والدعاء » . فلما انتصر كيخسرو على خصمه وفرَّ خصمه من وجهه وأعيد الى كيخسرو طلابه رجع الى الله يستعينه ويستهديه تقول الشاهنامة :

(فاعلم ذات ليلة وأخذ كتاب الزند وخلا بنفسه في مكان خال ولم يزل طول ليلته ساجداً لله تعالى يبكي ويتضرع اليه سبحانه ويقول : « ان هذا العبد الضعيف الموجه القلب والروح طاف الدنيا فسلك رمالها وقفارها وقطع جبالها وبحارها طالباً لأفراسياب الذي أنت تعلم انه سالك غير طريق السداد وسافك بغير الحق دماء العباد ، وأنت تعلم أنني لا أقدر عليه الا بحولك وقوتك فكشني منه . إن كنت عنه راضياً ، وأنت تعلم ولا أعلم ، فأصرفني عنه ، وأطفيء من قلبي نائرة عدوانه وقف بي على سواء الطريق والنهج القويم » .. (وعندما غمر الثلج اسفنديار كان هو وأصحابه في طريق (هفتخوان) ووجد نفسه وهو ذلك البطل المغوار أمام قوة لا قبل له بها فلم يسعه الا أن ينيب الى الله سبحانه . فيقول الفردوسي : (فينبأهم كذلك إذ أظلم الجو واشتدت الريح ونشأت سحابة ، أبرقت وأرعدت وأطبقت عليهم ثلاثة أيام بلياليها ، تهيل عليهم الثلج هبلاً ، حتى امتلأت الأودية فصاح اسفنديار بوجه بشوش وقال : « قد اشتد علينا الامر وليس ينفعنا الآن رجولية ولا قوة ، والرأى أن نلجأ الى من لا ملجأ منه الا اليه ، فانه الكاشف للضر والقادر عليه ، فاجتمعوا وورفعوا أيديهم وتضرعوا الى الله تعالى مبتلين ودعوه دعوة الصادقين فسكن الهواء وانجملت السماء)

والأصل الثاني من أصول الفلسفة الأدبية للشاهنامة هو القيام بالواجب ، والشاهنامة تعني بذلك الأصل الذي هو قوام الحياة العملية أهم عناية ، فأعظم ملوك الشاهنامة أقومهم بواجبه . وواجبه نحو رعيته العدل والحلم والسخاء وترك الاستبداد ، فإذا ما حاد الملك عن هذه السنن جفت الألبان في الضروع ولم يأزج المسك في النوافج ، وشاع الزنا والربا في الخلق ، وصارت القلوب قاسية كالخجر الصلب ، وعانت الذئاب وخربت الانس وتخوف ذوو العقول من ذوي الغواية والجهل ، ووصية كسرى أنوشيروان لابنه هرمز حافلة بتلك الآداب الملكية التي تزي في صراحة ووضوح ما يجب على الملك نحو نفسه ورعيته .

وبطولة أبطال الشاهنامة تستند الى شعور قوى بالواجب : أنظر كيف لي رسم طلب (جيو) انتقاذ ابنه (ييزن) وكان مقيداً مغلولاً في مطمورة مظلمة بتوران وقوله له : « لا تهتم فاني لا أحط المرج حتى آخذ بيد ييزن وأضعها في

يدك». وانظر الى قول جيو للملك ان: «امى ما ولدتنى إلا لطاعتك وتحمل المكاره فيما هو سبب راحتك. وهأنذا أشدّ وسطى في امتثال أمرك ولا أسلك إلا سبيل خدمتك ولو أمطر الهواء على ناراً وتحولت الاسفار في عيني شقاراً» وقول (كستهم) ليزن وهو موجود بروحه جريحاً بيد الفارسين الثواريين للذين قتلها: «أيها الحبيب الناصح ألا تحمل على نفسك كل هذا، فانه أشد على مما أنا فيه، واستر جراح رأسى بالترك، واجتهد في حملى الى حضرة الملك فان قصارى بغيتى وغاية امنيتى أن أنزود منه بنظرة وأقر عيني بطلعته ولو لحظة. واذا مت بعد ذلك مت وليس في قلبى حسرة. فاقى لم أولد إلا للموت، ومن أدرك أمه فكأنه لم يمت، وأيضاً تجهد فلعلك تستطيع أن تحمل هذين العدوين اللذين أهلكهما الله على يدى الى المعسكر. وان لم تقدر فاحمل رءوسها وعدتها حتى تعرضها على الملك ليعلم انى ما هلكت في غير شيء».

ثم ان روعة شخصية المرأة في الشاهنامة تقوم على استكمالها حفظها في الأوثى والوفاء لزوجها كما يؤخذ من نواح (تهسته) على ابنها (سهراب) ووفاء (منبزة) لزوجها (يزن) في محنته.

وكما نرى الشاهنامة وجوب القيام بالواجب من حيث هو فضيلة أساسية للحياة الفاضلة فإنها تدل بالأمثلة المحسوسة والوقائع المادية كيف يؤدى الواجب: فالواجب ينبغى أن تؤديه محلى باحسن آداب السلوك من جد ورفق وحلاوة خلق وضبط نفس ورقة شمائل. والحق ان بطل الشاهنامة من يعرف عند العرب من الرجال (بالكامل) وعند الغربيين (بالجنتلمان). نعرف ذلك من الحوار الذى دار بين بطل الشاهنامة رستم واسفنديار عند ما لج بينهما اللجاج، فهو ينم عن نبل الخلق وسراوة النفس. يقول رستم مخاطباً خصمه اسفنديار: «انى طالما كنت أتمنى على الله أن أرى الشهباء قادماً على حتى أجالسه وأفوضه واستشهد الله ولا يستشده كاذباً إلا من يكون لحبل الفؤاية جاذباً الى. لو رأيت سياوخي لم أسر برويته سرورى برؤيتك... فترل اسفنديار واعتنقه ودما له وأثنى عليه. «وقال أحمد الله حين أقر عيني بطلعتك وكحل ناظرى برؤيتك» فاستضافه رستم وسأله اجابة دعوته واكرامه بمنادمته ومعاشرته، فلما لم يجب اسفنديار تلك الدعوة بعد الوعد باجابتها حى الخصام بينهما ولكن في أدب وضبط نفس بالغين. فيقول رستم معاتباً اسفنديار: «انك تعظمت ورفعت قدرك عن المصير الى، وكأنك تستصغرنى في شجاعتي وتستخفّ بى في رأى

وأدبى ... وأراك بتلمقى اليك وتواضعى لك قد ظننت الظنون وتوهمت أن فعلى ذلك عن ضراعة وعجز واستكانة ، وأنا أكره قتالك لما أرى فيك من الابهة والجلالة . ثم انظر بأى قلب وأية شمائل يخاطب رستم الغزالة التى كان تتبعه لها سبباً فى وقوعه على عين ماء روى منها بعد أن كاد يهلك عطشاً . فهو يدعو لها ويقول : « لازلت يا غزالة الريف تقيئين الى الظل الوديف ، وتكرعين فى الزلال المعين وتقلبين بين الورد والياسمين وأبما قوس راعك أنباضه فلا زالت منقطعة أوتاره ، فانك سددت رمقى وشفيت غلى » .

والأصل الثالث من أصول فلسفة الشاهنامة الأدبية طهارة القلب وشرف العاطفة : فالفردوسى يحننا فى غير موضع من كتابه على أن ننفي عن قلوبنا أدواء الحقد والحسد والضعينة وأن نشربها شريف العواطف وكريم المنازع . يقول رستم لاسفنديار « وطهر قلبك بفضيلة الرجولية من دنس الداء الدفين » . والفردوسى لا يكتفى بأن يندب قارئه الى تطهير قلبه ، بل لقد يتولى هو بنفسه ذلك فى غير موضع من الشاهنامة ، وهو يستخدم فى تحقيق هذه الغاية طريقة العرض التراجيدى التى نلاحظها فى أكبر الملاحم والقصص قديماً وحديثاً ، نلاحظها فى الآثار الأدبية لهوميروس وسفوكليس وإسخيلاس وشكسبير وملتن ودستوفسكى وذلك أن يعمد الشاعر الى حادث رائع منقطع فيعرضه عرضاً فنياً قوياً راجعاً من وراء ذلك أن يهز قلب القارئ ويمخضه فيكون ذلك بمنزلة الدواء المرّ يتجرعه المريض على مضض فتكون فيه سلامته من علته ، وقد بلغ الفردوسى بسلوكة هذه الطريقة اسمى غايات الفن ، وأتى من رائع القصص ما يشفى القلب حسنه ويسحر اللب بيبانه . انظر كيف يعرض قصة قتل رستم ابنه سهراب وهو يجهل أنه ابنه . تقول الشاهنامة : (... ثم تناوشا الحرب وتطاعنا حتى انتثرت كعوب رماحهما فاستل كل واحد منهما سيفه وتضاربا وكأن النار تمطر من سيوفهما . ولم يزالا حتى تكسرت سيوفهما . فذا أيديهما الى عموديهما ورفعاها وجعلا يتضاربان ويتقارعان حتى تمزقت الادراع الموضوعة على أكتافهما وتقطعت التجانيف على خيلهما ، فضعفا ووقفت دوابها وبقيا من العرق غريقين ومن العطش محترقين ، فوقف الأب فى جانب والابن فى جانب آخر ينظر أحدهما الى الآخر . فيأعجبا ! كيف انسدت

دونها أبوابُ التعارف ولم تتحرك بينها عروق التناسب؟ والابل مع غلظ أكبادها تعطف على أولادها والطيور في جوِّ السماء والحيتان في قعر الماء لا تنكر أولادها وأفراخها. والانسان من فرط حرصه يخفى عليه فلذة كبده ويستنكر قرّة عينه ولا ينزع الى ولده (١) ثم يقول رستم: «لم أرَ قط قتالاً بهذه الصفة. ولقد انقطع رجائي في رجوليتي» فاذا ما استأنفا القتال قال سهراب لرستم وهو غير عالم بأنه أبوه: «انى أرى أن تخلع الجوشن ونطرح السيف ونكف عن القتال فان قلبي يميل كل الميل اليك وان وجهي ليغمره الحياء منك». ولكن يخيب رجاء سهراب ويعود الأب وابنه الى القتال فيغلب الأب ويصرع ابنه ثم يسلّ خنجره فيشق به حلقه ثمّ يتبين له بعد أنه انما ذبح ابنه فيشقّ جيبه ويضرب صدره وينتف شعره ويندب ولده ويحاول استنقاذه من برائن الموت فتقد لوعة الحزن في صدر رستم ويصبح من فرط العذاب: «من الذى أصيب بمثل ما به اصبّت؟ ومن الذى فجّع بمثل ما به فجعت؟ قتلت ولدى حين شاب رأسى وانقضى عمرى».. ان القارئ ليتابع مشاهد هذه القصة الرائعة وقلبه يتوثب في صدره فرقاً وذعراً. فاذا ما بلغ الى الكارثة الأخيرة فقد لا يملك دمعته أمّى وحزناً.

وهذا الذى قصد اليه الشاعر بهذه القصة الفاجعة الرائعة رغبة منه في أن ينفي عن قلب القارئ الجفاء والقسوة وأن يغمره بأسمى المعاطف ويمكن فيه لأكرم المنازع.

ولا يقف الفردوسى عند هذا الحدّ من تهذيب قارئه فهو يمتهد في أن يروض نفسه ويكبح من جماحها بأن يجلوها في أقوى تصوير وأبرع تعبير تقلب هذه الدنيا وتحول أحوالها وتصرفها بالناس تصرفاً قد يسوء ضعاف النفوس ولكنه لا ينال من النفوس القوية التى تعلم أن ذلك ناموس عام مطرد لا معقب لأحكامه وهو على مادته يختار أقوى شخصياته فيجعلها مناط فلسفته واماياً بذلك الى أن تأخذ الدنيا كما هي فنفرح بها اذا هي أقبلت ولا نأسى عليها اذا هي أدبرت. وان فلسفته من هذه الناحية لترجع فلسفة الرواقيين من الاغريق الذين يريدون أن تجرد من العاطفة جملة فلا تفرح ولا تحزن، ولا نفضب ولا نعتب. أنظر كيف يصف الشاعر مصير الملك أفراسياب عند ما قلب الزمان له ظهر الحين وتنكر له وجه القدر فأل أمهره الى أن وقع أسيراً في يد رجل حاند فشدّ وثاقه بزناره واضطره الى أن يخاطبه

بقوله « أيها العابد ! ما تريد من رجل اختفى في مغارة ضيقة ؟ » فلما عنقه العابد بما احتقب من أوزار قال : « بهذا جرت على أقلام قضاء الله في الازل . ومن المعصوم في هذه الدنيا الغدّارة من الزلل ؟ فارحم عاجزاً ظلم نفسه كثيراً ، واعطف على مَنْ كان ملصكاً كبيراً ، فصار هكذا بين يديك أخيراً ! وإن كنت لا تمن عليه بالاطلاق فخل عنه قليلاً من الوثاق » وان مصير الملك دارا واغتيال عبديه له تقريباً بدمه الى الاسكندر ليجرى مجرى قصة افراسياب من حيث الدلالة على قلب الدنيا ، وهم ترينا الفردوسى جبرياً يرى أن الانسان لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً بل هو رهين مشيئة الأقدار .

وإذا كان ذلك دأب الدنيا فجدير بالعاقل أن يزهد فيها وألا يحرص عليها . والزهد في هذه الدنيا هو الأصل الرابع من أصول فلسفة الشاهنامة . والفن دومى لا يألو جهداً في أن يصرف قلوبنا عن أن نغرم بالدنيا وتفتن بزخرفها ولكن تبقى غير اخلال بالواجب الذي يفرضه علينا وجودنا فيها . أنظر الى تصويره تسمية - الملك كيخسرو عند ما انتقضت نفسه وأزمع التخلي عن الملك والذهب في الأرض فقد عهد الى ابنه مهرباب وأوصاه وودع أكابر الدولة وأهل قصره (ثم سار ... وصحبه رؤوس الابرانيين ... وسار الى أن صعد الى جبل فأقاموا عليه أسبوعاً وخرج في أثره نساء الابرانيين ورجالها زهاء مائة ألف نفس يبكون ويضعجون حتى طن بصياحهم وغويلهم السهل والجبل . ثم بعد أسبوع أشار الملك على الأكابر والسادات بالانصراف من ذلك المكان ، وقال « أن أماننا طريقاً صعباً لا ماء فيه ولا عشب » فانصرف دستان ورستم وجوزرد ولم ينصرف عنه الباقيون فصار الملك وساروا معه حتى وصلوا الى ماء فنزلوا هناك وقال لهم الملك « اذا طلعت الشمس غداً حان وقت المفارقة » فباتوا ليلتهم عند العين . ولما كان في الثالث الأخير من الليل قام الملك ودخل العين واغتسل ثم ودعهم . وقال « ان الثلج غداً يسدّ عليكم الطريق فلا تهتدون الى الرجوع الى ايران » ولما طلعت الشمس ركب الملك وغاب عن أعينهم) .

ورصف حديث الاسكندر الملك الشاب الفاتح الطموح مع أهل مدينة البراهمة المنقطعين عن الدنيا الراضين فيها بأيسر أمرها . ترى الى أى حد يذهب الفردوسى في تقرير فلسفته القائمة على العزوف عن الدنيا وعدم الاغترار بخلب برقها وجهام سحابها .

ان الفردوسى ليرسم للحياة الفاضلة فى الشاهنامة منهاجاً واضحاً جلياً معالمة
أربعة أمور : الايمان ، والعمل ، وطهارة القلب ، والزهد فى الدنيا

فتيات اسمرن

(عن الفرنسية من وضع لابرير)

مَدِينَةُ اسْمَرْنِ ماذا أرى جالٌّ يفوق حدودَ الجمالِ
بها عادةٌ تَسْتَبِيحُ القلوبَ وتلهو بكل عقولِ الرجالِ

أبْمِيرُ التى حَسَدَتْهَا البدورُ على الحسنِ بل حَسَدَتْهَا الشُّمُوسُ
إذا خَطَرَتْ ففى سِحْرِ الحياةِ أو الخِرْ قد لَبْتُ بالرُّؤُوسِ

تُفَاخِرُ بالحُسْنِ وهى الفَخَارُ وتَضْحَكُ مِنْ مُبْكِيَاتِ الهوى
إذا لَحَتْ نَحْوَهَا مُغْرَمًا تولَّتْ وأصلته رَاى الجوى

وما عَرَفْتُ مِنْ جَمِيعِ البرابا صديقاً أَحَبَّنُهُ إِلَّا أَخَاهَا
وأخرى يُقَالُ لها إِفْرُزَيْنُ صديقها كلُّ يومٍ تَرَاهَا

فتاتان بين المُنَى والصفاء أقام على الوُدِّ قلباهما
ولو سَأَلَ الناسُ أبين الأَخاء لما عَرَفَ الناسُ إلا هَما

وهامَ بها كاهِنٌ مَرَّةً فألهته عن جوبتيرِ الآلهة

أحبَّ فردته عن حُبِّها كما ازند سَهْمٌ على مَنْ رماه

وفاتحها مستهامٌ عجوزٌ فأقصته حيرانَ يشكو الضنى
غنىً ولكنَّه جاهلٌ إذا القلبُ لا يشتري بالغنى

ولكنَّها قبلت أن تراه وياليتها لم تكن تقبلُ
أنى وابنه معه زائراً فتى يستنيرُ به المنزلُ

وفيرُ الشباب قليلُ الكلام فليس يُبين ولا يُخج
لقد صدَّه من أبيه الحياة أو التيه وهو به أجد

أيا إفرزين ألا تذكرين فتى كان في بيتنا زائراً
وليس يُبالي بحسنى العظيم ثأنى أراه به ساخراً؟

هنا سكنت أختها إفرزين وغابت زماناً عن المنزل
وإيميرُ في باطل الكبرياء تقيم على عهدِها الأول

فأيقظها نبأ جاهلٌ وقولُ إشاعٍ وأمرٌ يقينٌ
يقولون إن الفتى (استفون) سعيدٌ بزجته إفرزين

لقد سَعِدَا أولاً بالغرام وقد سَعِدَا ثانياً بالوظفِ
مدينة أسمرن تهدي الزهور أكاليلَ بين المنى والهتافِ

إِيْمِيْر جَهْلَتِ الْهُوْىَ بِإِيْمِيْرُ فذلُّ الْهُوْىَ فَاقَ عِزَّ الْجَمَالِ
يُذِلُّ الْإِيْمِيْرَ بِسُلْطَانِهِ وَيُخَضِّعُ أَسَدَ الشَّرِّ لِلْعِزِّ الْوَالِ

لَقَدْ ذَهَبَتْ لِلنَّماسِ الْعِزَّاهُ تَرُومُ أَخَاهَا حَبِيْبًا لَهَا
فَأَنْقَعَهَا بِانْقِطَاعِ الرَّجَاهِ وَفِي الْحَالِ مُرْمَانٌ مَا رَدَّهَا

لوحة إيمير

مَدِيْنَةُ إِيْمِيْرُنْ كُونِي جَمِيْأً وَيَا لَجَسِّ الْبَحْرِ كُونِي دُمُومًا
وَيَا عَقْلُ سِرِّ حَيْثُ سَارَ الْفَوَادُ وَلَا تَرْجِعَا بِصَوَابِي جَمِيْأً

أَنَا الْآنَ فِي رَاحَةٍ مِنْ جُنُونِي وَعِنْدَ انْتِبَاهِي يَعُودُ الشَّقَاءُ
لَقَدْ ضَاقَتْ الْأَرْضُ عَنْ شَكْوَتِي فَيَا رَبِّ هَلْ ضَاقَ وَجْهُ السَّاءِ؟

وَلَوْلَا جَنَائِي كَيْدِي عَلَى لَكُنْتُ امْتَلَكْتُ جَبِيْنَ الزَّمَانِ
فَقَدْتُ جَمِيْعَ الْمَنَى مِنْ يَدِي وَهِيَهَاتُ هِيَهَاتُ فَاتِ الْأَوَانِ !

الصاوي على شعره

❦

ايماءات الأبدية من ذكريات الطفولة الأولى

للشاعر الانجليزى ورد زورث

(الطفل أبو الرجل ، واني لأرجو أن ترتبط أيامي برباط التقوى الطبيعية)

لقد أتني على وقت كنت أرى فيه المراعى والحراج والمجاردى والارض وسائر
المرائى منسحة بالأنوار السماوية كأنها مجد وبعث حلم . وهى الآن غيرها بالأمس .

دُورِي كَيْفَمَا شَتَّ لَيْلاً أَوْ نَهَاراً ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي شَاهَدْتَهَا سَوْفَ لَا أَرَاهَا مِنْ جَدِيدٍ .

قَوْسٌ قَرَحَ بَيْنَ ثَمَّ يَخْتَفِي . جَمِيلٌ ذَلِكَ الْوَرْدُ . إِنَّ الْقَمَرَ يَنْظُرُ حَوْلَهُ مَبْتَهْجاً عِنْدَ مَا تَصْفُو السَّمَاءُ مِنَ الْغَيُومِ . مَا أَجَلَ الْمِيَاهِ فِي اللَّيَالِي الْمُرْصَعَةِ بِالنُّجُومِ ! إِنَّ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِيلَادٌ عَظِيمٌ .

وَلَكِنِّي أَدْرِكُ مَعَ ذَلِكَ حَيْثَمَا ذَهَبَتْ أَنْ مَجْداً قَدْ تَوَارَى عَنِ الْأَرْضِ .

وَالآنَ بَيْنَمَا الطُّيُورُ تَنْشُدُ أَنْشُودَةَ الْفَرَحِ ، وَصَفَارُ الْخُرَافِ تَنْغُو وَفَقِ أَصْوَاتُ السَّاقِيَةِ ، هَتَفَ بِي هَاتِفُ الْحُزْنِ وَحْدِي . وَلَكِنَّ الْكَلَامَ أَتَقَذِّنِي مِنْ سُلْطَانِ هَذَا الْفِكْرِ وَعَادَتِي إِلَى قُوَّتِي . ذَلِكَ أَنَّ أَبْوَاقَ الشَّلَالَاتِ تَدْوِي فِي مَسَاقِطِهَا . لَنْ يَعُودَ الْحُزْنُ يَعْكَرُ عَلَيَّ جَمَالَ الرَّبِيعِ .

أَسْمَعُ الْأَصْدَاءَ تَزْدَحِمُ خِلَالَ الْجِبَالِ ، وَالرِّيَّاحُ تَهْبِطُ عَلَيَّ مِنْ حَقُولِ النَّوْمِ ، وَكُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ فَرَحٌ طَرُوبٌ .

الْأَرْضُ وَالْبَحْرُ قَدْ اسْتَسْلَمَا لِلْفَرَحِ ، وَكُلُّ الْحَيَوَانَاتِ فِي قَلْبِ الرَّبِيعِ . يَا ابْنَ الْفَرَحِ فَلْتَهْتَفِ حَوْلِي !

دَعْنِي أَسْمَعُ هَتَافَكَ أَيُّهَا الرَّاعِي السَّعِيدُ !

أَيُّهَا الْمَخْلُوقَاتُ الْمُبَارَكَةُ لَقَدْ سَمِعْتَ تَنَادِيكَ .

إِنِّي أَرَى السَّمَاءَ تَضْحَكُ مَعَكَ فِي يَوْمِ عَيْدِكَ .

قَلْبِي يَطْرِبُ لِعَيْدِكَ وَتَعْلُو رَأْسِي أَسْوَاطُ الْكَلِيلِ الْفَرَحِ .

إِنِّي أَشْعُرُ بِكَامِلِ غَبْطَتِكَ . أَشْعُرُ بِهَا جَمِيعَهَا .

أَيُّهَا الْيَوْمُ الْمَشْتُومُ ! لَوْ كُنْتُ وَاحِداً سَاهِماً حِينَمَا الْأَرْضُ تَنْفُسُهَا تَزِينُ صَبَاحَ الرَّبِيعِ الْحُبُوبِ وَالْأَطْفَالُ يَتَدَفَّقُونَ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ تِلْكَ الْأَوْدِيَةِ الْبَعِيدَةِ الْمُنْتَسَعَةِ كَأَنَّهُمْ أَزْهَارُ نَضْرَةِ وَالشَّمْسُ تَشْرِقُ دَافِئَةً ، وَالطِّفْلُ يَقْفِزُ عَلَى ذِرَاعِ أُمِّهِ . فَانِي أَسْمَعُ . فَانِي أَسْمَعُ وَغَبْطَةً .

ولكن هناك شجرة لكثير لواحد . حقل بمنزل وحيد قد أشرفت عليه ،
كلاهما يتحدث عن شيء مضي . زهرة البنسيه عند قدمي .

إن القصة عينها تتكرر .

أين توارى الضوء الخيالي ؟

أين هو الآن ، المجد والحلم ؟

إن ولادتنا ما هي الا نوم ونسيان ، وروحنا التي تنهض معنا ، نجم حياتنا
كانت تسكن مكاناً آخر ثم أنت من ذلك المكان البعيد . ليست منسية تماماً ،
وليس عارية كلها ، ولكنها جاءت نجرّ وراءها سحب المجد الذي نستمد منه من الآله
الذي هو ملجأنا

لقد أحاطت السماء بنا في مهدنا .

أما ظلال البيت الشبيه بالسجن فتطبق على الطفل النامي .

ولكنه يشاهد النور ويراها عند ما يفيض وسط غبطته وسروره .

والشاب الذي يحتم عليه أن يعتمد كل يوم عن المشرق^(١) فيظل كاهن الطبيعة
تحفّ به تلك الرؤيا الرائعة ، ولكنه لا يلبث أن يشعر وهو رجل أن هذه الرؤيا
قد ذهبت وتلاشت في ضوء اليوم العادي .

تملاً الأرض حضنها بمباهجها وهي تفيض بالآشواق والعطف الطبيعي . أما
المربية في المنزل فتعمل كل ما يمكنها حتى أنها تتخذ بعض طباع الأم في غرض غير
تافه لتجعل طفلها المتبني ورجلها الذي تقيم معه ينسى المجد الذي عرفه والقصر
الملكي الذي جاء منه .

أنظر إلى الطفل وهو غارق في سعادته الجديدة . ستة أعوام محبوبة من عمر
ذلك الصغير .

(١) أي يلاذه الذي يشبهه بمطلع الشمس .

أنظر اليه وقد نام بين لعبه التي صنعها بيديه وضاق بتيار قبلات أمه وأشرق عليه نور من عيني أبيه .

أنظر عند قدميه : قد رسم رسماً أو بعضاً من أحلامه البشرية قد شكلها بفنه الحديث عرساً أو وليمة ، مناحة أو جنازاً .

هذا ما يملك له ، وفي هذا ينظم أنشودته .

ثم يعود لسانه الى محادثات العمل والحب والجهاد .

ولكنه لا يلبث أن يطرح هذه جانباً .

وبفرح وكبرياء جديدة يبدأ الممثل الصغير يدرس دوراً آخر فيلأ من وقت لآخر مسرحه الفكه بجميع الأشخاص حتى المجزة التي تجرفها الحياة في طريقها ، كأن كل غرضه محاكاة مستمرة .

يا من ينم مظهره الخارجى على عظم روحه ! يا أحسن الفلاسفة ! يا من يحفظ تراثه ! إن عينك تستطيع أن تقرأ ذلك السر الأبدى بين العمى فى صمت وسكون وحوالك يطوف العقل الخالد .

أيها النبى الجبار ! النبى المبارك الذى تستقر عنده تلك الحقائق التى نشق حياتنا فى البحث عنها حتى نذهب ببدأ فى الظلمات ، ظلمات القبر الموحش .

أنت يا من يماودك خلودك ويعلو عليك كالיום الآخر ! سيد بجانب عبد . وجود لا يمكن أن يبارى . انك تنظر الى القبر كأنه مثوى منزى مسلوب ضوء النهار وحرارة النور كأنه مكان للفكر حيث ننام منتظرين .

أيها الطفل الصغير العظيم فى حمى وليدة السماء - الحرية - التى ترفرف عليك لماذا تثير السنين بتلك الآلام المضنية لتجلب ذلك النير المحتم وتحارب سعادتك فى غير تبصر ؟ إن روحك ما تكاد تندمج فى الآلا وتسلط عليك المادة بأعبائها الثقيلة كالجليد ، العميقة كالحياة .

أيها الفرح المستقر فى رماد أجسادنا ! ان الطبيعة لتذكر ما قد شرد منها وغاب ، وان ذكر الأعوام السالفة تبعث فى نفسى بركة دائمة . إني لا أرفع أنشودة

الشكر والثناء من أجل تلك التي يجب أن تمجد الغبطة والحرية وعقيدة الطفولة البسيطة قلقة كانت أم هادئة بأمل حديث المهد لا يزال يصطخب في صدره ، ولكن من أجل هذه الأمور المتشبهة بالحس وظواهر الأشياء وما يتساقط منا وما يتوارى عنا ، وشكوك الخلق الزائفة تطوّف في عوالم غير محققة وغرائز سامية تقف أمامها طبيعتنا الفانية مرتجفة كأنها شيء أثيم مذهول .

من أجل تلك المحبة الأولى وأطياف الذكريات التي هي — فلنكن ما نكون — بنوع نور لكل أيامنا والضوء المتسلط على أنظارنا ، والتي تنظر إلينا وتحفظ وتستطيع أن تجعل سنينا الصاخبة تظهر كأنها لحظات في حياة الصمت الخالد ... إن الحقائق التي تستيقظ لا تنفي أبداً ، هذه الحقائق التي ليست كسلا ولا نشاطاً جنونياً ، وليست رجلاً ولا طفلاً ولا أي شيء عدو للفرح ، تستطيع أن تنسخ أو تدمر حتى لو كنا في فصل هادئ الطقس متغلغلين في اليابس .

فأرواحنا التي ترى ذلك البحر الخالد الذي قذف بنا إلى هنا تستطيع في لحظة أن تذهب بنا إلى هناك ، وترى ملاعب الأطفال على الشاطئ وتسمع المياه الجبارة تصطخب أشدّ وأكثر ...

إذن فلتغنّي أيتها المصافير ! غنّي ، غنّي أنشودة الفرح ! ودعي صفار الخراف تجتمع على أنغام الساقية ، فأننا سنشاركك بأفكارنا . أنت التي تصفرين وأنت التي تلمعين وأنت التي تشعرين اليوم بفرح الربيع يسري في قلبك ! ومع أن ذلك الضوء الذي لمع مرة قد اختفى الآن من أعيننا إلى الأبد .

ومع أنه ما من شيء يعيد إلينا ساعة الروعة في الحشائش ، والرواء في الأزهار ، فأننا لا نبئس ، بل إننا نجد قوة فيما تبقى خلفها في ذلك الشعور المتبادل والمطف الأول الذي يجب أن يكون كما كان في تلك الأفكار المسكنة التي تنبت من الألم ، وفي تلك العقيدة التي تبرز خلال الموت ، وفي السنين التي تكون العقل الفيلسوف .

أيتها الينابيع والمرامح والتلال والحراج لا تنذري أحبابي بسوء ، وإن كنت أشعر به في قرارة قلبي بسلطانك ! لقد هجرت ذلك البهاء لأعيش تحت سلطانك الدائم

إن جداول الماء التي تحفر مجاريها أحب إلى من وطء الأرض بأطراف أصابعي .
 إن البهاء البريء لليوم الجديد محبوب ، ولكن السحب التي تتجمع حول الشمس
 الغاربة تنتزع اللون الهاديء من العين التي راقبت فناء الانسان .
 فنزع كان وأنواع أخرى تكتسب .
 شكراً للقلب البشري الذي به نحيا
 شكراً لرقته وأفراحه ومخاوفه

إن أحقر الأزهار التي تنشر أريجها تبعث في أعماق الأفكار التي تستدرّ الدموع !

شرح وتعليق

من الصعب أن ندرك كل ما عناء وردزورث في هذه القصيدة فهي تبدو دقيقة
 الفهم بعيدة الإدراك ولكنها تدنو منا شيئاً فشيئاً كلما تعمنا في استيعابها .
 نميل هذه القصيدة في أغراضها غير المباشرة الى الاعتقاد بأن الروح خالدة تعيش
 للأبد . وقد أدرك الشاعر هذا من ذكريات طفولته الأولى ودقة ملاحظاته لسائر
 الأطفال الآخرين .

قال بعض الناس إن وردزورث يثير فينا أعماق الذكريات فنشعر عند قراءته أننا
 نعيش مرة أخرى في عالم طفولتنا الغامض الجميل .

يفصح وردزورث في مستهل القصيدة عن ذلك الشعور الذي استولى عليه وهو
 أن الحياة كما ظهرت له في الطفولة فقدت في بعض نواحيها نورها ومجدها ، فبالرغم
 من أنه لا يزال يرى جمالاً في الطبيعة وفي الأشياء المحيطة به إلا أن « مجدداً قد
 توارى عن الأرض »

ثم يشرع في دراسة هذه الظاهرة التي تكشف له فيتساءل : لم يكون هذا صحيحاً؟
 وعندما يتمكن من الاطّاعة بهذا السؤال يرى سعادة حياة الطفولة حوله ويحكم
 بأن « هاتف الحزن قد هتف به وحده » . هو يعتقد أن هذه هي حالته الخاصة وليست
 حال جميع الناس ولذلك يحاول أن يتخلص من ذلك الشعور أو ينفذ عنه هذا الاعتقاد
 وينغمس في «روح المخلوقات المباركة التي تحيط به» . ولا يلبث - بعد أن يقف على جانب
 من الطبيعة في صورها المختلفة وسعادة حياة الطفولة حيثما ذهب - أن ينجح في
 اقناع نفسه أن هذه كانت حالته الخاصة التي أنت له بخاطر الحزن .

ثم تقع عينه على شيء معين : شجرة ، حقل ، زهرة البنسيه . ويدرك أثر كل هذه في نفسه واختلاف شعوره تبعاً لاختلافها ، فيعتقد أنه لم يكن خاطئاً وأن مجداً حقيقياً قد توارى عن الحياة .

ثم يعجز الشاعر عن أن يفصح عن هذا التغيير فيترك القصيدة عند هذه النقطة ولا يرجع إليها إلا بعد عامين .

ففي المقطوعة الخامسة « إن ميلادنا ماهو إلا نوم ونسيان... » يتدبر الموضوع من جديد ويأتي بجمل لهذا السؤال فيعتقد أن الروح ما دامت تعيش بعد الموت فيجب أن تكون قد عاشت قبل هذه الحياة القصيرة على الأرض ، وأن الطفل عند ما يولد تأتي روحه من ذلك العالم الجليل « ولكن نجرّ وراءها سحب المجد الذي تتلقاه من إلّها : ملجأنا » .

وعلى هذا فهو في طفولته قريب جداً من مجد العالم أى أن نور العالم ومجده يحيطان به . وعند ما يتقدم به الزمن ويصل الطفل الى دور الشباب ثم الى دور الرجولة تبدأ الدنيا تمسك به وتطبق عليه ويفقد شيئاً فشيئاً المجد الذي عرفه حتى يدرك الرجل أخيراً أن مجده قد تلاشى في حياة اليوم العادى ثم يصف لنا الشاعر كيف تأخذ الأرض ابنها المتبنى وتدعيه لنفسها وعلى ذلك فهو ينسى ذلك القصر الملكي الذي جاء منه .

فهذه الأشياء التي تحدث في مجرى حياة الرجال والنساء تكون شغلهم الشاغل . أما الطفل فيأخذ هذه الأشياء كلعب ثم لا يلبث أن يقع تحت أعبائها الثقيلة كالجليد ، العميقة كالحياة . وهكذا يبتعد شيئاً فشيئاً عن مجد العالم ويقترب أكثر فأكثر من سلطان الحياة وعاداتها .

وعند ما تقترب من آخر الحياة ندرك جمالا أكثر جدة مما عرفنا في الماضي فننبين أن سنى حياتنا المضطربة ليست إلا لحظات في حياة الروح العظيمة التي عاشت قبل أن تأتي الى عالمنا الأرضى وستعيش بعد هذه الحياة الأرضية .

وعلى هذا كانت هذه الالبامات للطفولة الأولى آراء وحلقات في سلسلة الالبات الذي يقوم على خلود الروح ؟

نظمى خليل

(بكالوريوس في الأدب الانجليزي)



الغزل يسه جريير والفرزدق

(١) غزل جريير عفة ، وغزل الفرزدق فسق

خرج جريير من طبقات الشعب وفاخر ثمانين شاعراً فغلبهم بأب كان يمحض
ضرع المنز مصاً لئلا يسمع صوت الحلب فيطلب الناس منه لبناً ! ومهما يكن نصيب
الرواية من المبالغة فلا شك في أن جرييراً كان فقير الحال وضع النسب ولم يكن في
أهله وعشيرته ما يفتخر به

ورأس مال الشريف في الحياة شرفه يحترمه الناس لأجله ، ورأس مال الغني
ماله يحبه الناس من أجل ماله ، أما رأس مال الفقير فأخلاقه ، وأما رأس مال الوضع
فعفة يتحلى بها ، حتى إذا لم تكن رذلة الناس واحتقروه ، وطمعوا به وأبغضوه . ولذلك
تعهد جريير جرثومة العفة في نفسه ورباها وتحلى بها وأتماها فكانت له زينة رفعت
من قدره في أعين العامة والخاصة .

وأحب جريير زوجته ، ولعلها كانت امرأة فاضلة أهلاً للحب فأثرت فضيلتها في
حياته . والمرأة الفاضلة لا تقوم بشمن ، ولعلها كانت تلطف من حديثه وتقوده الى
الفضيلة . ولنا من توبيخها ولدها عندما عقر أباه دليل على عفتها وتأثيرها . وقد شهد
الفرزدق بنفسه وعفة جريير وكفى بالخصم شاهداً ، قال : « ما أحوج جرييراً مع عفته
الى صلابة شعري ، وما أحوجني الى رقة شعره مع شدة فسقي ! » فلماذا كان
الفرزدق فاسقاً ؟

كان هذا الشاعر شريفاً له من شرف آبائه ما يمنع الناس من احتقاره ، ومن
مجد أجداده ما يحترمه الناس لأجله ، ولم يكن في حاجة الى العفة يتحلى بها ويتخذ
منها رأس مال لحياته . وكان ينحت الشعر نحتاً فأولى به أن يقلد الشعراء ويتشبه

بقائهم ، ولا غرو فذاك أميرٌ وهذا شريفٌ . ومن يسرق الشعر لا يعف عن سرقة
مواقف الشعراء .

ولم يكن الفرزدق موقفاً مع زوجه فلم يرَ في العفة حلية ، وكثيراً ما كان يفسق
بلسانه فقط !

كان جرير عفيفاً يخاف كلام الناس ويخشى شكهم في عفته ، ويفرق من
زيارة الطيف حتى في الليل فيرجعه بسلام على شغفه وحبه ، قال :

طرتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجمي بسلام !

وربما لم يكن في البيت عفة جرير ، ولكن فيه ما يدعو الى العفة ويفرى بها ،
ويبعد عن الفسق والفجور ، وكفى بسكينة بنت الحسين شاهداً على ذلك .

واذا كان جرير عفيفاً فأولى بمن يحبه أن يكون كذلك ، وأولى أن يزوره لما
وأن يكتفى كل منهما بالطيف ، ولعل في طلب العصامين المعالي وصعودهم درجات
المجد والنبوغ ما لا يفسح لهم المجال للانهاك بالملاذات ، ولعل العفة سجية يتحلى
بها بعض الناس دون بعض لولا أن في ذلك تسليماً والظن خير من التسليم . قال جرير :

بنفسى من تجنبه عززته على ، ومن زيارته لمأ

ومن أمسى وأصبح لا أراه وبطرقتي إذا هجع النيام

أما الفرزدق فكان فاسقاً متعهاً يزور حبيبته — وحبيبته متزوجة — ليلاً
في قصرها حتى اذا حاذر دخول المساكن من أبوابها أصعدته حبالها كالسارق !
قال :

فأزلت حتى أصعدتني حبالها إليها ، وليلى قد تخامص آخره

حتى اذا قضى وطره أراد الرجوع فحاذر بوابين يحرسانها وباباً اذا فتح سمع
صوت مساميره ولا يحاذر البواب غير الفسقة الفجار ، قال :

أحاذر بوابين قد وكلاً بها وأسم من ساج تخط مسامره

فاذا دلتاه كما أصعدتاه ولى هارباً والسارق أبداً خائف ، والفاسق أبداً جبان .

قال :

فقلت ارفما الأسباب لا يشعروا بنا ووليت في اعجاز ليل أبادره

(٢) تغلب الرقة في غزل جرير على الطبع

أما الفرزدق فلا رقة ولا طبع

قال جرير : « ما عشقت قط ، ولو عشقت لنسبت نسبياً تسمعه المجوز فتبكي على ما فاتنا من شبابها » . ونرانا نجمل مبلغ هذا الكلام من الصدق ، ونصبيه من الحقيقة المجردة . ولكننا لا نشك في أن جريراً أحبّ والحب غير العشق . وتأثر بجمال المرأة وفضيلتها ، والتأثر غير التحسر . وربما بكى لفراق حبيبته ولكن فنه غلب بكائه ، ونبوغه غلب حبه . وظهر الطبع في غزله ولكن الرقة أظهر ، وغلب الحب على شعره ولكن الفن أغلب ، قال :

ان الذين غدوا بلبك غادروا وشلاً بعينك ما يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لى : ماذا لقيت من الهوى ولقينا ؟!

واذا تكلمت الدموع سكّت اللسان ، واذا تحرق القلب غاض الدمع ، واذا كانت النفوس كباراً كتمن الحزن ، وغيضن الدمع ، واكتفين بالعتاب المر وهو على مرارته حلو ، وعلى تعذيبه لذيذ . وأظهر ما يكون الفن في هذا الاستفهام الانكارى الذى يضم بين جناحيه كل هناء الحب وشقائه .

نقرأ هذا الغزل فيطربنا ، وتندوق ذلك النسيب فيعجبنا . وانما تطربنا فيه تلك الرقة الحلوة ويعجبنا بين سطوره ذلك الفن الجميل . أما ألم الشاعر فبعد فنه ، وأما شوقه فبعد رفته ، وكأنه في غزله شاعر فنان لا عاشق ولهان . قال :

لقد كتمت الهوى حتى تهمنى لا أستطيع لهذا الحب كتماناً
وعبناً يحاول ذو الحب كتمانه فالحب لا يقبل الكتمان ، وعبناً تريد الجبارة قهره فالحب لا يقهر ، ولا عار في ذلك فسلطانه أقوى من سلطان الرشيد :

ما ذاك إلا أن سلطان الهوى وبه قوين أعزّ من سلطانى
وقوته أعظم من قوة القيصر .

ولكن الرقة في بيت جرير على طبعه أظهر من الطبع ، والفن على حبه أقوى من الحب . قال :

لا بارك الله في الدنيا اذا انقطعت أسباب دنياك عن أسباب دنيانا
يا أمّ عثمان ان الحب عن عرض يصى الحليم ويبيكى المين أحياناً

والحبيب الحبيب الدنيا كلها ، ولعنها الله إن لم يكن فيها حبيب . ولكن جريراً على أصابته كبد الحقيقة بسهام فنه لم يقرن القول بالمعل ولم تكن الدنيا عنده حباً كلها .
وليس في البيت الثاني ما يبكي العين مع رفته وجماله ، وليس في غزل جرير كله ما يحزنك لحزنه أو يؤلمك لأنه ، نقرأه فلا نبكي لبكائه كما بكينا لبكاء عنتره مثلاً ، ولا نهتف متألمين : « ما أشقاه ! » بل نصرخ معجبين : « ما أبدع فنه وما أجمل شعره ، وما أرق نسيبه ! »

أما الفرزدق فلا رقة في غزله ولا طبع ، أراد أن يزور حبيته ليلاً لا لأنه عاشق بل لأن امرأ القيس زارها قبله ، وإذا كان امرؤ القيس قد سما إليها سموً حباب الماء فالفرزدق يتجاوز الماء إلى الجبال وكأنه لم يجب ، فكان غزله جافاً لا رقة فيه ونسيبه مصطنعاً لا طبع يحليه ، قال :

ها دلتاني من ثمانين قامة كما انقضّ باز أقتم الريش كاسره

وليس في ذلك الانقضاض غير قوة تخفيف رقيقة الحس ، وتزعج لطيفة الشعور ، وليس في ذلك التدلي فن أو رقة . أما الكذب فأظهر ما يكون في تلك القامات الثمانين . ولسنا ندرى أى شيطان وسوس في صدر الشاعر بها ، ولعل أحداً من المنتظمين لا يدعى بأن العرب عرفوا ناطحات السحاب قبل أميركا بدليل شعر الفرزدق !

(٣) أسلوب جرير حضريٌّ يعني به

وأسلوب الفرزدق جاهليٌّ بدويٌّ

جريرٌ أمويٌّ نشأ في بادية اليمامة ولكنه كان ذا هبة شعرية نشأته من طبقة العامة ، ورفعته عن مقام أمرته ، ولولا تلك الهبة لانصرف جرير إلى شأن آخر ، فكان الشعر طلبه ليكون شاعراً ، وكان الفن غذاءه ليخلق منه فناً . ولذلك عرف الشعر من بحر ولم ير مظاهر الحضارة حتى أخذ بأسبابها .

لم يتعب جرير نفسه في عمل الشعر كما اتعبها الفرزدق فكان شعره بحراً ، ولم ينحته من صخر كما نحته صاحبه فكان رقيقاً ، وكان من طبقة الشعب رقة تختلف عن عظمة الخاصة وشدتهم ، والشعب أقرب إلى التطور من الأشراف وأصرع تأثراً بموامل الحضارة منهم .

وقد ظهرت هذه الحضارة في شعر جرير كله وتلك الرقة في غزله وورثائه حتى غنى
بذاك ونذب بهذا ، ولما ماتت زوج الفرزدق نذبتها النادبات برثاء جرير في زوجته ،
وفي ذلك دليل على قرب شعر جرير من الموسيقى وأفضل الشعر لفظاً أقربه إلى الفناء .
وقد أعجب الشعراء برقة جرير ، وغنت بشعره القيان ، وضمنه بشار بن برد
أول المحدثين إحدى قصائده ، قال :

و ذات دل كأنَّ البدرَ صورتها باتت تغنى عيمدَ القلب سكراناً :
« ان الميون التي في طرفها حورٌ قتلنا ثمَّ لم يحين قتلاناً »

وفي هذا الفناء دليل على شهرة شعر جرير ورقته وحلاوته ، وفي هذا التضمين
برهان على منزلة الشاعر في قلوب الشعراء ، وفي هذا القتل تبعثه الميون الحور
لذة دونها لذائد الحياة ، وقتل الميون في الحب أجل من الحياة !
وقال جرير :

يصرعن ذا اللبِّ حتى لا حراكَ بهِ وهنَّ أضعفُ خلقِ الله أركاناً
ولا يزال هذا الخلق الضعيف يفتك بالأقوياء ويصرع العقل المعتد بنفسه ،
المترفع عن ملاهى الحب في زعمه .

ولكن في بيت جرير غير هذا المعنى الخالد ، فيه تلك الرقة الفتانة ، وذلك
الطف الساهر ، وقد أراد ابن الرومي هذا المعنى فقال :

ومن عجائب ما يحنى الرجالُ بهِ مستضعفاتٌ لنا منهن أقرانُ
ولكن في بيت ربيب البادية جرير الأُموي من الرقة والموسيقى ما لا نجد في
بيت ربيب الحضارة ابن الرومي العباسي وربما كان في الثاني معنى عميق مستقص .
وقال جرير وقد ضمنه بشار وغنت به الجارية :

يا حبذا جبلُ الريانِ من جبلٍ وحبذا ساكنُ الريانِ من كانا
وإذا أحب الإنسان حبيباً أحب دياره وأهله ، ونسيماً يهب من بلاده ، ورائحة
تفوح من جهته :

وحبذا تفحات من يمانية تأتيك من قبَلِ الريانِ أحياناً
ولا تشمر بتأثير البيتين إلا إذا أبدلت الريان وطنك أو وطن حبيبك ، وقريتك

أو محلة حبيبته . أما الرقة ففي لطف البيتين وأسلوبها ، وأما الحضارة ففي صورها على رغم الجن والريان ، وأما الموسيقى فلا أسهل من انشادها والتغنى بهما كما تغنى القدماء . أما الفرزدق فقد كان ارستوقراطياً صلباً ، وكان قوى الإرادة صعب الشكيمة قيد نفسه بالشعر كما قيدها بحفظ القرآن ، وكان له من شرف آبائه وأجداده ما جعله يطلب الشعر ليفتخر بهم فنحنه محتكاً وأنعب نفسه في عمله جهداً ، وإذا طلب الشاعر الشعر كان الشعر قوياً صلباً وإذا طلب الشعر الشاعر كان رفيقاً بديعاً ، وهذا الفرزدق نفسه يرق عند ما يطلبه الشعر ليدح زين العابدين فلا يزاحمه جرير في غزله والأخطل في خمرته .

وأعجب الفرزدق بالجاهلية ومفاخرها فكان أسلوبه بدوياً ، وكان غزله جاهلياً مع ما بين الطبع والصنعة .

قلد الفرزدق في غزله فكان دون شعراء الطبع من العصر الجاهلي ، وكان قوياً في نفسه ، صلباً في ارادته ، غليظاً في طبعه ، فكان شعره قوياً صلباً لا يمت إلى الغزل بصلة ، ولا يمكن أن يغنى به . قال يفضل الأعرابية على الحضرية بشعر قوى :

لممرى لأعرابية في مظلة نطل بروق بيتها الريح تخفق
أحبّ البنا من ضناك ضغنة اذا وضعت عنها المراوح ترق

وفي الابتداء بلام القسم تلوها لام الابتداء صنعة في الشعر ظاهرة ، وفي اضافة المثني قوة لفظية وفي الروق والضناك والضغنة كلمات جاهلية ، ولكن في عجز البيت التالي سهولة لعل سببها أن الفرزدق أراد به الهجاء .

وقد كان لتقليد الفرزدق وجاهليته وغلظ طباعه أثر في وحشية صوره ، قال :

فيا ليتنا كنا بعيرين لا نرى على منهل الا نشل ونقذف
كلانا به عر يخاف قرافه على الناس مطلى المساعر أخشف

وفي حرب الحببيين من غلاظة الناس وكيدهم وثقل دمهم راحة نستحسنها في شعر الفرزدق ، ونعجب بها في معناه ، ولكن في البعيرين الأجرين صورة مجعها الذوق ، ويقذف بها قذف الناس بالاجرب .

ولسنا ندرى رأى المحبين المتيمين في صور الفرزدق وألفاظه ، وما قول رأى محي اللطف والرقة والجمال من الجنسيتين الخشن والطيف في مثل هذه الكلمات وتلك

الصور : نفل وعر وقراف ومساعر وأخشف ، وقد أصبح الناس يكرهون طلاء
الحرمة والبودرة فما رأيهم بطلاء القطران ؟

وربما كان لمثل كلمات الفرزدق وصوره أثر مقبول في عصره ، ولكن الأرجح
بل البقين أنها كانت كما لا تزال قبيحة قبيح الفرزدق في حبه ؟

هنا نمر

(مدرس الاداب في كلية الشرق — طرطوس)

❖❖❖❖❖

في الشعر المرسل

كلُّ مَنْ تَذَوَّقَ الشعر الانجليزي تَذَوَّقًا تامًّا يعرف المتناه التي لا تفارق نماذجه
العالية ويعرف طواعية الألفاظ طواعية تامة في الشعر المرسل بصفة خاصة وكيف
يتقبَّل الشعراء ألفاظًا معبرة ، ومنها ألفاظ علمية وفنية وجغرافية وما الى ذلك ،
ما دامت تأتي طبيعية في مناسباتها .

ولكن جرى العرفُ الأمرُ المتحكَّم بأن يعيب علينا عائبٌ ذكر كلمة « إيطاليا »
في أحد أبيات قصيدتنا « صرّار الليل » المنشورة في ديوان (الشفق الباكي)
— ص ٧٢١ : ٧٢٢ — ولو كانت محلّها كلمة « نجد » أو « الشام » مثلاً لما وجد
محلاً للعيب ! الى هذا الحدّ بلغ تحكُّم العادة وعبودية الألفاظ في بعض المتصدِّرين
للقند ، ولو أنصفوا أنفسهم قبل غيرهم لتدبروا سماحة التعبير فيما ينتقدون اعتباراً
ولتبينوا معنى حرية النظم التي وراءها غرضٌ فني صريح ولا حجبوا حينئذ عن مثل
هذا العبث النقدي (راجع كتاب Active Anthology جمع وتأليف إزرا باوند).

إنّ قصيدة « صرّار الليل » ذات مفزى نفساني صريح الى جانب ما فيها من
البيان الوصفي لتلك المخلوق الغريب « الجدجد » والترجمة لسيرته وأوطانه ! ولكن
بعض انتقاد لا يشغله شيء من هذا (وانما كل ما يعنيه أن هذا اللفظ مألف
الاستعمال أو غير مألف بغض النظر عن ملاءمته التامة لموضعه ومناسبته ! ومن
هذا القبيل ما وجّه لنا من نقدٍ لوصفنا أحد الأحياء الوطنية القذرة البشعة مما
يدخل في باب الأدب الواقعي ، كأنما النفاق في الوصف هو الأشرف الإكرم ، أو
كأنما الإكيس لدى هؤلاء قول امرئ القيس :

تَرى بَرمَ الآرامِ في عِرساتها وقِيعانها كأنه حبُّ فُلُقْـلُـرٍ !
ومثل هذا النقد يذكّرني بمؤاخذة بعض النقاد للشهير إبستين من أجل
تمثاله البديع « تأمل الرجل — Behold the Man » لا لآيٍ تقص في مظاهره
وروحه التصويرية ، بل المجرد مخالفته المألوف من متابعة الفنّ الاغريقي أو الفنّ الحديث
واستقلاله بروح طبيعية فطرية يحسبها النقاد السطحيون ضعفاً ، وما هي الا استقلال
الفنان وحرية التامة حسب مزاجه في التصوير عن فكرة تشبّع بها ، وقد اختار
أن يكون فطريّ البيان وإن كانت فكرته الفنية بعيدة الغور . وكذلك الشعر المرسل
فهو فطريّ النظم وإن كانت الفكرة التي يحملها من طراز آخر .

ولا نعرف ناقداً نزيهاً مثقفاً يعلم شيئاً يذكر عن مقارنة الفنون وفلسفتها يجزو
على التورّط في مخالفتنا إلا عن طريق المكابرة ، وهذه ليست من طباع أيّ فنان
أصيلٍ مؤلفاً كان أم ناقداً .



هواجس نقدية

نمرض في هذا الباب على سبيل المثال طائفة من الهواجس النقدية الشائعة وتعليقاتنا
عليها لأجل الفائدة الأدبية المحضة . ولولا أن التهاوت على النقد الأدبي
أصبح عادة متفشية بين الشباب حتى الذين لم يستكملوا بعد أهمّ أدواته ، وبين من
لا تؤهلهم ثقافتهم المحدودة لنصب موازين الأحكام الأدبية ، لما نشأت أمثال هذه
الهواجس وتفشّت ، وإن كنا نعترف بأن من أسباب تفشيها تطلب الحزبية الشخصية
أو السياسية التي لا تستحي في سبيل أهوائها من أيّ مخالطةٍ ومن أيّ تذبذب فكري
غير خاشيةٍ لومة لائم !

وقد أذاعت هذه الهواجس المفتعلة تلك المؤامرة المعروفة التي حُبكت حولنا
في شتى الصحف في العهد الأخير دون أن تكون لها أيّ نتيجة أدبية تمسنا ، وإن
كانت لها نتيجة مخجلة في تصوير بعض كبار الأدباء المصريين الذين عملوا على
مناوأتنا ، مما كان له وقعٌ سيّئ في نفوس الكثيرين من المستشرقين . ويشهد الله أن
ذلك يؤلّنا وإن تمّ من يضعون أنفسهم موضع الخصومة الوضيعة نحونا ، مستغلين
ما لهم ونفوذهم للتفريز حتى بالشباب الذي نخدّمه ليسىء إلينا بأحط الوسائل انعم ،

إن مثل هذه الحالة تؤلنا أشدّ الألم لأن سمعة أدبنا وأدبائنا هي عندنا في المحل الأرفع من الاعتبار إذ أنها رمزٌ لكرامتنا القومية ولا يماننا بالشرف والنبيل ، خصوصاً في الوقت الذي تهتم فيه السياسة أبناء مصر بالقدر والجحود وتنفي مثل هذا الخلق عن اخواننا السودانيين .

فن الهواجس النقدية التي وجهت إلينا أننا نفتقص أبناء الوطن بتقريعنا ، في حين أننا لا نرمي إلى أكثر من استفزاز الهمم والتنبيه إلى عيوبنا كما كان يفعل كبار خطباء العرب وكما يفعل كلٌ مخلص لوطنه يؤمن بقول ابن حزم « صدقك من صدقك لا من صدقك » . وبهذه الروح كان ينظم المرحوم حافظ إبراهيم بك معظم شعره الوطني المأثور وقد اتخذ من قلمه المؤدّب كبراجاً قاسياً . والملاحظ أن أغلب من ينتقدون هذا النقد هم من المترفين البعيدين عن معارك الحياة ، المكفول لهم الرزق والراحة ، المازفين عن تحمل الأعباء الاجتماعية ، الناصبين أنفسهم للنقد والمؤاخذة دون أيّ جهد أنشائي يبذلونه ، فليس لهم علم حقيقى بميوب بلادهم ومفاسدها ، أو هم يتعامون عن كل ذلك ليظهروا بمظاهر البرّ بها على حساب المصلحين !

ومن هذه الهواجس أن يُعابَ علينا الحنين إلى المستقبل أسوة بالحنين إلى الماضي ، والأول مما يوحى العقل الواعي المفكر والثاني مما يوحى العقل الباطن المتصل بطفولة الانسانية . فهل فرض على الشعر أن يحن إلى الماضي وحده وينسى المستقبل العظيم بما في ثنياه من معجزات مقدرة يكاد لا يلحق بها الخيال الجامح ؟ وكان صديقنا الشاعر الهمشري قد أشار منذ زمن بعيد إلى حنيننا القوي للجهول واستكنائه أسراره ، ونذكر أن أحد الأدباء وقتها عدّ ذلك ظاهرة جنونية ! ولماذا يكون هذا الحنين ظاهرة جنونية وهو ابن التطلع إلى سرّ الحياة ومغانى الاضمار في الكائنات والبواعث الخفية لكل ظاهرة وكل موجود ؟ وأي جنون في أمثال قصائدها « أقصى الظنون » و « حياتي » و « سفينة الشمس » و « الذروة » و « في الطريق الحزين » و « الاضمار » و « الخلود » مع أن هذه القصائد وأمثالها بنات النفس الباحثة الظامئة التي تتطلع إلى الكمال اللغني تطلعها إلى أسرار الوجود في عوالمه وفي دقائقه على السواء !

ومن هذه الهواجس أن تُعابَ علينا ملكة التصوير الشعري واسرافنا المزعوم في تطبيقها للمحسوس والتمثيل ، كأنما الشعر وقف على التصوير العاطفي وحده

وليس له أن يصوّر المظاهر الفنية في الكائنات والأشياء ولا أن مجسم الأخيصة الفنية التي هي بمثابة حقائق للشاعر وإن كانت عدماً أو وهماً لغيره ! وما يُنسبُ بالأسراف في هذا التصوير ليس في الواقع إلا الدقة المتنوعة في إبراز شتى الحالات من الخيلة والوجدان في تصاوير مختلفة نابضة بالحياة سواء أ كانت تصاوير ذاتية أم تصاوير قصصية .

ومن هذه الهواجس أن يسخر فريقٌ من الروح الافلاطونية في شعرنا الغزلي حينما يسخر فريقٌ آخر من الروح الابيقورية (كما ينعتها) ، ولو تدبر كلا الفريقين ووقف على معاني الفلسفة الجنسية (أنظر مثلاً « موسوعة المعارف الجنسية » Encyclopaedia of Sexual Knowledge) لتذوّق كلا اللونين من الشعر ولعلم معناها الصادق ، ولابتعد عن الهراء الذي يتمشّد به عن فلسفة الغزل حتى كاد السذج يوهّمون بأن الحبّ اللائق بالرجال هو نوعٌ من الاغتصاب ، وإن الغزل الشعري اللائق بالشعراء الكبار هو عبارة عن تمرين انشائي مدرسي ! أما أن يكون الحبّ تجاوباً ، وأما أن يكون شمر الحب صادفاً معبراً عن ستي الحالات النفسية وليس عن بعضها فقط ، وأما أن يكون الغزل بعيداً عن الجهامة أو بعيداً عن التصنع ، فهذا مما يعدّ خارجاً عن صفات الرجولة !

ومن هذه الهواجس انتقاص شعر الفكر والعلم خصوصاً إذا امتزج بالتصوّف والفلسفة ، فهل من الكمال الفني التعلّق بشعر الوهم وحده ؟ أليست العبارة بالتناول الشعري للموضوعات لا بالموضوعات ذاتها ؟ أليست قصيدة بوب عن الانسان من أجل الموضوعات ومع ذلك ليست من أجل الشعر ؟ ألم يحن الأوان مثلاً للتسامي بالتصوّف في الشعر عن الخرافات الفرضية الكثيرة ؟ أليست مظاهر الكون وأسواره ودقائقه العلمية ملاحم شعرية تنظر إلينا وتوحى بنظمها في بياننا ؟ ألم يقرأ هؤلاء الناقدون الجاهلون ديوان (حملة المشعل The Torch Bearers) للشاعر الكبير ألفرد نوزر رئيس جمعية الشعر الانجليزية ؟ وأي داع الى الانتقاص وأي نافٍ للشاعرية في أمثال قصائدنا « شعر النجوم » و « البداية والنهاية » و « ما وراء الهجرة » و « الأشعة الكونية » و « رُسل السماء » ونحوها مما تمازج فيها العلم والفكر والروح الشعرية تمازجاً موسيقياً ، اللهم إلا اذا كان الجهل والامية وتكرار خواطر السلف وأساليبهم هي البضاعة الفنية الوحيدة التي يجب أن نحفل بها ؟ !

ومن هذه الهواجس مؤاخذة الشاعر على صراحته وصدقه فإن بكى قبل هذا ضعف ، وإن تجلّد قبل هذه كبرياء مصطنعة . وفي الحق لا يُحمد الشاعر إلا على صدقه كيفما كان تصرّفه ، فنحن نحب مطران في قصيدته « الأسد الباكي » كما نحب ناجي في قصيدته « الشك » لأننا نشعر بالاخلاص في شعر كلٍّ منهما وإن اختلفا جدًّا الاختلاف . الصدق أولاً وأخيراً هو ما نطالب به الشاعر الى جانب أدائه الفني ، وإلا كان محض صانع . ولسنا نحزن من يهوى تهالك بوديلير على الشهوة ، ولكننا مع ذلك نهوى شعره لأننا نحس فيه باخلاصه العميق ، وهكذا لا نستطيع نخرج شعره من الوجهة الفنية المحضة . وبديهي أنت أحوال النفس الانسانية كثيرة القلب ، فالشاعر الذي يَكبت احساسه ويكتم تعابيره عن كثير منها لأجل أن يتظاهر في المجتمع بمظهر خاص لا يستحق احترامنا الفني ... ليست الآهات والدموع ولا التجلّد والصلابة بما يُعاب لدى الشاعر مادام وراء ذلك طبع شعريٌّ صادقٌ ، وانما الذي يُعاب هو التصنع وحده لهذه الانفعالات والتظاهر بخلاف ما يضر .

ومن هذه الهواجس الطعن في الرمزية مع أنها من صوَر التفسير المثقف ومن الأساليب الشعرية العميقة المستوعبة . مثال ذلك هذان البيتان في « الطاووس الأبيض » وقد قيلتا في حناء لبست البياض وجافت الأصباغ والذّور :

أنت في الحُسْن مُضْمَرُ اللَّونِ وَالْجِلْدِ بِيَةِ كَالنُّورِ يُضْمِرُ الْأَلْوَانَ
إِنْ يَعْجَبُكَ الَّذِينَ لَمْ يَشْعُرُوا بِقَدْ فَيَكْفِي اجْتِنَابُكَ الْفَنَاءَ

والواجب على هؤلاء المنتقسين أن يقرؤوا كتاب (الرمزية — معناها وأثرها : Symbolism, Its Meaning and Effect) للدكتور هوايتهدأستاذ الفلسفة في جامعة هارفارد لبروا بأعينهم أيّ حكم قاس بحكمه ذلك الأستاذ العبقري على الكافرين بالرمزية !

ويطول بنا التعليق لو تتبعنا الهواجس الأخرى (وما أكثرها !) فحسبنا ما ذكرناه على سبيل المثال ، وهو شاهد كاف على أن النقد الأدبي في مصر لا يزال في بداية السلم تصبّت به الأهواء ذات اليمين وذات اليسار فيعوق ذلك عن الصعود المرموق ، وأن معظم جرائدنا ومجلاتنا تترك صفحاتها الأدبية تحت رحمة الأديعاء وتلاميذ المدارس حينما يُشغل أصحابها بمسائل السياسة وبمواردها المالية !



جمال والوحش

Beauty & the Beast

القصة

كان لأحد تجار الشرق ثلاثُ بناتٍ دُعيت صفراهنّ به (جمال) لما لها من جمال مفرط لا يُكَيَّف . وفي ذات يومٍ اعتزم والدهنّ رحلةً إنجاريّ، فمضى يودّعهن سائلاً كلاًّ منهن عن التحفة التي تشتريها ليخترها لها لدى جولانه. فاشتتت الكبيرةُ عقداً يخطف اللحظ من نفيس اللآئى ، واشتتت الوسطى ماسةً غلت تغزو بها النجوم العوالى ، وأما بنته الصغرى فلم تشد سوى محض وردة بيضاء فقد كانت مشغوفة بالأزهار مفتونة بجمالها ورموزها .

ومضى التاجرُ في رحلته مجدداً غانماً واستطاع أن يظفر بما اشتتهه كلٌّ من بنتيه الكبرى والوسطى ، ولكنّه خاب في إحراز وردة بيضاء لبنته الصغرى ، فأأساه حزنُ فؤاده لذلك ما غنمه في رحلته ، وأبى إلا أن يثابر على بحثه فى صفو (جمال) أمانى حياته . وهو أنى مضى مسائلاً عن وردة بيضاء كان يقابلُ بالضحك والسخر ، لأن الناس في تلك الجهات لم يسمعو قط عن وردة بيضاء ، فأمنيته في نظرهم إنما هي ضربٌ من إعجاز السحر . وهكذا تولته الحسرة لفشله فأضلته سبيل الرجوع في وسط غابة ، فإذا به يرى فجأةً قصرآ هناك ، وإذا به فجأةً يلاصق بابه . وينفخ بوقه فإذا بالباب يفتح وتبدو كالسحر ددهة قصر دون أن يرى أحداً ، ويزداد حيرة حينما تمتد إليه يدان سحريتان من غير جسم تقودانه بمطف وودّ الى غرفة الطعام حيث يأكل ما طاب من شهى الاطعمة بمسد صومه وجوعه الشديد ، ثم الى غرفة النوم حيث ينعم بنوم عجيب هنى . وفي اليوم التالى يجد هاتين اليدين

السحريتين مهيأتين لخدمته المنوَّعة وإيناسه وتسلبته ، فتقودانه الى الحديقة الجميلة حيث يرى وردةً بيضاء ، فيهتف فرحاً بها ولا تمنعه كبرياؤه من قطعها وفاةً بمهده لابنته (جمال) ، وقد تخيل أن مضيفه الكريم صاحب هذا القصر السحري يسره قطعها تحفة لابنته . ولكنه ما يكاد يفعل ذلك حتى يصمَّ سمعه زئيرُ أسدٍ عاتٍ وقد ظهر أمامه منذراً بالهلاك ، فاضاً عليه الموت جزاء قطعته تلك الوردة البيضاء فيروغُ التاجرُ الأسيفُ ويرجو الوحش أن يصفح عنه ، إذ أنه ليس باللص وإنما أراد إسعاد ابنته بمثل هذه الهدية ، ولم يكن يعلم أن هذا مما يفضبه أو أن القصر له ، ولو علم لما سعى الى موته بهذه الصورة . . . ثم يسأل الأسد الحائق اذا كان هناك سبيلٌ لصون حياته وهو يتعهد له بما يريد ؟ فيجيبه الوحش بأنه لا مُنقذَ له سوى التعهد بالعودة بعد شهر من سفره صاحباً أول من يلتقى عند عودته الى بيته ، وإلا فانه لن يفلت من يديه . وفي حالة رضائه بذلك يمكنه أن يأخذ معه تلك الوردة البيضاء هدية لابنته . أما اذا رفض فله أن يعتبر لحمه حلالاً للأكل او يقبل التاجر شرطه ويسافر عائداً الى بيته ، آملاً أن يكون أول ما يصادفه عند العودة كلباً من كلاب الطريق فتهوئ الضحية وينفذ حياله ويسعد بنته .

عاد التاجرُ الى بيته فقضى سوء طالعهِ أن تكون بنتهُ الصغرى الرقية المتطلعة الى رؤيته أول من يلاقيه ، وقد هرمت الى لقاءه شوقاً وحناناً . فبكى حزناً واحقاً وأطلعها على ما جرى له ، وأخيراً صرَّح لها بأنه لا ينوى الوفاء بوعده لذلك الوحش الذي قد يكون ما لها عنده المذاب أو الموت الكريه . ولكنها أبت عليه هذا الشعور بل لامتته على هذه الرغبة في النكث بالعهد وأعلنت تصميمها على الذهاب اليه آملّة أن تستطيع بالتحايل أن تنغم حظاً من الحنان لديه .

ويحمي موعده الرجوع فيسافران الى ذلك القصر المسحور فيجدان كل شيء من الحسن والمجد على ما عهدته والدهما من قبل . وبعد تناول الطعام والاستراحة يسمعان طرقه ، واذا بالأسد يدخل عليهما كالمت يبدل الأمن ذعراً ! وقد جاء في كساء مزين ، وراح بعد التحية يجلس مزهوّاً مسائلًا التاجر عن (جمال) . فيخبره التاجر أنها كانت أول من التقي به أمام بيته ، وقد أتى بها اليه برآ بوعده ، وأنه يرجو أن يكون السلام في ذلك . فيطمئنه الأسد ، ويخبره أن كل ما في القصر طوع لابنته (جمال) ، ويسأله أن يرحل في الغد ويدعها لصونه .

وجاء الغدُّ الرهيبُ فودَّع الأبُ ابنته وداعاً مشجياً ، وقد أخذ كلَّ منها
يؤتمى الآخر أمام الخوف من المخاطر البادية . وما كاد يذهب والدُها حتى رأت
في كلِّ شيء حولها عزاءً لقلبها الحزين بين الكثير من الأغاني والأزهار الفوّاحة
والأنثى المنمقة والرسوم البديعة ، وهكذا مرَّ وقتها هنيئاً في ذلك النهار الذي
بدأته ملبداً باليوم . ثم جاء الليل فاذا بالأسد الطارق يعود لزيارتها في جوار مذهباً
روعياً بفرط حنانه وحديثه مما لم يكن في تقديرها . وهكذا أصبحت نحنُ إليه
وتراه زميلها المحبوب وغدت تشتهي سعادته الكبرى كما خصَّها بأحلى القلوب .

وذاث يومٍ سأل الوحشُ (جمالاً) : « هل تكونين زوجتي يا (جمال) ؟ »
فأجابته سلباً ، ولكنها أكدت له بقاء وفائها لسعادته وأنها لن تغفل واجبها نحوه
بروحٍ رشيدة . فتولته حسرةٌ آلمتها وقد صرَّح لها بأنها اذا أصرت على رفض
الزواج منه فالموت عقابه ولا دافع لهذا المآل !

ولم تكن (جمال) في كلِّ ماضى بالتى تسلو أباهاً لو أنه قد سلاها ، وتمتَّ رؤيته
فرأته في مرآتها السحرية طريح الفراش مسجى في نضال الآلام مما يعانى . فبكت
غاية البكاء ، وباحت لمضيفها وصديقها الأسد بأشجانها فارضى سؤلها بزيارة والدها
اذا ما وعدته بالرجوع في القريب لا أن تهجر قصره هجراً . فوعده بذلك وأعطاهما
لتيسير رحلتها نقعة من السحر في وردة ، ثم ودعها ومضى ... فاشتت لقاءً أبيها
ومرغان ما كانت في بيته ، فهرعت إليه شوقاً وحناناً ، ففرح أىَّ فرحة بلقاءها بعد
أن أسقمته الهموم والقلقُ عليها . ومن فرحتها بهذا اللقاء نسيت وعددها للأسد ،
وقد أخذت تلك الوردة السحرية تحفُّ وكاد حسننها يغيب ، فتجلى لها عهدُها ،
فشاءت الرجوع كما وعدت ، فحققت لها الوردة ذلك في ثوانٍ .

عادت (جمال) الى القصر السحري فوجدت ثمة كلَّ شيء على حاله القديم
الوسيم ، ولكنها لم تجد اللحن الجميل الذى تمودته ، فانه قد تولَّى ولم تدر
لماذا ؟ كذلك كان حالها كالسقيم . ولحظت غياب الأسد وهو الذى يعشقها ولم يكن
ليغيب ، فضت الى الحديقة تبحث عنه بين خوفٍ ومأملٍ ووجيبٍ ، وأخيراً رأته
في رقعة الموت على المشب في سكون أليم ، فجرت نحوه يبدها الحزن وتوبيخ قلبها
المكجوم لتأخرها في العودة اليه ... ورآها الأسدُ فقال لها : إيه يا (جمال) ! انك
لم تبرئى بوعدهك المحبوب ، وعودتك هذا ما هو الا عودُ النسيان لا عودُ البرِّ
الصحيح ، فلم يبق لي الا الموتُ عزاء بعد أن فقدتُ عزاء القلوب !

وكان هذا الموقف شاقاً جداً على (جمال) التي ودّت أن تفتديه بأيّ ثمن وفاء له وتبرئة لضميرها ، فقالت له : حاشا أن تلاقى الممات قربي يا أسدي الغالي ! خبرني أي فرض تريد حتى أوّديه ولو أننى أضحي بحيي ؟ فأجابها الأسد في نزعه : ذاك أن تقبلي زواجي ! فقالت : لك هذا ! فقد رضيتك زوجاً ... وما كادت تلفظ هذه الكلمات حتى استحال ذلك الوحش انساناً جميلاً يرجو هواها ويُرّجى ! فرح كلٌّ منهما بحظه من الآخر فرحاً عظيماً . وصرّح لها بأنه كان مسحوراً بفعل ساحرة أنذرتة بالمذاب الأليم في كلّ آنٍ حتى تُتاح له الرّاحة بالحسن من فتاة فريدة ، وقضى حسن حظه بأن تستجيب (جمال) الى مناه ، وهكذا أنيلا معاً حياة سعيدة .

مرامى القصة

لهذه القصة الخرافية اللطيفة مرامٍ أدبيةٌ عاليةٌ تُلخّص فيما يأتي :

(١) التنويه بالمتعة المعنوية وقيمتها في مرور النفس (ورمز ذلك في القصة الوردة البيضاء) ، وأن الحصول على هذه المتعة قد يستوجب متاعب وتضحيات كثيرة ولكنها تستحق ذلك .

(٢) تصوير الحبّ الأبويّ فيما عاناه التاجر في جميع أدوار القصة من أجل بنته (جمال) ، وتصوير الحبّ البنويّ في برّ (جمال) به ، وتصوير العاقبة الحسنة لكلّ هذا .

(٣) تصوير غاية الكدّ والسمي الشريف من النجاح والتوفيق ، وتصوير عامل الاتفاق أيضاً في تهيئة ذلك ، إذ أن الحياة ليست مجرد أسباب ونتائج بسيطة بل لها عوامل مركبة كثيرة تؤثر فيها وتكيفها .

(٤) تصوير عاطفة الحبّ وأثرها في تجميل الحياة والتغلب على الشدائد والمخاطر من حيث لا يُرجى القضاء عليها .

(٥) الاشارة بالوفاء مهما غلائمه وتصوير نهايته الجميلة ، والاشادة بعرفان الواجب وأدائه وإن حَفَّ به الهلاك .

(٦) أن التضحية المشتركة مع تجاوب الاخلاص جديرة بالمكافأة المشتركة .

النصير السعري

هي أغلى البنات للتاجر المشرق في المجد والغنى والجلال
خُلِقَتْ مِنْ مَلاحةٍ لم تُكَيِّفْ فدَعَوْها (جال) دُنْيا الجالـ
كان طَبْعُ الحنانِ مِنْ حُسْنِها الصَّافي وأَجْمَلِ بالحسنِ رمزَ الحنانِ
وَتَفانٍ في حُبٍّ والِدِها حُبًّا هو الصِّدْقُ وحَدُّه في التَّفاني

ذاتَ يومٍ قُبِّلَ رحلةَ إبحارٍ مَضَى يبتغى وداعَ بناتِهِ
سائلاً أَىُّ نُحْفَةٍ تُزَجِّجِي مِنْه لِيختارها لَدَى جِولانِهِ ؟
فاشبهت بَنَتَهُ الكَبِيرَةَ عَقْدًا يَحْطِفُ اللحْظَ مِنْ نَفِيسِ اللّائِي
واشتهت ماسَةً غَلَّتْ أَخْطأ الوُسْطَى لتغزو بها النجومَ الغوالى
حينما نَفَتْ الصَّغِيرَةُ لم تَنْشُدْ سِوى مُحضٍ وردَةٍ بيضاءَ
كاسِها طَبْعُها النقيُّ فلم تَحْفَلْ بِغيرِ المَلاحةِ الزَّهراءِ

وَمَضَى التاجرُ الحَصيفُ مُجِدِّداً غائماً كُلَّ ما أَباحَ الرَّجاءُ
حالفَ الظفرُ حَفْظَهُ حينما خابَ باحرازِ وردَةٍ بيضاءَ
نسى الغنمَ كُلَّهُ مِنْ أَساهُ قَلْبِهِ المَشْتَمَى رضاءَ بناتِهِ
وتولَّى في البَحْثِ لابنتَهُ الصَّغرى فى صَفْوِها أمانى حَياتِهِ
وهو أنى مَضَى يَسائِلُ لم يَنعمَ مِنْ الناسِ غَيرَ ضَحْكَ وسُخْرٍ
ما رَأَوْا مِثْلَ ما تَمْنى مِنْ الوردِ فَمِا يَشْتَهيه إِعْجازُ سَحَرِ
وتولته حَسرةً فَأُضْلِئَتْهُ سَبيلَ الرُّجوعِ فى وَسْطِ غابَةِ
فاذا فِجاءَ يَرى سَمَّ قَصراً ، واذا فِجاءَ يَلصِقُ بابَهُ
نافِخاً بُوْقَهُ فيَنْفَتِحُ البابُ فتَبْدو كالسَّحَرِ رَدَهُ قَصْرَ
زُيِّنَتْ بِالنَّفِيسِ مِنْ كُلِّ ما تَهوى فَنونُ لِكُلِّ عَينٍ وفِكرٍ !

حَارَ فِيمَا رَأَى وَأَعْجَبُ مِنْهُ أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ هُنَاكَ فَرْدًا
 إِنَّمَا قَدْ رَأَى يَدَيْنِ بِلَا جَسْمٍ تَقُودَانِهِ وَلَا وَدَّ
 وَرَأَى غُرْفَةَ الطَّعَامِ وَقَدْ مُدَّتْ خِوَانٌ بِمَسْتَطَابِ الطَّعَامِ
 فَضَى يَغْنَمُ الشَّيْءَ مِنَ الْأَكْلِ وَقَدْ جَاعَ أَيُّ جُوعٍ وَصَامَ
 ثُمَّ قَادَتْهُ نَحْوَ غُرْفَةٍ نَوْمٍ هُيِّئَتْ لِلْجِبَالِ وَالْأَحْلَامِ
 فَتَلَقَى وَالنَّوْمَ فَوْقَ سَرِيرٍ مِنْ نَعِيمٍ وَمِنْ أَغْنَى السَّلَامِ
 وَإِذَا بِالْيَدَيْنِ فِي يَوْمِهِ التَّالِي يَدَا خِدْمَةٍ وَبَرٍّ جَمِيلٍ
 قَادَتْهُ إِلَى الْحَدِيقَةِ فِيمَا قَادَتْهُ إِلَى الْجِبَالِ النَّبِيلِ
 وَهَنَا صَاحٍ فِي سُرُورٍ وَقَدْ لَاحَتْ لَهُ وَرْدَةٌ زَهَتْ بِيضًا
 خَلَقَتْهَا يَدٌ مِنَ السَّحَرِ جَادَتْ بِالنَّعِيمِ الْمَفْرُودِ الْوَضَاءِ
 وَمِنْ الْفَرَحَةِ الَّتِي غَلَبَتْهُ مَا حَمَتْهُ عَنْ قَطْفِهَا الْكِبْرِيَاءِ
 بَلْ كَرَأَى لَهُ الْوَفَاءَ بِهَا زَهْرًا مِنَ النُّورِ نَاصِعًا كَالرَّجَاءِ
 وَدَعَاهُ الْعُلُوُّ فِي الْوَهْمِ أَنْ يَحْسَبَ فِي قَطْفِهَا رِضَاءَ مُضْغِيَةٍ
 كَيْفَ لَا وَهُوَ مَنْ حَبَّاهُ جَزِيلًا مِنْ نَعِيمٍ مَا زَالَ بَيْنَ رَفِيفَةٍ
 عِنْدَ هَذَا أَفَاقٍ مِنْ نَشْوَةِ الْفَرَحَةِ إِذْ صُمَّ سَمْعُهُ مِنْ زَيْرٍ
 وَتَجَلَّى أَمَامَهُ أَسَدٌ عَاتٍ يَرُوعُ الْكَمَى قَبْلَ الْأَسِيرِ
 مُنْذِرًا بِالْهَلَاكِ: «يَا أَيُّهَا التَّاجِرُ كَيْفَ اسْتَبَحْتَ مَا قَدْ خَطَفْتَ؟
 إِنَّمَا الْمَوْتُ مَا يَجَازِي بِهِ مِثْلَكَ، فَلْتَلْقَ شَرًّا مَا قَدْ صَنَعْتَ!»
 رُوِّعَ التَّاجِرُ الْأَسِيفُ وَقَالَ: «الْصَفْحَ! إِنِّي أَرَدْتُ إِسْعَادَ بَنِي
 وَلَوْ آتَى عَرَفْتُ أَنَّكَ رَبُّ الْقَصْرِ مَا كُنْتُ قَدْ سَمِعْتُ لِمَوْتِي!
 لَسْتُ لَصًّا، وَلَسْتُ غَيْرَ أَبِي حَانَ عَلَى مُشْتَهَى ابْنَةٍ لَا يُرَدُّ
 هَلْ سَبِيلٌ لَكَ تَصُونَ حَيَاتِي وَلَكَ الْعَهْدُ فِي الَّذِي قَدْ تَوَدَّدْتُ؟»
 قَالَ: «كَلَّا! مَا لَمْ تَعِدْنِي بِأَنْ تَرْجِعَ بَعْدَ ارْتِحَالِ شَهْرِ الْيَا

صاحباً مَنْ تراه أولَ مَنْ تَلْتِي ، والا فلن تقوتَ بدياً !
 فاذا ما قبلتَ فارحلْ وخُذْ أيضاً الى بنتِكَ الهديةَ مني
 واذا ما رفضتَ فلتعتبرْ لحملكِ أكلِي ... وليس هذا بغبنِ »
 فارتضى التاجرُ الرحيلَ بهذا العهدِ : عهدِ الصديقِ نحو الصديقِ
 راجياً أن يكونَ أولُ ما يَلْتِي لدى العودِ مِنْ كلابِ الطريقِ
 فتَهون الضحيةُ التي يَرْتجئها ذلك المُنْعَتِقُ الخفيفُ القديرُ
 ومضى نحو بيتهِ في حُجُورٍ ليس صفواً مِنْ مطمئنٍّ الحُجُورِ

أسفا ! كانَ أولَ مَنْ لاقته في العودِ بنتُهُ المحبوبةُ
 هَرَعَتْ للقاءِ مِنْ شوقها الجمِّ فأبكتته ... يا لَوَقْعِ المصيبةِ !
 قال : « يا بنتي الحبيبةُ قد جئتُ بما شئتَ ... يا لذنبِ الخطيرِ !
 إنما قد غنمتُ بالثمنِ الفادحِ ما شئتَ مِنْ جمالِ عسيرِ
 هو وَعَدِي المصدوقُ للأسدِ المالكِ تلكَ الحديقةَ الغناءَ
 أنْ ينالَ الذي أقبلهُ الأولُ في عودتي فيا للجزاءِ !
 ذاكَ عهدٌ لا بُدَّ مِنْ أنْ أفيهِ ، وعزيرٌ عليَّ أني أفيهِ
 قد يكونَ المآلُ في صحبةِ الوحشِ عذاباً أو الماتِ الكريةِ »
 ثم أفضى لها بكلِّ الذي مرَّ عليه في الرحلةِ المشؤومةِ
 وأخيراً أبى عليها وفاءَ الوعدِ ، لــــكنها رأتْ أن تلومه !
 وأجابته : « كيف يا أبتى تنكثُ بالعهدِ ؟ سوف أمضى اليه
 ربما امْطَعتُ بالتحايلِ أنْ أغنمَ حظاً مِنْ الحنانِ لديهِ ! »

وأتى مَوْعدُ الرُّجوعِ ، فلما عادَ للقصرِ حافظاً صديقَ وَعْدِهِ
 وجداً منلماً تراءى له قبلاً مِنْ الحُصْنِ والتناهى بمجْدِهِ
 واستطابا الطعامَ ، حتى اذا ما فرغا منه واستراحا وقرأ

سمعا طريقة من الأسد الداخل كاللوت يُبدل الأمن ذُعرا ١١

في كساء مزين دخل الوحش وحيّا وراح يجلس زهوا
سائلا عن (جمال) ... قال له الناجر: « تلك ابنتي كوعدي قبلا
من حنان تطلعت للقائى حيث كانت أولى الذين لقيت
فانت في وفاء عهدي ، فأرجو أن يكون السلام فيما أتيت »
فأجاب المضيف: « لا نخشيا شرّا ، ولن تعدم الجميلة عوني
كل شيء في القصر طوع لها ... فارحل إذن في غد ودعها لصوني »
ثم جاء الغد الرهيب وما أفسى وداعيها أمام المخاطر
غلبا الخوف بالتأسي ولكن يغلب الخوف في المدى بأس صابر
ومضى الوالد الحزين وفي النفس شجون جازت معاني الشجون
فراحت بعد أن مضى كل شيء حولها بسمه لقلب الحزين
كم أغانـ وكـم أزاهير فاحت وأثارت منمق رؤسوم
وكذا مرّ وقتها في نهار بدائه ملبدا بالغيوم
وأتى الليل ... حينما الأسد الطارق قد عاد زائرا في حُبور
مذهبا روعها بفراط حنان وحديث ما كان في التقدير
وكذا أصبحت تحن إليه وتراه زميلها المحبوب
وغدت تشهى سعادته الكبرى كما خصّها بأخى القلوب

سأل الوحش ذات يوم (جمالا) : « هل تكونين زوجتي يا (جمال) ؟ »
فأجبت سلبا ، ولكنها قالت : « وفائي باق على أي حال
ستراني يوما أهش لما أرجو من الأنس في حياة سعيدة
لست أنساك ما حيت ولن أغفل عن واجبي بروح رشيدة
فتولته حصرة أملتها ، حصرة ضوعفت بهذا المقال :

« إِنَّ أَيْتَ الزَّوْجِ قَالَتْ عَقْبَايَ وَلَا دَافِعٌ لِهَذَا الْمَالِ »
وهي في كلِّ ما مضى لم تكن تسلو أباه لو أنه قد سلاها
وتمنَّتْ مَرَاهُ حَتَّى رَأَتْهُ فِي حِمَالِ مِرْآئِهَا عَيْنَاهَا
قَدْ رَأَتْهُ عَلَى فِرَاشِ مُسَجَّيٍّ فِي نِصَالِ الْآلَامِ مِمَّا يُعَانِي
فَبَكَتْ غَايَةَ الْبُكَاءِ وَبَاغَتْ لِلصَّدِيقِ الْمُضِيفِ بِالْأَشْجَانِ
وَتَمَنَّتْ عَلَيْهِ رُؤْيَتَهُ حَتَّى تَوْدِي فَرُوضَهَا نَحْوَ بَرَّةٍ
فَارْتَضَى مُسْئَلَهَا إِذَا وَعَدْتَهُ فِي الْقَرِيبِ الرَّجُوعَ لَا هَجَرَ قَصْرَهُ
فَأُجَابَتْ بِمَا اشْتَمَى ، ثُمَّ أَعْطَاهَا لِهَذَا الرَّحِيلِ سَحْرًا بَوْرَدَةً
قَائِلًا : « هَذِهِ دَلِيلُكَ ، لَكِنْ أَذْكَرُ الْوَعْدَةِ ، بِحِفْظِ الْحُرِّ وَعُدَّةٍ »
وَمَضَى ... فَاشْتَهَتْ لِقَاءَ أَبِيهَا وَمَرِيعًا كَانَتْ بَدَارَ أَبِيهَا
فَجَرَتْ نَحْوَهُ بِفَرَحَةٍ طِفْلٍ وَاحْتَوَاهُ الْحُبُّ مَا يَحْتَوِيهَا



كان في السقم من هموم عليها فأزالت تلك الهموم يداها
ومن الفرحة التي شملتها نسيته وعدّها وما قد عداها
نسيته وعدّها وقد جفت الوردّة أو كاد حسنها أن يغيب
فتجلى لها، فشاءت رجوعاً، فاذا العود في نوازير قريباً !

وجدت نيم كل شيء لدى القصر على حاله الوسيم القديم
أما اللحن قد تولّى ولم تدر لماذا ؟ وحالها كالسقيم
ولقد غاب ذلك الأسد العاشق عنها ولم يكن من يغيب
فضت تسأل الحديقة عنه بين خوف ومأمل ووجيب
وأخيراً رائته في رقدة الموت على العشب في سكون أليم
فجرت نحوه يبدد لها الحزن وتوبيخ قلبها المكلوم
ورآها فقال : « ايّه (جمال) ! لم تبترى بوعدك المحبوب
ذاك عود النسيان، والموت لم يبق سواء العزاء بعد القلوب ! »
فأجابت : حاشاك يا أسدى الغالى تلاقى المات ، حاشاك قربى !
أى فرض زيد حتى أؤذيه ولو أننى أضحتى بحبى ؟ »
قال : « أن تقبلى زواجى » فقالت : « لك هذا ! لقد رضيتك زوجاً ! »
عندها صار ذلك الوحش انساناً جميلاً يرجو هواها ويترجى !
فتناهى بفرحة وتناهى بعد أن كان شعبة ميت يعانى
سحرته شيطانة أنذرته بالعذاب الأليم فى كل آن
أنذرته حتى نتاح له الرّيح بالحسن من فتاة فريدة
فاستجابت الى مناه (جمال) وانبلا معاً حياة سعيدة

أحمد زكى أبو سادى



يوطاه

اليوم الأول

(على الشاطئ)

هي : ما لعينيك يا رهيبٌ تنيرا ن طيوفَ الأوهام حولَ أمانى
هو : أنا يا فتنةَ الوجودِ ؟

هي : أجل أنت !

هو : وكيف اتهمت ؟

هي : مجنوتان !

فيهما حيرةٌ وغمرةٌ شكٍّ ومَعافٍ ما تُرجتُ بلسانِ

كم علتني غشاوةٌ عند لقيا لك فأنكرتُ رؤيةَ الانسانِ

لست كالناس !

هو : هل أكون ملاكاً ؟

هي : حيرني في الملاك والشیطان !

هو : أنت يا مَنْ سكبتِ حمرةَ الحما دى وأترعتني من الايمانِ

عند عينيكِ تنتهى أعينُ الله فأننى مضيتُ شارفتانى

شهدُ جفنيهما من السرمدِ الخا لدٍ مها يطول لا يَفْقوانِ

غيرَ أنى أحسُّ مرّاً دفيناً وهما دون سرِّهِ مغلَقانِ

هي : ثم ماذا ؟

- هو : أهواك يا هيكَل الحسن !
 هي : وماذا أعددتَ للقرآن ؟
 هو : كل ما شئت لا يعزّ وإن كا ن محالاً فإنه لك دان
 هي : قم بهذا الكراز أنضب لي البحر !
 هو : وهل أستطيع ما فوق شاني ؟
 هي : خلّه عنك ! قم وأنضب من الشا طيء بعض المياه !
 هو : يختلطان !
 هي : كاختلاط الشهوات بالآرة العمياء في لجّة من الوجدان
 واختلاط الغرام — عندك — والعقل فتبني من المحال الآماني
 أو ما قلت إنه لي دان مالك الآن نؤت بالبرهان ؟
 هو : لست ربّاً !

هي : وما أنا ؟

- هو : أنت عندى ربّة فوق عالم الفنّان
 هي : كيف تبغى اذا هواى وما أنت بصنوء ، مكانه من مكاني ؟
 هو : اجعليني فيما ملكت قطيناً أو هبيني موكللاً بالجنان
 هي : هل رأيت الجنان ؟

- هو : في جسم أنثى عبقرى الظلال والألوان
 جسد المرأة الجميلة أنأى متمنى النساك والكهان
 فعلى صدرها الثمار وفي الثغر من الخمر سلمبيل المعاني
 وعلى شعرها المذهب أشبا ح قصور ما شيدتها يدان

اليوم الثاني

(هي وهو خارجان من الصومعة)

- هي : كنت في الليل راعياً في الجنان !
 هو : ليل أمس في ذمّة النسيان
 كنت فيه الهة !

هي :

ما أنا السا عة ؟

هو :

لا شيء ، أنت كالجمان.

أنت مخلوقة تعيش بالجسم وتُفنيك شهوة الحيوان.

هي : قبله !

هو : ما وراءها ؟

هي : معني

هو :

هتكت شهوة الجسوم المعاني

ونضت ستر ناظريك وذاع السر فيما فقدت من أكوام

هي : أو أنزلتني عن العرش لما ذاع سرى لديك ؟ أي بيان !

هو : ليس بين الآله والناس الا سر المنطوى الخفي المكان

ظل في معزل عن الناس حتى لا يداني الخفاء منهم مداني

هي : كيف ؟

هو : سر لو أنهم عرفوه بات قدر الآله كالانسان !

وأنا من يقيم عندك بالجسم ويحيا بالروح فوق الزمان

هو : غادر أنت !

هو :

نحن للفن نحيا ونراكم له من القربان

فنضحي بكم على مذبح الفكر ليهدي بالفكر جيل نان

صالح هودت





الصمت

أيها الصمتُ ! أيها الصاحبُ العا قلُ ، دعني أعيشُ بدنياك دعني !
 الجأنتي إليك أحداثُ دنيا أسلمتني إلى شقاءٍ وغبنِ !
 قد سئمتُ الكلامَ في فارغ العيش ، وفي كلِّ مأملٍ ليس يُغني
 ما غناء الكلام ؟ رُبَّ كلامٍ زادَ في لوعتي ، وأطلق حزني

أيها الصمتُ ! أيها الصاحبُ الوا دُعْ دعني أنمَ بظلك دعني !
 فالصحاري التي أطوّفُ فيها لم أجد في فجائها أيَّ أمن
 أيها الصمت ! خلِّ هذا المعنى يتلَهَّى بروضك المُرجَّحِ
 ما أحبُّ المقامَ في ظلك الوا رفٍ ، بين المئني وبين التني

أيها الصمتُ ! أيها الصاحبُ الحما في أنلني بعضَ العزاءِ أنلني !
 طرق الشك ساحتى مستبدآ من أناسٍ قد خيَّبوا اليوم ظني
 طرق الشك ساحتى يا لضيغِ ترك القلبَ في وساوس تضي
 فاحمني من قساوة الشك لَمَي أجدُ الآن ما يُرفِّقه عني
 في سبيل الضلالِ ما ضاع مني من جهادي ، ومن شبابي وسني

عبر العنبر عقيق

عيد البأس

مرثوا على الدار يوم العيد ضيفانا
والدار حين رأتهم مقبلين لها
لم يترك الدهر إلا شيخة عكفوا
ليت العباد كلاباً ! إن كلبتنا
نحملت قسطها في البؤس صابرة
من كان يحسدني فليرقب سحراً
ليلتسنى لدى الخمار يحبسنى
بالقسم (١) أنا وفي حانوته أنا

في غرفتي

أفي غرفتي يارب أم أنا في لحدي
وهل أنا حي أم قضيت وهذه
لقد كنت أرجو غرفة فأصبته
فأهدأ أنفاسي تكاد تهدأ
أرى النمل يخشى الناس إلا بأرضها
تساكنني فيها الأفاعي جريئة
تراني بها كل الأثاث فعطفي
وأما وساداتي بها فجرائد
تعلمت فيها صبر (أيوب) في الضنى
جوارك يا ربى لمثل رحمة
ألا شدة ما ألقى من الزمن الوغد
إهابة إسرافيل تبعثني وحدي
بناءً قديم العهد أضيق من جددي
وأيسر لمس في بنائتها يردي
فأرجله أمضى من الصارم الهندي
وفي جوها الأمراض تقتل أو تعدي
فراش لنومي أو وقاء من البرد
تجدد إذ تبلى على حجر صلد
وذقت هزال الجوع أكثر من (غندي)
نخذني إلى النيران أو جنة الخلد
عبر الحجير الريب



الها

أيها الماضي الذي أودعته حفرة - قد خيم الموت بها
أيها الشعر الذي كفنته مقصدا لا قلت شعرا بعدها !
أيها القلب الذي مرقت مرقته صارخا : عهدك يا قلب انتهى !
قسما ما مات منكم واحد إنها رقدة يأسن ! إنها !
أو لو قام رسول ضارع أو شفيع منكمو بمضى لها !
أو من يخبرها عن طائر نسي الاوكار إلا وكرها !

كأس كوكتيل

وفي الكأس من ماء الحدود عصارة أحل الهوى للعاشقين شرابها
وما كنت أدري قبلها أن وجنة تنفس فيها عاشق فأذابها

بعد الحب

أرى سماءي انحدرت وانطوت لا تحسب النجم هوى وحده
فيا نجوم الليل لا نجم لي ولا أرى لي أفقا بعده

ابراهيم ناجي

القبلة الممنوعة

يا غلة الصدر من حرّ الجوى زیدی ياغلة الصدر من حرّ الجوى زیدی
سحریة النهم لو مست بقبليتها سحریة النهم لو مست بقبليتها
تکاد من رقة تغری مقبلها تکاد من رقة تغری مقبلها
قد صاغها الله لما أشركت أمم قد صاغها الله لما أشركت أمم

قل البخيلة: جودى لا لقيت جوى
وساعة تحت أفياء الهوى سلفت
ما ضرَّ لو أنها في قبلة سحت
هل حاذرت حرَّ شوق حين ألتمها
رحماك لليأس المطول بقنعه
ظلمات لا رشقات الماء صافية
شفائوه قبلة لو أن محتضراً
فكم أقبل نعر الزهر من شبه
عين من الخلد من ينهل بكوثرها
صوت من القلب أمله على فها
وللقلوب لغات ليس يدركها
حديث شوق بلا حرف ولا كلم
معنى من الحب يسمو أن أوديه
اللفظ ينقل بالترديد موقعه
دع الرسائل فيما لا تحيط به
فللشفاء على أمثالها لغة
أدت على القلب ما يعيا اللسان به
كم قبلة لا أرى الدنيا لها ثمناً

إن كان يشفعلى قولى لها: جودى!
يا ساعة تحت أفياء الهوى عودى!
مننت بوعدى وإن ضنت بعوودى?
أن تذبل الورد أنفامى بتصعيدى?
من الوجود خيال غير موجود
تروى صدهاء، ولا بنت العناقيد
داوى بها الموت ردت غير مردود
بنفرك العذب فى حسن وتوريد
ورد الحياة يفز منه بتخليد
وعهد حب على الأيام ممدود
سوى فؤاد بنار الوجد معمود
تفضى به شففى للخذ والجيد
بكل لفظ من الألفاظ محدود
وتلك تحلو معانيها بترديد
تلك اللغات ودع صوغ الأناشيد
أحلى على السمع من مزار داود
كمنطق الطير غريد لغريد
فلا تبغ غير معدود بمعدود
أصغر الزمير

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

فتنة الروح

الى فتاة الاحلام الباذخة العلو

وربحانة الأمانى البهية
وهذى البدائع القدسية

يا طير الشباب فى ميعة العمر
من أذاب الجمال والسحر فى فيك

في خُدودِ فتانةٍ خريّةٍ
وتغنتَ لحنُها الأبديةَ
طافَ بالروح في سماءِ عليّةٍ
لك أنشودة الغرامِ السنيّةِ
ذائبُ الطلّ في الزهورِ النديّةِ
فوق نايِ المحاسنِ العلويةِ
مُسْتِثيراً مني الدَموعَ العَصيّةِ
صنِيعٍ من رَفّةِ لُوحِ شقيّةِ
وذكرى من المُنَى الذهبيّةِ
مصن محمد محمود

شهدَ الحسنُ ما عبدتُ سِواهُ
جَمَعَتِ حولكِ المِغانِي تُعْرِى
أنتِ ضوئُ منعمٍ مرمدِيٍّ
أنتِ صهباءُ شاعرٍ باتَ يزجي
أنتِ فجرٌ معطرٌ لؤلؤيٍّ
أنتِ لحنٌ موقّعٌ في الدياجي
رَنٌّ في حالِكِ السكونِ صداهُ
أنتِ يا موقظَ الغرامِ ملاكُ
أنتِ فجرُ الحياةِ في صَفحةِ الحبِّ



انداء القلب

(إن أقلّ العاشقين حبا يظل سيد الآخر)

وصدّت أنتَ إليه لم تتحوّلِ
عيناك بُعدَ حنانه المتشّـلِ
تطويه طيَّ التائه المتعجّلِ
في نفس من أمّ السراب ليحتلّ
كالومض في جوف الظلام المسدّلِ
كالورد جفّ وطاف ذكرُ البلبـلِ
لحسبتَ تمثالاَ لروح المبتلى
كالزهر مال إلى النسيم المقبلِ
في دَمعةٍ كندى الصباح المرسلِ
ريحٌ خلال الشاطئ المتأكلِ
في الليلِ صومعةَ الحزين المحتلّ

مهدُ الغرامِ معطّلٌ (بالمنيل) (١)
ودماكْ صُحبك للمسير فلم تشأْ
وتركتَ نفسك بالخيالِ حياله
أسوان كالأمل الخيّب قائماً
حيران .. تبسمُ ثم تبدو طابساً
وتُتمخّل بساماً وأنت محطّمٌ
لولا اختلاجُ العين منك وأنةً
عَبٌّ يفيضُ وداعةً وعدوبةً
وتفيضُ مَحَناناً شجياً مائلاً
وتنثُرُ كالصوت الحزين وقد جرتْ
أو صوتُ إعصارٍ بهبٌ محطماً

محمد اصمحر رجب
(الحامى)

(١) المنيل: جزيرة المنيل المشهورة بالقاهرة

ثورة القلب

لك يا حبيب الروح ما تهواه
 يا فتنة الناظرين وساحراً
 قدّمت لي كأس الهوى فشربته
 لكم التقينا يا حبيبي والهوى
 بين المروج الناضرات يضمننا
 كم مرة والليل أدرى ستره
 والكون نام وكل شيء هاجع
 والنيل يسبح هادئاً متباطئاً
 وكأن أغناق النخيل تمايلت
 ما أجمل الليلات في ظل الهوى
 بذرت بطل ونحته إلفان حو (م) لها ربّي وحدائق ومياه
 لم يا حبيبي لم تصن عهد الهوى؟
 يا شدّة ما ألتى وأكتم زفرتي
 بعد الغد المنشود وانقطع المنى
 عد للمحبّ يعد إليه هناء
 كم كنت تضحك إن سمعت وشاية
 اليوم تركني فترك رمقاً
 يا هاجري آمنت أنك ساحر
 ما كنت قبل هواي الادمية
 قد كنت مغموراً وحسبك نائياً
 لما عشقتك منجت الدنيا لنا
 فارحمت محبّك واستمع نجواه
 تاهت عقول الناس فيك وتاهوا
 وشربت من خمر الرضا أحلاه
 في نفسنا يسرى بها مسراه
 صدر الحنين وقلبه ويداه
 والبدر أرسل للوجود سناء
 وأنا وأنت سواهم والله
 تحنو عليه مروج ورباه
 طرباً لسحر جماله ورؤاه
 ورياضه ونخيله وسماه
 أنسيت وقريبة ذكره؟
 وأقول إني في غد سآراه
 والياس شاع بمهجتي معناه
 قد طال يا روحى عليك نداء
 من حاذل واليوم . . وأأسفاه!
 تبكى، وقلبا خافقاً بجواه
 سلبت رقادة نواظري عيناه
 مجهولة واليوم قيل إله
 قصرت عيون الناس عن مرآه
 وتحدث بممالك الأفواه

أنا من أشدتُ بحبك السامى أنا
 وزفقتُ حسنك للوجود بحفه
 أسبلت من شعرى عليك غلالة
 يا هاجرى أخشى عليك من النوى
 فى القلب بركانٌ وإن يك هادئاً
 وغداً تنور جوانحى بسعيرها
 وغداً ستعلم ما هوأى وقدره
 وغداً ترى الدنيا عليك تقلبتُ
 وجلوتُ فى شعرى لهم معناه
 نفمُ القريض وسحره وضيئه
 فتطلعتُ لك أعينٌ وشفاه
 فتعالَ قبلَ وقوع ما أخشاه
 فغداً سيطلق ناره ولظاه
 وغداً يضلُّ القلبُ عن منواه
 وغداً ستذكر كلَّ ما تنساه
 وتكارت من نوعك الأَشباهُ
 مأمره الشاوى



امس !

يا حبيبى برَدُ العِقدِ ولم يبرد على الرشف — صداى
 وانقضى أو أوشك الليلُ ولمَّا أقض من فيك مُنأى !

آه ما أحلاك فى قلبى وعيى وذراعى ولسانى !
 ليتنى أفنى بعينيك فأحيا فى نعيمٍ غير فانٍ !

لو عَبَرنا الدهرَ ضماً واعتناقاً لا أرى يُشفى غليلي
 يا حيأتى ! ساعةٌ تعدل منك الدهر ليست بالقليل !

أنت دنيائى ودينى ومعادى وضلالى وهداى
 ليت شعرى عنك يا روحى أنفسى أنت أم أنت سواى ؟

يَا حَيَاةَ الرُّوحِ هَلْ صَاغَكَ رَبِّي مِنْ فَوَادِي وَهَوَاةٍ
أَمْ بَرَانِي الْجَسَدَ الْهَامِدَ مَنْ أُوَدَعَ لِي فِيكَ الْحَيَاةُ ؟

ذَاكَ أَوْ هَذَا فَانَا مَهْجَةٌ وَاحِدَةٌ فِي جَسَدَيْنِ
فَإِذَا نَحْنُ أَعْتَقْنَا فَمُصَلِّ ضَمَّ اللَّهُ الْيَدَيْنِ !

واليوم !

وَانطَوَى الْعَهْدُ ، وَأَفْرَدْتُ لَأَشْقَى تَائِشًا فِي نِصْفِ رُوحٍ
لَيْتَهُ نِصْفٌ سَلِيمٌ غَيْرَ مَنِيٍّ بِأَشْتَاتِ الْجُرُوحِ !

فَلَا مَتَّ بَعْدَكَ كِي أَلْفَاكَ ، أَوْ فَلَا خِيَّ بِالذِّكْرِ لَحِينٍ
وَعَزَائِي فِي يَقِينٍ أَنِّي أَلْفَاكَ فِي دَارِ الْيَقِينِ
عَلَى أَحْمَدٍ بَاكِبٍ

في بيدااء الذكرى

تَبَدَّتْ شَمْسُ الْوَجْدِ وَانْمَحَقَ الصَّبْرُ
وَلَا حَتَّ رَسُومُ الْحُبِّ حُمْرًا كَأَنَّهَا
فَهَلْ مِنْ دَمِ الْعِشَاقِ تُرَوَّى رَسُومُهُ
هَنَالِكَ رِيْعَانُ الشَّبَابِ مَمْزَقٌ
قَضِينَا بِهِ حِينًا نُدَارِي بِهِ الْهَوَى
يَذِيعُ رَسُولُ الْحُبِّ فِينَا رِسَالَةً :
وَتَعْمَى عَيُونٌ لَا تَرَى الْحَسَنَ نَوْرَهَا
وَأَطْرَبُنِي مَاضٍ يَهَيِّجُهُ الذِّكْرُ
مَقَايِيسُ نِيرَانٍ بَلِيلٍ وَلَا بَدْرُ
وَهَلْ مِنْ سَنَا الْآهَاتِ يَلْتَهَبُ الْقَفْرُ ؟
وَتَمَّ فِضَالٌ لَلْفَتْوَةِ مُنْظَرُ
وَشَمْنَا بِهِ حَسَنًا بَخْرٌ لَهُ السَّحَرُ
عَزُوفٌ عَنِ التَّقْبِيلِ فِي شَرْعِهَا كَفْرُ
وَيَحْرِقُ قَلْبٌ مَا عَلَيْهِ لَهُ قَسْرُ

أقنا منار الشوق والحب مدلج
إذا الدهر طادانا ففي الحب ناصر
لنا من مباحات الطبيعة شافع
ومن عنقوان الحب هادٍ وحافز
فكم من ليالٍ أغمض الدهر عينه
تشبُّ بها الأشواق شبًّا مروِّعاً
عناقٍ وتقيل وضمٍّ ورقة
فنتمل حتى لا نرى غير جنة
يُصيخ إلينا الدهر من برج سجنه
كففنا عداة الدهر عن أمن حنا

يقولون لي: بالغت في وصف جها
أغار عليها أن تكلم واحداً
وتظلم نفسي إذ تغيب فانها
وربما تار الدلال برأسها
فتنفر مني كي أراها عزيزة
ويظهر لي منها إباء وقسوة
وما كنت بالمغضى إليها توددي
وأحسبها جدت فأنصاع تائباً
وآسى على ما قد أضعت بحبها
فتغضب مني غصبة لا أرى لها
فأصبح ذا ذنب وقد كنت معذراً
وتظهر لي حبا يريني خلوجها
فأغفر ما قالت وأنسى الذي أتت

فقلت لهم: كل الذي قلته نَزَرُ
وإن بسمت للناس أدركني عسر
أضأت لي الدنيا فطاب لي العسر
وأيسده روح الشبيبة والمكر
وأسمع عنها ما يراد به الزجر
وتغنح حي أن يكافه اليسر
ولكنها ودَّت فكان لها الأمر
وأجرها فالوم يأتقه الحر
وأطفيء قلبي كي يقر به الصبر
مزيلاً سوى أن يوقد القلب والعذر
وأرجع مهزوماً وكان لي النصر
لنلبي فيحتاج التشوق والجبر
ويدرك حي بعد موته النسر

يهون عليها الحبّ أو يبدل الأمرُ
مخافة أن أشقى ويطنني بي العسرُ
بتحنانها المضيّ وزاد بها الشرُ
فاني لذو حزنٍ يهونُ به القبرُ

أخادع نفسي بالتنامي لعلها
وأصرف بالي أن يطور بذكرها
فوالله مُدّ خادعت نفسي أمرت
فقولوا لها إن تحمل شدة النوى



مصطفى جرّاد

أهان عليها أن يرى الناس أنني
هو الحبّ لا نارٌ فأرجو خمودها
على حالةٍ يأسي لها الشامتُ الغرُ
هو الشوق لا قصدٌ يمين به الصبرُ

شيباتي المبسرات

لُحْنٌ مثل النجوم في الظلام
ولقد كنتُ قبلهنّ منيعاً
فهدين الأمل إلى سرّائي
لم أجد من بياضهنّ شفيعاً
فتداعى حصني وطاح لوائي
فبياض الآكفان للأرزاء

حُجِّجْ لَانْقِضَاءِ عَهْدِ شِبَابِي نَاطِقَاتٌ لَدَى احْتِجَاجِ الْقَضَاءِ
كَلِمَا رَمَتْ خَضْبَهَا أَوْعَدْتَنِي بِنَاهُ يَزِيلُ سِتْرَ الرِيَاءِ
هَنْ فِي مَوْطِنٍ ^(١) النَّهْمَى كَسِيفٍ مَصْلَتَاتِ لِقَطْعِ كُلِّ هِنَاءِ
إِنْ تَنْزَيَّ فِي الْقَلْبِ ظُلُومُ فَاظْبِرْ نَ لَهُ خَرٌّ صَاعِقِ الْأَغْمَاءِ
نَذِرُ الْمَهْمِ وَاقْتِرَابِ الْمَنَايَا
بَارِس :



عهد المياه

(مهداة الى الدكتور أبي شادي)

تَظَلُّ تَعَاوِدُنِي الذِّكْرِيَّاتُ وَتَرْقُصُ فِي خَاطِرِي كُلِّ حِينٍ
وَتَضْحَكُ فِي الْقَلْبِ مَجْنُونَةً بَعْدَ الْمِيَاهِ ! فَهَلْ تَذْكُرِينَ ؟
* * *
هَنَّاكَ عَلَى الشَّاطِئِ الْوَلَوِيِّ وَتَحْتَ مِظْلَتِكَ الْوَارِفَةِ
جَلِسْنَا نَغْنِي نَشِيدَ الْغَرَامِ عَلَى نَغْمِ الْمَوْجَةِ الْعَازِفَةِ
وَتَسْمَعِي أَلِينَا قُلُوبُ الْمِيَاهِ لَتَسْمَعَ مَا تَنْشُدُ الْعَاطِفَةَ
نُودُ الْمَوْجِمَاتِ لَوْ دَاعَبْنَا وَفَاضَتْ عَلَى رُوحِنَا الْهَاتِفَةَ
فَتَلْقَى مُؤَاوِةً فِي الرَّمَالِ فَتَرْتَدُّ لِلْبَحْرِ كَالْخَائِفَةِ
وَتَشْتَغِلُ النَّارَ فِي جَسَدِنَا وَتَلْهِيهَا الشَّهْوَةُ الْعَاصِفَةُ
فَنَمْضِي لِنَطْفِئُهَا فِي الْمِيَاهِ فَتَهْتَرُّ فِينَا اهْتَزَّازَ الْحَنِينِ
وَتَضْحَكُ فِي الْقَلْبِ مَجْنُونَةً بَعْدَ الْمِيَاهِ ! فَهَلْ تَذْكُرِينَ ؟
* * *

فَذَوِّبْتُ قَلْبِي فِي قَطْرَةٍ وَذَوِّبْتُ قَلْبَكَ فِي أُخْتِهَا
وَوَحَّدْتُ الشَّهْوَةَ الْقَطْرَتَيْنِ فَبَدَّدْتُا السَّحْبَ عَنْ كَبْتِهَا

(١) هو الرأس كما جاء في شعر أبي تمام.

واطلعتها مجوسية
فرحنا إلى صخرة في المياه
ولم نبق ساكنة في النوازع
نكفر عن عهد حرمانها
فغنت مع الصيف حتى انتهى
وتضحك في القلب مجنونة
تخسرت النار في صوتها
أجادت يد البحر في تحتها
إلا عدونا على بيتها
ونصرخ بالبعث في ميتها
فعدت إلى يأسها تستكين
بمهد المياه ! فهل تذكرين ؟

فيا جسداً أفرغ الله فيه
وأنزله نيراً كالرسول
سجدت لثغاله العبقري
فكم آية في ثنايا العيون
ويا هيكلاً للهوى والشباب
وأحرقت روى وقربتها
تعاودني خطرة عذبة
وتضحك في القلب مجنونة
أجلّ نهاء وألوانه
وأوحى إليه بقرآنه
وطهرت روى لثغاله
تردّ الشرود لايمانه
وهبت الحياة لأوثانه
بجوراً يبيع بأركانه
تجوس خلال مكاني الحزين
بمهد المياه ! فهل تذكرين ؟

صالح جورد

البيت الموحش

تحدثت وثر يا بيت ثورة حائق
تحدثت عن الذكرى وقصّ حديثها
وجدت في قلبي رنين الخوافق
ففي قلبي المكلوم زفرة وامق

لئن كانت الذكرى تقرب ساعتي
فاني فداها الحب والموت أرنجي
وتحبس أنفاسي وتخرس ناطقي
لعل أرى في الموت راحة هاشق

محمد مصطفى المصطفى

الزورق المحطم

(من ديوان « الغمام » المحدث للطبع)

بكى الشاعر بهذا الموشح زورقاً كان مسرحاً للمذاته وزهاته مع حبيبة قضى
عليه أن يهجرها ، وقد حطمت المواصف هذا الزورق الصغير على
صخور جزيرة الحب (إيليا دوس اموريس) وهى من
الجزر المشهورة بمبها لها فى عاصمة البرازيل يؤمها
العاشقون للنجوى

| | |
|---------------------------|-----------------------------|
| طافياً والريح فى تحطيمه | لاتنى - والموج يرغى وبفور |
| كافح التيار حتى لم يعد | من سبيل يبقى سوء المصير |
| فاحتواه الشطء ، لكن قطعاً | بعثرها الريح ما بين الصخور |
| نهمس الأمواج فى أخشابه | همسات الفأس فى الغاب الكبير |
| رُب مرّة صانه الموج الى | زمن باح به للزورق |
| انما الناس سفينة تائهة | فى عباب الدهر رهن الفرق ! |

| | |
|-------------------------|-----------------------------|
| أبها الزورق اكم من زهرة | فى حواشى الليل تُغرى الشفقا |
| كنت للذة عشاً دافئاً | كنت للآمال روضاً مورقاً |
| كنت دنيا الحب بل جنيتها | لحبيبين عليك اعتنقا |
| قطع الفجر شراعك اذا | صفقت كف النسيم اصطفا |
| والمنى أغنية مسكرة | يختفى فيها أنين الألم |
| والهوى كأس لذيذ ، انما | فى قرار الكأس طعم العلقم ! |

| | |
|---------------------------|----------------------|
| كنت كوخ الحب بل قصر المنى | يوم زينك بالشئ العجب |
| يوم ليل عقدت من شعرها | بمجاذيفك أسلاك الذهب |

وحبتك الورد في ألوانه
زينة في عُرْسِ الوصل على
يا لها من ذكريات حلوة
فيرينها الهوى مائلة
حُللاً تسطع بالشمس لهباً
قُبَلِ تسترقص الموج طرباً
تختنى (ليلى) فيها وتعود
تحت ضوء البدر في الشاطئ البعيدا

ها بنانُ الفجر فيما زركت
والمجاذيفُ التي خطت على
والتماثيلُ التي شدنا على
قد محها الليل في قسوته
فوق بُسْطِ الرمل من شقَى الصُورِ
لوحة الأمواج آيأ وسُورِ
مذبح اللذة في ضوء القمرِ
فتلاشت أثراً بعد أثرِ
بعد ما حنطها القلب الكثيبُ
تتوارى الشمسُ في نعشِ المغيبِ !
قد توارت في دجى الذكرى كما

أيها الزورق فليطغ الدجى
هل ترى الصياد يخشى بللاً
هل يبالي الطير والزهر ذوى
ما عنى الروضة إن جردتها
وليئن الموج ولتعور الرياحُ
بعد أن اعياء في اللجج الكفاحُ
ان غدت أنغامه الفرخى نواحُ
من سناها - غاب أم لاح الصباحُ
ان أحلامى ولت كالربيعِ
كف لذاتى محطوماً خليعاً !
مثلها أو جمعى أنى أرى
ريودي جانيدو :

(صاحب الاندلس الجديدة)



ذكريات

حينما كنّا على عرش الهوى وتعلقنا بأذيال المني
هتف الليلُ بنا أنْ أسرعوا قبل أن يأتىكم عهدُ الضنى

شهد الليلُ علينا أننا فى رياض الحب كنا رانمينَا
شهد النجمُ علينا أننا فى انتهاب السهد كنا مسرفينَا
شهد الروضُ علينا أننا من زهور الوجدِ كنا قاطفينَا
فقدنا الليلُ صباحاً مسفراً يخجل الشمس ضياءً وسنا
فنود الليلَ يبقى مرمداً ونهاب الصبح إن وافى لنا

حينما بنينا على عرش الهوى فقدنا العالمَ لا شئَ لدينا
ليس الا الحبُّ فيه مائلاً نعبد اللقيا ونخشى بعدُ بينا

أقبلت تحت الدجى من خوفها تسرع الخطو ونخشى الرقيا
وبدا تُغرّ لها فى بحمة جعلت ذاك الدجى صباحاً أضاء
رحمة الله لها من مهجة فقدت غير فؤادى الرحمة
فرض الناس عليها رأيهم ورأت فى صدّها كذباً ومينا
وافقتهم فى خداع وانثنت لتقول الحبُّ إذ الحبُّ أيننا!

حينما بنينا على عرش الهوى صمت الكونُ وكنا ناطقينَا
شفها ماشف جسمى من جوى فالتقينا وافترقنا خائفينَا

كلما آلمنا جرحُ الهوى ضحك الحسنُ وكلُّ فى عنادة

كلنا من جرحه في ألمٍ ويرى الحينَ على كفٍّ بعادةٍ
نفذ الصبرَ فصرّحنا ولم يتمكن ذو رشادٍ من رشادةٍ
ففرقنا بدموعٍ لججٍ مذ غدونا بهوانا طالينا
لست أنمى ليلةً بتنا بها بكثوس الوجد غرقى نملينا

حينما بتنا على عرش الهوى صمت اللفظ وناجتني الميونُ
أسفاً ! لم أدر يوماً أن ما أوحى الألفاظ للقلب المنونُ

نظرت نحوى وأوحى بالوداع نظرة طالت وطالت واستقرتُ
فتنهدت ولم أملك دموعاً هى فوق الحد كالغيث استهلتُ
عجباً للوصل كم ولى مريعاً ولياليه سنا البرق تولتُ !
وانقضى العهد فلا شيء سوى ذكرياتٍ هى فى القلب شجونُ
ذاب منها الجسم يا صاح جوًى قائلاً للحين : أيا ن تحينُ ؟

عبر الفنى الكنى





تكريم الدكتور ناجي

(هذه هي القصيدة التي ألقاها الدكتور ابراهيم ناجي
وكيل جمعية أبولو في الحفلة التكريمية التي أقيمت
لمناسبة صدور ديوانه وقد أشرنا إليها من قبل)

| | |
|------------------------------------|------------------------------|
| يا صفوة الأُحبابِ والخلائِرِ - | عفواً إذا استعصى علىَّ بياني |
| الشعرُ ليس بمسعفٍ في ساعةٍ - | هي فوق آيِ الحمد والشكرانِ - |
| وأنا الذي قصَّيَ الحياةَ معبراً - | ومترجماً لخوارج الوجدانِ - |
| أقفُ العشيَّةَ بالرفاقِ مقصِّراً - | حيران قد عقدَ الجليلُ لساني |
| يا أيها الشعرُ الذي انطلقت به - | روحي وقاض كما يشاء جناني |
| يا سلوتي في الدهرِ ، يا قيثارتِي - | مالي أراكِ حبيسةَ الألحانِ ؟ |
| أين البيانُ وأين ما غنيتي - | أيام تنطلقين دون عنانِ ؟ |
| نحوالك في الزمنِ العصيبِ مخدَّرٌ - | نامت عليه يواقظ الأشجانِ - |
| والناسُ تسألُ ، وهو أجسُّمةٌ - | شعرٌ وطبٌّ ، كيف يتفقانِ ؟ |

| | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| الشعرُ مرحةُ النفوسِ ومرهٌ - | هبةُ السماءِ ومنحةُ الديانِ - |
| والطبُّ مرحةُ الأجسومِ ونبعةٌ - | من ذلك الفيضِ العليِّ الشانِ - |
| ومن الغمامِ ، ومن معينِ خلفه - | يمجدانِ إلهاماً ويستقيانِ - |

| | |
|------------------------------------|-------------------------------|
| يا أيها الحبُّ المطهِّرُ للقلوبِ - | بوغاسلِ الأراجاسِ والأدرانِ - |
| ما أعظمَ النجوى الرفيعةَ كلما - | يشدو بها روحانِ بحترقانِ - |

أرقنا من الدنيا وفي جسدَيْهِما ذلُّ السجين وقسوةُ السجانِ
فتطلعا نحو السماء وحلقا صُعُداً الى الآفاق يرتقيانِ
وتعانقا خلف الغمام وأنزعا كأسيهما من نشوةٍ وحنانِ

أكتبُ لوجهِ الفنِّ لا تعدلُ به عرضَ الحياة ولا الخطامِ الفاني
واستلهم الأُمَّ الطبيعةَ وحدها كم في الطبيعة من سرٍّ معاني؟
الشعرُ مملكةٌ وأنتَ أميرها ما حاجة الشعراء للتبجانِ؟
(هو مير) أمره الزمان بنفسه وقضت له الأجيال بالسلطانِ

اهبطْ على الأزهار وامسح جفنها واسكب بذاك لظامِيٍّ صديانِ
في كلِّ أليك نفحةٌ وبكل روض طاقةٌ من طائر الريحانِ

❖❖❖❖❖

ذكرى الشابي

في التاسع من شهر أكتوبر المنصرم مات بذات الصدر أبو القاسم الشابي شاعر تونس الفتى ومن نوابغ شعراء الشباب في العالم العربي . وُلد أبو القاسم في « توزر » ودرس القرآن في جامع الزيتونة ، وحصل على شهادة الحقوق من كلية الحقوق التونسية وقضى حياته كلها في تونس لم يرحلها ، ومنحها عصارة روحه وذهنه في روائع قصيده في الوطنية والحديث الى الشعب بألامه وآماله ، حتى وهو في (طبرقة) يصارع الداء الذي صرعه . ولكن الشابي مع ذلك لم يكن فقيد تونس بمفردها لتبكيه ، بل كان فقيد العالم العربي بأجمعه ، فكان لزاماً على مصر والعراق وسوريا وبلاد العرب أن تبكيه كلسان من ألسنة الشرق التي وقفت للغاصب ، وهبطت من عليائها لتتحدث عن الحرية وتدعو اليها . ولكن العالم العربي الذي بكى الشابي يوم أن نعاها النعاه نسي الشابي عند ما مرت بموته ساعات ، ونسيت كل أمة بضحاياها فقيد

العرب ، وكان كل ما قدمته تونس للشاعر الفيلسوف حفلين أقيم أولهما في الحادية والعشرين من أكتوبر والثاني (موسم تأبينه) في الثالث والعشرين من نوفمبر ، وكان نصيب الشاعر الفيلسوف حفرة من الأرض في الوطن الذي ضاق به ، وكانت هكذا نهاية الشاعر الذي قال :

« فتهافتُ — كالهشيمِ على الأرض »

« وناديتُ : « أين يا قلب رقتي ؟ »

« هاته ، علّتي أخطئ ضريحي »

« في سكون الدجى ، وأدفن نفسي ! »

وقد وافانا بريد تونس الأخير بحديث طويل عن الحفلين في رسالة ومممت بعنوان « ذكرى الشابي » نشرها صديقه الأديب الطيب العنابي خريج جامعة الزيتونة الأعظم ومدرسة ابن خلدون .. وعدد من مجلة (العالم الأدبي) التي يصدرها الصديق الأملعي زين العابدين السنوسي . وفي العالم الأدبي قرأنا حديث حفل التأبين : الموسم الذي جمع أدباء تونس وشعراءها للاحتفال بذكرى الشاعر النابغ . وفي ثاني الحفلين — موسم التأبين — ساهمت الأمم العربية فرادى فصاح صوتٌ من القاهرة نيابة عن جماعة أبولو ومحبي الشابي بعصر في قصيدة رائعة للصديق الشاعر مختار الوكيل فأشجى سامعيها ، وغرّد صوتٌ من لبنان في قصيدة للشاعر حليم دموس فأبكى ، وقرئت رسالة سوري من القاهرة بعث بها الصديق الأديب النازح حبيب جاماني فناب قلمه عن قدمه وتحدثت كلماته بعبراته .

وقد أقام الحفل الأول جماعة الشبيبة المدرسية التونسية فرع جمعية قدماء الصادقية وافتتحها السيد الصادق المقدم رئيس الشبيبة المدرسية بكلمات مؤثرة في الحث على تخليد ذكرى الشابي ، وخطب في الحفل السادة محمد العربي أحد طلبة جامع الزيتونة والصحفي الطيب بن عيسى صاحب « الوزير » الغراء ، والصادق حمادة ، ومصطفى خريف ، ومصطفى التلاغي ، ثم قرئت كلمة نثرية للشاعر محمود أبي رقيبة وقصيدة للشاعر السيد مفدى زكريا ، وارتجل الشيخ مصطفى المؤدب المتطوع بجامع الزيتونة بحثاً بليغاً عن مظهر البؤس في شعر الراحل الكريم ، وتحدث عن تبرّم الشابي بالحياة في قصيدته التي جاء في مطلعها :

يا صميم الحياة ؟ اني وحيدٌ مدلج نائمةً فأين شروقك ؟

يا صميم الحياة ! انى فؤاد ضائع ظامى ؟ فأين رحيقك ؟
يا صميم الحياة ! قد وجم الناي وغام الفضا فأين بروقك ؟
يا صميم الحياة ! أين أغانيك ؟ فتحت النجوم يصنى مشوقك
والتي جاء فيها :

سأم هذه الحياة مُعادً وصباحٌ يكرُّ في إثر ليل-
ليتى لم أُنَد الى هذه الدنيا ولم تسبح السكواكبُ حولي
ليتى لم أزل كما كنتُ ضوءاً شائعاً في الوجود غيرَ سجين-

ووقف الأديب الفاضل عند هذا الحديث من التبرم والضيق ، وهذا التبرم كبير الصلة بما رُمى به الشابي في حياته من زندقه وما اتهم به من الحاد . فالناس لم يفهموا فلسفة الشابي حياً ، فلما مات نسوا زندقته وإن كانوا لم يفهموا فلسفته بعد ، فأقيمت له حفلات التأبين وأشيد بفضلته على الشعر في عصر التطور والتجديد . وأقيم حفل التأبين في القاعة الكبرى لمسرح الجمعيات بشارع باريس في تونس وخطب في هذا الحفل السادة محمد الصادق ما زيبغ وزين العابدين السنوسي ومحمد الفائز القيرواني ومحمد الحليوي ومحمد عبد الخالق البشروش ومحمد بدره والبشير القرني ، وأُنشد الشعراء الأفاضل محمود بيرم ومحمود أبو رقيه وجلال الدين النقاش ومحمود الرخصي ومنفدى زكرياء مرانهم ، ثم تلقيت مراني أدباء الأمم العربية الذين احبوا الشاعر حباً فتوافروا على رثائه ميتاً ، من ذلك جاء في قصيدة الشاعر مختار الوكيل :

يا صاحبَ الناي الذي أنغامه فتنُ الربيع
ومحرك الآمال والآلام بالحن الرفيع
ومعانق الشفق المذهب في خيالات القصيدة
هجي لصمتك والصباح ضياؤه يُغري الفنون
والصادحاتُ الوداعاتُ طفرن ما بين الفصول !

وبعث الشاعر حليم دموس من الجبل مرثيته وفيها يقول :

الى تونس الخضراء من أرز لبنان- لواعج أشجان- وآيات تحناد-
سلامٌ عليها فهي دارُ أحيّة ونجعة آدابٍ وشرعة عرفان

أبا القاسم الشابي عليك تحية
 ومن كل مصر يمشق الضاد أهله
 من الأرز من سنين من أرض لبنان
 ومن كل قطر يزدهى باسم عدنان
 فقم في ظلال الخلد فاسمك خالد
 يردده التاريخ في العالم الثاني

وكان خير ما قيل في رثاء الشابي الدراسة القيمة التي ألقاها السيد محمد الحليوي ، وقد جاء فيها عن قدسية الشعر : « وليس في ديوان الشابي بيت واحد قاله في غرض من الأغراض الزائلة أو في مطلب من المطالب العارضة أو في خصوصية من الخصوصيات أو في شخصية من الشخصيات بينما لا يخلو ديوان معاصريه في الشرق العربي من قصائد في الاخوانيات والخصوصيات ، هذا إن لم تكن في توديع المسافر ، واستقبال القادم ، وتكريم المثلة والمغنى ، والبابي والمتصدق ، وحق الناجح في مباريات لعب الكرة . وهذا هو فضل الشابي على الشعر العربي الحديث وعظمه قصيده كانتاج شاعر فرد ، فقد ضرب الشابي للشعراء أحسن الأمثال في الخروج بالشعر عن الأغراض الدنيوية ، وإيقافه لحديث السياسة ، وبث روح الوطنية في قلوب أبناء الوطن المنكوب للدفاع عن حريته ، ولم ينصرف الشابي إلى الدنيا حتى في حديثه عن المرأة . وللمرأة في شعر الشابي نظرة جديدة : فالمرأة في الأدب العربي ملهأةٌ بحمد الرجل عندها متعة الجسد ، والشاعر في الأدب العربي القديم والحديث إذا ما تحدث عن المرأة ذكر الخصر والردف والقامة والعينين والهم والوجه ، ولكن الشابي رآها النصف الجميل الذي يحمل في قلبه رحيق الحياة . وجمال المرأة في نظر الشابي طيف من ضوء الجبال الكلي في الوجود . واسمعه يقول فيها :

أنتِ ! ما أنتِ ؟ .. أنتِ رسمٌ جميلٌ
 عبقرى من فن هذا الوجود
 فيك ما فيه من غموض وعمق
 وجمال مقدس معبود

وقد عرض السيد محمد الحليوي إلى أثر لامارتين في شعر الشابي وخرج بهذا على زعم أن الشابي قد قرأ كل ما عرب للامارتين وخصوصاً (روفائيل) وقاس الصلة بينهما بقياس التشبيه الذي تملأ فيه قال : « فالشابي شبه الطبيعة بالمعبد ولامارتين شبه السماء بالمعبد والسحاب بالبخور والنجوم بالشموع التي تضيء ذلك المعبد ، على أني أعتقد أن الصلة بعيدة فالشابي كان أبداً أنسى معنى من لامارتين ، فهذا يقول في

قصيدته (البحيرة) : « أيتها الأرض قفي دورانك ، وأنتِ أيتها الساعات قفي جريانك ودعينا نتمتع بعاجل لذاتنا وننعم باجل أيام شبابنا ! » ولكن الشابي يقول في قصيدته (ألحاني السكرى) :

قد سكرنا بحبنا واكتفينا طمح الكاس فاذهبوا ياسقاء
نحن نحيا فلا زبد مزيداً حبنا ما منحنا يا حياة

وأعتقد بالإضافة الى هذا أن روح الشابي لم تتصل الأبروح جبران ، وأن الصلة لم تبعد بينهما الا في الأحزان . وأذكر أنني قلت عن هذه الصلة في مقال عن أبي القاسم الشابي الذي كتبت له مجلة (الامام) : « وقلت لك إن الشابي وجبران روح واحدة في جسدين ، ولكن ليس معنى هذا بحال ما أن الشابي نما على مائدة جبران ، وقد تكون الصلة التي ربطت بين آرائهما ووجهتهما في الحياة أن كلا منهما عاش حائراً في الوجود ، وقرأ للشابي قصيدته (الأشواق التائهة) وتطالع لجبران مقطوعته المنشورة « الشاعر » فتدرك لهذه الحيرة عواملها وأسبابها .. »

وبهذين الحفلين انتهت ذكرى الشابي التي دُعِيَ لها في العالم العربي بأجمعه ، وقد حملت لنا الصحف في الشهر الماضي بضعة أحاديث عن شعر الشابي لجماعة من أدباء تونس وشعرائها ولكن هذا كله في مجموعه لا شيء الى جانب جهاد الشابي من أجل العرب والعربية ، وهي مقدمة نافذة مدت يدها بها تونس لشاعرها الفذ بعد أن وُورى في أشبار من الأرض كانت هي كل نصيبه في الحياة الدنيا ! رحم الله الشابي ، وعزاء لتونس ، وعزاء للغة الضاد !

عبر الفلاح إبراهيم



ندوة الثقافة مذكرة

مرفوعة إلى أصحاب الدولة والسعادة وزراء الداخلية والزراعة والمعارف والمالية
تتشرف ندوة الثقافة بعرض ما يأتي : —

تشمل هذه الهيئة جمعيات مختلفة لخدمة الصناعات الزراعية والاقتصاد والشعر
والأدب الشعبي ، ومن أجل ذلك تصدر خمس مجلات هي أبولو والامام ومملكة النحل
والدجاج والصناعات الزراعية .

وقد لقيت هذه الهيئة شيئاً من المعاونة من الحكومات المصرية المختلفة لأن
صبغتها الثقافية المستقلة جعلتها دائماً أهلاً لذلك ، ولكن هذه المساعدة لم تكن
كافية لموازنة مآليتها فكانت النتيجة بعد مرور هذه السنين تراكم الديون عليها مما
يجعلها مضطرة الى ايقاف جميع أعمالها ابتداءً من سنة ١٩٣٥ اذا لم تجد المناصرة
الكافية من الوزارات والمصالح المختصة سواء باعانة مالية أم باشتراكات كافية في مجلاتها
التي هي الوحيدة من طرازها في العالم العربي وتمدد فراغاً محسوساً في الثقافة
العربية المتنوعة .

وهناك عامل آخر هام له كل الاعتبار في استمرار أعمال الندوة أو ايقافها :
ذلك أن مشوراتها الفنية كانت ولا تزال تجد مقاومة عنيفة في بيئات بعينها من
الموظفين بسبب البيروقراطية المتفشية ، على أن أكبر الأمل أن تتحوّل هذه الحالة
في العهد الجديد الى ما هو أصلح منها ، فلا يرى ذلك الطراز من الموظفين أن من
الواجب عليهم تستر بعضهم على بعض ولو ضاعت المصلحة العامة ، ولا يرى أي
عضاضة في التعاون المشترك بين الفنيين داخل الوزارة وخارجها خير الوطن .

ولا تتعدى مالية الندوة اشتراكات المجلات والاعانات المحدودة وكلشها توضع
في بوتقة واحدة يُنفق منها على جميع أعمالها ، فاذا جاء التقصير في بعض نواحيها
فذلك بسبب قلة الموارد نسبياً . وأما المحررون وبينهم سكرتير الندوة فيتبرعون
بجهودهم بدون أي مقابل . وإن هدفنا هو تحويل الندوة الى هيئة تعاونية مساهمة

تحت اشراف قسم التعاون ضمانه لشمول منافعها واستمرارها وأسوة بما هو جارٍ في مملكة الدنمارك بصفة خاصة ، وهذا لا يتحقق قبل أن تنال الندوة ما يكفي أولاً من المؤازرة الاعتيادية من فنية ومادية من شتى الوزارات والمصالح المختصة .

لذلك ننشر بعرض هذه المذكرة على حضرات أصحاب الدولة والسعادة وزراء الداخلية والزراعة والمعارف والمالية تمهيداً لمقابلة وفد من أعضاء الندوة لحضراتهم وكلنا أملٌ أن تنال العناية التي يستحقها موضوعها وجهودنا في السنوات الماضية وهي خيرُ تزكية لنا ما

السكرتير العام لندوة الثقافة



نقد وتعليقات

نقد الشفق الباكي

(٢)

يرى الدكتور طه حسين أن "النقد الأدبي هو تعبيرٌ تأثريٌّ يقوم على «الفوضى» وليس أحكاماً قضائية واجبة الطاعة . وكنا نؤثر أن يضع كلتي «الاستقلال والحرية» في موضع «الفوضى» فالحرية روح الفن الذي تدعمه المواهب والقدرة ، والشخصية عنصرٌ حيويٌّ للفن" ، ولكننا لا نستطيع أن نتصور الفوضى من عناصر الفن كما لا نتصور أنه يُجندم بترحيب الصحف بكل من هبَّ ودبَّ .

فنحن مثلاً نتذوق كتابه الدكتور طه حسين ولوجأت ضدننا، لأنه أستاذٌ في نقده له دراساته وله فضوجه، فهنا تكن المؤثرات الوقتية عليه فأراه بلا شك جذابةً في أسلوبها ، حتى ولو لم تكن مطابقة للحقيقة ، ونستطيع أن نتقبلها ونناقشها . ومثله في مكانته أهلٌ لا بداء الرأي النقدي كما أن للصحف أن تحفل الحفاوة الواجبة به مهما تكن ظروفه .

والعكس هو ما ينطبق على الشباب الذي يُفرَّز به لتسفيه معلّميه . ولكن جريدة

(الوادي) لها نشوة خاصة في الترحيب بهذا العبت ضدنا. ونحن اذا غفرنا لأحد محرريها المشهورين المناوشة والممازحة قوله عن «آراء في الشعر»: «وهناك رأي ثالث يقول بتحرير الشعر من الوزن والقافية والمعنى واللغة، وصاحب هذا الرأي وعلى الأصح أصحاب هذا الرأي جماعة أبولو» - اذا غفرنا مثل هذا الكلام الذي يقال جزافاً وما يتفرع عنه لانه أبعد ما يكون عن الجد، فكيف نفقر لصحيفة محترمة مثل (الوادي) تسويد صفحتها الأدبية بكتابات الناشئين المتهمجين عن جهل وغرور على معاسيهم؟!

ونحن اذا تناولنا بعض هذه الكتابات بتعليقنا فأنما ذلك للفائدة الأدبية العامة، لأن الكتابات ذات قيمة أدبية في عناصرها، راجين في الوقت ذاته أن نقنع رجال هذه الصحف بخطأ التهاون ازاء ما يسمى بالنقد الأدبي من أقلام الناشئين، وما هو إلا عين الفساد الأدبي والفوضى والتغريب الجاني على الشباب المفتونين ببارغ الشهرة من أهون سبيل، ولو على حساب أماتيدهم!

يلهو نافذ (الشفق الباكي) في جريدة (الوادي) بالكلام عن الشعر المرسل والشعر الحر مقتطعا التعابير اقتطاعاً لتظهر سخيفة لا رابط لها ولا معنى ثم لينعت ذلك «بالعب الفارغ»، وهو بين الفينة والأخرى يبكي على همزة وصل، أبدلت بهمزة قطع دون أن يفهم أن في هذا الفتا للذهن وتوكيداً خاصاً لمناسبات فنية توجب ذلك كالأشارة الى اسم الجلالة (ص ٨٠٣).

وعزیزنا هذا يرى أن «ترنمة أنون» (وهي من نظم الفرعون الشاعر العظيم أختاتون) قد بلغت من التفاهة مبلغاً عظيماً، وما ذلك الا لجهله بروحها التصويقية التي أكتسبتها شهرة عظيمة. و «زین» جهله بانتقاد كلمة «حال» في مطلع هذه الترنيمة (ص ٩٦٣):

تَبَلَّجُ الفجرِ حالَ بأفقِ هذی السَّماءِ

فقال حرسه الله إن صوابها أن تكتب «حالياً» كأنما لم يسمع في حياته بوجوب رفع خبر المبتدأ!

وهو يلعن قصيدة «ملكة إبليس» (ص ١٠٢٣) ويلعن وسمها الفلسفي ومراميها لا لذنب جنته سوى طولها وبُعديها عن النظم الايقاعي المعبود!

ولو فرضنا أن جميع الشعر المرسل والحر الذي قرضناه لم يكن شيئاً مذكوراً فليس هذا بالذي ينهض عذراً للسخرية من جميع شعرنا على اختلاف نماذجه ، حتى أذى التغير بـصاحنا العاجز هذا الى اعتبار قصيدتنا في « الربيع » (ص ٥٧٤) خاوية « ليس فيها بيت واحد جميل يُشعر بك بأن هنالك ربيعاً حقاً ، بل هي تشعرك بشتاء موحل قدره » فليرجع اليها القراء ليروا الى أي حد تهبط الأحكام الأدبية وبلغ إسفاف الرأي ، فهذه إحدى قصائدنا التي نوه بها غير واحد من كبار الأدباء .

ونجى قصيدة « الشفق الباكي » (ص ٦٤٢) المصورة لمشهد الغروب في جهة أثرية ، وقد جاء في مطلعها :

لا الشعرُ شعرٌ ولا الأوزانُ أوزانُ إن فاته من شعور الكون ميزانُ
فصارت المعية الناقد أن ترى في البيت خطأ قبيحاً بامادة الضمير في (فاته)
على الشعر ، وأن الأصح أن يعود الضمير على الأقرب أو يشملها جميعاً فيقال « إن
فاتها من شعور الكون ميزان » .. ولو تدبر حصرته لوجد أن في هذا التوجيه
الى « الشعر » معنى الحفاوة الخاصة بروحه قبل « الأوزان » التي تأتي تابعة .

وفي هذه القصيدة وصف لبعض الآثار عند الغروب كقولنا :

وذلك الهيكل المصدوع يملؤه حُزنٌ ، وتطفو على مَرَّاهِ أحزانُ
وهذه العمُد — اللاتي بشقتنَّها ذكروا وجدنَّ — يراها الآن تخننُ
لها الشعاعُ غذاءً تستعين به على الزمان ، إذا لم يقوَ إنسانُ
وهذه الشمس في الأجيال تحرسها كأنما هي بَعْدَ الله رحمنُ !

فهل يصدق أي قارئ له مسكة من الشعور والروح الأدبية أن ناقدنا هذا تبلغ به السخافة أن يقول إن هذا البيت الأخير مسخ لبيت العقاد :

والشعرُ من نفس الرحمن مقتبسٌ والشاعرُ الفدُّ بين الناس رحمنُ

لا لسبب سوى أن كلمة « رحمن » وردت قافية لكل من البيتين وإن اختلف المعنيان كل الاختلاف ؟ ومثل ذلك قوله إن بيتنا في ذكرى دنشواي (ص ٧١١) :

صادوا النفوس كأنهن حائمٌ واسترسلوا في الموبقات وجاروا

مأخوذٌ من قول حافظ إبراهيم :

إنما نحن والحمام سواء لم تغادر أطواقاً الأجياداً
والبيت الأول يشير الى صيد النفوس كصيد الحمام ، والبيت الثاني يشير الى
حالة الأمر التي عاناها المصريون . والاشارة الى « الحمام » طيمية في الموقفين
وليست تقليدية ، كما أن المعنيين مختلفان لكل ذى بصر بالشعر .

وقضى تمحُّكُ ناقدنا الألعى بأن يرى في مستهل قصيدة « النقد السليم »
(ص ٧٣٠) انتهاباً لشعر أبى الأسود الدؤلى . فأما مستهل قصيدتنا فهو :

إن تطلب النقدَ السليمَ فلا تكن متحاملاً أو جاهلاً وعجولاً
إبدأ بنفسك مرشداً ومهذباً وتلق من درس البيان أصولاً
واعلم بأن الفن غير رواية للفظ كم نثرت عليك فصولاً
تتعاقب الأجيال وهى بعينها وتدوم ملقاة عليك فصولاً
وتنوع الأصباغ وهى مريضة فيخال مظهرها الفنى جيلاً ١
وصاحبنا العزيز يرى أن البيت الثاني أو شطره الأول مأخوذٌ من قول أبى
الاسود الدؤلى :

إبدأ بنفسك فانها عن غيبها فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
وفانه تقدير التعابير الانسانية المشتركة فى المعانى الغامضة التى ليست من صميم
الشعر ، ولكن حيلة العاجز المتعنت أن يتمسح بالنقد كما يفعل صاحبنا غافلاً عن
الروح الشعرية المسيطرة على القصيدة وعن غاياتها ١
ويروقه أن يؤاخذنا لترجمة البيت الأول من قصيدة كبلنج القصصية الشهيرة
(ص ٧٤٦) التى يقول فى مطلعها وفى ختامها :

Oh, East is East, and West is West, and never the twain
shall meet,

Till Earth and Sky stand presently at God's great
Judgment Seat ;

But there is neither East nor West, Border, nor Breed
nor Birth,

When two strong men stand face to face, tho' they come
from the ends of the earth !

وقد أسخطه أن ترجم كلمة «twain» بالتوأمين قائلاً: إن الصواب «الائنان» لا «التوأمين» لأن التوأمين دائماً متصلان (كذا)، وكما فاته معرفة صحة هذا الشعر الإنجليزي فنشره مشوهاً مُنبِتاً أنه لم يقرأه في حياته، فكذلك فاته أن يعرف أن «twain» تأتي بمعنى «شطرين» وأنّ روح القصيدة يُعَلَى الترجمة التي لم تعجبه، وأنّ هذه الترجمة اعتمدها من قبل غير واحد من الأدباء الضليعين في اللغة الإنجليزية ولها صبغة شعرية، بعكس كلمة «الائنان»، فالترجمة إذن ليست خماً وإنما هي أدق مما يتوهم صاحبنا المسكين ومن يوسوسون له.

ولا عجب بعد ذلك إذا شقّ عليه أن يفهم معنى هذه الآيات في قصيدة «لغتي» (ص ٧٤٧):

قلّ للذي ما ذرى ما عبرت لغتي به عن النفس من حسّ وتفكير
وال ذلك زنديقٌ بلهجته خفّ ملامك!... لا تلجأ لتكفير!
لعلني أفهمُ الرحمنَ خالقنا فهماً جديراً بالهامي وتفسير
أعيشُ عيشةً صوفيّةً بجهته في كلّ أدب، وحسبي روحٌ تعبيري
وكم دعى بتفكير وفلسفة وكلّ أحلامه أضغاثٌ تغرير!
ولا محب إذا قال: «إن هنا نفسية تشهد بخطئها ولكن في أسلوب سقيم».

ويعود صاحبنا المسكين إلى حيرته في استعمال علامات النداء التي قد تحمل عليها علامات الوقت القصيرة في اللغة الإنجليزية وإلى حيرته في الجوازات العروضية وفي معنى الحال ونحو ذلك من المسائل البديعية... ويدفعه جهله بأسرار البيان الإنجليزي إلى تحطّطه ترجمتنا لقصيدة الشاعر الغنائى و. ه. ديفز «تعالى! تعالى! حبسية قلبي» تحطّطه مضحكة فليرجع القارئ إلى الترجمة والأصل في الديوان (ص ٧٥٨ — ٧٦٠). ولكنه معذورٌ على هذا التبجّح مادام يجد من صحيفة كبرى التشجيع الكلى لا تنقاصنا بما يتفتن فيه من تعابير سمجة وقحة كما وجد غيره من بعض المجلات والصحف التشجيع العظيم للنيل من أخلاقنا وشرفنا في حركة عدوانية واسعة النطاق خدمة للمعرضين العابثين الذين لا يجدون منا نصيراً لأنانيتهم الحقهاء.

وحسبك من هذا العاجز الذي تعزّز جريدة (الوادي) ببطولته في الهديان والشتائم بين من تعزّز بهم من أمثاله — حسبك منه إظهاراً لملكته الشعرية عجزه عن تفهم قول الشاعر ديفز لحبيته: بادري إلى رؤية الصباح الجليل المنتظر افترد علينا ألمية هذا الناقد العجيب بقولها: «لا يعني الشاعر أن يقول لحبيته إن الصباح انتظرا! أو هو

منتظر ولكنه يقصد أن يقول: تعالى قبل مضي الصباح لنتمَّع بنظرنا بسحره! هذا ما يريد الشاعر الانجليزي أن يقول، ولكن أباشادي يمسحه ويريد أن يغير أحكام الطبيعة... أما الشاعر فلا يعنى هذا قبل أن يعنى أن الصباح الجميل يترقبها وينتظر رؤية جمالها، وهذا المعنى الضمني الذى توحىه كلمة « ينتظر » أقرب الى الروح الشعرية من ترجمة كلمة « waits » بمعنى « لا يزال ».

وطاب علينا الناقدُ الحصيفُ أن نقرض الشعرَ في مناسبات شتى، وتفضل علينا فلقتنا « بشاعر المناسبات ». وهذا تنازلٌ عظيمٌ منه لا نظن أننا نستحقا، فكم من شاعر عظيم هو أولى منا بهذا اللقب، وليست المناسبات بالتي تنفى الـ عرية العظيمة وانما هى الروحُ السطحيةُ الفجةُ كروح ناقدنا الهام.

وقد هدتهُ المميتهُ الى اكتشاف غلطة لغوية في أبيات صديقنا الشاعر عبدالله بكوى « كهرباء الحياة » (ص ٨٤٩) إذ يقول مداعباً :

إنَّ (شَمَّ النسيم) في المعمل البَك
في هدوءٍ وراحَةٍ تفحص المِكَ
فأنا عاملُ التلغرافِ يُضني
فتى أيها الصديقُ سنغدو في غنى عن وظيفةٍ وتقوُّزٍ ١٩
والشاهدُ هو كلمة « العزيز » التى ظننا صاحبنا صفةً لكلمة « صديق » وفاته أنها خبر « إن » ، وقد كان الشاعر يقارن بين حالتنا وحالته فى اضطرار كل منا الى العمل الرسمى فى يوم شم النسيم وكان ذلك بمدينة بورسعيد سنة ١٩٢٦ ، هو بمكتب التلغراف وصاحب (الشفق الباكي) بمعمل بور سعيد البكترولوجى وقد رددنا عليه حينئذ بهذه الأبيات :

يا صديقي العزيز اأسعدك الـ
رُبَّ حَبْسٍ يُعَدُّ حظًا سنِيًّا
كن صبوراً كذا الحياةُ احتجابُ
يُسَجِّنُ الجسمُ بينا الفكرُ جواً
إنما العيشُ كلهُ كهرباءُ
أنتَ في سمعهِ وفي الودِّ كالخا
يا صديقي العزيز فهو المحيِّزُ
يعرفُ الحبسَ قبلنا الأبريزُ
وانطلاقُ ، وكم سجينٍ يفوزُ
لَهُ في الوجودِ مُلكٌ عزيزُ
ومثالُ الحياةِ ذاكَ الأبريزُ
لقـ رُوحاً تقدرها التعزيرُ ١

وقد اعترض على لفظ « المجيز » في البيت الأول ولم يفهم معناه الذي يدركه أي ناشئ مطلع على الأدب العربي : فالمجيز إنما هو المعطى الكريم ، وقد تآنى هذه الكلمة بمعنى المعين على اجتياز العقبات ، وكلا المعنيين صحيح في هذا الموضع .

كذلك اعترض على رفع كلمة « شعر » في البيت الأول من قصيدة « تذكرة طبيب وكنا قد وجَّهناها إلى صديقنا الأديب الفاضل الشيخ عبد العظيم حجاب أسماء مرضٍ مُنْهَكٍ ، وهذه بعض أبياتها :

وسُئِلْتُ تذكرة الطبيب فهاكها ! شعرٌ من الأدب السليم مَذَابُ
رَدَّدَهُ ترديد المدام ، فطالما شُفِيَتْ ببعض سُلَافِهِ الألبابُ
وتأْسُ ... صَوْمُكَ كالزكاة ورُبَّمَا في الصَّوْمِ - إنَّ لِحَاجِ السَّقَامِ - ثَوَابُ
أنت الأديبُ ، وللأديبِ مناعةٌ ولديهِ عن صَحَرِ الزَّمانِ حِجَابُ
ليسَ الفِرَاشُ بحابسٍ لك هِمةٌ روحُ الأديبِ لها الوجودُ رحابُ
ومن النفوسِ حرائرٌ وثوائرٌ ومن النفوسِ إسارُها الجلبابُ
والناسُ منهم في سجونِ جِسمِهِم يَنُنَا يُقِلُّ النابِهينَ سحابُ

هذه الأبياتُ وأمثالها هي صورةُ المخافة البارزة في نظر ناقدنا الأملحى فلا تستحقُّ شيئاً من تقديره ، وأمّا الذي يستحقُّ اهتمامه فهو رفعُ كلمة « شعر » في البيت الأول ، وفاته أن ابتداء الشطر الثاني بجملة جديدة على تقدير « هي شعرٌ من الأدب السليم مَذَابُ » فيه تنبيهٌ قويٌّ مما يُكسب المعنى قوة على قوة ، ولكن أنَّى لحضرته أن يفهم الأساليب البليغة ودقائقها وأسرار اختيار الشاعر لها ؟ ولعلَّ الحسنة الوحيدة في مقاله هذا الذي نعلّق عليه (وقد ظهر في جريدة « الوادي » المؤرخة ٣ نوفمبر الماضي) هو ختامه بأبياتنا « البيغاء وطفيلي النقد » (ص ٩٧٢) ونحن بكلِّ ارتياحٍ نهدىها إليه !

أشار الشاعر الناقدُ طلبة محمد عبده في بحثه « النقد الحديث وأنواع الشعر » (أبولو م ٢ ص ٧٥٢) إلى بُغضنا شعر المناسبات السطحي وإن كنا لا نحتقر المناسبات العاطفية والتصويرية لقرض ألوان شتى من الشعر العالي . فنن المجيب بعد هذا أن يدعى ناقدنا الذي يريد أن يتَّسم بنزاهة الأدب أننا لا نعني إلا بشعر المناسبات

السطحية ، مستشهداً بأبيات متفرقة لها مواضعها من شعر الدعابة المستطوع في جلته ، ولكن ناقدنا العزيز لا يريد منا الا الصرامة والجهامة ، وما عدا ذلك فليس الا سوقية في رأيه الارستقراطي الذي يُعَدُّ من أمارات هذا الزمان المقلوب ١

وهو يحتقر أن تكون لنا مواويل فصيحة — وكان قد أشار الى عنايتنا بالأوزان الشعبية الدكتور زكي مبارك في (البلاغ) — ولكننا نعذره على مبلغ فهمه كما نعذر ذلك الأديب الذي راح يُعلق على كلمة الدكتور زكي مبارك ويتهمنا بافساد اللغة العربية لا لسبب سوى أننا أبينا أن يستأثر شعراء العامة بتلك الأوزان المحبوبة وأردنا أن لا يخلو شعر اللغة الفصحى منها !

ثم تتساءل أرستقراطية ناقد (الوادي) حرسه الله عن هذين البيتين من قصيدة « الأحياء والأموات » (ص ١٠١٢) :

لا تنهروا الأحياء : مَنْ قُتِنُوا بِهَا وَتَمَوْا وَلَبَّوْا دَاعِيَاتِ هَبَائِهَا
العاشقين جاهلها ، الناشري : نَ جَلَّالَهَا ، الساجدين لِدَائِهَا
ومن أيّ وزن البيت الأول ، ومن أيّ وزن البيت الثاني ؟ فهل خلا قلم
تحرير (الوادي) ممن يبلغ عظمتَهُ أنهما من بحر واحد ؟ وهل لا يوجد لدى الرميّة
الكريمة مَنْ يُفهم القيمة البيانية التوكيدية من استقلال مقاطع البيت الثاني ومن
استعمال همزة القطع في موضع همزة الوصل ما دام يكاد يحجّ هذا المسكين بجهله
مصرّ ذلك ؟

ومثال آخر لسطحية هذا الناقد مؤاخذته لنا لاستعمالنا كلمة « خياراً » في
أحد الأبيات الآتية من قصيدتنا « يوم بيروت » التي وجهناها الى الاستاذ جبر
ضومط في يوبيله الخمسيني :

وهو العظيمُ بعلمهِ وبطبعهِ ما زال يُنكرُ بِرَّهٖ إنكاراً
وبعدُ أكرمَها أفادَ ضريبةً للعلمِ يدفعُ قسطها مختاراً
ويعافُ ألقابَ الامارةِ والعلى شرفاً ويصحبُ للنبوغِ خياراً
ثم جمعُ أسفارٍ لديه (١) ونخبَةٌ في الطالبين تقدّس الاسفاراً
فبرغم هذا البيان الواضح يفوت الناقد النابه أن « خياراً » هنا هي بمعنى « أخبار »

(١) إشارة الى مؤلفات المختل به .

ومفردها «خير» وليست بمعنى «اختيار». وقد انتقل كعادته من هذا الخطأ الى ما هو أقبح منه ما بين مؤاخذة وسوء تفسير !

ومثال آخر لأبجدية الناقد أنه يرى البيت الثانى من قصيدة «كروانه المسرح» (ص ١٠٤٠) مكسوراً ولا نرى الكسر الا فى ذوقه الموسيقى الخائر ، واليك مستهل هذه القصيدة :

ملكتر تقدير أهل الفن فى وطنـ الفنُّ أعلامه أصحابُ تيجانـ
مَنْ نالَ ما نالَ (كاروزو) بصدحتـ فيه ، وما نالَ (دانزى) بأوزانـ ؟
وما أُتيحَ (لُبُثِشِنِ) ودولتـ وقد بنى ما بنى من مُملكِ الخانـ ؟
وقد فاته كيف تُنطقُ تلك الأسماء الفرنجية وإدغامُ حروفها !

وقد صوّرنا فى قصيدتنا «مقابر الأحياء» (ص ١٠٦٤) سوء حالة مواطنينا المنكوبين فى كثير من الأحياء الوطنية بينما ينعم أمثالُ ناقدنا المترف ، فهل تراه خجل من هذا التصوير الواقعي خجلَ الوطنى الغيور على الإصلاح ؟ كلا وألف كلا ! وانما كلُّ ما عناه أن يعيبَ هذا التصويرَ الواقعيّ الذى يشترك فى «جريمته» عشراتٌ من كبار الأدباء فى الغرب لأنهم يفهمون كما نفهم أن الأدب ليس مقصوراً على الترف وحده ، وليس الذوق الشعرى محصوراً فيه .

وانتقد رفعنا كلمة هاور فى قولنا : «فاذا به هاور بغير رجاء» تحتماً نصبها ، وهو مخطئ فى ذلك كعادته (أنظر «شرح المفصل» لابن يعيش ج ٤) .

وقد برع ناقدنا الهمام فى الاختلاق الذى عُرف به العجزة أمثاله فقال حرصه الله إننا ننتع الوفد والوفدين «بالأمية الكبرى» وهذا كلام لا يقوله انسان له عقلٌ فى رأسه يقرأ شعرنا وكتاباتها فى مجلاتنا المختلفة برغم ظروفنا الرميّة المقيدة ، ولكنه غير غريب من حضرة الناقد فله أسوة بمن سبقوه من الآبقين الى التهم السياسية المختلفة بعد هزيمتهم فى ميدان الأدب ، فلا يستحون من الطعن فى وطنية أمثالنا وفى اتهامنا بالقدح فى ممثلى الديمقراطية المصرية التى يزخر (الشفق الباكي) بالدفاع عنها وعنهم كما تزخر مجلاتنا المختلفة ، وفى ديواننا التالى (مختارات وحى العام) قصيدتان من خير شعرنا فى تكريم صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا : أولاهما «ولى سعد» (ص ١٨) والثانية «صوت الحرية» (ص ٨٠) ، وفى ديواننا (فوق الباب) قصائد وطنية أخرى لا تقل روعة وقوة . ودولة رئيس الوفد أعلم

الناس بغيرتنا الوطنية وغيره أمرتنا عامة ومناصرتها التاريخية للوفد ومحبتنا الشخصية لدنائه ولا نصاره الامجاد ، فما شأن هذا الفضولى وأمثاله بكل ذلك ؟ وهل نحن الذين نتعرض للسياسة في كتاباتنا أم نحن الذين ندفعها دفعاً عنا ؟

ولو كنا ممن يقبل التقرب للحكوميين على حساب المبادئ الوطنية لما لقينا ما لقينا من العنت والخذلان من أولئك الحكوميين ، ونحن نحن الذين دافعنا عن كرامة الزعماء في أشد ظروف الدكتاتورية السياسية ، ولم نقبل أى مبرر لاتقصاهم ولم نسمح للصداقات العائلية على خطرهما بأن تقف في سبيل صراحتنا . وقد أودى أقرب الناس إلينا في عهد صدق باشا ، دع عنك أن دولة النحاس باشا عضو جهرى في ندوتنا ، ولم يغنم محرر المجلة كموظف حكومة أى غنم في العهد الماضى بل قد مضى عليه أحد عشر عاماً في درجة واحدة !

وراح صاحبنا يتخبط في تفسير قصيدة « الزعيم » (ص ١٠٧٣) تفسير سياسياً ، مع أنه ليس لها بالسياسة أدنى شأن بل هي صورة اجتماعية لبيئة من الادياء البوهيميين ! وكان الأولى به أن يقصر همّه على اظهار أخطاء العروض حيث لا توجد أخطاء عروضية ، أو على عيوب النحو والصرف بينما هو أجهل الناس بهما ومجوازات الأساليب الشعرية ! ولسنا نحن الذين قلنا :

فألفيته غير مستعيب ولا ذاكر الله إلا قليلا

فحذفنا التنوين من « ذاكر الله » ، وإنما هو من صميم الشعر العربى القديم . فليذكر ذلك ناقدنا العزيز قبل أن يهرع الى نقدنا .

وقد ختم مقالاته السبعة في نقد (الشفق الباكي) بالتعرض لقطوعة « المصصور » (ص ١١٠٠) ، ولو أنه ممن يعرفون شيئاً عن « الهيكوات » اليابانية ، وعن الشعر الصيغنى الذى يُقرأ ما بين السطور ، لفهم على الفور أن الغرض من هذه المقطوعة تصوير سخرية القدر بالإنسان في أهون وقائع الحياة تصويراً لا يخلو من الرمزية الى تصرف المقادير في شئون الوجود الكبرى برغم حيلة الإنسان . ولكن ناقدنا النابغة — الذى يفصل بيننا وبين أمثاله جيل من السن والنقافة والخبرة — أبى بفضل تغريب العابثين به إلا أن يجعل نفسه سخرية النقد ، وحسبنا نحن أن ندلل بما كتبنا وما نكتب على مظاهر ذلك ، محاولين أن نستخلص بعض الفوائد الأدبية على قدر الامكان ، ولولا اعتبارنا لكل هذا لتركنا

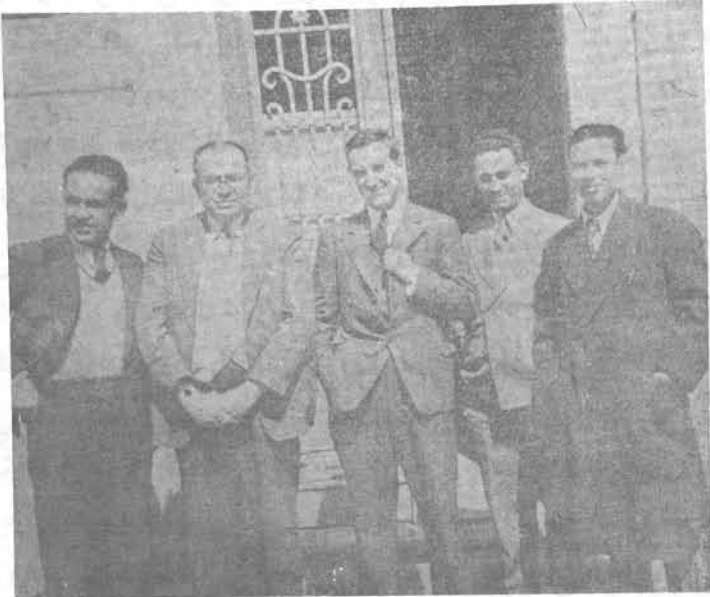
هؤلاء العابثين يصولون ويجولون كيف شاؤوا بين التبجح والتلفيق والدعوى الفارغة التي اشتهروا بها .

ولا نريد أن نُلقي القلم بعد هذا التشریح لِمَناجِج القَد السَّخِيف التي يوجَّهها الكائدون الينا دون أن نقوم بأمانة التبليغ عن صاحب مكتبة معروفة في الاسكندرية أغار عليه أحد المتطفلين على الأدب وأخذ منه كتباً شتى (بينها بعضٌ تأليفنا) بقيمة جنيتها ، ومَرَّت الشهورُ وهو يتهارب من دفع هذا الحق ، وأخيراً استنجد صاحبُ المكتبة بزميلينا الأديب علي محمد البحراوى سكرتير (جماعة الأدب المصرى) بالاسكندرية والشاعر حسن كامل الصيرفى عضو مجلس (جمعية أبولو) . ونحن إشفافاً على ذلك المسكين نكتفى بهذه الإشارة ، لعلَّه يجد من الكرامة — ولو فى هذه الساعة الأخيرة — أن يسدّد حقَّ صاحب المكتبة بدلَ أن يتهاف على النقد الأدبى الذى لا تؤهله له مواهبه وتعليمه المحدود ، وبدلَ اختراع البقايس لمن لا يرتضونه فى عداد تلاميذهم !

وليس هذا المسكينُ إلاَّ أحد الضحايا الكثرين الذين يحسبون نبعَ الأدب فى أركان المقاهى وعلى موائد المفرَّرين الذين كثروا فى هذا البلد كثرة مصائبه وهمومه ! إن الكرامة الأدبية الحققة هى فى احترام الأدباء بعضهم لبعض ، وفى غيرتهم على انصاف بعضهم لبعض ، وفى تعشُّقهم بخير الانتاج الأدبى فلا يقف بعضهم حجرَ عثرةٍ فى طريق البعض الآخر ، ولا يقفُ جهوده على أساليب الكيد الخبيث بدل التشجيع النبيل الكريم . إن تاريخ مصر الأدبى مملوءٌ بمواصف الحزازات والدسائس الشخصية ، وكَم لها من أثر سىء فى تعطيل النهضة الأدبية ، وكَم لها من وقع أليم فى نفوس الأدباء المستقلين ومؤرخى الأدب الحديث . وهذه المواصفُ الجديدةُ تنقضى كما انقضت سابقتها ، ولكن يبقى الحكمُ التحجُّلُ بأن المجتمع الأدبى فى مصر منحطٌ ، وأنَّ الحطاطة أساءَ الى الوطن شرّاً اساءةً ، ولو لم يكن منحطاً لكان مبعثاً للمثل العُلِّيا بدل أن يكون مسرحاً للسفاسف والمكائد وتجارة الألقاب على حساب الأدب وأنصاره التحصيلين وعلى حساب النهضة الوطنية .

الثقافة الانجليزية العربية

أنسنا بزيارة جناب المستر كراير المدرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية لدار (أبولو) وقد وجدنا جنبه حريصاً مثلنا على تبادل الثقافتين الانجليزية والعربية . وقد تحدثت اليه محرر (أبولو) عن الحاجة الى اخراج مجلة أدبية عامة باللغة الانجليزية لتحقيق هذا الغرض فوجد عنده استعداداً كبيراً للسعى الى ذلك . وكنا سمعنا نقداً لهذه الفكرة على اعتبار أنها تشغل أديبنا عن العناية بالأدب العربي ، وهذا نقد لا نفهمه فالتعريف بالأدب العربي للانجليز لا يعدّ انصرافاً عنه ، فضلاً عن أهمية الثقافة الانجليزية لنا من الوجهة العالمية الشاملة .



امام دار جمعية أبولو

من اليمين الى اليسار : الأديباء حسن محمد محمود ، محمد احمد رجب
المستر كراير ، احمد زكي أبوشادي ، مختار الوكيل

وفي الواقع ان اصدار مجلة أسبوعية من هذا القبيل نافع لتبادل الثقافتين إذ لا توجد مجلة تسد هذا الفراغ ، ولا توجد في مصر سوى مجلة The Sphinx الاسبوعية الانجليزية ، وهي مجلة انجليزية محضة وإن كانت محلية الصبغة الى حد ما ، وليست موضوعاتها الأدبية بذات خطر .

فلعل المستكرار وزملاءه من الأدباء الانجليز وأصدقائهم المصريين المتأثرين
 بالثقافة الانجليزية كنجاشي وأبي شادي والمازني وعبدالله مصطفى وسلامة موسى
 والمقاد وعلى أدهم وغيرهم يوفقون الى تحقيق هذه الأمنية ؟

محمد الصحر - جب
 (الهامى)



غربة الشعر

هذا واحدٌ من التعابير الجديدة التى ينادى بها من يتصدّرون للنقد وهم ليسوا
 أهله ، فالنقد يجب أن يكون آخر مراحل الأدب لا أولها ، ولكنه فى مصر مما
 يتسلّى به لا طلبه المدارس ومتخرّجوها الأحداث فحسب بل كلُّ عاطلٍ يعرف
 القراءة والكتابة !

إنّ المنطق يعترف بأن كلَّ شاعر ناضج له الذوق المنقحُ لشعره من تلقاء
 نفسه ، فيخرج الشعرُ بعد ذلك فى طابعه الخاص لا طابع غيره . فلم يبق «لغربة»
 الشعر معنى بعد هذا سوى التخلّى عن نماذج من الشعر لا يرضى عنها الناقد
 حينما هى متمعةٌ لشخصية الشاعر ومصورةٌ لبعض حالاته النفسية . وكيف
 يستطيع أديب متقفٌ غيورٌ أن يدعو الى هذه «الغربة» فى الوقت الذى يهمنى فيه
 أن نعرف عواطف الشاعر وتفكيره وتفاعله مع الظروف المتباعدة وفى شتى المواقف
 وازاء أعظم الأمور وأحقرها على السواء !؟ إذن ليست هذه «الغربة» سوى دعوة
 من الدعوات العامة التى تتلقنها البيغاوات وتردها فى غير وعى انتقاماً للشعر
 المنجيين وحباً فى التعامل الرخيص !

أيها النقاد الأعزاء ! أرىحوا الناس من هذا الهذيان ، وابدأوا بأنفسكم فاعلموها
 وثقفوها التنقيف الأتم ، ثم بعد ذلك راجعوا ما تكتبون الآن وانقدوا إذا كانت
 لديكم موهبةُ النقد الأدبى ، فستكونون أتم أول الساخرين حينئذ من
 فتاواكم الحاضرة !

محمد عبد الفقير

الأدباء المعاصرون

كما يجدر بنا تسجيله مقتطفين اهتمام الكتاب بالأدباء المعاصرين بالرغم مما نلاحظه من التحزُّب أو التحامل في كتابات معظمهم . وشَتان بين هذا التحوُّل وما كان مأثوفاً في الجيل الماضي من التهاك على سيرة الأدباء القدامى فقط . ولكن في سبيل الصدق والأمانة وفي سبيل الأدب ذاته أقول أيضاً إننا في حالة غريبة من الفوضى الأدبية سببها التحزُّبات الشخصية التي قد تفتح الباب للطلبة في صحيفة كبيرة وتصدّه في وجه أديب عظيم ! ومن علامات هذه الفوضى أن يجرؤ على الكتابة عن الأدباء المعاصرين من ليس منهم ، وأن يكتب كتابة العليم عن لاصلة له بهم على الاملاق ، حتى إذا تأملت كتاباته تبيّنت أن الغرض من كل هذه الجلبة خدمة أديب أو اثنين على حساب الآخرين فيفخّم الأولين ويتجاوز عن عيوبهم ، ويتعامل على الآخرين ويخترع لهم الميوب كما يسمح له الخيال المريض وحاجات نفسه وأصحاب هذا الطراز من الأفلام المأجورة معروفون في مقاهي العواصم المصرية ، وقد لوّثوا الحركة الأدبية في مصر ، وأصبح الأديب الذي يقف موقف التحدي أو الخصومة إزاء هذا الفساد — كما فعل محرر (أبولو) — عرضة لأن تُلقى عليه صنوف الموبقات دون أي رادع لأولئك الطغام من حياء أو كرامة ! وقد بلغني عن أحد شعراء الشام الذين زاروا مصر حديثاً أن هذا المرض الخُلقيّ يسمّى في بلادهم « المرض المصري » فيا للعار !

إني أفهم أن يكتب أنطون الجليل بك عن خليل مطران ، ومصطفى عبد اللطيف السحرقي عن أحمد زكي أبي شادي ، وإبراهيم المصري عن إبراهيم ناجي ، وعبد الرحمن صدقي عن عباس محمود العقاد ، وأحمد الصاوي محمد عن توفيق الحكيم ، وأحمد الشايب عن طه حسين ، وأحمد حسن الزيات عن أحمد أمين ، فكل أولئك من ذوى الصداقة المثينة بالأدباء المؤرّخ لهم ، وكلّهم من ذوى المقدرة الأدبية ، ولكني لا أفهم كيف يجرؤ بائع أحدية أو تاجر لبن محدود النقافة منبوذ من صفوة الأدباء ومأجور لذوى الأغراض على الظهور بمظهر الكاتب الناقد المحقق الحصيف كائنه ما كانت صداقته ! هذا « المرض المصري » يجب أن نتبرأ منه ويجب أن نحاربه أشدّ الحاربة !

فوضى الألقاب

منذ عشر سنوات أو أكثر وأنا أطلع بانتظام مجلة John o'London's Weekly الأدبية الانجليزية ، ولا أذكر أنها تورطت مرة في مثل ما تورط فيه معظم صحفنا ومجلاتنا من فوضى الألقاب حتى استبيحت نفس الألقاب الجامعية وضاعت كرامتها في بلادنا . وكذلك حال جميع الصحف الانجليزية بل والغربية عامة في تعفها ورسالتها .

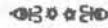
ولن يُنسى في تاريخ الصحافة العربية موقف (أبولو) المشرف ازاء هذه الفوضى في مصر ، فقد أبت هذه الألقاب لنفس رجالها بالرغم من مكانتهم الوطيدة في عالم الأدب وكانت خير رائدة بتصرفها الدقيق الحكيم . وهذا أحد أسباب التطاول عليها من أقلام الادعياء والمأجورين ومن يُغرر بهم من طلبة المعاهد إكراماً لخطاير المتكالبين على الزمامات الفارغة حتى انتقل المرض الى كتبة الدواوين الحكومية وصار بينهم من يطمح الى أن يعد عميد الادباء اوبات بين مصححي الطبع في الصحف من لا يقنعون بأقل من وصف العباقرة والفلاسفة نظماً ونثراً ! فانا لله وانا اليه راجعون !

وعلم الله لست من يقف في طريق الشباب الناهض ولا من يثبط ملاحظاتهم الأدبية النقدية ، ولكن كثير جداً أن نرى بعض أقلام الشباب تسخر باسم النقد الأدبي لتجريح أعلام أدبنا بنجراً سفيهاً من باب الكيد الخسيس لمصلحة هذا الأديب المترعّم أو ذاك . فهل سمع أحد في مصر عن شيء من هذا الصغار يحدث بين أدباء الانجليزية أو الألمان أو الفرنسيين أو غيرهم من الشعوب الراقية ؟ وهل سمع أحد في خارج مصر عن مثل المناورات المفضوحة التي تجري في الصفحات الأدبية لجرائدنا حيث يتحكم فيها صنائع هذا المترعّم أو ذاك فيفتحون أنهارها حتى لمائبهم من طلبة المدارس ويغلقونها في وجوه كرام الكتاب المستقلين ؟ أي زمامة هذه وأي أدب هذا ؟ إن الزمامات لا تُفتعل ولا تُشتري ، والأدب الحق ليس مجرد حبر على ورق بل هو سيرة الأديب نفسها قبل تحبيره ، وهو تعلّقه بمنله الأعلى لا الانحدار الى السفاسف .

لقد جرّت فوضى التباهات على الألقاب — الى درجة عمل رواشم ثابتة لها — شرّ النتائج على أخلاق الأدباء في مصر ، وأساءت بصفة خاصة الى الجيل الناشئ الذي أصبح يُستقلّ مطايا للشهرة ، دع عنك مناورات الصحف الوضيعة التي تعتمد

في غنمها على الاعلانات القضائية والتهريج . وقد نشأ عن هذه الحالة مَرَضُ «لوصولية» بأحط معانيها ، تلك «الوصولية» التي لها أن تضحي بمكارم الأخلاق في سبيل الصيت الكاذب . فكم من تلميذ جحود صار يستبيح مَرْهُوَ الطعن في أسانذته والتنكر لهم قولاً وكتابةً ، وذلك ليصعد على أكتافهم أو لبيع نفسه ووفاءه لقاء دراهم معدودات أو لقاء مدائح وهمية شفاءً لغليل حاقه موتور ! هذه حالة شنيعة لا يكفي احتقارُ ممثلها ، بل يجب تأديبهم في صراحة تامّة وشجاعة ، وتطهير الجو الأدبي من مئومهم . وهذا الواجب التأديبي يقع على طاق أدبائنا وصحفيّينا الزهاء المستقلين ، فالى أقلامكم المسنونة أيها السادة !

على محمد البير اوى



المرأة والادب

من المظاهر الاجتماعية لنهضة الامة حرصها على كرامة المرأة . وقد كان هذا شأن الامة العربية إبان مجدها (انظر كتاب «المرأة العربية» للأديب المعروف السيد عبدالله عفيفي) . وقد كانت مصر الى الجيل الماضي تذكر أديباتها بكل اجلال ولا تسمح لسيرهنّ بالنسرب الى الصحف للاحق ولا بالباطل ، وذلك مبالغة في إعزازهنّ . ثم ظهر التطور في المجتمع كما ظهر في الأدب فأرنا الكاتب الشهير احمد الصاوي محمد يقف معظم جهوده على التنويه بالمرأة المصرية والدفاع عن قضيتها ، وقد تعرض بالخير لسمير نابغات الامة وفضلياتها ضارباً بهنّ الأمثال ، وجهوده رائدة في هذا السبيل مما يسجل له بالشكر الدائم في الادب المصرى .

وحدث أخيراً أن نزاحمَ العاطلون على موائد الصحافة ، وبينهم من هم أولى بغيابة السجون ، فافتتوا بآثارة القال والقليل حباً في ترويح الصحف الكاسدة التي لولا الاعلانات القضائية لماتت غير مأسوف عليها . وشغل هؤلاء الأوغاد بانخاذ أقلامهم مدى ومسدّسات لتهديد الأديبات وللإختلاق عليهنّ وعلى الأدباء المعروفين ! وانتقل شرهم حتى الى الجامعة المصرية فلم يتعففوا عن اختراع الأباطيل تعريضاً بالطالبات ظلماً وعدواناً ، مما أسخط أسانذة الجامعة فضلاً عن طالباتها وأولياء أمورهنّ أشدّ السخط على هذا الانحطاط الاجتماعي الشائن .

إنَّ نهضتَنَا الأدبية موصولةٌ باحترام المرأة كلَّ الصلة ، وتركُ التحرير الصحفي الشعبي في أيدي الأَوْشَاب الذين لا يتورَّعون عن الكيد للأدباء والأدبيات أمرٌ يُؤسِّفُ له أشدُّ الأسف وجديرٌ بالاهتمام الكلِّي من قلم المطبوعات ما داموا يتحايلون على مداراة القضاء ؟

أحمد كامل الشربيني



الأدب التونسي في القرن الرابع عشر

جمع ونشر زين العابدين السنوسي — جزءان عدد صفحات كلٍّ منها ٣٢٠ صفحة ،
بحجم ٢٢ × ١٤ سم . الثمن ٣٥ قرشاً مصرياً . طبع مطبعة العرب بتونس
مع تصدير بقلم محمد البهلي النبال ودراسة عامة لكل شاعر

أخذت الحركة الأدبية في العصر الحاضر يشتد ساعدها ويقوى عودها اللدن كما أخذت فتجه اتجاهاً جديداً في الأساليب والخواطر والمعاني والأخيلة ، وكان لشعراء مصر وسورية في ذلك نصيب وافرٌ . ومن الأمثلة لذلك الكتاب الذى بين يدي ، فقد جمع فيه ناشره الفاضل مختارات لصفوة من شعراء تونس المبدعين ، فأرانا ناحية كنا نجعلها أو نكاد نجعلها من هذه الحركة الفنية . وحسبك أن تعلم أن بعض ما اختاره لبعض الشعراء يكاد يكون ديواناً مستقلاً ، فهو بذلك أدى للحركة الأدبية خدمة لا ننكر . وهذا السفر الرائع الحافل بأشعار الوجدان والحب والطبيعة والرفاء أطلعنا على اتجاهات شعراء تونس المحدثين . وقد أعجبنا بما في ثنايا بعض أشعارهم من روح شعرية نابضة بالحياة ، وطبيعة قوية أخاذة بأسباب السمو تتطلع الى الكمال . وإذا قارنا بينهم وبين شعرائنا ألقينا بونا شامعاً من ناحية التفكير ، واتجاهاً خالصاً

يميز كلاً من الفريقين عن الآخر ، ولكن يجب أن نذكر أن تباين الثقافة عامل من عوامل الاختلاف . وإذا كان لنا من نقد لشعراء المغرب على العموم فهو كرهنا لهذه الروح التقليدية التي تجلت في كثير من كتاباتهم وإن كنا نحمد لبعضهم نزعة التحرر من القديم البالي من الأُخيلة والخواطر . ومن بديع ما انبث في هذا الكتاب قول الشاعر سعيد أبي بكر (ص ١٠٤، ج ١) :

أَبْنُ عَيْنٍ كُلَّمَا لَحَنَّا لَهَا أَحْرَقْنَا ؟
أَبْنُ كَفٍّ كُلَّمَا لُدْنَا بِهَا فَرَّقْنَا ؟

وكذلك قوله في صفحة ١٢٥ :

ظَلَمِي النَّاسَ يَا حَيَاتِي إِذَا مَا أَخْبِرِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِمَا نِي
وَاسْكُنِي يَوْمَ يَرْفَعُونَ عَلَى الْأَلِ وَاحِجِي جَسْمِي ، وَكُفْنِي الْعَبْرَاتِ
بَعْدَ حِينٍ سَيَجْعَلُونَ فِرَاشِي مِنْ تَرَابٍ وَمَسْنَدِي مِنْ حَصَاةٍ
ثُمَّ يَلْقَوْنَ بِي هُنَاكَ وَحِيداً وَحَيَاتِي هُنَاكَ خَيْرُ حَيَاةٍ

ومن الشعراء الذين أعجبتُ بآثارهم الأدبية في هذا الجزء حسين الجزيري والهادي المدني وأبو القاسم الشابي وأحمد خير الدين وعلي النيفر ، وأرجو أن تتاح لي الفرصة في القريب لأتناول شاعرية هؤلاء بشيء من التحليل والنقد حتى يتهيأ للقارئ المصري أن يطلع على صورة من صور الشعر في بلاد تونس الخضراء التي آلمنا موت فقيدها النابغة الشابي رحمه الله .

وإني لأقدم للأديب زين العابدين السنوسي أخلص الشكر على أن تقح عشاق الأدب بهذا السفر الشامل الذي أرجو أن نرى أمثاله عن كلِّ بلدٍ من بلدان العربية ؟

حسن محمد محمود



المشوق

تأليف الخوري إيسيدورس فتال مدير مدرسة الروم الكاثوليك في حلب
خمس أجزاء مصورة للصفوف المتوسطة والعالية ، بأحجام مختلفة .
طُبِعَ بمطبعة القديس بولس في مدينة حريصا (لبنان) .

مؤلف هذا الكتاب من أفضل المعلمين اللغة العربية ، وقد كان زمناً مدرساً لها بمدرسة القديسة حنة الاكليريكية في القدس ، وهو الآن يشغل منزلة محترمة في ادارة التعليم بحلب ، فهو من أخبر الرجال بالتأليف المدرسي . وسلسلته (المشوق) من أجل كتب المطالعة ، ومنها ما يخص المدارس الابتدائية والصفوف الأولية ، ومنها ما يخص الصفوف المتوسطة والعالية . وهي ستة أجزاء صدرت منها خمسة حتى الآن وقد راجت رواجاً عظيماً نظراً لغزارة مادتها الأدبية التعليمية ، وهذه الأخيرة هي التي تهتم قراء (أبولو) .

وفي هذه الأجزاء الخمسة التي بين يدي موضوعات متنوعة وفيرة تجعلها بمثابة دائرة معارف للناشئين ومعرض مختارات جميلة لكنيرين من كُتّاب العالم العربي وشعرائه مع صورهم وترجمة سيرهم وصور كثير من الموضوعات في غير تعصب لبيئة أو معهد ، وذلك مما يجعل لها مكانة طامة من الاحترام ، وبما يكسبها قوة وروعة وإذا التفطنا الى المختارات الشعرية التي تمنينا بصفة خاصة وجدنا المؤلف الفاضل موفقاً في اختيار معظمها بالنسبة لقوتها وأصالتها وإن لحظنا على البعض الآخر الضعف والتقليد ، وربما اعتذر عن ذلك برغبته في التمثيل للأذواق الأدبية المختلفة . وخيراً ما أعرف به الجانب الشعري من الكتاب لقراء (أبولو) أن أنقل بعض النماذج الجميلة التي لاشيوع لها في مصر .

فنها قصيدة إلياس طعمة المعنونة « إلى أمي » (ج ١ ، ص ٩٥) :

| | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| كنتُ يا أمَّاهُ أرعى الأنجُمَا | وإذا تَعَرَّكُ فيها ابتسَمَا |
| فَنَشَوَّقْتُ إلى قُبَلَاتِهِ | إنَّها كانت لَجُرْحَى بِلَسَمَا |
| وكذا عَيْنُكَ فيها سطعتْ | فأنارتْ من فَوَادِي ظَلَمَا |
| ففَوَادِي بشاعِرٍ طالقٍ | خافقٍ ما بين أرضٍ وسمَا |
| كنتُ وحدي ساهراً في روضةٍ | وإذا فيها النسيمُ تَمَتَّمَا |

فتذكرتُ فناءَ مُطرٍ بآ فوقَ مَهْدِي وأحاديثَ الحَيِّ
 ذلكَ الصَّوْتُ الَّذِي عَلَنِي مثلَ شِعْرى وشعورى انسجما
 وله بين ضلوعى نعمةٌ أصبحتُ بين شفاهى فَمَا
 لَيْتَ لِي فِي البُعْدِ تَقْبِيلَ يَدِ يَجْلُبُ السَّعْدَ وَيَشْفِي الأَلْمَا
 إِنِّ صَرَفَ الدَّهْرَ لَا يَسْمَحُ لِي فَأَنَا أَشْكُو عَلَى مَا هِ الظَّمَّةُ
 فاقبلى مِنِّ وَلَدٍ أَحْبَبْتُهُ رَسَمَ قَلْبِي فَوْقَهُ الدَّمْعُ هَمِي
 واذكُريهِ إِنِّ نُصَلِّى فِي الدُّجَى فَله قَلْبٌ يُحِبُّ الأَنْجُمَا ١

ومنها قصيدة « أغنية المغيب » ليلياس أبى شبكة (ج ٢، ص ٦٨) :

أَسْجُدِي لِلَّهِ ، يَا نَفْسِي ، فَقَدْ وَافَى الْمَغِيبُ
 وَاسْتَرَجَى مِنْ عَنَاءِ الْفِكْرِ ، فَالْفِكْرُ رَهِيْبُ
 وَاسْتَرَى الْآلَامَ حِينَا بِابْتِسَامَاتِ الْحَبِيبِ
 فَفَدَا نَوْجُ آلامِكَ وَالْآتَى قَرِيبُ ١

هُوَ ذَا الْفَلَاحِ قَدْ مَادَ مِنَ الْحَقْلِ الْجَمِيلِ
 فِي يَدَيْهِ الْمُنْجَلُ الْحَاصِدُ وَالرَّقْشُ الطَوِيلُ
 وَعَلَى أَكْتَافِهِ حِمْلٌ مِنَ الْقَمْحِ الثَّقِيلِ
 فَهُوَ مِنْهُوكٌ وَفِي عَيْنِهِ آثَارُ اللَّهَبِ
 أَسْجُدِي لِلَّهِ ، يَا نَفْسِي ، فَقَدْ وَافَى الْمَغِيبُ ١

إِسْتَرَجَى فِتْرَةَ قُرْبِ مِيَاهِ الْجَذْوَلِ
 وَانْظُرِي الْمَعَاذَ بِرَنَاحٍ يَسْفَحُ الْجَبَلِ
 وَالْقَطِيعُ الشَّارِدُ الْهَائِمُ مِثْلُ الْإِبِلِ
 أَنْظِرِي تَائِهًا كَالْفِكْرِ فِي الْوَقْتِ الْعَصِيبِ
 سَجْدِي لِلَّهِ ، يَا نَفْسِي ، فَقَدْ وَافَى الْمَغِيبُ

أَسْجُدِي لِلَّهِ وَاسْلَيْ فِتْرَةَ ذِكْرِ الْعَذَابِ
 قَبْلَهَا تَزْحَفُ فِي الْوُدْيَانِ أَشْبَاحُ الضُّبَابِ
 وَاسْتَعِيدِي ذِكْرِيَّ لَا وِيقَاتٍ عَذَابِ
 لَمْ يَكُنْ مَاضِيكَ كَالْحَاضِرِ دَمْعًا وَنَحِيبُ
 أَسْجُدِي لِلَّهِ ، يَا نَفْسِي ، فَقَدْ وَافَى الْمَغِيبُ !

اسْمِي الْأَجْرَاسَ مِنْ قُبَّةِ دَيْرِ الرَّاهِبَاتِ
 حَمَلُ الْوَادِي صَدَّاهَا لِلنَّفُوسِ الرَّاهِدَاتِ
 فِي أَنْتِ صُدُورِ وَبَقَايَا زَفَرَاتِ
 صَعْدَتُهَا سَاكِنَاتُ الدَّيْرِ قُدَّامَ الصَّلِيبِ
 اسْجُدِي لِلَّهِ ، يَا نَفْسِي ، فَقَدْ وَافَى الْمَغِيبُ !

ومنها قصيدة « بكاء الأطفال » لنقولا فياض (ج ٣، ص ١٥٥) :

| | |
|---|---|
| أَسْمَعَتِ الْإِطْفَالَ يَا صَاحَ تَبْكِي | قَبْلَ أَنْ تَعْرِفَ الْأُمِّي وَالشَّقَاءُ ؟ |
| كُلُّ طِفْلٍ فِي حُضْنِ مَنْ وَلَدَتْهُ | يَتَعَزَّى لَوْ كَانَ يَرْضَى الْعِزَاءُ ؟ |
| لِعَصَافِيرُ فِي الرِّيَاضِ تَغْنِي | وَتُخَافُ الطَّيَّاءُ يَجْكِي الْغَنَاءُ ؟ |
| وَابْتِسَامُ الْأَزْهَارِ كُلِّ صَبَاحِ | بَشَاةَا يَعْطُرُ الْأُرْجَاءُ ؟ |
| إِنَّمَا الطِّفْلُ وَحْدَهُ يَا صَحَابِي | مَاتَ يَبْكِي وَيَسْتَلِدُّ الْبَكَاءُ ؟ |
| هَلْ سَأَلْتَ الطِّفْلَ الصَّغِيرَ لِمَاذَا | رَاحَ يَبْكِي ، وَدَهْرُهُ مَا أَسَاءُ ؟ |
| يَذْرِفُ الشَّيْخُ دَمْعُهُ لَشَبَابِ | صَبَّحَ الصَّبْرَ بَعْدَهُ وَالرَّجَاءُ ؟ |
| وَعُصُوفُ الْأَشْجَارِ تَحْزَنُ ، إِذْ تَحْزَنُ | لَمَعَ أَيْدِي الْخُرَيْفِ عَنْهَا الرِّدَاءُ ؟ |
| وَجَوَاحُ الْأَبْدَانِ تُؤَلِّمُ ، إِنَّ قَصَرَ طَوْلُ الزَّمَانِ عَنْهَا شِفَاءُ | مَا الَّذِي فِي الْبُكَاءِ لَهُ يَتَرَادَى ؟ |
| إِنَّمَا الطِّفْلُ وَحْدَهُ لَسْتُ أَدْرِي | لَقَنَّتُهُ أَرْوَاحُهَا الشُّعْرَاءُ ؟ |

« أَرْضُكُمْ غُرْبَةٌ » ، وَنَحْنُ صِغَارٌ وَلَنَا أَرْجُلٌ تَحَاكِي الْهَوَاةَ
 مَا مَشِينَا عَلَيْكَ يَا أَرْضُ إِلَّا خَطَوَاتِ ، وَقَدْ سَقَطْنَا عِبَاةَ
 فَتَى نَسْتَرِيحُ ، وَالْقَبْرُ نَاهٍ وَمِنَ الْمُعْرِ مَا يَطِيلُ الْعِنَاةُ ؟
 فَسَدُوا الشَّيْخَ مَا دَوَاعَى بَكَاهُ لَا صِغَارًا فِي أَرْضِهِمْ غُرْبَاةَ
 رَاحَةِ الْقَبْرِ لِلشُّيُوخِ وَلَكِنْ نَحْنُ جِئْنَا هُنَا نَقَامِي الْبَقَاةَ ا

وَمِنْهَا قَصِيدَةٌ « فَتَشَّ لِقَلْبِكَ عَنْ رَفِيقِ ا » لِمِيخَائِيلِ نَعِيمَةَ (ج ٤ ، ص ٧٠) :
 عَجَبًا يَرُودُكَ الظَّلَامُ فَتَبَيْتُ مَرْتَجَفَ الْعِظَامِ
 وَيُودُّ قَلْبُكَ لَوْ يَنَامُ فِي صَدْرِكَ النَّوْمَ الْآخِرَ
 أَفَا لِقَلْبِكَ مِنْ جَلِيسٍ أَوْ سَمِيرٍ ؟

وَالْفَجْرُ إِذَا يَبْدُو يَرَاكَ أَبَدًا بِهِمْ وَارْتَبَاكَ
 فَيَمِيلُ عَنْكَ إِلَى سِوَاكَ وَسِوَاكَ يَفْهَمُ مَا يَقُولُ
 أَفَا لِقَلْبِكَ تَرْجُمَانُ أَوْ رَسُولُ ؟

وَتَخُوضُ مِيدَانَ الْكَفَاحِ وَسَطَ النَّهَارِ بِلا سِلَاحٍ
 فَتَقْصُرُ مِنْ أَلَمِ الْجِرَاحِ وَتَنْشُ ، لَكِنْ لَا مُجِيبَ
 أَفَا لِقَلْبِكَ مِنْ مُؤَسَّ أَوْ طَيْبٍ ؟

وَتَجُولُ وَحْدَكَ فِي الْقِفَارِ وَعَلَيْكَ سِتْرٌ مِنْ غُبَارِ
 كَسَافَرٍ يَبْنِي الدِّيَارَ لَكِنَّهُ فَقَدَ السَّبِيلَ
 أَفَا لِقَلْبِكَ فِي مَسِيرِكَ مِنْ دَلِيلٍ ؟

أَسْفَى عَلَيْكَ ، فَلَا الذَّهَابَ سَهْلٌ عَلَيْكَ وَلَا الْإِيَابَ
 سَتَلُّ تَحْبِطُ فِي ضَبَابٍ حَتَّى يُنِيرَ لَكَ الطَّرِيقَ
 قَلْبٌ يَكُونُ لِقَلْبِكَ الْوَاهِي رَفِيقُ ا

وَمِنْهَا قَصِيدَةٌ « خِيَالُ سُوْرِيَا » لِرَشِيدِ سَلِيمِ الْخُورِيِّ (ج ٥ ، ص ١٦٠) :
 رَأَيْتُ الزَّهَرَ هَدَايَا طَلِيقَا وَقَدْ دَاسَ الشَّرَائِعَ وَالْحَقُوقَا

فكدتُ أضْمُ للتَّيَّارِ نفسى كَأَنى قد لَحْتُ به غريقاً
لأنَّ خيالَ سورِيَّا أُمَامى !

رَأَيْتُ النَّارَ مُسْتَعْرَاً لظَاهَا كَنَفْسى ، حينَ جَدَّ بها جَوَاهَا
فكدتُ الى اللهبِ أمدُّ كَفَى لِأُنْقَذَ مَنْ سَبى نفسى هَوَاهَا
لأنَّ خيالَ سورِيَّا أُمَامى !

رَأَيْتُ نَوَادِباً تَذْرِى الْجَنَانَا وَقَدْ بَلَّتْ مَدَامُهَا الْبَنَانَا
فلمْ أَعْجَبْ لَتَرْجِيعِ الشَّكَاى وَلَمْ أَحْزَبْ لَأَنَّنَاتِ الْحَزَانَا
لأنَّ خيالَ سورِيَّا أُمَامى !

وليس الكتابُ وقفاً بأجزائه على الأحداثِ المبتدئين القراءة ولا على تلاميذ الصفوفِ المتوسطة والعالية بل هو حديقة أدبية لكل أدبٍ تشوقه القراءة المتنوعة فجاء مصداقاً لاسمه ، وجاءت طريقته التى شرحتها المؤلفُ الفاضلُ فى مقدمته من خير ما كتب فى بابها لارشاد المعامرين . وقد أعجبتنى صراحته وصدقته فى قوله : « لا يزال السواد الاعظم من أدبائنا أنفسهم دون مستوى الأدب الغربى » ، لأنهم لم يتلقوا فى المدرسة أصول الأدب التى لا تتغير بتغير الزمان والمكان وسائر ظروف الحياة ، لأنها ثابتة مطابقة لنواميس علم النفس والمنطق وفلسفة الكلام ، وكل هذه لا يطرأ عليها أدنى تغيير جوهرى . فليبارك الله جهودَ هذا المعلم العامل الذى لا يقتصر فضله فى تكوين الجيل الجديد على قطرٍ دون قطرٍ من أقطار العالم العربى ، ولا على طائفة دون أخرى ، ولا يعرف أدبه معنى للعصبيات المفهنية التى تُعَدُّ للأسف من الأمراض المفسدة للأدب المصرى بما لا يقلُّ عن إفساد الحربية السياسية له ؟

محمد عبد القفور

الجمهور

مجلة أسبوعية سياسية اقتصادية فنية تصدر عن مدينة الاسكندرية . بدل اشتراكها السنوى ٣٠ قرشاً فى مصر والسودان و ٥٠ قرشاً فى الخارج

يُهنأ الكاتبان الفاضلان حسن صبحى وأحمد على عوض بتعاونهما على إصدار (الجمهور) فى الاسكندرية . وسيساعد على ترويجها قسمها السياحى الوطنى ، وهو

ما لم تكن تملكه مجلة (الامام) لما كانت تصدر في طاعة القطر الثانية إذ أن
 الأخيرة أدبية اجتماعية فقط . وقد سرّني أن تتمكن (الجمهور) من نشر الجديد من
 شعر عبدالرحمن شكرى فضلاً عن مختارات لطيفة ليبرم . وشعر شكرى وحده كاف
 لاقبال محبي الادب عليها فهو محدود في الطبقة الاولى من الشعر المصرى . ولعل
 (الجمهور) يوفّق الى نشر الجزء الثامن ديوانه والى إعادة طبع الاجزاء السبعة القديمة ،
 فن الخير لأدبنا ابراز هذه النفائس المستورة ، خصوصاً بعد أن انقضت نهائياً الدواعى
 القديمة الى سترها . وقراء (أبولو) يسرّهم بصفة خاصة أن يمتعوا عواطفهم بقراءة
 هذا الشعر الجديد ، وهذا مثال منه بعنوان «العودة» وهى قصيدة ترحيب شكرى
 بمودته الى الاسكندرية . قال هزارنا الغريد :

| | | |
|------------------------------|-------------------------------|---------------|
| عاود الروضَ في الصباح هزاردُ | ثم غنى | ففتحت أزهارهُ |
| ثم غنى للورد وهو على الفص | ن خجولاً فزاد منه احمرارهُ | |
| ثم غنى للفلّ فانتعش الفلّ | ل طروباً وطار عنه وقارهُ | |
| وحباً نسمة الصباح من العط | ر زكياً في روحه أسرارهُ | |
| ثم غنى للبسمات من الزّه | ر فأغضى ولاح منه افتقارهُ | |
| فكانّ الصباح يسمع أنفا | م معنّ في ضوءه أوتارهُ | |
| حين سادته هدأةٌ وسكونُ | لم يشبها بالصاخباتِ نهارهُ | |
| غير صوتٍ يطنّ من طرب الطير | ر اذا داعبته ثمّ صغارهُ | |
| ساعةً تلك في الزمان تملاً | ها فؤادُ من حُسنها أشعارهُ | |
| وكأنّى أنا الهزارُ وروضى | بلدٌ فيه للهزارِ شعارهُ | |
| بلدٌ عُدْتُها فعدتُ الى الخا | ل ، وقد كان ملء قلبي ادّكارهُ | |
| وسواءً علىّ أن يتجنى | أهلُ أو يودّنى مُسمارهُ | |
| فله في الضميرِ أخمصٌ ودّ | لم يُثرنى لريبةٍ إضمارهُ | |

محمد عبر الفنى نجيت

أحسن ما كتبت

بأفلام طائفة من خيرة العلماء والأدباء في الشرق العربي ، ١٩٥ صفحة
بمجموع ١٦ × ٢٤ سم . غنيت بنشره دار الهلال بالقاهرة . الثمن ١٥٠ مليماً .

دار الهلال ومطبوعاتها أشهر من أن تُعرّف ، وقد أخرجت في هذا العام
هديةً لمُشتركي مجلة (الهلال) ولحبي الأُدب العربي الحديث هذا الكتاب الممتع
حقاً بما فيه من مختارات كثيرة ما بين نظمٍ ونثرٍ ، بيد أني مع ذلك لا أرى
مطابقة العنوان للكتاب ، وأوثر أن يسمّى (من أحسن ما كتبت) لأنّ المؤلفين
أنفسهم لا يدعون ولا يمكن أن يدّعوا أنّ ما في هذا الكتاب هو أحسن ما كتبوا
على الإطلاق .

وقد اجتمع للناشرين فيه ثلاث وسبعون كلمة في موضوعات شتى لسبعة وستين
كاتباً وشاعراً من المعروفين ، ولم تسمح الظروف للناشرين بأكثر من هذا القدر
وهم مشكورون على أيّ حال لهذه العناية والفضل في تسجيل هذه النماذج ما
الأدب المصري ما

السير عظيم شريف



مطبوعات ندوة الثقافة

أشارت هذه المجلة غير مرّة إلى مطبوعات (ندوة الثقافة) المتنوعة التي كانت
مزمنة إصدارها إلى جانب مجلاتها لولا الاعتبارات المالية ، ومن هذه المطبوعات
« مدرسة البيت » و « تقويم الأطفال » و « راديو الأطفال » ، غير المطبوعات
الفنيّة المختلفة ، وغير طبع المخطوطات العربيّة المفيدة وأخصّها بالذكر الدراسات
الشعرية والدواوين القيّمة المنسيّة مثل « ديوان ابن سناء الملك » و « معجز أحمد »
و « ذكرى حبيب » .

وأمر كلّ هذا متوقّف على نجاح مشروع (الندوة) ، فاذا أصابت النجاح
المنشود في العام المقبل (أنظر المذكرة المرفوعة إلى حكومة جلالة الملك —

(ص ٧٦٢) فسيكون تحقيق هذه الأمنية في مقدمة برنامجها ، وستوسّع (الندوة) في ذلك لخدمة المؤلفين وفي التعاون مع المجالات الأخرى المحترمة على نشرها في السوق بدل تركها تحت رحمة الالميين من الموزعين الذين يتعمدون قبرها . أما اذا كانت المؤازرة التي تناولها غير كافية فرجال (الندوة) يؤثرون الاستغناء عنها ، لأن مثل هذا المشروع الثقافي وحده لا نجراً ، فأمّا أن ينفذ كاملاً بجذافيره وإمّا أن يتخلى عنه ، فليس ثمة جانب منه أهم من الآخر ، وما على رجال (الندوة) الا أن يعتبروا حينئذ أن مشروعهم سابق لأوانه ، وإن آمنوا أنه يسد فراغاً في الثقافة الفنية والأدبية لاغنى للبلاد عن سدّه ، ولكن روح التضامن الثقافي وما يدعو اليه من تضحية وتآزر ما يزال معدوماً ، فلا الشعب بحسّ به بعد في الناحية الاجتماعية الثقافية كما أحسّ به في الناحية الوطنية ولا الحكومة أيضاً بحسّ به ، وفي هذا الجو ضاعت وتضيع الجهود الاصلاحية والتضحيات الفردية .

محمد عبد القادر

(المراقب العام لندوة الثقافة)



فتح الأندلس

تأليف فتواد باشا الخطيب : ٩٦ صفحة بحجم ٢٢ × ١٥ سم . طبع مطبعة ابن زيدون بدمشق ، مع مقدمة نثرية بقلم خليل مطران

مؤلف هذه الرواية المسرحية أديب من كبار أدباء العربية في العصر الحاضر وعلم من أعلام الشعر وكان تلح في كتاباته التعصب للعروبة واجلالها . وقد عمد فتواد شا الخطيب الى التاريخ فقلّب صفحاته ، فاذا به يقف هنيهة وقفة الاعجاب أمام تلك البطولة العربية التي تجلّت في فتح الاندلس وكيف تغلب العرب على اوربا المتحفزة للوثوب عليهم ، واذا بهذا الاعجاب يطنى على نفس المؤلف فيملؤها إكباراً للعرب ، ويستحيل هذا الاكبار الى ونظم هذه الرواية التي تعدّ من تاريخياً قيماً لمن يريد أن يقف على تطوّر الحوادث حتى تمكن العلم العربي من غرق غرق تلك البلاد ، وأن يتخذ مكانه تحت شمس أوربا .

فالدَّرامَةُ تُبَحِّثُ عَنْ نَاحِيَةٍ خَاصَّةٍ مِنْ نَوَاحِي التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ ، وَقَدْ اسْتَفَاضَ الْمُؤَرِّخُونَ فِي التَّكَلُّمِ عَنْ هَذِهِ الْمَوْقِعَةِ وَمَا أَظْهَرَهُ الْعَرَبُ مِنْ بَطُولَةٍ وَشَهَامَةٍ لَمْ تَزَلْ إِلَى الْيَوْمِ يَرِنُ صِدَاها فِي آذَانِنَا فَيَمْلَأُونَا عَجَبًا وَتَبْهًا .

وَقَدْ اسْتَطَاعَ فُؤَادُ بَاشَا الْخَطِيبِ أَنْ يَوْفَّقَ بَيْنَ الْحَوَادِثِ بَعْضُهَا وَبَعْضُ ، وَيَجْعَلَ مِنْهَا هَذِهِ الدَّرامَةَ الَّتِي يَقُولُ فِي مُقَدِّمَتِهَا خَلِيلُ مَطْرَانٍ : « عَلَى أَنْ مَا ضَاقَ بِهِ التَّارِيخُ مِنْ مَعْجَزَاتِ الْإِنْدَلَسِ قَدْ وَسَّعَتْهُ رِوَايَةُ شَعْرِيَّةٍ عَنُونَتْ بِاسْمِهِ ، وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى نَازِلِهَا بُوْحَى سِلْسِلِ فِيهَا الْحَوَادِثُ كَأَحْسَنِ مَا يَسْتَحِبُّ تَسْلِسُهَا وَبِشَعْرِ وَافِقٍ لُغَةٍ أُولَئِكَ الْإِبْطَالُ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ أَجَلَ مُوَافَقَةٍ فَلَا يَسْتَطِيعُ مَنْ يَقْرُؤُهَا إِلَّا أَنْ يَقُولَ تَلَقَّاهُ هَذَا الْفَتْحُ الْأَدَبِيُّ كَمَا قَالَ أَشْهَادُ ذَلِكَ الْفَتْحِ الْعَرَبِيِّ : اللَّهُ أَكْبَرُ ١ »

وَقَدْ كَتَبْتُ هَذِهِ الدَّرامَةَ عَلَى نَسْقٍ جَمِيلٍ ، وَإِنْ تَسْلَسَلُ الْحَوَادِثُ فِيهَا لِمَا يَشُوقُ الْمُرءَ إِلَى نَهَائِهَا حَتَّى إِذَا كَانَ فِي النِّهَايَةِ وَدٌّ لَوْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَادِئًا فِي تَلَاوتِهَا . وَقَدْ صِيغَتْ فِي أَسْلُوبٍ عَرَبِيٍّ قَوِيمٍ ، وَلَا غَرَوُ فَنَظَمُهَا أَحَدُ أَعْلَامِ لِأَدَبِ الْعَرَبِيِّ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ ، وَشَاعِرٌ فَحَلَ تَنَاسُقَ إِلَيْهِ الْقَوَافِي فَيَجْمَعُ شَارِدَهَا ، وَيؤَلِّفُ بَيْنَهَا فِي أَدَاءِ خَالٍ مِنَ التَّكَلُّفِ أَوْ الْمَجْنَةِ .

وَقَدْ اشْتَمَلَتِ الرِّوَايَةُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعِظَاطِ الْغَالِيَاتِ ، وَالْحُكْمِ الثَّمِينَةِ : أَلَا تَرَى الْمُفْتَرِينَ وَقَدْ حَكَمُوا الشَّعْبَ رَغْمَ إِرَادَتِهِ ، وَنَقَوْا لَوْ عَلَيْهِ بَاطِلَ الْأَقَاوِيلِ فَيَقُولُ عَلَى لِسَانِ نَاصِرِ بْنِ مَزِيدٍ وَهُوَ مُلْحَقٌ سِيَاسِيٌّ فِي حَاشِيَةِ طَارِقٍ (ص ٢٠) :

يَقُولُونَ قَالَ الشَّعْبُ ، وَالشَّعْبُ لَمْ يَقُلْ وَإِنْ هِيَ إِلَّا فَرِيَّةٌ وَتَشْدَقُ

كَمَا يَقُولُ عَلَى لِسَانِ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ تِلْكَ الْحِكْمَةُ الْغَالِيَةُ :

وَمَا عَرَفَ التَّارِيخُ كَالظُّلَمِ آفَةٌ تَدْمُرُ أَخْلَاقَ الشُّعُوبِ وَتَسْحَقُ

يَجْرَعُهُمْ مَوْتِينَ : مَوْتَ نَفْسِهِمْ بِذَلِكَ ، وَمَوْتَ الْأَرْضِ بِالْفَقْرِ تَمَحَقُ

وَقَدْ وَفَّقَ فُؤَادُ بَاشَا الْخَطِيبِ كُلَّ التَّوْفِيقِ فِي نَظْمِ خُطْبَةِ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ ، تِلْكَ الْخُطْبَةُ الْعَصْمَاءُ وَالِدَرَّةُ الْيَتِيمَةِ الَّتِي وَجَّهَهَا إِلَى جُنُودِهِ الْبَوَاسِلِ حِينَ حَطَّوْا رِحَالَهُمْ بِالْإِنْدَلَسِ ، وَذَلِكَ يَفْصَحُ لَنَا عَنْ مَهَارَةِ النَّازِمِ وَشَاعَرِيَّتِهِ الْمُنْدَفِقَةِ ، حَتَّى لَتَنَارِفِكَ النُّخُوَّةُ وَالْحَمَاسَةُ وَأَنْتَ تَقْرُؤُهَا ، فَيَقُولُ (ص ٨١) :

أَلَا أَيْنَ يَا قَوْمِي الْمَفْرُؤُ ؟! وَمَا الْعَذْرُ وَقَدْ كَشَرْتُ عَنْ نَابِهَا الْفَتَكَ الْبَكْرُ ٢

أمامكم الاعداء والبحر خلفكم وليس لكم الا العزيمة والصبر
 وأنتم من الایتام أضیع موقعاً بمأدبة القوم اللئام وهم أكثر
 تلّبب یجتاب الدّلاص عدوكم له الوفرة والاقوات والمجفل المجر
 وما القوت الا ما ابتزتم من العدى فتطعمكم من جنبها البيض والسم
 ويقول فيها أيضاً :

أجل أنا منكم لست عنكم بنجوة وإن أزع لم أحجم ولم يلوني الزجر
 وسوف أشقّ النقع أبداً قبلكم بنفسى ، فاما الحنف فيه أو النصر
 وينتهى مؤلفها الفاضل بدخول طارق ، وهو ينادى جنده أن هبّا الى طليطلة
 من شعب جيان ! وهذا الختام الذى اختاره فؤاده باشا الخطيب هو أروع وأوفق ما
 تختتم به مثل هذه الرواية ، حتى يذكر القارىء بهذه الروح العربية التى لم تكن
 ترهب شيئاً غير الله ، ولا تخشى غير جبروته ، وقد وهبت نفسها فى سبيل الله والوطن
 فخلدت على صفحات التاريخ ، ووطأها الغرب هامته إعجاباً بهذه النخوة الكريمة .

فليقرأ الشباب العربى تلك الرواية ، ليتعرف منها كيف كان صناديد العرب
 وكيف كانت مطاعمهم ، وليقرأ فيها صفحة من صفحات الاسلام وعدله فى الاندلس ،
 فهى مرآة صافية قد انعكست عليها صور التاريخ الاسلامى ، وان القارىء
 حين يختتم هذه الرواية الجميلة لا يملك نفسه من أن تهتف «فلتحيا العربية» ولا
 يملك نفسه من أن تحبس دموعه تطفر فى المآقى أسفاً على مجد العرب البائد... فليفخر
 الأدب العربى (بفتح الاندلس) وليفخر فؤاد باشا الخطيب بروايته

حسن محمد محمود



يتيمة الدهر

للإمام أبى منصور عبد الملك الثعالى النيسابورى ، أربعة أجزاء عدد
 صفحاتها ١٦٣١ بحجم ١٦ × ٢٤ سم . طبع بمطبعة الصاوى على نفقة حضرة
 على أفندى محمد عبد اللطيف صاحب المكتبة المصرية

اسمان توأمان لهما فى سجل الأدب العربى مكانتهما الجليلة ، ولهما أثرهما فى

تاريخ ادباء هذه اللغة ، هما أبو منصور الثعالبي وكتابه (يتيمة الدهر) . وليس أبو منصور في حاجة الى الكلام عن أياديه التي فدهمها لهذه اللغة المجيدة ، وكفاه هذا الكتاب وكتاب (فقه اللغة) أثراً قبيحاً وفخراً مؤثلاً .

(يتيمة الدهر) معرضٌ حائلٌ للأدب العربي في عصر آل حمدان وآل بويه والدولة السامانية ، عرضه أبو منصور الثعالبي بأسلوب هو درةٌ من درر الأدب أنيقة وصقلاً .

يعنى بشعر الشاعر أو أدب الكاتب ومنزلتهما وما دار بين الشاعر أو الكاتب وبين معاصريه من تقارض الهجاء أو الثناء . وفي خلال ذلك ينقد لنا ما يعرض من منظوم القول ومنثوره متعقباً المعاني ببيان المسروق منها وردّه الى أصوله والتفريق بين المستحسن والمستهجى منها ، وقد فرد في كتابه قسمًا كبيراً للمحتجب أورد فيه كثيراً من شعره مع دراسة تحليلية قيّمة له كما غنى بشعر أبي فراس والشريف الرضي عناية خاصة ، ونحن نأفلون جزءاً من مقدمة المؤلف ليطالع القراء على عناية أ. منصور بالفاظه ومعانيه ، وليتعرفوا الى العناية التي بذلها في تأليف يتيمة ، قال :

« وقد سبق مؤلفو الكتب الى ترتيب المتقدمين من الشعراء والمتأخرين ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، وتدوين كلماتهم ، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم فكم من كتاب فاخر صمموه ، وعقد باهر نظموا لا يشينه الآن الا نبوء العين عن اخلاق جدّته ، وبلى بردته ، ومجّ السمع لمدّداته ، وملاة القلب من مكرراته . وبقيت محلسن أهل العصر التي معها رواه الحدائث ، ولذة الجدّة ، وحلاوة قرب المهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد ، غير محصورة بكتاب يضمّ نشرها ، وينظم شذرها ، ويشدّ ازرها ، ولا مجموعة في مصنف يقيد شواردها ، ويخلد فوائدها .

وقد كنت تصدّيت لعمل ذلك في سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، والعمر في اقباله والشباب بجمائه . فافتتحته باسم بعض الوزراء مجرياً إياه مجرى ما يتقرب به أهل الأدب الى ذوى الأخطار والرّتب ، ومقيماً ثمار الورق مقام نثار الورق . وكتبته في مدة تقصر عن اعطاء الكتاب حقّه ولا تنسع لتوفية شرطه . فارتفع كعجالة الراكب وقبسة العجلان ، وقضيت به حاجة في نفسي وأنا لا أحسب المستعيرين يتعاورونه والمنسحقين يتداولونه حتى يصير من أنفاس ما لشحّ عليه أنفاس أدباء الاخوان ، وتسير به الركبان الى أقاصى البلدان . فتوانرت الأخبار ، وشهدت الآثار بحرص أهل الفضل على غمده ، وعدّهم إياه من فرس العمر وعبره ، واهتزّ أزامم زهره وافتقارهم لغيره

وحين أمرته على الأيام بصرى وأعدت فيه نظرى تبينتُ مصداقَ ما قرأته في بعض الكتب : « أن أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة إلا أحب في غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه » ، هذا في ليلة واحدة فكيف في سنين عدة ؟ .. ورأيتني أحاضر بأجواب كثيرة مما ينسب فيه وقعت بأخرة إلى ، وزيادات حجة عليها حصلت من أفواه الرواة لدى . فقلت : إن كان لهذا الكتاب محل من نفوس الأدباء ، وموقع من قلوب الفضلاء كالعادة فيما لم يقرع من قبل آذانهم ، ولم يصفح أذهانهم . فلم لا أبلغ به المبلغ الذي يستحق حسن الاحماد ، ويستوجب من الاعتداد لوفر الأعداد ؟ ولم لا أبسط فيه عنان الكلام ، وأرمى في الاشاع والانتقام هدف المرام ؟ فجعلت أبنيه وأنقصه ، وأزيدنه وأنقصه ، وأثبتته ، وأنسخه ثم أنسخه . وربما أفتحه ولا أختتمه ، وأنقصه فلا استتمه ، والأيام تمحز ، وتمد ولا تنجز ، الى أن أدركت عصر السن والحنكة ، وشارفت أوان الثبات والمسكة . فاختلست لمعة من ظلمة الدهر ، وانتهزت رقدة من عين الزمان ، وأغتنمت نبوة من أنياب النوائب . وخفة من زحمة الشوائب ، واستمرت في تقرير هذه النسخة الأخيرة وتحريرها من بين النسخ الكثيرة ، بعد أن غيرت ترتيبها ، وجددت تبويبها ، وأعدت ترصيفها ، وأحكمت تأليفها . وصار مثلي فيها كمثل من يتأنق في بناء داره التي هي عشه ، وفيها عيشه ، ولا يزال ينقض أركانها ويبعد بنيانها ، ويستجددُها على أنحاء عدة وهيئوت مختلفة ويستضيف إليها مجالس كالطواويس ، ويستحدث فيها كنائس كالعرُس ، ثم يقورها آخر الأمر قوراء توسع العين قرّة والنفس مسرة ، ويبدعها حسناء نخجل منها الدور ، وتنقاصر عنها القصور .

هذه هي يتيمة الثعالب التي تولى اخراجها في ثوب قشيب حضرة على افندى محمد عبد اللطيف صاحب المكتبة المصرية ، ولعله يدقق في تصحيحها اذا أعاد طبعها حتى لا تكون الاغلاط المطبعية بمثابة نقوب في ثوب جميل شأنه في معجم (المحيط) وغيره من الكتب التي أخرجتها هذه المكتبة في دقة وأناقة بالغتين كل حد . وقد أحسن حضرة الأديب محمد اسماعيل الصاوى الذى تولى تصحيحها في كتابة المقدمة التي عرض فيها الى الكلام عن اليتيمة فأحسن .

ونرجو أن ينال هذا الكتاب من أنفس القراء ما هو جدير به من الحرص والتقدير .

الأدب العربي وتاريخه

في العصر الجاهلي

تأليف محمد هاشم عطية — ٣٧٣ صفحة بحجم ٢٤ X ١٦ مم .
طبع بمطبعة العلوم بالقاهرة

العصر الجاهلي بحث مفروغ منه ، وكل بحث قرأته هو بعينه صورة من سابقه الا كتاب الدكتور طه حسين الذي اتجه وجهة أخرى ، ولكن للعربي الفاضل محمد هاشم عطية المدرس بدارالعلوم طريقة في البحث طريفة : فهو يعرض الصورة ثم يستعرض أجزاءها ودقائقها ويبني أحكامه بعد ذلك ، فترى أنك متفق معه في كثير من الاحايين في حكمه على هذه الدقائق أو هذه الاجزاء .

وكتابُه هذا هو بحث في تاريخ الأدب في العصر الجاهلي عرض فيه في مقدمة الكتاب أقوال العلماء في هذا العصر بعد أن عرّفه بكلمة . ثم انتقل الى الكلام عن الادب وتاريخه وقائده وعلاقته بالتاريخ العام ، ثم نشأته . ثم ينتقل الى اللغة العربية وأصلها وعوامل نموها وخصائصها . ثم يتكلم عن النثر الجاهلي والشعر وأيهما أسبق من صاحبه ، وفي هذا الباب يناقش آراء الفائلين بأسبقية الشعر ويرى أن النثر كان السابق بدليل أذ القرآن انما أنزله الله معجزة لقومه يتخذون النثر صناعته والقرآن نثر اُبت فيه الشعر ، إلا ان خلود الشعر دوز النثر انما كان سببه تلك الحدود الموسيقية التي قربته الى الاسماع ومكنته من الحافظة فخلد ... وهو بعد الكلام عن النثر الجاهلي ينتقل الى الشعر الجاهلي ونشأته وشاعرية العرب الخ .

وبعد أن يعرض المؤلف للمعلقات السبع الممتازة عن سائر الشعر الجاهلي بأوليتها وسعة قوافيها وأغراضها المتنوعة وأسلوبها البدوي المشتغل على اثاره من الحسن في الجزلة والرقعة مع المعاني الكثيرة والأدب الشعري الذي كانت هذه القصائد خير مثال منه مضى في أثره الشعراء من بعد ، ينتقل الى الكلام عن أوصاف الشعر أو مميزاته فيقول : « أما من حيث اللفظ فهو كما ترى تغلب عليه الجزالة ويكثر فيه الغريب وخاصة عند تعاطي الوصف للشيء من حيوان وحمار وطير ونبات ، وهو أيضاً لفظ معرّب لا ترى فيه لحناً ، وقد قدّمنا أن ذلك كان جبلة وكان طبعاً ، والمعروف انه لم يؤثر عن واحد من أهل هذه الجاهلية لحن يذكر . ومن أوصاف

الالفاظ أنها كانت غالباً تستعمل في معانيها الحقيقية كما أسلفنا في النثر، إلا ما كان في باب الوصف والغزل وبمض المادح من التشبيهات البارة المصورة وبعض الكتابات الرائعة الحسن مثل نثوم الضحى في قول امرئ القيس وإن كانت نثومة الضحى قد أصبحت ، وعسى ألا تعجب أهل هذا العصر النشيط المتحرك ، إلا أنها مع ذلك كانت ولا تزال تدل على مقدار النعمة والفراغ . . أمّا معاني الشعر الجاهلي فأظهر أوصافها أنها كانت معاني فطرية قريبة التناول مترحمة عن هذه النزعات الفلسفية وذلك الاستقصاء العميق في استخراجها من مظانها ، وكانت في الغالب بريئة من المبالغات المفرطة المفوِّتة لحسن الكلام مفرغة في هذه الزاهية من الصراحة والصدق تكنسب من هذه السذاجة الظاهرة في ترتيبها وقلة الاكتراث لتحقق التناسب الظاهر بينها لوناً آخر من جمال الفطرة المحبوبة .

ثم يختم الكتاب الاول فيبدأ في الكتاب الثاني عن النقد ونشأته وأثره ومعناه وأركانه وتاريخه، ثم ينتقل من ذلك الى الترجمة لتسعة شعراء من شعراء ذلك العصر ، وذلك في أسلوب هادىء وتفكير منظم .



الشرق

مجلة جامعة مصورة : تصدر عن سان باولو بالبرازيل مرتين في الشهر ، سنتها عشرون عدداً — اشترى كها خارج البرازيل ليرتان انكليزيتان

الاندلس الجديدة

مجلة جامعة مصورة : تصدر عن ريودي جانيرو بالبرازيل —

اشترى كها خارج البرازيل ليرتان انكليزيتان

لاخواننا السوريين واللبنانيين في المهجر نشاط يدعو الى التقدير والاحترام ، ويدعو الى الدهشة والعجب : الدهشة لقوم يحافظون على لغتهم في وسط بعيد عن هذه اللغة وينشرونها بينهم وبين أبنائهم بحرارة وإيمان ، والعجب لصحائفهم التي يخرجونها في أثواب قشبية قد لا تتاح لمجلات كثيرة تصدر عن بلاد اللغة العربية . وأكبر دليل على ذلك هاتان المجلتان الراقيتان البارزتان وكل منهما تعنى بالأدب

عناية فائقة وتجمل من صحائفها رياضاً نضرة تنفح الأدب العربي بشذى الورد الجميلة المتفتحة في العالم الجديد .

ولا عجب فمجلة (الشرق) يحررها موسى كريم وهو رجل حرّ بمعنى هذه الكلمة يعطى الشرق من حبه ومن الدفاع عنه ما يجب على أبنائه نحوه ، وهو أديب مثقف يُعنى الى جانب الأدب بالمسائل الحيوية في شئون الحياة الوطنية والاجتماعية والاقتصادية في البرازيل .

ومجلة (الاندلس الجديدة) يحررها شاعر معروف هو شكر الله الجري صاحب ديوان (الروافد) الذي تكلمت عنه في عدد سابق . وهذه المجلة كشمسها لوحة مجلوة حافلة بصور جديدة للأدب العربي ، ولحررها الفاضل جولان طيبة في السياسة الشرقية يدبج مقالاتها قلم رائع يقظ .

وفي هاتين المجلتين نطالع روائع أدباء المهجر ومنكريهم الذين تقدّرهم التقدير اللائق ونعتر بأدبهم الحيّ كشتيق المألوف والشاعر القروي والياس فرحات ورشيد أيّوب وعقل الجري وحبيب اصطفان وحبيب البشعلاني ويوسف البعيني وفاز السمعاني والياس فنصل وسليم نادر وأنطون سليم سعد ويوسف كرجاج ومسى الحداد وغيرهم ممن يخدمون لغتهم في تلك البلاد النائية خدمة طيبة .

وفي طليعة الواجبات على كل أديب في الأفطار الشرفية أن يكون على صلة تامة بالفروع الممتدة في أقاصى العالم وأن يساعد مثل هاتين المجلتين بالاشتراك فيهما حتى يعرف مدى تطور هذا الأدب ، فاز من المؤلم أن نكون على اتصال دائم وإطلاع مستمر على نتاج الآداب العالمية ولا نعرف شيئاً عن فروع أدبنا !

صمه كامل الصيرفي



فهرس المجلد الثالث

نُلحق بهذا العدد الممتاز من (أبرو) فهرساً تفصيلياً شاملاً للمجلد الثالث إذ رأينا أخيراً على أى حال أن نختم المجلد الثالث بهذا العدد ، حتى اذا قدّر لهذه المجلة أن تستأنف صدورها بدأ مجلدُها الرابع من أوّل العام الميلادي الجديد . ومن أجل هذا أصدرنا هذا العدد الختامي في حجم كبير توفيقاً لحقوق المشتركين . وقد تفضّل بوضع هذا الفهرس الشامل زميلنا الشاعر الفاضل حسن كامل الصيرفي ، كما تفضّل من قبل بوضع فهرس المجلد الأول والمجلد الثاني .



وحي الهدهد

من الطيور التي شأقتنا فوصفناها أو ناجيناها « الهدهد » ، وهو من أرشق الطيور وأشجعها ، ولكن لقزغته في الأدب العربي خرافة غريبة جعلت الشعراء على ما يظهر يصدفون عنه ، وجعلت بعض القادّ المحافظين يعتبر قصيدتنا « الهدهد في القرية » من أخط الشعر بالرغم مما حوته من الصّور والتأملات وحب الطبيعة ! ولو أنصفوا الشعر الحديث لوجّهوا الشعراء المحافظين وجهتنا ، ولنصحوهم بتجنب الصور التقليدية المفتعلة ولحببوا اليهم الأخذ عن جمال الطبيعة مباشرة ، وليس الهدهد بأهون عناصرها إيجاء .

ومن عادتنا الضنّ بفراغ هذه المجلة على ما يخصنا شخصياً ، ولكن أصدقاءنا الأدباء يرون في نشر هذا الشعر غير ما نرى ، ويعنيهم ديوع مناله ، فغلبية لرغبتهم ننشر هنا هذه القصيدة :—

| | |
|------------------------------|--|
| مرّحبا بالهدهد الوافي الأبرّ | ملاء القرية حُسناً وخطر ! |
| عدّ كلّ الناس أتباعاً له | غير أهل الشعر أو أهل الصّور ! |
| جاءني منه رسولٌ كلُّهُ | في شعاع الشمس نورٌ ما استقرّ |
| حائماً حولي ، وفي ترحيبه | من هُي الشمس ومن معنى المطر |
| تجمّع الأصابع في زينته | من حُلّ القوس ^(١) ومن وحي السحر |
| ثم ولى مُنبئاً رفقتَه | فاذا همّ ملّ فكرى والنظر |
| لابسو التيجان أبهى زينة | من نضار هو أضعاف البشر |



الهدد في القرية

عن (سليمان) لهم حكمتهم حينما عافوا الغرورَ المحقر^(١)
وأبوا تيجانَ تبره مرهق^٢ فاذا التيجانُ ريشٌ وشعرٌ !

مرحبا بالهن في أعلامه كلُّ فردٍ منكم مهجته^٣
بين آدابِ غواله وصورة^٤ تنفقون العمرَ في البحثِ ، فكم
وحلاه من ضياء وزهر^٥ دائمى التنقيب حتى جلمة^٦
تشكى منكم حقول^٧ وحجر^٨ كلُّ ما حولكم فيه وطر^٩
لكم في الشمس ما فيها دتر^{١٠} بينما ليس لكم فيه وطر^{١١}

(١) إشارة الى قصة الهدد وسيدنا سليمان

صورة الفنان في أخلاقه كلها نال أمانيه نفر

مرحباً يا مهددي ! حبي اذا * * *
 زمرت هذا الريف مرآة الابر
 نحن صنوان بروح ودم وحنان وأمان وذكر
 غير أني رهن جسم أسر بينا أنت عزيز ما أسر
 وأنا الباكي على نهر مضي بينا تضحك من معنى العمر !
 لك دين أو حدي خالد حينما المؤمن منا قد كفر !



التجاوب في الحب

مما تلميه الأهواء على بعض النقاد المفرضين سخافات كثيرة لا يعدمون بيقاوت
 لترديدها ، وأظهرها أخيراً أن شعر الغزل الملائم للرجولة يجب أن يكون في صورة
 التهجم أو في صورة الخطبة التي تتحدث عن فضائله ، وأما ماعدا ذلك فخضوة !
 ونظن أن جانباً من قرائنا لم يفهم أن يلحظوا في الأغاني التي تديعها
 الامبراطورية الانجليزية (ولا نظن أن الخضوة من صفات أهلها الذين سيطروا على
 بلادنا) ما يناقض ذلك تماماً ، وهذا شيلي الشاعر الانساني النائر الكامل الرجولة
 نعطي للخلود أبياته التالية :

O lift me from the grass !
 I die ! I faint ! I fail !
 Let thy love in kisses rain
 On my lips and eyelids pale,
 My cheek is cold and white, alas !
 My heart beats loud and fast; —
 Oh ! press it close to thine again,
 where it will break at last .

ولكن ماذا نقول فيمن يتصنعون الغزل وفلسفة الغزل الجوفاء ثم يلقون بحجارهم
 على شعراء الغزل المطبوعين كناعجي والصيرفي وصالح جودت ، دون أن نجد موسيقاهم
 وعواطفهم صدي في تلك القلوب المتحجرة وإنما تنال الانتقاض وحده من
 ألسنتهم البديهة !